بسم الله الرحمن الرحيم

سورة غافر و تسمى سورة[1] المؤمن و الطول[2]

مقصودها الاستدلال على آخر التى قبلها من تصيف الناس فى الآخرة إلى صنفين، و توفية كل ما يستحقه على سبيل العدل، بأن[3] فاعل ذلك له العزة الكاملة و العلم الشامل، و قد بين ما يغضبه و ما يرضيه غاية البيان على وجه الحكمة، فمن لم يسلم أمره كله إليه و جادل فى آياته ٥
الدالة على القيامة أو غيرها بقوله أو فعله فانه يخزيه فيعذبه و يرديه، و[4] على ذلك دلت تسميتها بغافر، فانه لايقدر على غفران ما يشاء لمن يشاء إلا كامل العزة، و لا يعلم جميع الذنوب ليسمى غافرا لها إلا بالغ العلم،

---

(١) سقط من م و مد (٢) الأربعون من سور القرآن الكريم، مكية، و آيها خمس و ثمانون فى الكوفى والشامى، و أربع فى الحجازى، و اثنتان فى البصرى، و قيل: ست و ثمانون، و قيل: ثمان وثمانون ـ راجع روح المعانى ٤٢١/٧ و زيد فى مد: بسم الله الرحمن الرحيم، رب زدنى علما و فتحا فى كتابك و فهما يا كريم، قال أضعف الخلق و أحوجهم إلى عفو الحق إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر البقاعى الشافعى مكملا لكتابه «نظم الدرر من تناسب الآيات و السور» (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فان (٤) زيد فى الأصل و ظ: كله، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.

و كذا فى جميع الأوصاف التى فى الآية من الثاب و العقاب، و كذا الطول فانه لايقدر على التطول[1] المطلق إلا من كان كذلك، فان من كان ناقص العزة فهو قابل لأن يمنعه من بعض التطولات مانع، و لن يكون ذلك إلا بنقصان العلم، و كذا الدلالة بتسميتها بالمؤمن فان قصته
٥ تدل على هذا المقصد و لا سيما أمر القيامة الذى هو جل المقصود و المدار الأعظم لمعرفة المعبود ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم الذى يعطى كلا من عباده ما يستحقه، فلا يقدر أحد أن يناقض فى شيء من ذلك و لايعارض ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمهم برحمته فى الدنيا بالخلق و الرزق و البيان الذى لا خفاء معه ﴿ الرحيم ﴾ الذى يخص برحمته من
١٠ يشاء من عباده فيجعله حكيما، و فى تلك الأرض و ملكوت السماء عظيما ﴿ حمٓ ﴾ أى هذه حكمة محمد صلى الله عليه و سلم التى خصه بها الرحمن الرحيم الحميد المجيد مما له من صفة الكمال.

لما[2] كان ختام التى قبلها إثبات الكمال لله بصدقه فى وعده ووعيده بانزال كل فريق فى داره التى أعدها له، ثبت أن الكتاب
١٥ الذى فيه ذلك منه، و أنه تام العزة كامل العلم جامع لجميع صفات الكمال فقال: ﴿ تنزيل الكتب ﴾ أى الجامع من الحدود و الأحكام و المعارف و الاكرام لكل ما يحتاج إليه بانزاله بالتدريج على حسب المصالح و التقريب للأفهام الجامدة القاصرة، و التدريب للألباب السائرة

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الطول (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: و لما.

فى جو المعانى و الطائرة ﴿ من الله ﴾ أى الجامع لجميع صفات الكمال .
و لما كان النظر هنا من بين جميع الصفات إلى العزة و العلم أكثر؛
لأجل أن المقام لإثبات الصدق وعدا و وعيدا قال: ﴿العزيز العليم لا﴾ .
و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما افتتح سبحانه سورة الزمر
بالإخلاص و ذكر سببه و الحامل باذن الله عليه و هو الكتاب، و أعقب ٥
ذلك بالتعريض بذكر من بنيت على وصفهم سورة صٓ و تتابعت الآى
فى ذلك الغرض إلى توبيخهم بما ضربه سبحانه من المثل الموضح فى قوله
"ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشكسون و رجلا سلما لرجل"
ووصف الشركاء بالمشاكسة إذ بذلك الغرض يتضح عدم استمرار مراد
لأحدهم، و ذكر قبح اعتذار لهم بقولهم «ما نعبدهم[1] الا ليقربونا الى الله زلفى»، ١٠
ثم أعقب تعالى بالإعلام بقهره و عزته حتى لا يتخيل مخذول شذوذ
أمر عن يده و قهره، فقال الله تعالى " اليس الله بكاف عبده - إلى
قوله: اليس الله بعزيز ذى انتقام" ثم أتبع ذلك بحال أندادهم من[2] أنها
لاتضر و لا تنفع فقال /" قل افرءيتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى ٥٢٣ /
الله بضر هل هن كشفت ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكت رحمته" ١٥
ثم أتبع هذا بما يناسبه من شواهد عزته فقال " قل لله الشفاعة جميعا" "قل
اللهم[3] فاطر السموت و الارض [4]علم الغيب و الشهادة[4]"، " او لم يعلموا

(١) من ظ و م و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل: ما نعبد (٢) من مد،
و فى الأصل و ظ و م: فى (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الله.
(٤-٤) ليس ما بين الرقمين فى م و مد.

ان الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر" "الله خالق كل شيء" "له مقاليد السموٰت و الارض" ثم عنفهم و قرعهم بجهلهم فقال تعالى "افغير الله تامرونى اعبد ايها الجهلون" ثم قال تعالى "و ما قدروا الله حق قدره و الارض جميعا قبضته يوم القيمة و السموٰت مطويٰت بيمينه"

٥ ثم اتبع [تعالى - ١] ذلك بذكر آثار العزة و القهر فذكر النفخ فى الصور للصعق ثم نفخة القيام و الجزاء و مصير الفريقين، فتبارك المتفرد بالعزة و القهر، فلما انطوت هذه الآى من آثار عزته و قهره على ما أشير إلى بعضه، أعقب ذلك بقوله سبحانه و تعالى "حٰمٓ تنزيل الكتٰب من الله العزيز العليم، فذكر من أسمائه سبحانه هذين الاسمين العظيمين

١٠ تنبيها على انفراده بموجبهما[٢] و أنه العزيز الحق القاهر للخلق لعلمه تعالى بأوجه الحكمة التى خفيت عن الخلق ما أخر الجزاء الحتم للدار الآخرة، و جعل الدنيا دار ابتلاء و اختبار. مع قهره للكل فى الدارين معا، و كونهم غير خارجين عن ملكه و قهره، ثم قال تعالى "غافر الذنب و قابل التوب" تأنيسا لمن استجاب بحمده، و أناب بلطفه، و جريا

١٥ على حكم سبقية الرحمة و تغليبها، ثم قال "شديد العقاب ذى الطول" ليأخذ المؤمن بلازم عبوديته من الخوف و الرجاء، و اكتنف قوله "شديد العقاب" بقوله "غافر الذنب و قابل التوب" و قوله "ذى الطول" و أشار سبحانه [بقوله - ١] "فلا يغررك تقلبهم فى البلاد - إلى قوله قبل "و اورثنا الارض" و كانه فى تقدير: إذا

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بموجبها .

كانت العاقبة لك و لأتباعك فلا عليك من تقلبهم فى البلاد، ثم بين تعالى أن حالهم فى هذا كحال الأمم قبلهم، و جدالهم فى الآيات كجدالهم، و أن ذلك لما حق عليهم من كلمة العذاب، و سبق لهم فى أم الكتاب - انتهى.

و لما تقدم آخر تلك [أن -[1]] كلمة العذاب حقت على الكافرين، ٥ فكان ذلك ربما[2] أيأس من تلبس بكفر من الفلاح، و أوهمه أن انسلاخه[3] من الكفر غير ممكن[4]، و كان الغفران - و هو محو الذنب عينا و أثرا - مترتبا على العلم به، و كان التمكن من الغفران و ما رتب عليه من الأوصاف نتيجة العزة، دل [5]عليهما مستعطفا[5] لكل عاص و مقصر بقوله: ﴿غافر الذنب﴾ أى بتوبة و غير توبة إن شاء، و هذا الوصف له دائما ١٠ فهو معرفة، قال السمين: نص سيبويه على أن كل ما إضافته غير محضة جاز أن تجعل محضة و توصف بها المعارف إلا[6] الصفة المشبهة، و لم يستثن الكوفيون شيئا.

و لما أفهم تقديمه على التوبة أنه غير متوقف عليها فيما عدا الشرك، و كان المشركون يقولون: قد أشركنا و قتلنا و بالغنا فى المعاصى فلا ١٥ يقبل رجوعنا فلا فائدة لنا في إسلامنا، رغبهم فى التوبة بذكرها و بالعطف

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: انصلاحه - كذا. (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: محكم (٥-٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عليها متعطفا (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لا.

بالواو الدالة على تمكن الوصف إعلاما بأنه سبحانه لايتعاظمه ذنب فقال: ﴿ و قابل التوب ﴾ و جرد المصدر ليفهم أن أدنى ما يطلق عليه الاسم كاف. و جعله اسم جنس كأخواته[1] أنسب من جعله بينها[2] جمعا / كتمر و تمرة . و لما كان الاقتصار على الترغيب ربما أطمع عذر التمادى[3] من سطوته، فقال معريا عن الواو لئلا يؤنس ما يشعر به كل من العطف و الصفة المشبهة من التمكن، و ذلك إعلاما بخفى لطفه فى أن رحمته سبقت غضبه، و أنه لو أبدى كل ما عنده من العزة لأهلك كل من عليها كما أشير إليه بالمفاعلة فى "و لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم" فان الفعل إذا كان بين اثنين كان أبلغ: ﴿ شديد العقاب ﴾ على أن تنكيره و إبهامه - كما قال الزمخشرى - للدلالة على فرط الشدة و على ما لا شيء أدهى منه و أمر، لزيادة الإنذار و هى أخفى من دلالة الواو لو أوتى بها .

و لما أتم الترغيب بالعفو و الترهيب من الأخذ . أتبعه التشويق إلى الفضل . فقال معريا عن الواو لأن المقام لايقتضى المبالغة، و الحذف غير مخل بالغرض فان دليل العقل قائم على كمال صفاتــــه سبحانه: ﴿ ذى الطول ﴾ أى [4]سعة الفضل[4] و الإنعام و القدرة و الغنى و السعة و المنة، لايماثله فى شيء من ذلك أحد و لا يدانيه ، ثم علل تمكنه فى كل شيء من ذلك بوحدانيته فقال: ﴿ لآ اله الا هو ﴾ و لما أنتج

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كاخوانه (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بينهما (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المادى (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الفعل .

هذا

هذا كله تفرده، أنتج قطعا قوله: ﴿ اليه ﴾ أى وحده ﴿ المصير ﴾ أى فى المعنى فى الدنيا، و فى الحس و المعنى فى الآخرة، ليظهر كل من هذه الصفات ظهورا تاما، بحيث لايبقى فى شيء من ذلك لبس، فانه لايصح فى الحكمة أن يبغى أحد على العباد ثم يموت فى عزة من غير نقمة فيضيع ذلك المبغى عليه، لأن هذا أمر لايرضى أقل الناس أن ٥ يكون بين عبيده.

و لما تبين ما للقرآن من البيان الجامع بحسب نزوله جوابا لما يعرض لهم من الشبه، فدل بازاحته كل علة على ما وصف سبحانه به نفسه المقدس من العزة [و العلم - ١] بيانا لا خفاء فى شيء منه، أنتج قوله ذما لمن يريد إبطاله و إخفاءه: ﴿ ما يجادل ﴾ أى يخاصم ١٠ و يمارى و يريد أن يفتل٢ الأمور إلى مراده ﴿ فى ءايٰت ﴾ و أظهر موضع الإضمار تعظيما للآيات فقال: ﴿ الله ﴾ أى فى إبطال أنوار الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال الدالة كالشمس على أنه إليه المصير، بأن يغش نفسه بالشك فى ذلك لشبه يميل معها، أو غيره بالتشكيك له، او فى شيء غير ذلك مما٣ أخبر به تعالى ﴿ الا الذين كفروا ﴾ اى غطوا ١٥ مرائى عقولهم و أنوار بصائرهم لبسا على أنفسهم و تلبيسا على غيرهم.

و لما ثبت أن الحشر لابد منه، و أن الله تعالى قادر كل قدرة

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يصل (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لنسبة (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كما.

لأنه لا شريك له و هو محيط بجميع أوصاف الكمال ، تسبب عن ذلك
قوله : ﴿ فلا يغررك تقلبهم ﴾ أى تنقلهم بالتجارات و الفوائد و الجيوش
و العساكر و إقبال الدنيا عليهم ﴿فى البلاد ه﴾ فانه لا يكون التفعل بالقلب
إلا عن قهر و غلبة ، فتظن لإمهالنا[1] إياهم أنهم على حق ، أو[2] أن أحدا
٥ يحميهم علينا ، فلا بد من صيرورتهم عن قريب[3] إلينا صاغرين داخرين ،
و تأخيرهم إنما هو ليبلغ الكتاب أجله .

و لما نهى عن الاغترار بما لا قوة لاحد على صرفه عن نفسه إلا
بتأييد من الله ، علله بما يحقق معنى النهى من أن التقلب[4] و ما يثمره[5]
لا يصح أن يكون معتمدا ليزهد فيه كل من سمع هاتين الآيتين ، فقال
١٠ مشيرا بتانيث الفعل إلى ضعفهم عن المقاومة ، و تلاشيهم عند المصادمة ،
و إن كانوا فى غاية القوة بالنسبة إلى أبناء جنسهم : ﴿ كذبت ﴾ و لما
كان تكذيبهم عظيما و [كان -[6]] زمانه[7] قديما و ما قبله من / الزمان ٥٢٥ /
قليلا بالنسبة إلى ما بعده و طال البلاء بهم ، جعل مستغرقا بجميع الزمان ،
فقال من غير خافض : ﴿ قبلهم ﴾ و لما كان الناس على زمن نوح عليه
١٥ السلام حزبا واحدا مجتمعين على أمر واحد و لسان جامع ، وحدهم
فقال : ﴿ قوم نوح ﴾ أى و قد كانوا فى غاية القوة و القدو على القيام

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاهمالنا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل ه و ه (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قرب (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التلقب (٥) من ظ و م و مد ، و فى لأصل : يعزه - كذا (٦) زيد من م و مد (٧) فى مد : زمانهم .

بما يحاولونه[1] و كانوا حزبا واحدا لم يفرقهم شيء . و لما كان الناس من بعدهم [قد كثروا - [2]] و فرقهم اختلاف الألسنة و الأديان، و كان للاجمال من الروع فى بعض المواطن ما ليس للتفصيل قال: ﴿ و الاحزاب ﴾ أى الأمم المتفرقة الذين لايحصون عددا ، و دل على قرب زمان الكفر من الإنجاء من الغرق بقوله: ﴿ من بعدهم ص ﴾ . ٥

و لما كان التكذيب وحده كافيا فى الأذى ، دل على انهم زادوا عليه بالمبالغة فى المناصبة بالمعاندة ، و قدم قصد[3] الإهلاك لأنه أول ما يريده العدو فان عجز عنه نزل إلى ما دونه فقال: ﴿ و همت كل امة ﴾ أى من الأحزاب المذكورين ﴿ برسولهم ﴾ أى الذى أرسلناه إليهم . و لما كان الأخذ يعبر به عن الغلبة و القهر و الاستصغار مع الغضب ١٠ قال: ﴿ ليأخذوه ﴾ و لما كان سوق الكلام هكذا دالا على أنهم عجزوا عن الأخذ ، ذكر أنهم بذلوا جهدهم فى المغالبة[4] بغيره ، فقال حاذفا للفعول تعميما: ﴿ و جدلوا بالباطل ﴾ أى الأمر الذى لاحقيقة له ، و ليس له من ذاته إلا الزوال ، كما تفعل قريش و من انضوى إليهم من العرب ، ثم بين علة مجادلتهم فقال: ﴿ ليدحضوا ﴾ أى ليزلقوا فيزيلوا[5] ١٥ ﴿ به الحق ﴾ أى الثابت ثباتا لاحيلة فى إزالته .

و لما كان من المعلوم لكل ذى لب[6] أن فاعل ذلك مغلوب ، و أن

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يجادلونه (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) فى م : قصة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العالية (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : فيزلوا (٦) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها .

فعله مسبب لغضب المرسل عليه[١]، قال صارفا القول إلى التكلم دفعا للالباس، و إشارة إلى شدة الغضب و جرده[٢] عن مظهر العظمة استصغارا لهم: ﴿ فاخذتهم ﴾ أى أهلكتهم و هم صاغرون غضبا عليهم و إهانة لهم . و لما كان أخذه عظيما، دل على عظمته بأنه أهل
٥ لأن يسأل عن حاله لزيادة عظمتها فى قوة بطشها و سرعة إهلاكها و خرقها للعوائد فقال: ﴿ فكيف كان عقاب ﴾ و من نظر ديارهم و تقرى آثارهم وقف على بعض ما أشرنا إليه و نبهنا عليه، و حذف ياء المتكلم إشارة إلى أن أدنى شيء من عذابه [٣]بأدنى نسبة[٣] كاف فى المراد و إن كان المعذب جميع العباد .

١٠ و لما كان التقدير: فحقت عليهم كلمة الله لأخذهم على هذا الجدال إنهم أصحاب النار التى جادلوا فيها، عطف عليه قوله : ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ما حقت عليهم كلمتنا بالأخذ، فلم يقدروا على التفصى من حقوقها ﴿ حقت ﴾ بالأخذ و النكال ﴿ كلمت ﴾ و صرف الكلام إلى صفة الإحسان تلطفا به صلى الله عليه و سلم و بشارة له بالرفق بقومه
١٥ فقال: ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك بجميع أنواع الإحسان فهو لايدع أعداءك .

و لما كان السياق للمجادلة بالباطل و هى فتل الخصم عن[٤] اعتقاده الحق،

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليهم (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جوده (٣ - ٣) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ بعد « جميع العباد » و الترتيب من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عنه .

و ذلك تغطية للدليل الحق و تلبيس ، كان الحال أحق بالتعبير بالكفر الذى معناه التغطية ولذا قال تعالى: ﴿على الذين كفروآ﴾ أى أوقعوا الكفر وقتا ما كلهم سواء هؤلاء العرب و غيرهم، لأن علة / ٥٢٦ الإهلاك واحدة، و هى التكذيب الدال على أن من تلبس به مخلوق للنار ، ثم أبدل من « الكلمة » فقال : ﴿انهم اصحٰب النار﴾ أى من كفر ٥ فى حين من الأحيان فهو مستحق للنار فى الأخرى كما أنه[1] مستحق للأخذ[2] فى الدنيا لايبالى الله به بالة[3]، فمن تداركته الرحمة بالتوبة نجا، و من أوبقته اللعنة بالإصرار هلك .

و لما بين عداوة الكفار للانبياء عليهم الصلاة و السلام و أتباعهم رضى الله عنهم بقوله "ما يجادل فى ايٰت الله" و ما بعده، وكان ذلك ١٠ أمرا غائظا محزنا موجعا ، و ختم ذلك ببيان حقوق كلمة العذاب عليهم تسلية لمن عادوهم فيه سبحانه ، زاد فى تسليتهم شرحا لصدورهم و تثبيتا لقلوبهم ببيان ولاية الملائكة المقربين لهم مع كونهم أخص الخلق بحضرته سبحانه و أقربهم من محل أنسه و موطن قدسه و بيان حقوق رحمته للذين آمنوا بدعاء أهل حضرته لهم فقال، أو يقال: إنه لما بين حقوق ١٥ كلمة العذاب ، كان كأنه قيل : فكيف[4] النجاة ؟ قيل : بايقاع الإيمان بالتوبة عن الكفران[5] ليكون موقعه أهلا للشفاعة فيه من أهل الحضرة العلية،

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هو (٢) فى م : الأخذ (٣) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : مال (٤) زيد فى الأصل : كان . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الكفر .

فيغفر له إن تاب ما قدم من الكفر، فقال مظهرا اشرف الإيمان وفضله : ﴿الذين يحملون العرش﴾ و هم المقربون و هم اربعة كما يذكر إن شاء الله تعالى في الحاقة، فاذا كانت القيامة كانوا ثمانية، و هل هم أشخاص أو صفوف فيه كلام يذكر إن شاء الله تعالى ﴿ و من حوله ﴾ و هم

٥ جميع الملائكة و غيرهم ممن ربما[1] أراد الله كونه محيطا به كما تقدم في التي قبلها «و ترى الملئكة حافين من حول العرش» أي طائفين به، فأفادت هذه العبارة النص على الجميع مع تصوير العظمة .

و لما كان ربما وقع في وهم أنه سبحانه محتاج إلى حملهم لعرشه أو إلى عرشه أو [إلى -[2]] شيء، نبه[3] بالتسبيح على أنه غني عن كل شيء

١٠ و أن المراد بالعرش و الحملة و نحو ذلك إظهار عظمته لنا في مثل محسوسة لطفا منه بنا تنزلا إلى ما تسعه عقولنا و تحمله أفهامنا، فقال مخبرا عن المبتدأ و ما عطف عليه : ﴿ يسبحون ﴾ أي ينزهون أي يوقعون تنزيهه سبحانه عن كل شائبة نقص ملتبسين[4] ﴿ بحمد ﴾ و صرف القول إلى ضميرهم إعلاما بأن الكل عبيده من العلويين و السفليين القريب و البعيد،

١٥ و كائنون تحت تصرفه و قهره، و إحسانه و جبره. فقال : ﴿ ربهم ﴾ أي باحاطة المحسن إليهم بأوصاف الكمال .

و لما كان تعالى باطنا لايحيط أحد به علما، أشار إلى أنهم مع أنهم أهل الحضرة هم من وراء حجاب الكبر و أردية العظمة، لافرق بينهم

(١) من م، و في الأصل : و مما، و سقط من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل : منه (٤) في ظ : متلبسين .

فى ذلك و بين من هو فى الأرض السفلى بقوله : ﴿ و يؤمنون به ﴾ لأن الإيمان إنما يكون بالغيب . و لما كانوا لقربهم أشد الخلق خوفا لأنه على قدر[١] القرب من تلك الحضرات يكون الخوف ، فهم أشد [خوفا -[٢]] من اهل السماء السابعة . و أهل السماء السابعة أشد خوفا من [أهل السماء -[٣]] السادسة و هكذا . و كانوا [قد -[٢]] علموا من تعظيم[٤] ٥ الله تعالى للنوع الإنسانى ما لم يعلمه غيرهم لأمره سبحانه لهم بتعظيمه بما اختص به / سبحانه من السجود ، و كان من أقرب ما يتقرب [به -[٢]] /٥٢٧ إلى الملك التقرب إلى أهل وده . نبـــه سبحانه[٥] على ذلك كله بقوله : ﴿ و يستغفرون ﴾ أى يطلبون محو الذنوب أعيانا و آثارا .

و لما كان الاشتراك فى الإيمان أشد من الاتحاد فى النسب ، قال ١٠ دالا على أن الاتصاف بذلك يجب ان يكون أدعى شيء إلى النصيحة و أبعثه على إمحاض الشفقة : ﴿ للذين ءامنوا ج ﴾ أى أوقعوا هذه الحقيقة لما بينهم من أخوة الإيمان و مجانسته و إن اختلف جنسهم فى حقيقة التركيب و إن وقع منهم بعد ذلك خلل يحق عليهم الكلمة لولا العفو " و ما قدروا الله حق قدره " " و يعفو عن كثير " « لن يدخل أحد ١٥ الجنة بعمله » . و لما ذكر استغفارهم بين عبارتهم عنه بقوله : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا بالإيمان و غيره . و لما كان المراد بيان اتساع رحمته

---

(١) زيد فى الأصل و ظ : تلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد إلا أن كلمة « السماء » ليست فى ظ و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : علم (٥) سقط من م .

سبحانه و علمه . و كان ذلك أمرا لا يحتمله العقول ، عدل إلى أسلوب التمييز تنبيها على ذلك مع ما فيه من هز السامع و تشويقه[١] بالإبهام إلى الإعلام فقال : ﴿ وسعت كل شيء ﴾ ثم بين جهة التوسع بقوله تمييزا محولا عن الفاعل : ﴿ رحمة ﴾ أى رحمتك أى[٢] بإيجاده من العدم فما فوق ذلك ﴿ و علما ﴾ اى و أحاط بهم علمك . فمن أكرمته فمن علم بما جبلته عليه مما يقتضي إهانة أو إكراما .

و لما كان له سبحانه أن يفعل ما يشاء من تعذيب الطائع و تنعيم العاصي و غير ذلك . قالوا منبهين على ذلك : ﴿ فاغفر للذين تابوا ﴾ اى رجعوا إليك عن ذنوبهم برحمتك لهم بأن تمحو[٣] أعيانها و آثارها ، فلا عقاب [٤]و لا عتاب[٤] و لا ذكر لها[٥] ﴿ و اتبعوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم على ما لها من العوج أن لزموا ﴿ سبيلك ﴾ المستقيم الذى لا لبس فيه . و لما كان الغفران قد يكون لبعض الذنوب ، و كان [٦]سبحانه له[٦] أن يعذب من لا ذنب له . و أن يعذب من غفر ذنبه قالوا : ﴿ و قهم عذاب الجحيم ﴾ أى اجعل بينهم و بينه وقاية بأن تلزمهم الاستقامة و تتم نعمتك عليهم ، فانك وعدت من كان كذلك بذلك ، و لا يبدل القول لديك ، و إن كان يجوز أن تفعل ما تشاء .

و لما كانت النجاة من العذاب لا تستلزم الثواب ، قالوا مكررين صفة

---

(١) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : تشويفه (٢) سقط من م (٣) من مد ، وفي الأصل و ظ وم : يمحو (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من م و مد ، و في الأصل و ظ : لهذا (٦-٦) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : له سبحانه .

الإحسان زيادة فى الرقة فى طلب الامتنان: ﴿ ربنا ﴾ اى أيها المحسن إلينا[1] بتوفيق أحبابنا الذين لذذونا بالمشاركة فى عبادك بالجنان و اللسان و الأركان ﴿و ادخلهم جنّت عدن﴾ أى إقامة لا عناد فيها . و لما كانوا عالمين بأنه سبحانه لايجب عليه لأحد شيء و لا يقبح[2] منه شيء، نبهوا على ذلك بقولهم: ﴿التى وعدتهم﴾ مع الزيادة فى التملق[3] و اللاطافة فى الحث ٥ و إدخالهم [4]لأجل استعمالك[4] إياهم الصالحات .

و لما كان الإنسان لايطيب له نعيم دون أن يشاركه فيه أحبابه الذين كانوا يشاركونه فى العبادة قالوا[5] مقدمين أحق الناس بالإجلال: ﴿ و من صلح من ابآئهم ﴾ ثم أتبعوهم ألصقهم[6] بالبال فقالوا: ﴿ و ازوٰجهم و ذريّتهم[7] ﴾ . و لما كان فاعل هذا منا ربما نسب إلى ١٠ ذل أو سفه ، و ربما عجز عن الغفران لشخص لكثرة المعارضين ، عللوا بقولهم مؤكدين لأجل نسبة الكفار العز إلى غيره ، و من ذلك تسميتهم العزى: ﴿ انك انت ﴾ أى وحدك ﴿العزيز﴾ فانت تغفر لمن شئت غير / منسوب إلى وهن ﴿ الحكيم ۝ ﴾ فكل فعل لك فى أتم مواضعه /٥٢٨ فلذلك[7] لايتهيأ لأحد نقضه و لا نقصه . ١٥

و لما كان الإنسان قد يغفر له و يكرم، و فيه من الأخلاق ما ربما

(١) من ظ و م و مد ، و فى الاصل: إليها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: لاسح (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ: التمكن (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ: لاستعمالك (٥) فى ظ: قال (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: الصقوهم (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ: فكذا .

حمله على بعض الأفعال الناقصة دعوا لهم بالكمال فقالوا : ﴿و قهم السيئات﴾ أى بأن تجعل [١]بينهم و بينها[١] وقاية[٢] بأن تطهرهم من الأخلاق الحاملة عليها بتطهير القلوب بنزع كل ما يكره منها أو بأن يغفرها لهم و لا يجازيهم عليها ، و عظموا هذه الطهارة ترغيبا فى حمل النفس فى هذه الدار على

٥ لزومها بقمع النفوس و إماتة الحظوظ بقولهم : ﴿و من تق السيئات﴾ أى جزاءها كلها ﴿يومئذ﴾ أى يوم إذ تدخل فريقا الجنة و فريقا النار المسببة عن السيئات أو إذ تزلف الجنة للمتقين و تبرز الجحيم للغاوين : ﴿فقد رحمته﴾ أى الرحمة الكاملة التى لايستحق غيرها[٣] أن يسمى معها رحمة ، فان تمام النعيم لايكون إلا بها لزوال التحاسد و التباغض و النجاة

١٠ من النار باجتناب السيئات و لذلك[٤] قالوا : ﴿و ذلك﴾ أى الأمر العظيم جدا ﴿هو﴾ أى وحده ﴿الفوز العظيم﴾ فالآية[٥] من الاحتباك : ذكر إدخال الجنات أولا دليلا على حذف النجاة من النار ثانيا ، و وقاية السيئات ثانيا دليلا على التوفيق للصالحات أولا ، و سر ذلك التشويق إلى المحبوب -[٦]و هو الجنان - بعمل المحبوب[٦]- و هو الصالح - و التنفير من

١٥ النيران باجتناب الممقوت من الأعمال ، و هو السئ ، فذكر المسبب أولا وحذف [٧]السبب لأنه[٧] لاسبب فى الحقيقة إلا الرحمة ، و ذكر السبب ثانيا

(١ - ١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بينها و بينهم (٢) زيد بعده فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : غيره (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كذلك . (٥) فى م و مد : و الآية (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المسبب عنه .

فى إدخال النار و حذف المسبب .

و لما أتم حال الذين آمنوا، فتشوفت النفس إلى معرفة ما لأضدادهم، قال مستأنفا مؤكدا لإنكارهم هذه المناداة بانكار يومها: ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى أوقعوا الكفر و لو لحظة ﴿ ينادون ﴾ أى يوم[1] القيامة بنداء يناديهم به من أراد الله من جنوده أو[2] فى هذه الدار ٥ بلسان الحال بهذا الكلام . و لما كان عندهم - لكونهم فى هذه الدار أرفع نعما - أنهم آثر عند الله من فقراء المؤمنين، أكد قوله: ﴿ لمقت الله ﴾ أى[3] الملك[3] الأعظم إياكم بخذلانكم ﴿ اكبر من مقتكم ﴾ و قوله: ﴿ انفسكم ﴾ مثل قوله تعالى " انظر كيف كذبوا على انفسهم " جاز على سبيل الإشارة إلى تنزه الحضرة المقدسة عما لزم فعلهم من المقت، ١٠ فان من دعا إلى أحد فأعرض[4] عنه إلى غيره كان إعراضه مقتا للعرض عنه، و هذا[5] المقت منهم الموجب لمقت الله لهم موصل لهم إلى عذاب يمقتون به أنفسهم . و المقت أشد البغض ؛ ثم ذكر ظرف مقتهم العائد وباله عليهم بقوله: ﴿ اذ ﴾ أى حين، و أشار إلى أن[6] الإيمان لظهور دلائله ينبغى أن يقبل من أى داع كان، فبنى الفعل لما لم يسم فاعله ١٥ فقال: ﴿ تدعون الى الايمان ﴾ أى بالله و ما جاء من عنده ﴿ فتكفرون ۝ ﴾ أى فتوقعون الكفر الذى هو تغطية الآيات موضع[7] إظهارها و الإذعان بها .

---

(١) فى م و مد: فى (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اى (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المالك (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اعرض (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هم (٦) سقط من ظ (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مع .

و هذا [1] أعظم العقاب عند [2] أولى الألباب ، لأن من علم أن مولاه عليه غضبان علم أنه لاينفعه بكاء و لا يغنى عنه شفاعة و لا حيلة فى خلاصه [3] بوجه .

و لما كان من أعظم ذنوبهم إنكار البعث ، و [4] كانوا قد استقراوا [4] العوائد ، و سبروا [5] ما جرت [6] به الأقدار فى الدهور و المدائد ، من أن كل ثان لابد له من ثالث ، / و كان الإحياء لايطلق عرفا إلا من كان عن موت ، حكى سبحانه جوابهم بقوله [7] الذى محطه الإقرار بالبعث و الترفق بالاعتراف بالذنب حيث لاينفع لفوات شرطه و هو الغيب : ﴿قالوا ربنآ﴾ أى أيها المحسن إلينا بما تقدم فى دار الدنيا ﴿امتنا اثنتين﴾ قيل : واحدة عند انقضاء الآجال فى الحياة الدنيا و أخرى بالصعق بعد البعث أو الإرقاد [بعد - [8]] سؤال القبر ، و الصحيح أن تفسيرها آية البقرة "كيف تكفرون بالله و كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحيكم" و أما الصعق فليس بموت ، و ما فى القبر فليس بحياة حتى يكون عنه موت ، و إنما هو إقدار على الكلام كما أقدر سبحانه الحصى على التسبيح و الحجر على التسليم ، و الضب على الشهادتين ، و الفرس حين قال لها

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هو (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عن (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خلاص (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان قد استقر الداء - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ستروا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حرحت - كذا (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بقولهم (٨) زيد من م و مد .

فارسها

فارسها ثبى إطلال على قولها وثبا و سورة البقرة ﴿ و احييتنا اثنتين ﴾ واحدة فى البطن ، و أخرى بالبعث[1] بعد الموت ، أو واحدة بالبعث او أخرى بالإقامة من الصعق . أو الإقامة فى القبر ، فشاهدنا قدرتك على البعث -[2]] ﴿ فاعترفنا ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنا اعترفنا بعد تكرر الإحياء ﴿ بذنوبنا ﴾ [الحاصلة -[3]] بسبب إنكار البعث لأن من لم يخش العاقبة بالغ فى متابعة الهوى ، فذلك توبة لنا ﴿ فهل الى خروج ﴾ أى من النار و لو على أدنى أنواع الخروج بالرجوع إلى الدنيا فنعمل صالحا ﴿ من سبيل ﴾ فنسلكه فنخرج ثم تكون لنا موتة ثالثة و إحياءة ثالثة إلى الجنة التى جعلتها جزاء من أقر بالبعث .

و لما كان الجواب قطعا : لاسبيل إلى ذلك ، علله بقوله : ﴿ ذلكم ﴾ أى القضاء النافذ العظيم العالى بتخليدكم فى النار مقتا منه لكم ﴿ بانه ﴾ أى كان بسبب أنه[4] ﴿ اذا دعى الله ﴾ أى وجدت و لو مرة واحدة دعوة الملك الأعظم من أى داع كان ﴿ وحده ﴾ أى محكوما له بالوحدة أو[5] منفردا من غير شريك ﴿ كفرتم ج ﴾ أى هذا طبعكم دائما رجعتم إلى الدنيا أولا ﴿ و ان يشرك به ﴾ أى يوقع الإشراك به و يجدد و لو بعدد الأنفاس من أى مشرك كان ﴿ تؤمنوا ﴾ أى بالشركاء [و تجددوا ذلك غير متحاشين من تجديد الكفر -[3]] و هذا مفهم لأن

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى البعث (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بانه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م « و » .

حب الله للانسان أكبر من حبه له الدال عليه توفيقه له فى أنه إذا ذكر الله وحده آمن، و إن ذكر معه غيره على طريقة تول[1] إلى الشركة كفر بذلك الغير و جعل الأمر لله وحده ﴿ فالحكم ﴾ أى فتسبب عن القطع بأن لا رجعة، و أن الكفار ما ضروا إلا أنفسهم[2] مع ادعائهم ٥ العقول الراجحة و نفوذ ذلك أن كل حكم ﴿ لله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال خاص به لا دخل للعوائد فى أحكامه بل مهما شاء فعل إجراء على العوائد أو خرقا لها ﴿ العلى ﴾ أى وحده عن أن يكون له شريك، فكذب قول أبى سفيان يوم أحد «اعل هبل» و قول ابن عربى أحد أتباع فرعون أكذب و أقبح و أبطل حيث قال: العلى علا عن ١٠ من و ما ثم إلا هو، فعليه الخزى و اللعنة و على من قال بقوله و على[3] من توقف فى لعنه.

و لما كانت النفوس لاتنقاد غاية الانقياد للحاكم إلا مع العظمة الزائدة و القدم فى المجد، قال معبرا بما يجمع العظمة و القدم: ﴿ الكبير ه ﴾ الذى لايليق الكبر إلا له، و كبر كل[4] متكبر و كبر [كل -[5]] كبير ١٥ متضائل تحت دائرة كبره و كبره. و عذابه مناسب لكبريائه فما أسفه من شقى بالكبراء فانهم يلجئون أنفسهم إلى أن يقولوا ما لايجديهم "ربنا انا اطعنا سادتنا و كبرآءنا": و لما قصر الحكم عليه دل على ذلك

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: نزول (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بانفسهم (٣) سقط من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل وظ: على (٥) زيد من م و مد.

بقوله ذاكرا من آيات الآفاق العلوية ما يرد الموفق عن غيه: ﴿هو﴾ [أي - [1]] وحده ﴿الذى يريكم﴾ أي بالبصر والبصيرة ﴿ءايته﴾ أي علاماته الدالة على تفرده بصفات الكمال تكميلا لنفوسكم، فينزل من السماء ماء[2] فيحيي به الأرض باعادة [ما - [3]] تحطم فيها من الحبوب فتفتتت بعد موتها بصيرورة ذلك [الحب -[1]] ترابا لا تميز له عن ترابها، فيتذكر به البعث لمن انمحق فصار ترابا و ضل فى تراب الأرض حتى[4] لاتميز له عنه من طبعه الإنابة، و هو الرجوع عما هو عليه من الجهل إلى الدليل بما ركز فى فطرته من العلم، [5]و ذلك[5] هو معنى قوله: ﴿و ينزل لكم﴾ أي خاصا بنفعكم أو ضركم ﴿من السمآء﴾ أي جهة[6] العلو الدالة على قهر ما نزل منها بإمساكه إلى حين الحكم بنزوله ﴿رزقا﴾ ١٠ لإقامة أبدانكم من [7]الثمار و[7] الأقوات بإنزال الماء فهو سبحانه يدلكم عليه و يتحبب إليكم لتنفعوا أنفسكم و أنتم تتبغضون[8] إليه و تتعامون عنه لتضروها ﴿و ما يتذكر﴾ ذلك تذكرا تاما - بما أشار إليه الإظهار - فيقيس عليه بعث من أكلته الهوام، و انمحق باقيه فى الأرض ﴿الا من ينيب ه﴾ أي له أهلية التجديد فى كل وقت للرجوع إلى ١٥

(١) زيد من م و مد (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل: صار، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ وم ومد، و فى الأصل: جهل (٧-٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الثمر او (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تتتغضون.

الدليل بأن يكون حنيفا ميالا للطاقته[1] مع الدليل حيثما مال. ما هو بخلف[2] جامد على ما ألفه، لايحول عنه أصلا، لايصغى إلى قال و لا قيل، و لو قام على خطابه كل دليل.

و لما كان كل من الناس يدعى انه لايعدل عن الدليل، و كان كل أحد مأمورا بالنظر فى الدليل مأمورا بالإنابة لما دل عليه من التوجه إلى الله وحـــده. كان[3] ذلك سببا فى معرفة الكل التوحيد الموجب لاعتقاد القدرة التامة الموجب لاعتقاد البعث، فكان سببا لإخلاصهم، فقال تعالى مسببا عنه: ﴿ فادعوا ﴾ وصرح بالاسم الأعظم تدريبا للخلصين على كيفية الإخلاص فقال: ﴿ الله ﴾ أى ١٠ المتوحد بصفات الكمال دعاء خضوع و تعبد بعد الإنابة بعد النظر فى الدليل ﴿ مخلصين له الدين ﴾ أى الأفعال التى يقع الجزاء عليها، فمن كان[4] يصدق بالجزاء، بأن ربه غنى لايقبل إلا خالصا اجتهد فى تصفية أعماله، فيأتى بها فى غاية الخلوص عن كل ما يمكن أن يكدر من غير شائبة شرك جلى أو خفى كما أن معبوده واحد من غير شائبة ١٥ نقص.

و لما كانت مخالفة الجنس شديدة لما تدعو إليه من المخاصمة الموجبة للشاققة الموجبة لاستطابة الموت قال تعالى: ﴿ و لو كره ﴾ أى الدعاء منكم ﴿ الكفرون ﴾ أى الساترون لأنوار عقولهم[5]، و الإخلاص أن

(١) من ظ و م و مد، و فى الاصل: للطاقة (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: بخلف (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وكان (٤) سقط من ظ.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: عقولكم.

يفعل

يفعل العباد لربهم مثل ما فعل لهم فلا يفعلوا فعلا من امر أو نهى إلا لوجهه خاصة من غير غرض لأنفسهم بجلب شيء من نفع أو ضر، و ذلك لأنه سبحانه فعل لهم كل إحسان من الخلق و الرزق لأنفسهم خاصة لا لغرض يعود عليه - سبحانه و ما أعز شأنه - بنفع و لا ضر، فلا يكون شكرهم له إلا بما تقدم، لكنه لما علم سبحانه أن هذا غير ٥ مقدور لهم إلا بغاية الجهد بل لا يقدر عليه إلا الأفراد[1]، خفف عنهم سبحانه بأن اباح لهم العمل لأجل الرجاء فى ثوابه و الخوف من عقابه، و لم يجعل ذلك قادحا فى الإخلاص، قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى: / و لولا إذنه فى ذلك لما كان فى العالم مخلص. / ٥٣١

و لما كان الإخلاص لا يتأتى إلا ممن رفعه إشراق الروح عن ١٠ كدورات الأجسام، و طارت به أنوارها عن حضيض ظلمات الجهل إلى عرش العرفان، فصار [2]إذ كان[2] الملك الديان سمعه الذى يسمع به، و بصره الذى يبصر به، و يده التى يبطش بها، و رجله التى يمشى بها، بمعنى أنه لا يفعل بشيء من هذه الجوارح إلا ما أمره به سبحانه يتصرف فى الأكوان باذن[3] الفتاح العلم تكسب القلوب من ضياء أنواره و يحيى ١٥ ميت الهمم بصافى أسراره، [نبه - [4]] سبحانه على ذلك حثا عليه[5]

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: افراد (٢ - ٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اركان (٣) زيد فى الأصل: الملك الديان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فه.

و تشويقا إليه بقوله ممثلا بما يفهمه العباد مخبرا[1] عن مبتدأ محذوف تقديره : هو ﴿ رفيع الدرجٰت ﴾ [أى -[2]] فلا يصل إلى حضرته الشماء إلا من علا فى معارج العبادات و مدارج الكمالات .

و لما كنا لانعرف ملكا إلا بغلبته على سرير الملك ، و كانت درج
٥ كل ملك[3] ما يتوصل بها إلى عرشه ، أشار سبحانه بجمع القلة إلى السماوات التى هى دون عرشه [سبحانه -[3]]، [3]ثم أشار[4] إلى إن الدرج إليه لاتحصى بوجه ، لأنا لو انفقنا عمر الدنيا فى اصطناع درج للتوصل إلى السماء الدنيا ما وصلنا ، فكيف بما فوقها فكيف و[5] علوه سبحانه ليس هو بمسافة بل علو[5] عظمة و نفوذ كلمة تنقطع دونها الآمال و تفنى الأيام
١٠ و الليال ، و الكاشف لذلك أتم كشف تعبيره فى " سأل " بصيغة منتهى الجموع " المعارج "- ثم قال ممثلا لنا بما نعرف : ﴿ ذو العرش ج ﴾ أى الكامل الذى لاعرش فى الحقيقة إلا هو ، فهو محيط لجميع الأكوان و مادة لكل جماد و حيوان ، و عال بجلاله و عظمه[6] عن كل ما يخطر فى الأذهان .

١٥ و لما كان الملوك يلقون أوامرهم من مراتب عظائهم إلى من أخلصوا[7] فى ودادهم قال : ﴿ يلقى الروح ﴾ أى الذى تحيي به الأرواح

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مخبر (٢) زيد من م و مد .
(٣ - ٣) فى م و مد : اشارة (٤) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : الى .
(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : علوه (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اعظمه (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اخلطوا .

حية الأشباح بالأرواح ﴿من امره﴾ أى من كلامه. و لاشك أن الذى يلق ليس الكلام النفسى و إنما هو ما يدل عليه، و هو الذى يقبل النزول و التلاوة و الكتابة و نحو ذلك. و لما كان أمره عاليا على كل امر، أشار إلى ذلك بأداة الاستعلاء فقال: ﴿على من يشآء﴾ و لما كان ما ٥ رأوه من الملوك لايتمكنون من رفع كل من أرادوا من رقيقهم، نبه على عظمته بقوله: ﴿من عباده﴾ و أشار بذلك مع الإشارة إلى أنه مطلق الأمر لايسوغ لأحد الاعتراض عليه، و لو اعترض كان اعتراضه أقل من أن يلتفت [إليه - [1]] أو يعول بحال عليه إلى توهية قولهم "[2]او انزل[2] عليه الذكر من بيننا" بأنه عليه السلام المخاص فى عباده[3] ١٠ لم يمل إلى شيء من اوثانهم ساعة ما و لا صرف لحظة عن الإله الحق طرفة عين. فلذلك اختصه من بينهم بهذا الروح الذى لاروح فى الوجود سواه، فمن اقبل عليه و أخلص فى تلاوته و العمل بما يدعو إليه و البعد عما ينهى عنه صار ذا روح موات يحيي الأموات و يزرى بالنيرات، قال الرازى: قال ابن عطاء[4]: حياة القلب على حسب ما ألقى إليه من ١٥ الروح، فنهم من ألقى إليه روح الرسالة. [5]و منهم من ألقى إليه روح النبوة[5]، و منهم [من - [6]] ألقى إليه روح الصديقية و الكشف و المشاهدة، و منهم من ألقى إليه روح العلم و المعرفة، و منهم من ألقى إليه روح العبادة

(١) زيد من م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انزل (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عبادته (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ابن عطية (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) زيد من ظ و م و مد.

و الخدمة ، و منهم من ألقى إليه روح الحياة فقط ، ليس له علم بالله
/٥٣٢ و لا مقام مع الله ، فهو ميت فى الباطن ، و له / الحياة البهيمية التى يهتدى
بها إلى المعاش دون المعاد - انتهى . و بالجملة فكل من هذه الأرواح
منطق لمن ألقى عليه مطلق للسانه ببديع بيانه و إن اختلف نطقهم فى
٥ بيانهم ، و تصرفهم فى عظيم شأنهم

و لما بين سر اختصاصه[1] بالإرسال لهذا النبى الكريم ، أتبع ذلك
بما يزيده بيانا من ثمرة الإرسال فقال : ﴿ لينذر ﴾ اى الذى اختصه
سبحانه بروحه ، [و عبر بما يقتضيه تصنيف الناس الذى هو مقصود السورة
من الاجتماع ، و أزال وهم من قد يستحيل لقاء سبحانه لرفعة درجاته
١٠ و سفول درجات غيره -[2]] ﴿ يوم التلاقِ ﴾ أى [الذى -[3]]
لا يستحق[4] أن يوصف بالتلاقى على الحقيقة غيره لكونه يلتقى فيه الأولون
و الآخرون و أهل السماوات و الأرض و لا حيلة لأحد منهم فى فراق
غريمه بغير فصل على وجه العدل ، و إلى هذا المعنى أشارت[5] قراءة
ابن كثير[6] باثبات الياء فى الحالين و هو[7] واضح جدا فى إفراد حزبى
١٥ الأسعدين و الأخسرين فانه تلاق لا آخر له ، و أشارت قراءة الجمهور
بالحذف فى الحالين إلى تلاقى هذين الجزئين : أحدهما [بالآخر -[2]]

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اختصاصهم (٢) زيد من م و مد .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا يصح .
(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اشارة (٦) راجع نثر المرجان ٦ / ٢٠٦ .
(٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هذا .

فانه - و الله أعلم - قل ما يكون [حتى -[1]] يفترقا بالأمر بكل[2] إلى داره: الأسعدين[3] بغير حساب، و الأخسرين لا يقام لهم وزن. [4]و أشار[4] الإثبات فى الوقف دون الوصل إلى الأمر [5]الوسط و هى[5] لمن بقى، فان لقاءهم يمتد إلى حين القصاص لبعضهم من بعض.

و لما أفهم ذلك عدم الحجاب من بيوت أو جبال، أو أشجار أو تلال، أو غير ذلك من سائر ذوات الظلال، نبه عليه فى قوله [معيدا ذكر اليوم لأنه أهول له -[1]]: ﴿ يوم هم ﴾ أى بظواهرهم و بواطنهم ﴿ بٰرزون ج ﴾ اى بروزا لا ساتر[6] فيه أصلا.

و لما كان من المعلوم عندهم إنما لا ساتر له معلوم، أجرهم على ما يعهدون[6]، و عبر بعبارة تعم ذلك فقال مستأنفا فى جواب من ظن أنه ١٠ قد يخفى عليه شيء عند الساتر [معظما الأمر باظهار الاسم الأعظم -[1]]: ﴿ لايخفى على الله ﴾ اى المحيط علما و قدرة ﴿ منهم شيء ﴾ أى من ذواتهم و لامعانيهم سواء ظهروا أو استتروا فى هذا اليوم و فى غيره.

و لما كان من العادة المستمرة ان الملك العظيم إذا أرسل جيشه إلى من طال[7] تمردهم عليه و عنادهم له فظفروا بهم و أحضروهم إليه أن ١٥ يناديهم مناديه و هم وقوف بين يديه قد أخرستهم هيبته و أذلتهم عظمته

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بعد (٣-٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٤-٤) فى الأصل بياض ملأناه من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ستر (٦) فى م: يعهدونه (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: طالب.

بلسان قاله أو لسان حاله بما يبكتهم به و يوبخهم و يوسمهم[1] على ما مضى من عصيانهم و يندمهم قال : ﴿لمن الملك اليوم﴾[4] أي يا من كانوا يعملون أعمال من يظن أنه لا يقدر عليه أحد، فيجيبون بلسان الحال أو المقال[2] كما قال بعض من قال :

٥ سكت الدهر طويلا عنهم قد أبكاهم دما حين نطق[2]

﴿لله﴾ [أي -[3]] الذي له جميع صفات الكمال، ثم دل على ذلك بقوله : ﴿الواحد﴾ أي الذي لا يمكن أن يكون له ثان بشركة و لا قسمة و لا غيرها ﴿القهار ه﴾ أي الذي يقهر من يشاء متكررا وصفه بذلك دائما أبدا لما ثبت من غناه[4] المطلق بوحدانيته الحقيقية .

١٠ و لما أخبر عن إذعان كل نفس بانقطاع الأسباب، أخبرهم بما يزيد رعبهم، و يبعث رغبهم و رهبهم، و هو نتيجة تفرده بالملك فقال : ﴿اليوم تجزى﴾ [5]أي تقضى و تكافأ[5]، بناه[6] للمفعول لأن المرغب المرهب نفس الجزاء و لبيان سهولته عليه سبحانه ﴿كل نفس﴾ لا تترك نفس[7] واحدة لأن العلم قد شملهم و القدرة قد أحاطت بهم و عمتهم، و الحكمة

٥٢٣ / ١٥ قد منعت من إهمال / أحد منهم .

---

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ : يسوفهم - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل : عباده (٥-٥) وقع ما بين الرقمين في الأصل و ظ : بعد « و يبعث رغبهم » و الترتيب من م و مد (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل : بنا . (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل : نفسة .

و لما كان السياق للملك و القهر يقتضى الجزاء و اعتماد الكسب الذى هو محط التكليف بالأمر و النهى و يقتضى النظر فى الأسباب، لأن ذلك شأن الملك، قال معبرا بالباء و الكسب : ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كسبت ﴾ أى عملت، و هى تظن أنه يفيدها[1] سواء بسواء بالكيل الذى كالت يكال لها . ٥

و لما كانت السببية مفهمة للعدل، فان الزيادة تكون بغير سبب، قال معللا نافيا مثل ما كانوا يتعاطونه من ظلم بعضهم لبعض فى الدنيا: ﴿ لا ظلم ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ اليوم ﴾ و لما كان استيفاء الخلائق بالمجازاة أمرا لايمكن فى العادة ضبطه، و لا يتأتى حفظه و ربطه، فكيف إذا قصدت المساواة فى مثاقيل الذر فما دونها : ١٠

بميزان قسط لا يخيس شعيرة   له شاهد من نفسه غير عائل

ضاقت النفوس من خوف الطول، فخفف [عنها -[2]] بقوله معلما أن أموره على غير ما يعهدونه، و لذلك[3] أكد و عظم باظهار الاسم الأعظم: ﴿ ان الله ﴾ أى التام القدرة الشامل العلم ﴿ سريع الحساب ﴾ أى بليغ السرعة فيه، لايشغله حساب أحد عن حساب غيره فى وقت ١٥ حساب ذلك الغير، و لا يشغله شأن عن شأن لأنه لايحتاج إلى تكلف عد، و لايفتقر إلى مراجعة كتاب، و لا شىء، فكان فى ذلك ترجية للفريقين

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يفيد (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الذين يتادونها (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل بـ كذلك .

و تخويف، لأن الظالم يخشى إسراع الأخذ بالعذاب، و المؤمن يرجو إسراع البسط بالثواب .

و لما تم هذا على هذا الوجه المهول، و كان يوم القيامة له أسماء تدل على أهواله باعتبار مواقفه[1] و أحواله، منها يوم البعث و هو ظاهر، ٥ و منها يوم التلاق لما تقدم، و منها يوم التغابن لغبن أكثر من[2] فيه[3] خسارته[4]، و منها يوم الآزفة لقربه و سرعة أخذه، و كان كأنه قيل خطابا للنبي صلى الله عليه و سلم : و أنت ممن ألقينا إليك هذا الروح الأعظم من أمرنا فأنذرهم ما مضى من يوم التلاق و ما عقبناه به، عطف عليه قوله زيادة في بيان هوله [إعلاما بأنه مع ثبوته و ثبوت التلاق فيه ١٠ قريب تحذيرا من تزيين إبليس للشهوات و تقريره بالتسويف بالتوبة -[5]] : ﴿ و انذرهم ﴾ أى هؤلاء المعرضين إعراض من لا يجوز الممكن ﴿ يوم الازفة ﴾ أى الحالة الدائبة العاجلة السريعة جدا مع الضيق [فى الوقت -[5]] و سوء العيش [لأكثر الناس -[5]]، و هى القيامة، كرر ذكرها و ذكر الإنذار [منها -[5]] تصريحا و تلويحا[6] ١٥ تهويلا [لها -[5]] و تعظيما لشأنها .

و لما ذكر اليوم، هول أمره بما يحصل فيه من المشاق فقال :

---

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : موافقة أموره (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ما (٣) زيد فى الأصل : من الناس ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خسارتهم (٥) زيد من م و مد (٦) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها .

﴿ اذ القلوب ﴾ أى من كل من حضره . و لما كان هذا الرعب على وجه غريب باطن، عبر بـ «لدى» فقال : ﴿لدى الحناجر ﴾ أى حناجر المجموعين فيه إلا من شاء الله ، و هى جمع حنجور و هى الحلقوم وزنا و معنى ، يعنى أنها زالت عن أماكنها[1] صاعدة من كثرة الرعب حتى كادت تخرج و صارت مواضعها من الأفئدة هواء ، و كانت الأفئدة ٥ معترضـــة كالشجا لا هى ترجع إلى مقارها فيستريحوا[2] و لا تخرج فيموتوا .

و لما كان الحديث - و إن كان فى الظاهر عن القلوب - إنما هو عن أصحابها ، جمع على طريقة جمع العقلاء ، و زاده حسنا أن القلوب محل الكظم ، و بها صلاح الجملة و فسادها ، و قد أسند إليها ما يسند ١٠ للعقلاء فقال : ﴿ كٰظمين ۬ ﴾ أى ممتلئين خوفا و رعبا و حزنا ، ساكتين مكروبين ، قــد أنسدت مجارى / أنفاسهم و أخذ بجميع إحساسهم . /٥٢٤ و لما كان من المعلوم أن ذلك الكرب إنما هو للخوف من ديان ذلك اليوم ، و كان من المعهود أن الصداقات تنفع[3] فى مثل ذلك اليوم[4] و الشفاعات ، قال مستأنفا[5] : ﴿ما للظلمين ﴾ أى العريقين فى الظلم ١٥ [منهم -[6]] ﴿ من حميم ﴾ أى قريب صادق فى مودتهم مهتم بأمورهم

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مكانها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيستريحون (٣ - ٣) من م و مد ، و فى الأصل : الصدقات تنفع ، و فى ظ : الصداقات تنفع (٤) سقط من م و مد (٥) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد من ظ و م و مد .

مزيل لكروبهم، قال ابن برجان: و الحميم: الماء الحار الناهى فى الحرارة، سمى القريب به لأنه [يحمى - ٢] لقريبه غضبا، و الغضب حرارة تعرض فى القلب تخرج إلى الوجه فيحمر و تنتفخ الأوداج فيستشيط غيظا ﴿ و لا شفيع يطاع ﴾ أى ليس لهم شفيع أصلا لأن
٥ الشفيع يعلم أنه لو شفع ما أطيع فهو لا ينفع، و قد يشفع فى بعضهم بعض المقربين لعلامة فيهم يحصل بها اشتباه يظن بهم أنهم ممن يستحق الشفاعة فينبه على أنهم ليسوا بذلك، فيبرأ منهم.

و لما كانت الشفاعة إنما تقع و تنفع بشرط براءة المشفوع له من الذنب إما بالاعتراف بما نسب إليه و الإقلاع عنه، و إما بالاعتذار عنه،
١٠ و كان ذلك إنما يجرى عند المخلوقين على الظاهر، و لذلك كانوا ربما وقع لهم الغلط فيمن لو علموا باطنه لما قبلوا الشفاعة فيه، علل تعالى ما تقدم بعلمه بأن المشفوع له ليس بأهل لقبول الشفاعة [فيه ـ ٢] لإحاطة علمه فقال: ﴿ يعلم خآئنة ﴾ [و لما كان السياق هنا للابلاغ فى أن علمه تعالى محيط بكل كلى و جزئى، فكان من المعلوم أن الحال يقتضى
١٥ جمع الكثرة، و أنه ما عدل عنه إلى جمع القلة إلا للاشارة إلى أن علمه تعالى بالكثير كعلمه بالقليل الكل، عليه هين، فالكثير عنده فى ذلك قليل فلذا قال ـ ٢]: ﴿ الاعين ﴾ أى خيانتها التى هى أخفى ما يقع من أفعال الظاهر، جعل الخيانة خائنة[٣] مبالغة فى الوصف و هى الإشارة بالعين،

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الجارى (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: خيانة.

قال أبو حيان[1]: من كسر جفن و غمز و نظر يفهم [منه -[2]] ما يراد[3] - انتهى. و ذلك يفعل بفعل ما يخالف الظاهر. و لما ذكر أخفى أفعال الظاهر، أتبعه أخفى ما فى الباطن فقال: ﴿و ما تخفى الصدور﴾ أى عن المشفوع عنده و غير ذلك.

و لما كان العفو عن الظالم الذى لا يرجع عن ظلمه نقصا، لكونه لا حكمة فيه، عبر بالاسم الأعظم [فى جملة حالية - [4]] فقال: ﴿و الله﴾ أى و الحال أن المتصف بجميع صفات الكمال ﴿يقضى بالحق﴾ أى الثابت الذى لا يصح أصلا نفيه، فلو قضى فيمن يعلم أنه ليس بأهل للشفاعة فيه بقبول الشفاعة لنفى الحق و أثبت الباطل، فخالف ذلك الكمال ﴿و الذين يدعون﴾ أى الظالمون - على قراءة الجماعة، و أيها الظالمون - على قراءة نافع[5] و ابن عامر بخلاف[6] عن ابن ذكوان بالخطاب للمواجهة بالإزراء. و لما كانت المراتب دون عظمته سبحانه لا تنحصر[7] و لا يحتوى عليها كلها شيء، أثبت الجار فقال: ﴿من دونه﴾ أى سواه، و من المعلوم أنهم خلقه فهم دون رتبته[8] لأنهم فى قهره ﴿لا يقضون بشيء﴾ من الأشياء أصلا، فضلا عن أن يقضوا بما يعارض حكمه، فلا مانع له من القضاء بالحق، فلا مقتضى لقبول الشفاعة فيمن يعلم عراقته فى

(١) فى مد من البحر المحيط ٧/٤٥٤ (٢) زيد من مد (٣) من ظ و م و مد و مد، و فى الأصل: يريد (٤) زيد من م و مد (٥) راجع نثر المرجان ٦/٢١١ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يخلف (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لا تحصر (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: رتبة.

الظلم أنه[1] لا ينفك عنه .

و لما أخبر أنه لا فعل لشركائهم[2] ، و ان الأمر له وحده ، علل ذلك بقوله مرهبا من الخيانة و غيرها من الشر ، مرغبا فى كل خير ، مؤكدا لأجل أن أفعالهم تقتضى إنكار ذلك : ﴿ ان الله ﴾ عبر به لأن السياق لتحقير شركائهم و بيان أنها فى غاية النقصان ﴿ هو ﴾ أى وحده .
و لما ذكر ما هو [3]غيب. وصفه[3] بأظهر ظاهر فقال : ﴿ السميع ﴾ أى لكل ما يمكن أن يسمع ﴿ البصير ﴾ ﴿٢٠﴾ أى بالبصر و العلم لكل ما يمكن أن يبصر / و يعلم ، فلا إدراك لشركائهم أصلا و لا لشىء غيره بالحقيقة ، و من لا إدراك له لا قضاء له ، فثبت أن الأمر له وحده ، فما تنفعهم شفاعة الشافعين و لا تقبل فيهم من أحد شفاعة بعد الشفاعة العامة التى هى خاصة بنبينا صلى الله عليه و سلم . و هى المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون و الآخرون ، فان كل أحد يحجم عنها حتى يصل الأمر إليه صلى الله عليه و سلم فيقول : أنا لها أنا لها ، ثم يذهب إلى المكان الذى أذن له فيشفع ، فيشفعه الله تعالى [فيفصل - [4]] سبحانه بين الخلائق ليذهب كل أحد إلى داره : جنته أو ناره ، روى الشيخان : البخارى[5] و مسلم[6] عن أبى هريرة

/ ٥٣٥

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لأنه (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للشاكين (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل : غيبا وضعه ، و فى ظ : غيبا وصفه (٤) زيد من م و مد (٥) راجع من صحيحه تفسير سورة بنى إسرائيل ٢/ ٦٨٤ ، و أورده فى عدة مناسبات ، و راجع من صحيح مسلم باب إثبات الشفاعة من كتاب الإيمان ١/ ١١ .

رضى

رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فى دعوة فرفع إليه الذراع، و كانت تعجبه . فنهش منها نهشة، فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، هل [1]تدرون مم[1] ذاك . يجمع الله الأولين و الآخرين فى صعيد واحد فيبصرهم الناظر، و يسمعهم الداعى، و تدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم و الكرب ما لا يطيقون و لا يحملون، فيقول الناس[2]: ٥ ألا ترون إلى ما أنتم فيه و إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون [إلى -[3]] من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم فذكر سؤالهم أكابر الأنبياء، و كل واحد منهم يحيل على الذى بعده إلى أن يقول عيسى عليه السلام: اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه و سلم، فيقول النبى صلى الله عليه و سلم حين يأتونه: أنا لها . فينطلق[4] فيسجد تحت العرش - و هو مروى ١٠ عن غير أبى هريرة عن أنس و غيره من الصحابة رضى الله تعالى عنهم، و لكن لم أر فيه التصريح بالشفاعة العامة بعد رفع رأسه صلى الله عليه و سلم من السجود إلا فيما[5] رواه البخارى فى الزكاة من صحيحه[6] فى باب «من سأل الناس تكثرا» عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف ١٥ الأذن فبيناهم كذلك استغاثوا[7] بآدم ثم بموسى ثم بمحمد فيشفع[8] ليقضى

(١-١) من م و مد . و فى الأصل و ظ: ترون بما (٢) زيد فى الأصل: لبعضهم بعضا، و لم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٣) زيد من م ومد. (٤) فى م ومد: ثم ينطلق (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: ما (٦) ١/١٩٩. (٧) من م و مد و الصحيح، و فى الأصل و ظ: استعانوا (٨) من مد و الصحيح، و فى الأصل و ظ و م: ليشفع.

بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب ، فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم ، و كذا فيما رواه أبو يعلى في مسنده فقال : حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد ثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد [بن - [١]] زياد عن محمد بن كعب ٥ القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو في طائفة من أصحابه فقال : إن الله تبارك و تعالى لما فرغ من خلق السماوات و الأرض خلق الصور فذكر [النفخ [٢]] فيه للموت ثم للبعث ، ثم ذكر الحشر - و هو حديث طويل جدا إلى أن قال : ثم يقفون موقفا واحدا[٣] مقدار سبعين عاما لا ينظر ١٠ إليكم و لا يقضي بينكم ، فتبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم تدمعون دما و تعرقون إلى أن يبلغ ذلك منكم أن يلجمكم أو يبلغ الأذقان . فتضجون و تقولون : من يشفع لنا إلى ربنا يقضي بيننا ، فتقولون[٤] : من أحق بذلك من أبيكم آدم ، خلقه الله بيده ، و نفخ فيه من روحه ، و كلمه[٥] قبلا ، فتأتون آدم فتطلبون ذلك إليه فيأبى[٦] فيقول : ما أنا بصاحب ذلك ، ثم ١٥ يستقريون الأنبياء نبيا نبيا كلما[٧] جاؤا نبيا أبى عليهم ، قال رسول الله / صلى الله عليه و سلم : حتى تأتوني ، فأنطلق حتى آتي الفحص فأخر ساجدا ، /٥٣٦

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : واحد (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فتقول (٥) زيد في الأصل و ظ و م : قبه ، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فيأتي (٧) من مد ، و في الأصل و ظ و م : كلهم .

فقال أبو هريرة: يارسول الله! ما الفحص؟ قال: قدام العرش - حتى يبعث الله إليّ ملكا فيأخذ بعضدى فيرفعنى فيقول: [لى -[1]]: يا محمد! فأقول: نعم يا رب! فيقول: - ما شأنك - و هو[2] أعلم، فاقول: يا رب وعدتنى فشفعنى فى خلقك فاقض بينهم، قال: قد شفعتك[3] أنا آتيكم فأقضى بينكم، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: فأرجع فأقف مع الناس فبينما ٥ نحن وقوف سمعنا حسا من السماء شديدا فنزل [أهل -[1]] السماء الدنيا مثل من فى الأرض من الجن و الإنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم، و أخذوا مصافهم، و قلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا، و هو آت ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثل من نزل[4] من الملائكة، و مثل الجن و الإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم، و أخذوا ١٠ مصافهم و قلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا، و هو آت. ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار تبارك و تعالى فى ظلل من الغمام، و الملائكة تحمل عرشه يومئذ ثمانية، و هو اليوم على أربعة - إلى أن قال: - فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه، ثم يهتف بصوته فيقول: يا معشر الجن و الإنس! إنى قد أنصت[5] لكم من يوم خلقتكم إلى ١٥ يومكم هذا أسمع قولكم، و أبصر أعمالكم، فأنصتوا لى[6] فانما هى أعمالكم

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الله (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شفعتكم (٤) زيد فى الأصل: من الأولى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ارصت (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و ظ: إلى.

و صحفكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيرا فليحمد الله، و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم، ثم يقول الله عز و جل "ألم اعهد اليكم يبنى ادم ان لا تعبدوا الشيطن انه لكم عدو مبين و ان اعبدونى هذا صراط مستقيم و لقد اضل ٥ منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التى كنتم توعدون - أو بها تكذبون - شك أبو عاصم، و امتازوا اليوم ايها المجرمون"، فتمس النار الناس و تجثو الأمم و ترى كل أمة جاثية كل امة تدعى إلى كتابها فيقضى بين خلقه - فذكره و هو طويل جدا، ثم ذكر الصراط و بعض الشفاعات الخاصة فى أهل الجنة. فذكر دخولهم الجنة ثم أنهم ١٠ يشفعون فى بعض أهل النار إلى أن قال: ثم يأذن الله فى الشفاعة، فلا يبقى نبى و لا شهيد إلا شفع - إلى أن قال: ثم يقول الله عز و جل: بقيت أنا و أنا أرحم الراحمين. فيدخل الله يده فى جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره. و روى ابن حبان فى صحيحه - قال المنذرى: و لا أعلم فى إسناده مطعنا - عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه ١٥ و سلم: قال: يقول إبراهيم عليه السلام يوم القيامة: يا رباه، فيقول الرب جل و علا: يا لبيكاه، فيقول إبراهيم: يا رب حرقت بنى - فيقول الله[1]: أخرجوا من النار من كان فى قلبه ذرة أو شعيرة من الإيمان. و روى الحاكم[2] و قال: صحيح على شرط مسلم [و أحمد بن منيع[3]]: يلقى رجل

---

(١) سقط من ظ و مد (٢) راجع المستدرك ٤/ ٥٨٩ حيث أورده الحاكم باختصر مما هنا و لعل السياق لأحمد بن منيع (٣) زيد من م و مد.

أباه

اباه يوم القيامة فيقول: يا أبة! أى ابن كنت لك؟ فيقول: خير ابن، فيقول: هل أنت مطيعى اليوم. فيقول: نعم، فيقول خذ بازرتى، فيأخذ بازرتـه، ثم ينطلق حتى يأتى الله و هو يعرض بعض الخلق، فيقول: يا عبدى! ادخل من أى أبواب الجنة شئت /. فيقول: أى ربى، و أبى معى فانك[1] وعدتنى أن لن تخزينى، فيعرض عنه و[2]يقضى بين[2] الخلق [3]ويعرضهم[3] ثم [ينظر إليه -[4]] فيقول[5]: يا ابن آدم، ادخل من [أى -[4]] أبواب الجنة شئت، فيقول[5]: أى[6] ربى [و أبى -[7]] معى فانك[8] [قد -[4]] وعدتنى أن لن تخزينى[9]. قال: فيمسخ[10] الله أباه ضبعا أمذر أو أجر - شك أبو جعفر أحد رواة ابن منيع - فيأخذ بانفه فيقول: أبوك هو، فيقول: ما هو بأبى، فيهوى فى النار. و هو فى البخارى فى أحاديث الأنبياء[11] و تفسير الشعراء[12] بلفظ: يلقى إبراهيم عليه السلام أباه آذر يوم القيامة و على وجه آذر قترة و غبرة. فيقول له إبراهيم عليه السلام: ألم أقل لك: لا تعصنى. فيقول له أبوه: فاليوم [13]لا اعصيك[13]، فيقول إبراهيم: يا رب إنك و عدتنى ان لاتخزينى يوم يبعثون فأى خزى أخزى من أبى الأبعد، فيقول الله تعالى:

٥٣٧ / — ٥ — ١٠

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انك (٢-٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يقبل على (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فيعرضهم (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يقول (٦) فى م: يا (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انك (٩) زيد فى م: فيقول (١٠) من م و مد. و فى الأصل و ظ: فيسمح - كذا (١١) ١/٤٧٣. (١٢) ٢/٧٠٢ (١٣-١٣) من ظ و مد و الصحيح، و فى الأصل و م: لاعصيك.

إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال لإبراهيم عليه السلام: انظر ما تحت رجلك فينظر فاذا هو بذيخ - و هو ذكر الضبعان - متلطخ[1] فيؤخـــذ بقوائمه فيلقى في النار ، و روى أبو يعلى الموصلي و الحاكم[2] [و قال -[3]]: صحيح على شرط الشيخين عن أبي سعيد رضي الله عنه أن

٥ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: ليأخذن رجل بيد أبيه يوم القيامة فتقطعه النار يريد أن يدخله الجنة . قال: فينادى أن الجنة لا يدخلها مشرك، ألا إن الله [قد -[4]] حرم الجنة على كل مشرك قال: فيقول: أي رب ! أبي، فيحول في صورة قبيحة و ريح منتنة فيتركه، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم يرون[5] أنه إبراهيم عليه السلام، و روى

١٠ الشيخان[6] و غيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يخطب على المنبر يقول[7]: إنكم ملاقو الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين، ألا و إن أول الخلائق يكسى إبراهيم عليه السلام ألا و إنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب ! أصحابي، فيقول: إنك

١٥ لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح[8] " وكنت عليهم

---

(١) من الصحيح، وفي الأصول: ملتطخ (٢) راجع المستدرك ٤/٥٨٧ (٣) زيد من م ومد (٤) زيد من م ومد و المستدرك (٥) في م: يرونه (٦) راجع صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب قول الله عز وجل «واتخذ الله ابراهيم خليلا» ١/٤٧٣، وصحيح مسلم كتاب صفة الجنة باب فناء الدنيا و بيان الحشر يوم القيامة ٢/٣٨٤ (٧) من م ومد، وفي الأصل و ظ: فيقول (٨) في م: الصالح .

شهيدا ما دمت فيهم - إلى قوله: و ان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم " و رواه الترمذي[١] و النسائي[٢] بنحوه، و من[٣] نحو ما قال عيسى عليه السلام قول إبراهيم عليه السلام كما حكاه الله عنه " فمن تبعني فانه مني و من عصاني فانك غفور رحيم " و روى مسلم في الإيمان من صحيحه[٤] و النسائي في التفسير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ٥ أن النبي صلى الله عليه و سلم تلا قول الله عز و جل في إبراهيم عليه السلام «رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني» الآية - و قال عيسى عليه السلام «ان تعذبهم فانهم عبادك[٥] و ان تغفرلهم فانك انت العزيز الحكيم» فرفع يديه و قال: اللهم أمتي اللهم أمتي اللهم أمتي - و بكى، فقال الله عز و جل: يا جبريل، اذهب إلى محمد - و ربك ١٠ أعلم - فاسئله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله صلى الله عليه و سلم بما قال و هو أعلم، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك و لا نسوءك. و للشيخين[٦] في الحوض[٧] و الفتن[٨] و مسلم في فضل النبي صلى الله عليه و سلم[٩] عن سهل بن سعد / و أبي سعيد رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم ١٥ / ٥٣٨ قال: أنا فرطكم على الحوض، من مر على شرب، و من شرب لم يظمأ

(١) راجع أبواب القيامة (٢) راجع أبواب الجنائز (٣) في م: في (٤) راجع باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته وبكائه شفقة عليهم ١/١١٣ (٥) ليس في م و مد (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: للشيخان. (٧) ٢ / ٩٧٤. (٨) ٢ / ١٠٤٥ (٩) ٢ / ٢٤٩.

أبدا ، ليردن عليّ أقوام أعرفهم و يعرفوني ثم يحال بيني و بينهم - زاد ابو سعيد رضي الله عنه : فأقول : إنهم[1] مني - فيقال : إنك تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقا سحقا لمن غير بعدي . و لمسلم و ابن ماجه[2] - و هذا لفظه - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

٥ و سلم - فذكر خطبته في الحج ثم قال : ألا و إني [فرطكم -[3]] على الحوض و أكاثر بكم الأمم . و لا تسودوا وجهي . الا و إني مستنقذ أناسا و مستنقذ مني أناس فأقول : يارب : أصحابي أصحابي . فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . و لفظ مسلم[4] : أنا فرطكم على الحوض و لأنازعن اقواما ثم لأغلبن عليهم[5] [فأقول : يا رب ! أصحابي أصحابي -[6]] فيقال : إنك

١٠ لاتدري ما أحدثوا بعدك . و لمسلم[7] عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول و هو بين ظهراني أصحابه : إني على الحوض أنظر[8] من يرد علي منكم . فو الله ليقطعن[9] دوني رجال فلأقولن : أي رب ! مني و من أمتي ، فيقول : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك ، ما زالوا

---

(١) من م و مد ، و في الأصل وظ : منهم (٢) المناسك : الخطبة يوم النحر : ٢٢٦ (٣) زيد من م و مد و سنن ابن ماجه (٤) الفضائل : إثبات حوض نبينا صلى الله عليه و سلم و صفاته ٢/ ٢٥٠ (٥) من ظ و م و مد و صحيح مسلم ، و في الأصل : عليهن (٦) زيد من ظ و م و مد و صحيح مسلم (٧) راجع الباب المذكور ٢ / ٢٤٩ (٨) في صحيح مسلم : انتظر (٩) في صحيح مسلم : ليقتطعن .

يرجعون على اعقابهم . و للشيخين[1] عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ترد عليّ أمتي الحوض و أنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل[2] الرجل عن إبله ، قالوا : يا نبي الله ! تعرفنا ؟ قال : نعم . لكم سيما ليست[3] لغيركم تردون عليّ غرا محجلين من آثار الوضوء ، و لتصدن عنى طائفة منكم فلا يصلون ، فأقول : يا رب هؤلاء ٥ من أصحابي ، فيجيئني ملك فيقول : و هل تدرى ما أحدثوا بعدك ؟ و في رواية[4] : بينما أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم[5] خرج من بيني و بينهم رجل ، فقال : هلم ، فقلت : إلى أين ؟ فقال : إلى النار و الله ، فقلت : ما شأنهم ؟ فقال : إنهم ارتدوا على ادبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم - أى ضوالها - أى الناجي قليل ، و في رواية لمسلم ١٠ في الوضوء[6] : ألا ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم ، فيقال[7] : إنهم قد بدلوا بعدك ، فأقول : سحقا سحقا . قال المنذرى[8] :

---

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : للشيخان ، و أورده البخارى في الصحيح مختصرا في المساقاة : باب من رأى أن صاحب الحوض و القربة أحق بمائه ١/٣١٨ . و أورده مسلم في الصحيح كما هنا في الطهارة باب استحباب إطالة الغرة ١ / ١٢٦ (٢) من ظ و م و مد و مسلم . و في الأصل : ابر - كذا (٣) من م و مد و صحيح مسلم ، و زيد فيه بعده : لأحد ، و في الأصل و ظ : ليس . (٤) راجع صحيح البخارى - الحوض ٢ / ٩٧٥ (٥) من م و مد و صحيح البخارى ، و في الأصل و ظ : عرضهم (٦) راجع ١/١٢٧ (٧) زيد في الأصل و ظ : الا ، و لم تكن الزيادة في م و مد و صحيح مسلم فحذفناها (٨) في الترغيب و الترهيب .

و الأحاديث فى هذا المعنى كثيرة جدا .

و لما وعظهم سبحانه بصادق الإخبار عن قوم نوح و من تبعهم من الكفار ، و ختمه بالإنذار بما يقع فى دار القرار للظالمين الأشرار ، أتبعه[1] الوعظ و التخويف بالمشاهدة من تتبع الديار و الاعتبار ، بما كان
٥ لهم فيها من عجائب الآثار ، من الحصون و القصور و سائر الأبنية الصغار و الكبار ، فقال موبخا [2]و مقررا عاطفا[2] على ما تقديره : ألم يتعظوا بما اخبرناهم به عن الظالمين الأولين و من تبعهم من الإهلاك فى الدنيا المتصل بالشقاء[3] فى الأخرى : ﴿ اولم يسيروا ﴾ و لما كان المتقدمون من الكثرة[4] و الشدة و المكنة بحيث لايعلمه إلا الله و لايقدر آدمى
١٠ على الإحاطة بمساكنهم ، نبه عليه بقوله : ﴿ فى الارض ﴾ أى أى أرض ساروا فيها وعظتهم بما حوت من الأعلام .

و لما كان السير سببا للنظر قال : ﴿ فينظروا ﴾ أى نظر اعتبار كما هو شأن أرباب البصائر الذين يزعمون أنهم اعلام . و لما كانت الأحوال المنظور فيها المعتبر بها شديدة الغرابة ، نبه عليها بقوله : /٥٣٩
١٥ ﴿ كيف ﴾ أى أنها[5] اهل لأن يسئل عنها ، و نبه على أن التصاقها بهم فى غاية العراقة[6] بحيث لا انفكاك لها بقوله : ﴿ كان عاقبة ﴾ اى آخر

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تبعه (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مقرعاطها (٣) فى ظ و م : بالشقاوة (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الكثر (٥) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : إنما (٦) من م و مد و فى الأصل و ظ : الغرابة .

أمر ﴿ الذين كانوا ﴾ اى سكانا للأرض عريقين فى عمارتها . و لما
كان المنتفع بالوعظ[1] يكفيه ادنى شيء منه ، نبه على ذلك بالجار فقال :
﴿ من قبلهم ﴾ أى قبل زمانهم ﴿ كانوا ﴾ و لما كان السياق لمجادلة
قريش لإدحاض الحق مع سماعهم لأخبار الأولين ، كانوا كأنهم ادعوا
أنهم اشد الناس ، فاقتضى الحال تأكيد الخبر بأن الأولين اشد منهم ، ٥
فأكـــد أمرهم فيما نسبه إليهم معبرا بضمير الفصل بقوله : ﴿ هم ﴾ اى
المتقدمون ، لما لهم من القوى الظاهرة و الباطنة .

و لما كان مرجع المجادلة القوة لا الكثرة[2] ، أسقطها و قال استئنافا
فى جواب من لعله يقول : ما كان أمرهم ؟ : ﴿ اشد منهم ﴾ أى هؤلاء -
قرأه[3] ابن عامر "منكم" بالكاف كما هو فى مصحف اهل الشام على ١٠
الالتفات للتنصيص على المراد ﴿ قوة ﴾ اى ذواتا[4] و معانى ﴿ و ﴾ أشد
﴿ آثارا فى الارض ﴾ لأن آثارهم [5]لم يندرس[5] بعضها إلى هذا الزمان
و قد مضى عليها ألوف من السنين ، و اما المتأخرون فتنطمس آثارهم فى
أقل من قرن .

و لما كانت قوتهم و مكنتهم سببا لإعجابهم و تكبرهم على أمر ربهم ١٥
و مخالفة رسله[6] ، فكان ذلك سبب هلاكهم قال : ﴿ فأخذهم الله ﴾ [أى -[7]]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالمواعظ (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المكاثرة (٣) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذواة (٥ - ٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رسلهم (٧) زيد من ظ و م و مد.

الذى له صفات الكمال أخذ غلبة و قهر و سطوة ، و لما لم يتقدم شيء يسند إليه أخذهم . قال مبينا ما أخذوا به : ﴿ بذنوبهم[4] ﴾ [أى - [1]] التى سببت لهم الأخذ ، لم يغن عنهم شيء من ذلك الذى أبطرهم حتى عتوا به على ربهم و لاشفع فيهم شافع ﴿ و ما كان لهم ﴾ أى من شركائهم

٥ الذين ضلوا بهم كهؤلاء و من غيرهم ﴿ من الله ﴾ أى عوض المتصف بجميع صفات الكمال ، أو كونا مبتدئا من جهة عظمته و جلاله . و أكد النفى بزيادة الجار فقال : ﴿ من واق ه ﴾ أى يقيهم مراده سبحانه فيهم ، لا من شركائهم و لا من غيرهم ، فعلم أن الذين من دونه لايقضون بشيء ، و يجوز أن تكون « من » الأولى ابتدائية على بابها تنبيها على أن

١٠ الأخذ فى غاية العنف لأنه إذا لم يبتدئ من جهته سبحانه لهم وقاية لم تكن لهم باقية بخلاف من عاقبه الله عقوبة تأديب . فان عذابه يكون سبب بقائه لما[2] يحصل له منه سبحانه من الوقاية .

و لما ذكر سبحانه أخذهم [ذكر سببه - [1]] بما حاصله[3] أن الاستهانة بالرسول استهانة بمن أرسله فى قوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الأخذ

١٥ العظيم و لما كان مقصود السورة تصنيف الناس فى الآخرة[4] صنفين ، فكانوا إحدى عمدتى الكلام ، أتى بضميرهم فقال : ﴿ بانهم ﴾ أى الذين كانوا من قبل ﴿ كانت تاتيهم ﴾ أى شيئا فشيئا فى الزمان الماضى على وجه قضاه سبحانه فأنفذه[5] ﴿ رسلهم ﴾ أى الذين هم منهم ﴿ بالبينٰت ﴾

---

(١) زيد من م و مد (٢) فى م : لم (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حاصلهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الآخرين (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فانقده .

أى

اى الآيات الدالة على صدقهم دلالة هى من وضوح الأمر بحيث لايسع[1] منصفا[2] إنكارها .

و لما كان مطلق الكفر كافيا فى العذاب ، عبر بالماضى فقال : ﴿ فكفروا ﴾ أى سببوا عن إتيان الرسل عليهم الصلاة و السلام الكفر موضع ما كان إتيانهم[3] سببا له من الإيمان . ٥ / ٥٤٤

و لما سبب لهم كفرهم الهلاك قال : ﴿ فاخذهم ﴾ أى أخذ غضب ﴿ الله ﴾ اى الملك الأعظم . و لما كان قوله " فكفروا " معلما بسبب أخذهم لم يقل : بكفرهم ، كما قال سابقا : بذنوبهم ، لإرشاد السياق إليه . و لما كان اجتراؤهم على العظائم فعل منكر للقدرة ، قال مؤكدا لعملهم عمل من لايخافه[4] : ﴿ انه قوى ﴾ لايغلبه شيء و هو يغلب كل شيء ١٠ ﴿ شديد العقاب ﴾ .

و لما كان ذلك عجبا لأن البينات تمنع من الكفر ، فكان التقدير لمن ينكر الإرسال على هذه الصفة : فلقد أرسلناهم كذلك ، و كان موسى عليه السلام من أجل المرسلين آيات ، عطف على ذلك تسلية و نذارة لمن ادبر ، و بشارة لمن استبصر ، قوله : ﴿ و لقد ﴾ [ولفت -[5]] ١٥ القول إلى مظهر العظمة [كما -[5]] فى الآيات التى أظهرها بحضرة هذا

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : لايسمع (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مصنفا (٣) هنا تنتهى صفحة الأصل : ٥٣٩ ، و العبارة فيه إلى نهاية ص ٥٤٣ متكررة فحذفناها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لايخالفه .
(٥) زيد من ظ و م و مد .

الملك المتعاظم من الهول و العظم[1] الذى تصاغرت به نفسه [2]و تحاقرت[2] عنده همته[3] و انطمس حسه، فقال: ﴿ارسلنا﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿موسى بايتنا﴾ أى الدالة على جلالنا ﴿و سلطن﴾ أى أمر قاهر عظيم جدا، لا حيلة لهم فى مدافعة شىء منه ﴿مبين ۝﴾ أى بين فى نفسه

٥ مناد لكل من يمكن اطلاعه عليه انه ظاهر جدا، و ذلك الأمر هو الذى كان يمنـــع فرعون من الوصول إلى أذاه مع ما له من القوة و السلطان ﴿الى فرعون﴾ أى ملك مصر. و لما كان الأكابر[4] أول من يتوجه إليه [الأمر -[5]] لأن بانقيادهم ينقاد غيرهم [قال -[5]]: ﴿و هامن﴾ أى وزيره. و لما كان من أعجب العجب أن يكذب

١٠ الرسول [6]من جاء[6] لنصرته و استنقاذه من شدته قال: ﴿و قارون﴾ أى قريب موسى عليه السلام ﴿فقالوا﴾ أى هؤلاء و من تبعهم، [7]أما من[7] عدا قارون فأولا و آخرا بالقوة و الفعل، و أما قارون ففعله آخرا بين أنه مطبوع على الكفر و إن آمن أولا، و إن هذا كان قوله و إن [9]لم يقله بالفعل[9] فى ذلك الزمان فقد قاله فى التيه. فدل ذلك على أنه[10]

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العظمة (٢-٢) ما بين الرقمين بياض فى مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نفسه (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الاكبار (٥) زيد من م و مد (٦-٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لمن (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امن ما (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: آخر (٩-٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لم يفعله فى الفعل (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ذلك.

لم يزل قائلا به، لأنه [1]لم يقب[1] منه ﴿سحر﴾ لعجزهم عن مقاهرته، و لم يقل، «سحار[2]» لئلا يتوهم أحد أنه يمدحه بالبراعة[3] فى علم السحر فتتحرك الهمم للاقبال عليه للاستفادة منه، و هو خبر مبتدأ محذوف، ثم وصفوه بقولهم: ﴿كذاب﴾ [4]لخوفهم من تصديق الناس له، فبعث أخص عباده[5] به إلى أخسّ[6] عباده عنده ليقيم[7] الحجة عليه[8]، و أمهله عند ما قابل ٥ بالتكذيب و حلم[9] عنه حتى أعذر إليه غاية الإعذار.

و لما أجمل أمره كله فى هاتين الآيتين، شرع فى تفصيله فقال مشيرا إلى مبادرتهم إلى العناد من غير توقف أصلا التى أشار إليها حذف المبتدأ و الاقتصار على الخبر الذى هو محط الفائدة: ﴿فلما جآءهم﴾ أى موسى عليه السلام ﴿بالحق﴾ أى بالأمر[10] الثابت الذى لا طاقة لأحد ١٠ بتغيير[11] شيء منه، كائنا ﴿من عندنا﴾ على ما لنا من القهر، فآمن معه طائفة من قومه ﴿قالوا﴾ أى فرعون و أتباعه ﴿اقتلوآ﴾ أى قتلا حقيقيا بازالة الروح ﴿ابنآء الذين ءامنوا﴾ اى به فكانوا ﴿معه﴾ أى

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ثبت (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سحارا (٣) من ظ و م و مد. و فى الأصل: فى البراعة (٤) زيد فى الأصل و م: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عبارة (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: أحسن. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ليفهم (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عليهم (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: علم (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الأمر (١١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: بتغيره.

/٥٤٥ خصومهم بذلك و اركوا من / عداهم لعلهم يكذبونه ﴿و استحيوا نساءهم﴾ أي اطلبوا حياتهن بأن لا تقتلوهن .

و لما كان [هذا -[1]] أمرا صادا في العادة لمن يؤمن عن الإيمان و رادا لمن آمن إلى الكفران ، اشار إلى أنه سبحانه خرق العادة بابطاله
٥ فقال : ﴿و ما﴾ أي و الحال أنه ما كيدهم - هكذا كان الأصل و لكنه قال : ﴿كيد الكفرين﴾ تعميما و تعليقا بالوصف ﴿الا في ضلل ه﴾ أي مجانبة[2] للسدد الموصل إلى الظفر و الفوز لأنه ما أفادهم أولا في الحذر من موسى عليه السلام و لا آخرا في صد من آمن به مرادهم ، بل كان فيه تبارهم[3] و هلاكهم ، و كذا أفعال الفجرة مع أولياء الله ، ما
١٠ حفر احد منهم لأحد منهم حفرة[4] مكر إلا أركسه الله فيها .

و لما أخبر تعالى بفعله بمن تابع موسى عليه السلام ، أخبر عن فعله معه بما علم به أنه عاجز عنه فقال : ﴿و قال فرعون﴾ أي أعظم الكفرة في ذلك الوقت لرؤساء أتباعه عند ما علم أنه عاجز عن قتله و ملأه ما رأى منه خوفا و ذعرا ، دافعا عن نفسه ما يقال من أنه ما
١٥ ترك موسى عليه السلام مع استهانته [به-[5]] إلا[6] عجزا عنه ، موهما أن آله هم الذين[7] يردونه عنه ، و أنه لولا ذلك لقتله : ﴿ذروني﴾ أي اتركوني

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بجانبه .
(٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : تبادهم (٤) زيد في الأصل و ظ : أي ، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٥) زيد من مد (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لا (٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الذي .

على اى حالة كانت ﴿ اقتل موسى ﴾ و زاد فى [1]إيهام الأغبياء[1] و المناداة على نفسه عند البصراء بالفضيحة بقوله : ﴿ وليدع ربه ج ﴾ [أى الذى -[2]] يدعوه و يدعى إحسانه إليه بما يظهر على يديه من هذه الخوارق ، ثم علل ذلك بقوله مؤكدا إعلاما بأنه الأمر صعب جدا لأنه كان منهم من يوهى أمره بأنه لايؤثر ما هو فيه شيئا أصلا تقربا إلى فرعون ، ٥ و إظهارا للثبات على متابعته ﴿ انى اخاف ﴾ [أى -[2]] إن تركته ﴿ ان يبدل دينكم ﴾ أى الذى أنتم عليه من نسبة الفعل إلى الطبيعة بما يدعو إليه من عبادة إلهه .

و لما ألهبهم[3] بهذا الكلام إلى [4]مالأتهم له على[4] موسى عليه السلام ، زاد فى ذلك بقوله : ﴿ و ان يظهر ﴾ أى بسببه - على قراءة الجماعة بفتح حرف ١٠ المضارعة ﴿ فى الارض ﴾ أى كلها ﴿ الفساد ﴾ و قرأ المدنيان[5] و البصريان و حفص[6] بالضم إسنادا[7] إلى ضمير موسى عليه السلام و بنصب الفساد [أى -[8]] بفساد المعائش فانه إذا غلب علينا قوى على من[9] سوانا ، فسفك الدماء و سبى الذرية ، و انتهب الأموال ، ففسدت الدنيا مع فساد الدين ، فسمى اللعين الصلاح - لمخالفته[10] لطريقته الفاسدة - فسادا كما هو ١٥

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الايهام للاغبياء (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الهم (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امالتهم الى (٥) راجع نثر المرجان ٦/٢١٩ (٦) فى م : جعفر . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : استنادا (٨) زيد من م و مد (٩) ليس فى م و مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مخالفته .

شأن كل مفسد مع المصلحين[1]. و قرأ الكوفيون و يعقوب «أو أن» بمعنى أنه يخاف وقوع أحد الأمرين: التبديل أو ظهور ما هو عليه مما سماه فسادا، و إن لم يحصل التبديل عاجلا فانه يحصل به الوهن.

و لما أعلم بمقالة العدو، أتبعه الإعلام بقول الولى فقال:

٥ [﴿و قال موسى﴾ إبطالا لهذا القول و إزالة لآثاره مؤكدا لما استقر فى النفوس من قدرة فرعون -[2]]: ﴿انى عذت﴾ أى اعتصمت عند ابتداء الرسالة ﴿بربى﴾ و رغبهم فى الاعتصام به و ثبتهم بقوله: ﴿و ربكم﴾ اى المحسن إلينا أجمعين، فارسلنى لاستنقاذكم من أعداء الدين و الدنيا ﴿من كل متكبر﴾ اى عات طاغ متعظم [على الحق -[3]] هذا

١٠ و غيره ﴿لا يؤمن﴾ أى لا يتجدد له تصديق ﴿بيوم الحساب[4]﴾ من ربه له و هو يعلم أنه لابد من حسابه هو لمن تحت يده من رعاياه و عبيده فيحكم على ربه بما لا يحكم به على نفسه، و معنى العوذ أنه لا وصول لأحد منهم / إلى قتلى بسبب عوذى، هذا أمر قد فرغ منه مرسلى لخلاصكم، القادر على كل شىء.

/٥٤٦

١٥ و لما انقضى كلام الرأسين، و كانت عادة من لم يكن لهم نظام من الله رابط أن قلوبهم لا تكاد تجتمع[4] و أنه لابد ان يجاهر بعضهم بما عنده و لو عظم شأن الملك القائم بأمرهم، و اجتهد فى جمع مفترق[5]

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الصالحين (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تجمع (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: متفرق.

علنهم و سرهم، قال تعالى مخبرا عن كلام بعض الأتباع فى بعض ذلك:
﴿ وقال رجل ﴾ أى كامل فى رجوليته ﴿ مؤمن ﴾ أى راسخ الإيمان فيما جاء به موسى عليه السلام. و لما كان للانسان، إذا عم الطغيان، ان يسكن بين أهل العدوان، إذا نصح بحسب الإمكان، أفاد ذلك بقوله:
﴿ من ءال فرعون ﴾ أى وجوههم و رؤسائهم ﴿ يكتم ايمانه ﴾ أى ٥
يخفيه إخفاء شديدا خوفا على نفسه لأن الواحد[1] إذا شذ عن قبيلة يطمع فيه ما لا يطمع إذا كان واحدا من جماعة مختلفة، مخيلا لهم بما يوقفهم عن الإقدام على قتله من غير تصريح بالإيمان.

و لما رآهم قد عزموا على القتل عزما قويا أوقع عليه[2] اسم القتل، فقال منكرا له غاية الإنكار: ﴿ اتقتلون رجلا ﴾ أى هو عظيم فى الرجال ١٠
حسا و معنى، ثم علل قتلهم له بما ينافيه فقال: ﴿ أن ﴾ أى لأجل أن ﴿ يقول ﴾ و لو على سبيل التكرير: ﴿ ربى ﴾ أى المربى لى و المحسن إلىّ ﴿ الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنه قد ﴿ جاءكم بالبينت ﴾ أى الآيات الظاهرات من غير لبس ﴿ من ربكم ﴾
أى الذى لا إحسان عندكم إلا منه، و كما أن ربوبيته له اقتضت عنه ١٥
الاعتراف له بها فكذلك ينبغى أن تكون ربوبيته لكم داعية لكم إلى اعترافكم له بها.

و لما كان كلامه هذا يكاد أن يصرح بايمانه، وصله بما يشككهم

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الوحد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عليهم.

فى أمره و يوقفهم عن ضره. فقال مشيرا إلى أنه لا يخلو حاله من أن يكون صادقا أو كاذبا، مقدما القسم الذى هو أنفى للتهمة عنه و أدعى للقبول منه: ﴿ و ان ﴾ أى و الحال أنه إن. و لما كان المقام لضيقه غاية الضيق بالكون بين شرور ثلاثة عظيمة: قتلهم خير الناس إذ ذاك،

٥ و إتيانهم بالعذاب، و اطلاعهم على إيمانه، فأقل ما يدعوهم[1] ذلك إلى اتهامه[2] إن لم يحملهم على إعدامه[3] داعية للايجاز فى الوعظ و المسارعة إلى الإتيان بأقل ما يمكن، حذف النون فقال: ﴿ يك كاذبا فعليه ﴾ أى خاصة ﴿ كذبه ج ﴾ [4]يضره ذلك و ليس عليكم منه ضرر، و لم يقل: [أو -[5]] صادقا. و إن كان الحال مقتضيا لغاية الإيجاز لئلا يكون قد نقص الجانب

١٠ المقصود بالذات حقه، فيكون قد أخل ببعض الأدب، فقال مظهرا لفعل[6] الكون عادلا عما له إلى ما عليهم معادلا لما ذكره عليه و نقصه عنه إظهارا للنصفة[7] و دفعا للتهمة عن نفسه: ﴿ وان يك ﴾ حذف نونه لمثل ما مضى ﴿ صادقا يصبكم ﴾ أى على وجه العقوبة من الله و له صدقه[8]

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها. (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: اتمامه (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اعلامه (٤) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م فحذفناها، و «يضره ذلك» ساقطة من مد (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ: الفعل (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للقصة (٨) من م، و فى الأصل و ظ: صدق، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من مد إلى ما سننبه عليه.

ينفعه

ينفعه و لا ينفعكم شيئا .

و لما كان العاقل من نظر لنفسه فلم يرد كلام خصمه من غير حجة ، و كان أقل ما يكون من توعد من بانت مخايل صدقه البعض ، قال ملزما الحجة بالبعض ، غير ناف لما فوقه إظهارا للانصاف و أنه لم يوصله حقه فضلا عن التعصب[1] له نفيا للتهمة عن نفسه : ﴿ بعض الذى ﴾ ٥

و قال : ﴿ يعدكم[4] ﴾ / دون «يوعدكم» إشارة إلى أنهم إن وافوه أصابهم جميع ما وعدهموه من الخير ، و إلا دهاهم ما توعدهم[2] من الشر ، و الآية من الاحتباك[3] : ذكر اختصاصه بضر الكذب[4] أولا دليلا على ضده و هو اختصاصه بنفع الصدق ثانيا ، و إصابتهم ثانيا دليلا على إصابته أولا ، و سره أنه ذكر الضار[5] فى الموضعين ، لأنه أنفع فى الوعظ لأن من شأن النفس ١٠ الإسراع[6] فى الهرب منه ، و لقد قام أعظم من هذا المقام - كما فى الصحيح[7] عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما - أبو بكر الصديق رضى الله عنه و هو [مظهر إيمانه و قد جد الجد بتحقق الشروع فى الفعل حيث أخذ المشركون بمجامع ثوب النبى صلى الله عليه و سلم و هو يطوف بالبيت فالتزمه أبو بكر رضى الله عنه و هو -[8]] يقول هذه الآية ، و دموعه ١٥

/ ٥٤٧

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : التعصيب (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : وعدهم (٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م فحذفناها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : الكرب (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : بالضاد . (٦) فى الأصل و ظ بياض ، ملأناه من م (٧) راجع فضائل الصحابة و مناقب الأنصار و تفسير هذه السورة (٨) زيد ما بين الحاجزين من م .

تجرى على لحيته حتى فرج الله و قد مزقوا كثيرا من شعر رأسه - رضى الله عنه .

و لما كان فرعون قد نسب موسى عليه الصلاة و السلام بما زعمه[1] من إرادته إظهار الفساد إلى الإسراف بعد ما نسبه إليه من الكذب ، ٥ علل هذا المؤمن قوله هذا الحسن فى شق[2] التقسيم بما ينطبق[3] إلى فرعون [4]منفرا منه مع[4] صلاحيته لإرادة موسى عليه الصلاة و السلام على [5]ما زعمه[5] فيه فرعون فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له مجامع العظمة و معاقد العز ﴿ لا يهـــدى ﴾ أى[6] إلى ارتـــكاب ما ينفع و اجتناب ما يضر ﴿ من هو مسرف ﴾ أى باظهار الفساد [7]متجاوز للحد[7] ، و كأنه رضى ١٠ الله عنه جوز أن يتأخر شىء مما[8] توعد به فيسموه كذبا ، و لذا قال " يصبكم بعض الذى يعدكم " فعلق الأمر بالمبالغة فقال : ﴿ كذاب ه ﴾ لأن أول خذلانه و ضلاله تعمقه فى الكذب ، و يهدى[9] من هو مقتصد صادق ، فان كان كاذبا كما زعمتم ضره كذبه ، و لم يهتد لوجه يخلصه ، و إن كان صادقا أصابتكم العقوبة و لم تهتدوا لما ينجيكم ، لا تصافكم

---

(١) من م ، و فى الأصل وظ : زرعه (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : سعى . (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : ينطلق (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مقراضه من (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : رحمه (٦) زيد فى الأصل : لا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧ - ٧) من م ، و فى الأصل : متجاوزا الحدود ، و فى ظ : متجاوز الحدود (٨) من م ، و فى الأصل وظ : ما (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : تعدى .

بالوصفين .

و لما خيلهم بهذا الكلام الذى يمكنه توجيهه، شرع فى وعظهم إظهارا للنصيحة لهم و التحسر عليهم فقال مذكرا لهم بنعمة الله عليهم محذرا لهم من سلبها مستعطفا بذكر أنه منهم: ﴿ يٰقوم ﴾ و عبر بأسلوب [الخطاب - ١] دون التكلم تصريحا بالمقصود فقال: ﴿ لكم الملك ﴾ ٥ و نبه على ما يعرفونه من تقلبات الدهر بقوله: ﴿ اليوم ﴾ و أشار إلى ما عهدوه من الخذلان فى بعض الأزمان بقوله: ﴿ ظٰهرين ﴾ أى غالبين على بنى إسرائيل و غيرهم، و ما زال أهل البلاء يتوقعون الرخاء، و أهل الرخاء يتوقعون البلاء، و نبه على الإله الواحد القهار الذى له ملك السماوات فملك الأرض من باب الأولى، بقوله معبرا بأداة الظرف الدالة على ١٠ الاحتياج ترهيبا لهم: ﴿ فى الارض ز ﴾ أى أرض مصر التى هى لحسنها و جمعها المنافع كالأرض كلها، قد غلبتم الناس عليها .

و لما علم من هذا أنهم لا يملكون جميع الكون، تسبب عنه أن المالك للكل هو الإله الحق و الملك المطلق الذى لا مانع لما يريد، فلا ينبغى لأحد من عبيده ٢ أن يتعرض ٢ إلى ما لا قبل له به من سخطه، ١٥ فلذلك قال: ﴿ فمن ينصرنا ﴾ اى أنا و أنتم، أدرج نفسه فيهم عند ذكر الشر بعد إفراده لهم [بالملك - ١] إبعادا للتهمة و حثا على قبول النصيحة: ﴿ من بأس الله ﴾ أى الذى له الملك [كله - ١]، و نبه بأداة الشك على أن عذابه لهم أمر ممكن، و العاقل من يجوز / الجائز و يسعى فى /٥٤٨

(١) زيد من م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

التدرع منه فقال: ﴿ان جآءنا[1]﴾ أي غضبا لهذا الذى يدعى أنه أرسله، و يجوز أن يكون صادقا، بل يجب اعتقاد ذلك لما أظهره من الدلائل، و فى قوله هذا تسجيل عليهم بأنهم يعرفون أن الله ملك الملوك و رب الأرباب. و كذا[1] قول موسى عليه السلام "لقد علمت[2]ما انزل ٥ هؤلاء[2] الا رب السموت و الارض[3]" و أن ادعاء فرعون الإلهية إنما [هو -[4]] محض عناد.

و لما سمع فرعون ما لامطعن له فيه، فكان بحيث يخاف من بقية قومه إن ألحش فى أمر هذا المؤمن، فتشوف السامع لجوابه، أخبر تعالى أنه رد ردا دون رد بقوله: ﴿قال فرعون﴾ أى لقومه جوابا ١٠ لما قاله[5] هذا المؤمن دالا بالحيدة عن حاق جوابه على الانقطاع[6] بالعجز عن نقض شيء من كلامه: ﴿مآ اريكم﴾ أى من الآراء ﴿الا مآ ارى﴾ أى إنه الصواب[7] على قدر مبلغ علمى، أى إن ما اظهرته لكم هو الذى أبطنه. و لما كان فى كلام المؤمن تعريض فى أمر الهداية، و كان الإنسان ربما يتوافق قلبه و لسانه، و يكون تطابقهما ١٥ على ضلال، قال: ﴿و مآ اهديكم﴾ أى بما أشرت به من قتل موسى عليه السلام و غيره ﴿الا سبيل الرشاد﴾ أى الذى أرى أنه صواب، لا أبطن شيئا و أظهر[8] غيره. و ربما يكون فى هذا تنبيه لهم على ما يلوح

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: كذلك (٢ - ٢) تكرر ما بين الرقمين فى م. (٣) زيد فى الأصل: بصائر. و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من م (٥) فى م: قال (٦) من ظ و م، و فى الأصل: انقطاع (٧) فى م: صواب (٨) من م، و فى الأصل و ظ: اظهره.

من

من كلام المؤمن لأنه ارتاب فى أمره، و فى هذا أنه فى غاية
الرعب من أمر موسى عليه السلام لاستشارته لقومه فى امره و احتمال
هذه المراجعات التى يلوح منها أنه يكاد ينفطر غيظا منه و لكنه يتجلد .
و لما ظهر لهذا المؤمن رضى الله عنه ان فرعون ذل لكلامه، و
لم يستطع مصارحته[1]، ارتفع إلى أصرح من الأسلوب الأول فأخبرنا تعالى ٥
عنه بقوله مكتفيا فى وصفه[2] بالفعل الماضى لأنه فى مقام الوعظ الذى
ينبغى أن يكون من أدنى متصف بالإيمان بعد أن ذكر عراقته فى الوصف
لأجل أنه كان فى مقام المجاهدة و المدافعة عن الرسول عليه و على نبينا
أفضل الصلاة و السلام الذى لايقدم عليه إلا راسخ القدم فى الدين :
﴿ و قال الذىٓ امن ﴾ اى بعد قول فرعون هذا الكلام الذى [3]هو ابرد ١٠
من الثلج الذى[3] دل على جهله و عجزه و ذله ﴿ يٰقوم ﴾ و اكد لما
رأى عندهم من انكار امره و خاف منهم من اتهامه [فقال -[4]] :
﴿ انىٓ اخاف عليكم ﴾ أى من المكابرة فى أمر موسى عليه الصلاة و السلام .
و لما كان أقل ما يخشى يكفى العاقل، و كانت قدرة الله سبحانه عليهم
كلهم على حد سواء لاتفاوت فيها فكان هلاكهم كلهم كهلاك نفس ١٥
واحدة[5]، أفرد فقال : ﴿ مثل يوم الاحزاب ۙ ﴾ مع أن إفراده أروع
و أقوى فى التخويف و أقطع للاشارة إلى قوة الله تعالى و أنه قادر على

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مصادحته (٢) من م ، و فى الأصل و ظ :
وضعه (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من م ،
و فى الأصل و ظ : واحد .

إهلاكهم فى أقل زمان .

و لما أجمل فصل و بين أو[1] بدل بعد أن هول، فقال بادئا بمن كان عذابهم مثل عذابهم، و دأبهم شبيها بدأبهم : ﴿ مثل دأب ﴾ أى عادة ﴿ قوم نوح ﴾ أى فيما دهمهم من الهلاك الذى محقهم فلم يطيقوه

٥ مع ما كان فيهم من قوة المحاولة و المقاومة لما يريدونه ﴿ و عاد و ثمود ﴾ مع ما بلغكم من جبروتهم . و لما كان هؤلاء اقوى الأمم، اكتفى بهم و أجمل من بعدهم فقال : ﴿ و الذين ﴾ و أشار بالجار إلى التخصيص بالعذاب لئلا يقال : هذه عادة الدهر، / فقال : ﴿ من بعدهم ﴾ أى بالقرب من زمانهم لا جميع من جاء بعدهم .

٥٤٩ /

١٠ و لما كان التقدير : أهلكهم الله و ما ظلمهم، عبر عنه تعميما مقرونا بما[2] تضمنه من الخبر[3] بدليله فقال : ﴿ و ما الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بأوصاف الكمال . و لما كان[4] فى مقام الوعظ لهم و مراده ردهم عن غيهم بكل حال، علق الأمر بالإرادة لأنها متى ارتفعت انتفى الظلم، و نكر تعميما فقال : ﴿ يريد ظلما ﴾ أى يتجدد منه أن يعلق إرادته وقتا

١٥ ما بنوع ظلم ﴿ للعباد ﴾ لأن احدا لايتوجه أبدا إلى أنه يظلم عبيده الذين هم تحت قهره، و طوع مشيئته و أمره، و متى لم يعرفوا حقه و أرادوا البغى على من يعرف حقه عاقبهم و لابد، و إلا كان كفه عنهم ظلما

(١) من م، و فى الأصل و ظ « و » (٢) من م، و فى الأصل و ظ : ما (٣) من ظ و م، و فى الأصل : الخير (٤) زيد فى الأصل : هذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

للبغى عليهم .

و لما أشرق من آفاق هذا الوعظ شمس البعث و نور الحشر، لأنه لايسوغ أصلا أن ملكا يدع عبيده[1] يبغى بعضهم على بعض من غير إنصاف بينهم و نحن نرى أكثر الخلق يموت مقهورا من ظالمه، و مكسورا من حاكمه. فعلم قطعا أن الموت الذى لم يقدر و لايقدر أحد أصلا أن ٥ يسلم منه إنما هو سوق إلى [2]داره العرض[2] و ساحة الجزاء للقرض - كما جرت به عادة الملوك إذا وكلوا بمن يأمرون باحضاره إليهم لعرضه عليهم ليظهر التجلى فى صفات الجبروت و العدل، و مظاهر الكرم [و الفضل -[3]] قال: ﴿و يٰقوم﴾ و لما كانوا منكرين للبعث أكد فقال: ﴿انى اخاف﴾ و عبر بأداة الاستعلاء زيادة فى التخويف فقال: ﴿ عليكم ﴾ و لما كان ١٠ قد سماه فيما مضى بالتلاق[4] و الآزفة لما ذكر، عرف هنا أن الخلق فيه وجلون خائفون و أنهم[5] لكثرة الجمع يُنَادُون و يُتَنَادَوْن للرفعة أو الضعة[6] و غير ذلك من الأمور المتنوعة التى بمجموعها يدل[7] على ظهور الجبروت و ذل الخلق لما يظهر[8] لهم من الكبرياء و العظموت فقال: ﴿يوم التناد ﴾ أى أهواله و ما يقع فيه، فينادى الجبار سبحانه بقوله "الم اعهد اليكم ١٥

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: دار العوض (٣) زيد من م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: بالتا - كذا مع يسير من البياض (٥) بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و م. (٦) من م، و فى الأصل و ظ: الضفعة (٧) من م، و فى الأصل و ظ: يكون (٨) بياض فى الأصل، و ظ ملأناه من م .

يٰبنی اٰدم ان لاتعبدوا الشيطٰن" و ينادونه «بلى يا ربنا» و تنادى الملائكة بصوت يسمعه [من بعد كما يسمعه - [1]] من قرب «يا فلان ابن فلان أقبل [2] لفصل النزاع» و ينادى ذلك العبد «ألا سمعا و طاعة» و ينادى الفائز «ألا نعم اجر العاملين» و ينادى الخائب «ألا بئس منقلب
٥ الظالمين» و ينادى بالشقاوة و السعادة: ألا إن فلانا قد سعد، ألا إن فلانا قد شقى، و ينادى أصحاب الأعراف، و أهل الجنة أهل النار، و أهل النار أهل الجنة، و ينادى الكل حين يذبح الموت، و يدعى كل أناس بامامهم، و تتنادى الملائكة و قد أحاطوا بالثقلين صفوفا مترتبة ترتب السماوات التى كانوا بها بالتسبيح و التقديس، و ترتفع الأصوات بالضجيج،
١٠ بعضهم بالسرور و بعضهم بالويل و الثبور، و تنادى ألسن النيران: أين الجبارون أين المتكبرون، و تنادى الجنة: أين المشمرون فى مرضات الله و الصابرون، فيا له يوما يذل فيه العصاة العتاة، و يعز المنكسرة قلوبهم من أجل الله، و قرأ ابن عباس [3] رضى الله عنهما فى آخرين بتشديد الدال من التناد على [أنه - [4]] مصدر تنادّ من ند البعير - إذا هرب و نفر،
١٥ و هو كقوله يوم " يفر المرء من اخيه " و تقدم فى حذف ياء التلاق [5] و إثباتها ما يمكن الفطن تنزيله هنا. /و لما كانت [6] عادة المتنادين الإقبال، وصف ذلك اليوم بضد ذلك لشدة الأهوال فقال مبدلا أو مبينا:

/٥٥٠

---

(١) زيد من ظ و م (٢) و من هنا تستأنف نسخة مد (٣) راجع نثر المرجان ٦/٢٢٥ (٤) زيد من م و مد (٥) زيد فى الأصل و ظ: لما، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كان.

يوم

﴿ يوم تولون مدبرين ج ﴾ أى [حين - ١] تخرج ألسنة النيران فتخطف أهل الكفران، و تزفر زفرات يخر أهل الموقف [من خشيتها، وترى كل أمة جاثية و يفرون فلا يقصدون مكانا إلا وجدوا به الملائكة - ٢] صافين كما قال تعالى "و الملك على ارجائها" و ينادى المنادى "يمعشر الجن و الانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموٰت و الارض ٥ فانفذوا لاتنفذون الابسلطٰن".

و لما كان المدبر إنما يقصد فى إدباره معقلا يمنعه و يستره او فئة تحميه و تنصره، قال مبينا حالهم: ﴿ ما لكم من الله ﴾ أى الملك الجبار الذى لا ند له، و أعرق فى النفى فقال: ﴿ من عاصم ج ﴾ أى مانع يمنعكم مما يراد بكم فما لكم من عاصم أصلا. فانه سبحانه يجير و لا يجار عليه. ١٠

و لما كان التقدير: لضلالكم فى الدنيا فان حالكم فى ذلك اليوم مكتسب من احوالكم فى هذا اليوم، عطف عليه قوله معمما[٣]: ﴿ و من يضلل الله ﴾ اى الملك المحيط بكل شيء الباطن فى أردية الجلال الظاهر فى مظاهر القهر و الجمال، إضلالا جبلة عليه فهو فى غاية البيان - بما أشار إليه الفك ﴿ فما له من هاد ه ﴾ أى إلى شيء ينفعه ١٥ بوجه من الوجوه، و أما الضلال العارض فيزيله [الله - ١] لمن[٢] يشاء من عباده، و هذا لايعرف إلا بالخاتمة كما قاله الإمام أبو الحسن الأشعرى: فمن مات على شيء فهو مجبول عليه.

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تعميا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما.

و لما كان حاصل ما مضى من حالهم فى أمر موسى عليه السلام أنه جاءهم بالبينات فشكوا فيها، و ختم بتحذيرهم [من] عذاب الدنيا و الآخرة، عطف عليه شك آبائهم فى مثل ذلك، فقال مبينا أنهم مستحقون لما حذر منه من العذاب ليشكروا نعمة الله فى أمهاله[1] إياهم و يحذروا نقمته ٥ إن تمادوا و أكد لأجل إنكارهم أن يكونوا أتوا ببينة، و افتتح بحرف التوقع لأن حالهم اقتضت توقع ذلك و دعت إليه: ﴿ و لقد جآءكم ﴾ أى جاء آباءكم يا معشر القبط، و لكنه عبر بذلك دلالة على أنهم على مذهب [الآباء -[2]] كما جرت به العادة من التقليد، و من أنهم على طبائعهم لاسيما إن كانوا [لم -[2]] يفارقوا مساكنهم: ﴿يوسف﴾ ١٠ أى نبى الله بن نبى الله يعقوب بن نبى الله إسحاق بن خليل الله إبراهيم عليهم و على نبينا أفضل الصلاة و اتم التسليم.

و لما لم يكن مجيئه مستغرقا لما تقدم موسى عليه السلام من الزمان أدخل الجار فقال: ﴿ من قبل ﴾ أى [قبل -[2]] زمن موسى عليه السلام: ﴿ بالبينت ﴾ أى الآيات الظاهرات و لا سيما فى أمر يوم ١٥ التناد ﴿ فما زلتم ﴾ بكسر الزاى من زال يزال أى ما برحتم أنتم تبعا لآبائكم ﴿فى شك﴾ أى محيط بكم لم تصلوا إلى رتبة الظن ﴿مما جآءكم به ﴾ من التوحيد و ما يتبعه، و دل على تمادى شكهم بقوله: ﴿حتىٰ اذا هلك﴾ و كأنه عبر بالهلاك إيهاما لهم أنه غير معظم له، و أنه إنما يقول ما يشعر بالتعظيم لأجل محض النصيحة و النظر فى العاقبة ﴿ قلتم ﴾ اى

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اهماله (٢) زيد من م و مد.

من عند أنفسكم بغير دليل كراهة[1] لما جاء به و تضجرا منه جهلا بالله تعالى[2]: ﴿لن يبعث الله﴾ أي الذي له صفات / الكمال.

/ ٥٥١

و لما كان مرادهم استغراق النفي حتى لايقع البعث في زمن من الأزمان و إن قل، أدخل الجار فقال: ﴿من بعده﴾ أي يوسف عليه السلام ﴿رسولا ط﴾ و هذا ليس إقرارا منهم برسالته، بل هو ضم منهم ٥ إلى الشك في رسالته التكذيب برسالة من بعده، و الحجر على الملك الأعظم في عباده و بلاده و الإخبار عنه بما ينافي كماله.

و لما كان كأنه قيل: هذا ضلال عظيم هل ضل أحد مثله؟ أجيب بقوله: ﴿كذلك﴾ أي مثل هذا الضلال العظيم الشأن ﴿يضل﴾ و أبرز الاسم و لم يضمره لئلا يخص الإضلال بالحيثية الماضية، و جعله الجلالة ١٠ تعظيما للأمر لصلاحية الحال لذلك[3] و كذا ما يأتي بعده ﴿الله﴾ أي بما له من صفات القهر ﴿من هو مسرف﴾ أي متمال في الأمور خارج عن الحدود طالب للارتفاع عن طور البشر.

و لما كان السياق للشك في الرسالة[4] و القول بالظن [الذي يلزم منه اتهام القادر سبحانه بالعجز أو مجانبة الحكمة -[5]] قال: ﴿مرتاب ن ج صلے﴾ ١٥

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل و م: كراهته (٢) زيد في الأصل: حيث قلتم، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: كذلك (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: الرواية (٥) زيد من م و مد.

[اى - [1]] يشك فيما لايقبل الشك و يتهم [2] غيره بما لا حظ للتهمة [3]
فيه، أي ديدنه التذبذب فى الأمور الدينية. فلا يكاد يحقق [4] أمرا من
الأمور، و لا إسراف و لا ارتياب أعظم من حال المشرك فانه منع الحق
أهله و بذله لمن [5] لايستحقه بوجه، و هذه الآية دليل على أن القبط طول
٥ الدهر على ماتشاهده من أنه [6] لا ثقة [7] بدخولهم فى الدين الحق، و لا ثبات
لهم فى الأعمال الصالحة.

و لما ظهر ظهورا لا يحتمل شكا بما أتى به موسى عليه السلام
من البينات أن شكهم فى رسالة الماضى و جزمهم فى الحكم بنفى رسالة الآتى
أعظم ضلال و أنه من الجدال الذى لامعنى له إلا فتل الحق عما هو
١٠ عليه من الحق إلى ما عليه المجادل من الضلال، وصل بذلك قوله على
سبيل الاستنتاج ذما لهم بعبارة تعم غيرهم: ﴿ الذين ﴾ أى جدال [8] من
﴿ يجادلون ﴾ أى يقاتلون و يخاصمون خصاما شديدا ﴿ فىٓ ا يٰت الله ﴾
أى المحيط بأوصاف الكمال لاسيما الآيات الدالة على يوم التناد، فانها
أظهر الآيات على وجوده سبحانه و على ما هو عليه من الصفات
١٥ و الأفعال و ما يجوز عليه أو يستحيل.

و لما كان الجدال بالتى هى أحسن مشروعا، و هو بما أمر به

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يتوهم (٣) من م
و مد، و فى الأصل و ظ: فى التهمة (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ:
حقق (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: من (٦) فى م: أنهم (٧) زيد فى
الأصل و ظ: لهم، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م
و مد، و فى الأصل: حال.

قال

قال: ﴿ بغير سلطن ﴾ اى تسليط و دليل ﴿ اتىهم ﴾ أى من عند من له[١] الأمر كله ﴿ كبر ﴾ أى عظم هو، اى الجدال المقدر مضافا قبل " الذين " و بين ما أبهم من هذا العظم بتمييز محول عن الفاعل فقال: ﴿ مقتا عند الله ﴾ أى الملك لأعظم ﴿ و عند الذين 'امنوا ﴾ أى الذين هم خاصته[٢]. ٥

و لما كان فاعل هذا لا يكون إلا مظلم القلب، فكان التقدير: أولئك طبع الله على قلوبهم، وصل به استئنافا قوله: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الطبع العظيم ﴿ يطبع ﴾ أى يختم ختما فيه العطب ﴿ الله ﴾ [أى - [٣]] الذى له جميع العظمة ﴿ على كل قلب ﴾ و لما كان فعل كل ذى روح إنما هو بقلبه، نسب[٤] الفعل إليه فى قراءة أبى عمرو[٥] و ابن ١٠ عامر فى إحدى الروايتين عنه بالتنوين فوصفه بقوله: ﴿ متكبر ﴾ أى متكلف ما ليس له و ليس لأحد غير الله ﴿ جبار ﴾ أى ظاهر الكبر قويه[٦] قهار، و قراءة الباقين بالإضافة مثلها سواء فى [٧]أن السور[٧] داخل القلب ليعم جميع أفراده[٨] / غير أن الوصف بالكبر و الجبروت للشخص / ٥٥٢ لا للقلب، و هى أبين من القراءة الشاذة بتقديم القلب على كل، لأن ١٥

---

(١) وقع فى الأصل بعد « كله »، و الترتيب من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خاصة معه (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل و م: تسبب (٥) راجع نثر المرجان ٦ / ٢٢٩ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قوى (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: السوء - كذا (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المراد.

تقديم كل نص فى استغراق أفراد القلوب ممن اتصف بهذا الوصف، و من المقطوع به أن آحاد القلوب موزعة على آحاد الأشخاص لأنه لا يكون لشخص أكثر من قلب بخلاف ما إذا قدم القلب فانه قد يدعى أن الشخص واحد، و أن السور[1] لأجل جمعه[2] لأنواع الكبر و الجبروت فيكون [المعنى - [3]] : على قلب شخص جامع لكل فرد من أفراد التكبر و التجبر - و الله الموفق .

و لما ذكر الطبع المذكور، دل عليه بما ذكر من قول فرعون و فعله عطفا على ما مضى من قوله و قول المؤمن، فانه قصد ما لا مطمع فى نيله تيها و حماقة تكبرا و تجبرا لكثافة قلبه و فساد لبه، فصار به ضحكة لكل من سمعه، هذا إن كان ظن أنه يصل إلى ما أراد، و إن كان قصد بذلك التلبيس على قومه للمدافعة عن اتباع موسى عليه السلام إلى وقت ما فقد نادى عليهم بالجهل، و الإغراق فى قلة الحزم و الشهامة و العقل، فقال تعالى: ﴿ و قال فرعون ﴾ أى بعد قول المؤمن هذا، معرضا عن جوابه لأنه لم يجد فيه مطعنا: ﴿ يٰهامٰن ﴾ و هو وزيره ﴿ ابن ﴾ و عرفه بشدة اهتمامه به بالإضافة إليه فى قوله: ﴿ لى صرحا ﴾ أى بناء ظاهرا يعلوه لكل أحد، قال البغوى[4] : لا يخفى على الناظر و إن بعد. و أصله من التصريح و هو الإظهار ، و تعليله بالترجى الذى لا يكون إلا فى الممكن دليل على أنه كان يلبس على قومه و هو يعرف الحق،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السود (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حجة (٣) زيد من م و مد (٤) فى المعالم - راجع لباب التأويل ٦ / ٨٠ .

فأن عاقلا لا يعد ما رامه في عداد الممكن العادي فقال: ﴿لعلّي ابلغ الاسباب﴾ أي التي لا أسباب غيرها لعظمها.

و لما كان بلوغها أمرا عجيبا، أورده[1] على نمط مشوق عليه ليعطيه السامع حقه من الاهتمام تفخيما لشأنها، ليتشوف السامع إلى بيانها، بقوله: ﴿اسباب السمٰوٰت﴾ أي الأمور الموصلة إليها، وكل ما أداك ٥ إلى شيء فهو سبب إليه.

و لما ذكر هذا السبب، ذكر المسبب عنه فقال: ﴿فأطلع﴾ أي فلعله يتسبب عن ذلك و يتعقبه أني أتكلف الطلوع ﴿الىٓ اله موسٰى﴾ فيكون كما ترى عطفا على "ابلغ"، و نصبه حفص[2] عن عاصم على الجواب تنبيها على أن ما أبرزه[3] الخبيث في عداد الممكن إنما هو[4] تمني ١٠ محال غير ممكن في العادة.

و لما كان من جملة إرادته بذلك مع إيقاف[5] قومه إلى وقت ما عن المتابعة أن يخيلهم بأن يقول: طلعت فبحثت عما قال موسى فلم أقف له على صحة، قدم لهم قوله مبينا لحاله إذ ذاك لما ظن من ميل قلوبهم إلى تصديق موسى عليه السلام: ﴿و انى لاظنه﴾ أي موسى ﴿كاذبا﴾ ١٥ فترك الكلام على احتمال أن يريد في الرسالة [6]أو في[6] الإلهية. و لما كان

---

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: اورد (٢) راجع نثر المرجان ٦/٢٣٠.
(٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: ابرز (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: هي (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: اتفاق (٦-٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: ادنى.

هذا أمرا عجيبا، و هو كون أحد يظن أنه يخيل للعقول انه يصعد إلى السماء، و أن الإله الذى هو غنى عن كل[1] شيء و قد كان و لا شيء معه يكون فى السماء، أو فى محل من المحال، فان كل حال فى شيء[2] يحتاج إلى محله، و كل محتاج عاجز، و لا يصلح العاجز للالهية لو لم يجئ
٥ عن الله لما كان أهلا لأن يصدق، فكان التقدير: عمله فرعون لأنا زيناه
/٥٥٣ له. عطف عليه قوله زيادة فى التعجيب: ﴿ و كذلك ﴾ / أى و مثل ذلك التزيين العظيم الشأن اللاعب[3] بالألباب. و لما كان الضار هو التزيين لا المزين الخاص، بناه للفعول فقال: ﴿ زين ﴾ أى زين المزين النافذ الأمر. و هو لله تعالى حقيقة بخلقه و إلزامه لأن كل ما دخل
١٠ فى الوجود من المحدثات فهو خلقه، و الشيطان مجازا بالتسبب بالوسوسة التى هى خلق الله تعالى ﴿ لفرعون سوء عمله ﴾ فى جميع أمره، فاقبل عليه راغبا[4] فيه مع بعده عن عقل أقل ذوى[5] العقول فضلا عن ذوى الهمم منهم فضلا عن الملوك، و أطاعه فيه وقومه[6] ﴿ و صد ﴾ بنفسه و منع غيره على قراءة الفتح[7]، و منعه الله - على قراءة الكوفيين و يعقوب
١٥ بالضم ﴿ عن السبيل ﴾ أى التى لا سبيل فى الحقيقة غيرها، و هى الموصلة

(١) زيد فى الأصل: احد و عن كل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: محل (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اللاعبة (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: واغبا (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ذى (٦) زيد فى الأصل: و ذويه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) راجع نثر المرجان ٦ /٢٣٢.

إلى

إلى الله تعالى .

و لما كان هذا السياق بحيث يظن [منه - [1]] الظان أن لفرعون نوع تصرف، نفى ذلك بقوله : ﴿و ما كيد﴾ و أعاد الاسم و لم يضمره لئلا يخص بحيثية من الحيثيات فقال : ﴿فرعون﴾ اى فى إبطال أمر موسى عليه السلام ﴿الا فى تباب ع﴾ أى خسار و هلاك عظيم محيط به لا يقدر ٥ على الخروج منه، و ما تعاطاه إلا لأنه محمول عليه و مقهور فيه، كما كشف عنه الحال، فدل ذلك قطعا على أنه لو كان له أدنى تصرف يستقل به لما أنتج فعله الخسار .

و لما كان فساد ما قاله فرعون أظهر من أن يحتاج إلى بيان، اعرض المؤمن عنه تصريحا، و لوّح إلى ما حكاه الله عنه من أنه محيط ١٠ به الهلاك تلويحا فى قوله مناديا قومه و مستعطفا لهم ثلاث مرات : الأولى على سبيل الإجمال فى الدعوة، و الأخريان على سبيل التفصيل، فقال تعالى عنه : ﴿و قال الذى اٰمن﴾ [اى - [1]] مشيرا إلى [2] وهى قول[2] فرعون بالإعراض عنه، و عبر بالفعل إشارة إلى [3] انه ينبغى لأدنى أهل الإيمان ان [لا - [4]] يحقر نفسه عن [5] الوعظ : ﴿ يٰقوم ﴾ أى يا من ١٥ لا قيام لى إلا بهم فأنا غير متهم فى نصيحتهم ﴿ اتبعونِ ﴾ أى كلفوا أنفسكم اتباعى لأن السعادة [6] غالبا تكون فيما يكره الإنسان ﴿اهدكم سبيل﴾

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : قول وهى . (٣) من ظ و مد، وفى الأصل و م : على (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : على (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : المساعدة .

أى طريق ﴿ الرشاد ج ﴾ أى الهدى لأنه مع سهولته و اتساعه موصل و لابد إلى المقصود، و أما ما قال فرعون مدعيا أنه سبيل الرشاد لايوصل إلا إلى الخسار، فهو تعريض به شبيه بالتصريح.

و لما كان هذا دعاء على سبيل الإجمال، و كان الداء كله فى الإقبال

٥ على الفانى، و الدواء كله فى الإقدام على الباقى. قال استئنافا فى جواب من سأل عن تفصيل هذه السبيل مبينا أنها العدول عما يفنى إلى ما يبقى محقرا للدنيا مصغرا لشأنها لأن الإخلاد إليها أصل الشر كلـــه، و منه يتشعب ما يؤدى إلى سخط الله ﴿ يٰقوم ﴾ كرر ذلك زيادة فى استعطافهم بكونهم [1]أهله فهو غير متهم[1] فى نصحهم لأنه لايريد لهم إلا ما يريد

١٠ لنفسه. و لما كانت الأنفس لكونها مطبوعة على الوهم لاتعد الحاصل إلا الحاضر أكد فقال: ﴿ إنما هذه الحيوٰة ﴾ و حقرها بقوله: ﴿ الدنيا ﴾ إشارة إلى دناءتها و بقوله: ﴿ متاع ز ﴾ إشارة إلى أنها جيفة لأنها فى اللغة[2] من جملة مدلولات المتاع. فلا يتناول / منها إلا كما يتناول المضطر[3] من الجيفة لأنها دار [4]قلعة[4] و الزوال و التزود و الارتحال.

٥٥٤ /

١٥ و لما افتتح بذم الدنيا، ثنى بمدح الآخرة فقال: ﴿ و ان الأخرة ﴾ لكونها المقصودة بالذات ﴿ هى دار القرار ﴾ التى لا تحول منها[5] أصلا

(١ - ١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: توهمهم (٢) زيد فى الأصل و م: من جهة، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المفطر (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الغفلة (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيها.

دائم كل شيء[1] من ثوابها و عقابها . فهي للتلذذ و الانتفاع ، و الترفه و الاتساع ، لمن توسل إلى ذلك بحسن الاتباع ، أو للشقاوة و الهلاك ، لمن اجترأ على المحارم و استخف الانتهاك . قال الأصفهاني : قال بعض العارفين : لو كانت الدنيا ذهبا [فانيا -[2]] و الآخرة خزفا باقيا ، لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف و الدنيا خزف فان ، و الآخرة ذهب باق بل أشرف و أحسن . و كما أن النعيم فيها دائم فكذلك العذاب ، فكان الترغيب في نعيم الجنان ، و الترهيب من عذاب النيران ، من أعظم وجوه[3] الترغيب و الترهيب ، فالآية من الاحتباك : ذكر المتاع أولا دليلا على حذف التوسع ثانيا ، و القرار ثانيا دليلا على حذف الارتحال اولا .

١٠ و لما حرك الهمم بهذا الوعظ إلى الإعراض عن دار الأنكاد و الأمراض ، و الإقبال على دار [4]الجلال و الجمال[4] بخدمة ذي العز و الكمال ، قال في جواب من سأل عن كيفية ذلك ما حاصله أنه بالإقبال على محاسن الأعمال ، و ترك السيئ من الخلال ، واصلا بذلك على[5] طريق البيان للبيان ، ذاكرا عاقبة كل ليثبط عما يتلف ، و ينشط لما[6] يزلف ، مشيرا إلى أن جانب الرحمة أغلب ، [مقدما لما هم عليه من السوء محذرا منه ليرجعوا -[7]] : ١٥ ﴿من عمل سيئة﴾ أي ما يسوء من أي صنف كان : الذكور و الإناث

(١) سقط من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : وجوب (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الجمال و الجلال (٥) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الى (٦) من م و مد ، و في الأصل و ظ : إلى ما (٧) زيد من م و مد .

و المؤمنين و الكافرين ﴿ فلا يجزىٰ ﴾ أى من الملك الذى لا ملك سواه ﴿ الا مثلها ج ﴾ عدلا لا يزاد عليها مقدار ذرة و لا أصغر منها و يدخل النار إن لم يكن له ما يكفرها، فهذا هو الملك الذى ينبغى الإقبال على خدمته لكونه الحكم العدل القادر على الجزاء و المساواة فى الجزاء، فالكافر ٥ لما كان على عزم إدامة[1] الكفر كان عذابه دائما، و الفاسق [لما كان -[2]] على نية التوبة لاعتقاده أنه [فى -[3]] معصية و شر كان[4] عذابه منقطعا، و الآية على عمومها، و ما خرج [منها -[3]] بدليل كان مخصوصا فيخرج عليها جميع باب الجنايات و غيره، و من قال: إنها فى شىء معين، لزمه أن تكون مجملة، لأن ذاك[5] المعين غير مذكور، و التخصيص أولى من ١٠ الإجمال - كما قال أهل الأصول.

و لما بين العدل فى العقاب، بين الفضل فى الثواب، تنبيها على أن الرحمة سبقت الغضب فقال: ﴿ و من عمل صالحا ﴾ أى و لو قل. و لما كان من يعهدون من الملوك إنما يستعملون الأقوياء لاحتياجهم، بين أنه على غير ذلك لأنه لا حاجة به أصلا فقال: ﴿ من ذكر او انثىٰ ﴾ و لما ١٥ كان العمل لا يصح بدون الإيمان[6] قال مبينا شرطه: ﴿ و هو ﴾ أى عمل و الحال أنه ﴿ مؤمن ﴾ و لما كان فى مقام الترغيب فى عدله و جوده و فضله، جعل الجزاء مسببا[7] عن الأعمال فقال: ﴿ فاولٰئك ﴾

(١) من م و مد . و فى الأصل و ظ : ارادة (٢) زيد من ظ و م و مد . (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كانه (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذلك (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ايمان . (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سببا .

أى

اى العالو الهمة و المقدار ﴿ يدخلون الجنة ﴾ [أى - [1]] بأمر من له الأمر كله بعد أن ضاعف[2] لهم أعمالهم فضلا ، و الآية من الاحتباك : ذكر المساواة أولا عدلا يدل على المضاعفة ثانيا فضلا . و ذكر إدخال الجنة ثانيا يدل على إدخال النار أولا ، و سره / أنه ذكر فضله فى كل من ٥٥٥ /
الشقين ﴿ يرزقون فيها ﴾ أى من [3] غير احتياج [3] [4] إلى تحول أصلا و لا إلى [4] [5] أسباب . و لعل ذلك من أسرار البناء للفعول ﴿ بغير حساب ه ﴾ لخروج ما فيها بكثرته عن الحصر ، فان أدنى أهلها منزلة لو أضاف كل اهل الأرض لكفاهم من غير ان ينقص من ملكه شيء ، و هذا من باب الفضل ، و فضل الله لاحد له ، و رحمته غلبت غضبه ، و أما جزاء السيئة فمن باب العدل ، فلذلك وقع الحساب فيها لئلا يقع الظلم . قال الأصبهانى : ١٠
فاذا عارضنا[5] عمومات الوعيد بعمومات الوعد نرجح الوعد لسبق الرحمة الغضب ، فانهدمت قواعد المعتزلة .

و لما بلغ النهاية فى نصحهم ، و ختم باعلامهم بأن الناس قسمان : هالك و ناج ، و كان حاصل إرادتهم لأن يكون على ما هم عليه[6] الهلاك بالنار ، قال مبكتا لهم بسوء مكافأتهم مناديا[7] لهم مكررا للنداء لزيادة التنبيه ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى م و مد : تضاعف (٣ - ٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : احتاج (٤ - ٤) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط . (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عرضنا (٦) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منديا .

و الإيقاظ من الغفلة . و التذكير بأنهم قومه و اعضاده ، و عاطفا على نداته السابق لأنه غير مفصل[1] له و لا داخل فى حكمه : ﴿ و يٰقوم ما ﴾ أى أىّ شيء من الحظوظ و المصالح ﴿ لىٓ ﴾ فى أنى ﴿ ادعوكم الى النجوٰة ﴾ و الجنة بالإيمان شفقة[2] عليكم و رحمة لكم و اعترافا بحقكم ﴿ و ﴾ ما لكم من[3] ٥ ذلك فى[4] كونكم ﴿ تدعوننىٓ الى النارِ ﴾ و الهلاك بالكفران ، فالآية من الاحتباك : ذكر النجاة الملازمة للايمان أولا دليلا على حذف الهلاك الملازم للكفران ثانيا ، و النار ثانيا دليلا على حذف الجنة أولا ، و مراده هزهم[5] و إثارة عزائمهم إلى الحياء منه بتذكيرهم أن ما يفعلونه معه ليس من شيم أهل المروءة يجازونه على[6] إحسانه إليهم بالإساءة .

١٠ و لما أخبر بقلة إنصافهم إجمالا ، بينه بقوله : ﴿ تدعوننى ﴾ أى توقعون دعائى إلى معبوداتكم ﴿ لاكفر ﴾ أى لأجل أن أكفر ﴿ بالله ﴾ أى أستر ما يجب إظهاره بسبب الذى أناله لأن له كل شيء و له مجامع القهر و العز و العظمة و الكبر ﴿ و اشرك ﴾ أى أوقع الشرك ﴿ به ﴾ أى أجعل له شريكا . و لما كان كل ما عداه سبحانه ليس له من ذاته ١٥ إلا العدم ، اشار إلى حقارته[7] بالتعبير بأداة ما لايعقل فقال :

(١) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : منفصل (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مشفقة (٣) من م و مد . و فى الأصل و ظ : فى (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هزمهم . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حقارة .

﴿ ما ليس لى به علم ﴾ أى نوع من العلم بصلاحيته لشىء من الشركة، فهو دعاء إلى الكذب فى شىء لايحل الإقدام عليه إلا بالدليل القطعى الذى لايحتمل نوعا من الشرك، و إذا لم يكن به علم لم يكن له عزة[1] و لامغفرة، فلم يكن له وجود لأن الملك لازم الإلهية و هو أشهر الأشياء، فما أدعى له أشهر الأشياء. فكان بحيث لايعرف بوجه من الوجوه، ٥ كان عدما محضا.

و لما بين أنهم دعوه إلى ما هو عدم فضلا عن أن يكون له نفع أو ضر فى جملة فعلية إشارة إلى بطلان دعوتهم و عدم ثبوتها، بين لهم أنه ما دعاهم إلا إلى ما له الكمال كله، و لا نفع و لاضر إلا بيده، فقال مشيرا بالجملة الاسمية إلى ثبوت دعوته و قوتها: ﴿ و انآ ادعوكم ﴾ أى ١٠ أوقع دعاءكم الآن و قبله و بعده ﴿ الى العزيز ﴾ أى البالغ العزة الذى يغلب كل شىء و لا يغلبه شىء. و لما وصفه بهذا الوصف ترهيبا، صح قطعا وصفه ترغيبا بقوله: ﴿ الغفار ه ﴾ أى الذى يتكرر له دائما محو الذنب عينا و أثرا و لايقدر على ذلك / غير من هو بصفة العزة، و من / ٥٥٦ صح وصفه بهذين الوصفين فهو الذى لايجهل ما[2] عليه من صفات الكمال ١٥ أحد، فالآية من الاحتباك: ذكر أولا عدم العلم دليلا على العلم ثانيا، و ثانيا العزة و المغفرة دليلا على حذفهما أولا.

و لما كان انتفاء العلم بالشىء من أهل العلم انتفاء ذلك الشىء فى

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: غيره (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من.

أصول الدين، كان ما دعوه إليه [باطلا، و كان ما دعاهم إليه - [1]] هو الحق، فلذلك أنتج قطعا قوله: ﴿ لا جرم ﴾ و هي و إن كانت بمعنى: لا ظن و لا اضطراب أصلا - كما مضى في سورة هود عليه السلام فيها معنى العلة، [أي - [1]] فلأجل ذلك لاشك في ﴿ انما ﴾ أي
٥ الذي ﴿ تدعونني اليه ﴾ من هذه الأنداد ﴿ ليس له دعوة ﴾ بوجه من الوجوه، فانه لا إدراك له، هذا إن أريد ما [لا - [2]] يعقل، و إن أريد شيء مما يعقل فلا دعوة له مقبولة بوجه، فانه لايقوم عليها دليل [بل - [1]] و لاشبهة موهمة ﴿ في الدنيا ﴾ التي هي محل [3] الأسباب، الظاهرة لأن شيئا منه ليس له واحد من الوصفين ﴿ و لا في الآخرة ﴾
١٠ لأن ما لاتعلم إلهيته [4] كذلك يكون ﴿ و ان ﴾ أي و لا اضطراب في أن ﴿ مردنا ﴾ أي ردنا العظيم بالموت و موضع ردنا و وقته منتهٍ ﴿ الى الله ﴾ أي الذي له الإحاطة بصفات الكمال [5] لما اقتضته [5] عزته، فيجازي كل أحد بما يستحقه ﴿ و ان ﴾ اي و لا شك في [أن - [1]] ﴿ المسرفين ﴾ أي المجاوزين للحدود العريقين في هذا الوصف ﴿ هم ﴾
١٥ أي خاصة لأجل حكم الله بذلك عليهم ﴿ اصحٰب النار ﴾ أي الذين [6] يخلدون فيها لايفارقونها كما يقتضيه معنى الصحبة [7] لأن إسرافهم [8] اقتضى

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ : تحول (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ : الميتة . (٥-٥) من م و مد، و في الأصل و ظ : كما اقتضاه (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل : التي (٧) من م و مد، و في الأصل و م : الصحة (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل : استرافهم .

إسراف ملازمتهم للنار التي 'طبعها الإسراف'، و قد علم أن ربها لايجزي بالسيئة إلا مثلها .

و لما تقرر[2] أنه [لا أمر لغير الله و أنه - [3]] لابد من المعاد، تسبب [عنه - [3]] قوله : ﴿ فستذكرون ﴾ أي قطعا بوعد لاخلف فيه مع القرب ﴿ مآ اقول لكم[4] ﴾ حين لاينفعكم الذكر في يوم الجمع الأعظم ٥ و الزحام الذي [يكون - [3]] فيه القدم على القدم إذا رأيتم الأهوال و النكال و الزلزال إن قبلتم نصحي و إن لم تقبلوه . و لما ذكر خوفهم الذي لايحميهم منه شيء، ذكر خوفه الذي هو معتمد فيه على الله ليحميه منه فقال عاطفا على « ستذكرون[4] » غير مراعي[5] فيها معنى السين : ﴿ و افوض ﴾ [أي - [6]] أنا الآن بسبب أنه لادعوة لغير الله ﴿ امريّ ﴾ ١٠ فيما تمكرونه[7] بي ﴿ الى الله ﴾ أي[8] الذي أحاط بكل شيء علما و قدرة فهو يحميني منكم : إن شاء، قال صاحب المنازل : التفويض ألطف إشارة و أوسع من التوكل بعد وقوع السبب، و التفويض قبل وقوعه و بعده، و هو عين الاستسلام، و التوكل شعبة منه . و هو على ثلاث درجات : الأولى أن تعلم أن العبد لايملك قبل علمه استطاعة، فلا يأمن من مكر، ١٥ و لاييأس من معونة، و لا يعول على نية، و الثانية معاينة الاضطرار

(١ - ١) من ظ و م و مد، و في الأصل : طبعا الإسراق (٢) من ظ و م ومد، و في الأصل : تكرر (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ : تذكرون (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل : مراعيا . (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من م و مد، و في الأصل و ظ : تذكرونه . (٨) سقط من م و مد .

فلا ترى عملا منجيا و لا ذنبا[1] مهلكا و لا سببا حاملا ، و الثالثة شهود انفراد الحق بملك الحركة و السكون و القبض و البسط و التفريق و الجمع .

و لما علق تفويضه بالاسم العلم الجامع المقتضي للاحاطة ، علل ذلك بيانا لمراده بقوله مؤكدا لأن عملهم في مكرهم به عمل من يظن أنه سبحانه[2] لا يبصرهم [و لا ينصره -[3]] : ﴿ ان الله ﴾ [و -[4]] كرر الاسم الأعظم بيانا لمراده بأنه[5] ﴿ بصير ﴾ أي بالغ البصر ﴿ بالعباد ﴾ ظاهرا و باطنا ، فيعلم من يستحق النصرة فينصره لاتصافه بأوصاف الكمال و يعلم من يمكر فيرد مكره عليه بما له من الإحاطة .

و لما تسبب عن نصحه هذا لهم و التجائه إلى ملك الملوك[6] حفظه منهم على عظم الخطر ، قال تعالى مخبرا أنه صدق ظنه ﴿ فوقٰه الله ﴾ أي جعل له وقاية تجنه[7] منهم بما له سبحانه من الجلال و العظمة و الكمال جزاء على تفويضه ﴿ سيٰات ﴾ أي شدائد ﴿ ما مكروا ﴾ دينا و دنيا ، فنجاه مع موسى عليه السلام تصديقا لوعده سبحانه بقوله " انتما و من اتبعكما الغالبون " و [لما -[8]] كان المكر السيء لا يحيق إلا بأهله قال : ﴿ و حاق ﴾ أي نزل محيطا[9] بعد إحاطة الإغراق ﴿ بآل فرعون ﴾ أي كلهم فرعون و أتباعه لأجل إصرارهم على الكفر و مكرهم ، فالإحاطة[10]

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : رتبا (٢) سقط من م (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من مد (٥) ليس في ظ و م و مد (٦) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الموت (٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : تجنبه (٨) زيد من م و مد (٩) زيد في الأصل : باحاطة ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (١٠) من م ، و في الأصل و ظ و مد : و الإحاطة .

بفرعون من باب الأولى و إن لم نقل : [1]إن الآل[1] مشترك بين الشخص و الأتباع، لأن العادة جرت أنه[2] لا يوصل إلى جميع أتباع الإنسان إلا بعد إذلاله و أخذه فهو [3]مفهوم موافقة[3] ﴿ سوٓء العذاب ج ﴾ أى العقوبة المانعة من كل مستعذب، ثم بين ذلك بقوله : ﴿ النار ﴾ أى حال كونهم ﴿ يعرضون عليها ﴾ أى فى البرزخ ﴿ غدوا و عشيا ج ﴾ ٥ أى غادين و رائحين فى وقت استرواحهم بالأكل و استلذاذهم به - هذا دأبهم طول أيام البرزخ، و كان عليهم فى هذا العرض زيادة نكد فوق ما ورد [4]عاما مما[4] روى مالك[5] و الشيخان[6] و غيرهم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة و العشى . إن كان من أهل الجنة فمن ١٠ اهل الجنة، و إن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة . و لعل زيادة النكد أنهم هم المعروضون، فيذهب بهم فى الأغلال[7] يساقون لينظروا ما أعد الله[8] لهم، و عامة الناس يقتصر فى ذلك على أن يكشف لهم - و هم فى محالهم - عن مقاعدهم،

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الاصل : لأن الأول (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لأنه (٣ - ٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : موافق . (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عاما - كذا (٥) راجع الموطأ أبواب الجنائز (٦) راجع صحيح البخارى أبواب الجنائز و صحيح مسلم أبواب الجنة (٧) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) ليس فى م و مد .

فى ذلك زيادة إهانة لهم. و هو مثل: عرض[1] الأمير فلانا على السيف إذا أراد قتله، هذا دأبهم إلى أن تقوم الساعة ﴿و يوم تقوم الساعة قف﴾ يقال لهم: ﴿ ادخلوآ ال ﴾ أى يا آل ﴿ فرعون ﴾ هو نفسه و أتباعه لأجل اتباعهم له فيما أضلهم بــه، و جعله نافع[2] و حمزة و الكسائى و يعقوب و حفص فعل أمر من الإدخال، فالتقدير: نقول لبعض جنودنا: أدخلوا آله لأجل ضلالهم به اليوم[3] ﴿ اشد العذاب ٥﴾ و إذا كان هذا [لآله -[4]] لأجله كان له أعظم منه من باب الأولى، و هذه الآية[5] نص فى عذاب القبر كما نقل عن عكرمة و محمد بن كعب[6].

و لما كان هذا من خبر موسى عليه السلام و فرعون امرا غريبا جدا، قل من يعرفه على ما هو عليه، لأنه من خفى العلم، أشار [سبحانه -[7]] إلى ذلك بقوله: ﴿ و اذ ﴾ أى اذكر لهم هذا الذى أنبأناك به مما[8] كان فى الزمن الأقدم، و لا وصول له إليك إلا من جهتنا، لأنهم يعلمون قطعا أنك ما جالست عالما قط. و اذكر لهم ما يكون فى الزمن الآتى حين ﴿ يتحآجون ﴾ أى هؤلاء الذين نعذبهم ﴿فى النار﴾ أى يتخاصمون فيها أتباعهم و رؤساؤهم / بما لا يغنيهم: ﴿ فيقول الضعفٰٓؤا ﴾ أى الأتباع

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عوض (٢) راجع نثر المرجان ٦/٢٤٠.
(٣) سقط من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الآيات (٦) ذكره أبو حيان فى البحر المحيط ٧/٤٦٨ و أضاف إليهما مجاهدا و مقاتلا (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فما.

للذين

﴿ للذين استكبروآ ﴾ اى طلبوا أن يكونوا كبراء . و لما كانوا لشدة ما هم فيه يتبرأ كل منهم من صاحبه. أكدوا قولهم: ﴿ انا كنا لكم ﴾ أى دون غيركم ﴿ تبعا ﴾ أى أتباعا، فتكبرتم على الناس بنا، وهو عند البصريين يكون واحدا [كجمل - ١] و يكون جمعا كخدم جمع خادم، ولعله عبر به إشارة إلى أنهم [كانوا - ١] فى عظيم الطواعية ٥ لهم على قلب رجل واحد . و لما كان الكبير يحمى تابعه، سببوا عن ذلك سؤالهم فقالوا: ﴿فهل انتم﴾ أى أيها الكبراء ﴿ مغنون ﴾ أى كافون و مجزون و حاملون ﴿ عنا نصيبا من النار ﴾ .

و لما أتى بكلام الضعفاء مضارعا على الأصل، و إشارة مع تصوير الحال لأنه أقطع إلى طول خصامهم لأنه[٢] أشد فى إيلامهم، فتشوف ١٠ السامع إلى جوابهم، استأنف الخبر عنه بصيغة الماضى تأكيدا[٣] لتحقيق وقوعه ردا[٤] لما قد يتوهمه الضعيف من [أن - ١] المستكبر له قوة المدافعة و إباء الأنفة[٥] فقال: ﴿ قال الذين استكبروآ ﴾ [أى - ١] من شدة ما هم فيه . و لما كان الأتباع قد ظنوا أن المتبوعين يغنون عنهم، أكدوا إخبارهم لهم بما ينافى ذلك فقالوا: ﴿ انا كل ﴾ أى كلنا كائنون ١٥ ﴿فيهآ[٦] لا﴾ أى[٧] النار، كل يناله من العذاب بقدر ما يستحقه [سواء] إن

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تاكيد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رد. (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الانفعه - كذا (٦) تكرر فى الأصل بعد « انا كل » (٧) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

جادلتمونا أو تركتم جدالنا و لا يظلم ربك أحدا، فلو قدرنا على شيء لأغنينا عن أنفسنا، و لو سألنا أن نزاد[1] أو نقص لما أجبنا، فان هذه دار العدل[2] فاتركونا و ما نحن فيه.

و لما كان حكم الله تعالى مانعا مما كان يفعل فى الدنيا من فك
٥ المجرم و إيثاق غيره به، و كان سؤالهم فى[3] الإغناء سؤال من يجوز أن يكون حكمه على ما عليه الأحكام من حكام أهل الدنيا، عللوا جوابهم مؤكـــدين فقالوا: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بأوصاف الكمال ﴿ قد حكم بين العباد ﴾ أى بالعدل، فأدخل أهل الجنة دارهم. و أهل النار نارهم. فلا يغنى أحد عن أحد شيئا.

١٠ و لما دل ذلك على أنه لا يغنى أحد عن أحد شيئا، أخبر أنهم لما رأوا بعدهم من الله و أنهم ليسوا بأهل لدعائـــه[4] سبحانه، علقوا آمالهم بتوسط الملائكة، فأخبر عن ذلك منهم بقوله: ﴿ و قال الذين فى النار ﴾ أى جميعا الأتباع و المتبوعون ﴿ لخزنة ﴾ و وضع موضع الضمير قوله: ﴿ جهنم ﴾ للدلالة على أن سؤالهم لأهل الطبقة التى من
١٥ شأنها و شأن خزنتها بجهم داخليها ليدل على أنهم اسوء[5] ما هم فيه لا يعقلون، فهم [لا -[6]] يضعون شيئا فى محله كما كانوا فى الدنيا:

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نزال (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العذاب (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عن (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بدعايه (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ليسوء.
(٦) زيد من م و مد.

﴿ ادعوا ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بأنكم لاتجدون ألما من النار ﴿ يخفف عنا يوما ﴾ أى فى مقداره[1] ﴿ من العذاب ٥ ﴾ أى بعضه .

و لما سألوهم، استأنفوا جوابهم إشارة إلى ما حصل من تشوف السامع إليه ، معرفين لهم بسياقه بالسبب الجاعل لهم فى محل الإطراح و السفول عن التأهل لأن يسمع لهم كلام ، فقال تعالى مخبرا عنهم : ٥ ﴿ قالوآ ﴾ أى الخزنة . و لما كان التقدير : ألم تكن لكم عقول تهديكم إلى الاعتقاد[2] الحق ، عطف عليه قوله إلزاما لهم الحجة[3] و توبيخا و تنديما بتفويت أوقات الدعاء المجاب : ﴿ او لم ﴾ و لما كان المقام خطرا ، و المرام وعرا عسرا ، فكانوا محتاجين إلى الإيجاز ، قالوا [مشيرين بذكر فعل الكون مع اقتضاء الحال للايجاز إلى عراقة الرسل عليهم السلام فى النصح المنجى ١٠ من المخاوف بالمعجزات و الرفق و التلطف و طول الأناة و الحلم و الصبر مع شرف النسب و طهارة الشيم و حسن الأخلاق و بداعة الهيئات و المناظر و لطافة العشرة و جلالة المناصب -[4]] : ﴿ تك ﴾ باسقاط النون مع التصوير للحال بالمضارع ﴿ تاتيكم ﴾ على سبيل التجدد شيئا فى إثر شيء ﴿ رسلكم ﴾ اى الذين هم منكم فأنتم جديرون بالإصغاء إليهم و الإقبال ١٥ عليهم ، لأن الجنس إلى الجنس أميل ، و الإنسان من مثله أقبل ﴿ بالبينٰت[4] ﴾ اى التى لا شيء أوضح منها ﴿ قالوا ﴾ أى الكفار : ﴿ بلى[4] ﴾ [أى -[4]] أتونا كذلك ، ثم استأنفوا جوابهم لما حصل من التشوف إليه بما حاصله

/ ٥٥٩

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مقدار (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعتقاد (٣) فى مد : بالحجة (٤) زيد ما بين الحاجزين من م و مد .

عدم أجابتهم فسببوا عن إخبارهم بعدم إجابتهم للرسل عدم إجابة دعائهم فقال تعالى مخبرا عنهم: ﴿ قالوا ﴾ أى الخزنة : ﴿ فادعوا ج ﴾ اى انتم الآن الله أو أهل الله من رسل البشر او الملائكة او غيرهم، او لا تدعوا فانه لا يسمع لكم .

٥ و لما كان امرهم بالدعاء موجبا لأن يظنوا نفعه، أتبعوه بما ايأسهم لأن ذلك أنكأ و أوجع و أشد عليهم و أفظع بقولهم : ﴿ و ما ﴾ دعاؤكم - هكذا كان الأصل، و لكنه أتى بالوصف تعليقا للحكم به فقال : ﴿ دعؤا الكفرين ﴾ أى الساترين لمرائى عقولهم عن أنوار العقل المؤيد بصحيح النقل ﴿ الا فى ضلل ع ﴾ أى ذهاب فى غير طريق موصل كما ١٠ كانوا هم فى الدنيا كذلك فان الدنيا مزرعة الآخرة، من زرع شيئا فى الدنيا حصده فى الآخرة، و الآخرة ثمرة الدنيا لا تثمر إلا من جنس ما غرس فى الدنيا .

و لما كان حاصل ما مضى من هذا القص[1] الذى هو احلى من الشراب، و اغلى من الجوهر المنظم فى أعناق الكواعب الأتراب، ١٥ أنه سبحانه نصر الرسل على أممهم حين هموا باخذهم، فلم يصلوا إليهم ثم أهلكهم الله هذا فى الدنيا، و أما فى الآخرة فعذبهم أشد العذاب، [2]و كذلك[2] نصر موسى عليه السلام و المؤمن الذى دافع عنه، و كان نصر

(١) زيد فى الأصل و م : هذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) من م و مد، و فى الاصل و ظ : النص (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م : فكذلك .

أهل

اهل الله قاطبة خفيا . لأنهم يبتلون ثم يكون لهم العاقبة . فكان اكثر الجامدين و هم اكثر الناس يظن انه[1] لا نصرة لهم . قال الله تعالى لافتا القول إلى مظهر العظمة . لأن النصرة عنها تكون على سبيل الاستنتاج مما[2] مضى مؤكدا تنبيها للأغبياء على ما يخفى عليهم : ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ لننصر رسلنا ﴾ اى على من ناواهم ﴿ و الذين آمنوا ﴾ ٥ أى اتسموا[3] بهذا الوصف و إن كانوا فى أدنى رتبة .

و لما كانت الحياة تروق و تحلو بالنصرة و تتكدر بضدها ، ذكرها لذلك[4] و لئلا يتوهم لو سقطت أن نصرتهم تكون رتبتها دنية فقال : ﴿ فى الحيوٰة الدنيا ﴾ بالزامهم طريق الهدى الكفيلة بكل فوز و بالحجة و الغلبة ، و إن غلبوا فى بعض الأحيان فان العاقبة تكون لهم ، و لو ١٠ بأن يقيض سبحانه لأعدائهم من يقتص منهم و لو بعد حين ، و أقل ذلك أن لا يتمكن أعداؤهم من كل °ما يريدون° منهم ﴿ و يوم يقوم الاشهاد ﴾ أى فى الدار الآخرة من الملائكة و النبيين و سائر المقربين ، جمع شهيد كشريف و أشراف ، إشارة إلى [أن -[6]] شهادتهم بليغة فى بابها ، لما لهم من الحضور التام ، و إلى ذلك يشير تذكير الفعل و التعبير بجمع ١٥ القلة ، و لكن الجياد قليل مع أنهم بالنسبة إلى أهل الموقف كالشعرة

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : انه (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عما (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اقسموا (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كذلك (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يديد و كذا (٦) زيد من م و مد .

البيضاء فى جلد الثور الأسود ، و إنما عبر بذلك إشارة إلى تجلى الحكم العدل[1] بصفات الجبروت للقسط ، فيرفع اولياءه بكل اعتبار ، / و يهين أعداءهم كل إهانة .

/ ٥٦٠

و لما وصف اليوم الآخر بما لايفهمه كثير من الناس ، اتبعه ما اوضحه على وجـــه بين نصره لهم[2] غاية البيان . فقال مبدلا مما قبله : ﴿ يوم لاينفع الظلمين ﴾ الذين كانوا عريقين فى وضع الأشياء فى غير مواضعها ﴿ معذرتهم ﴾ أى اعتذارهم و زمانه و مكانه ـ بما أشار إليه كون المصدر ميميا و لو جل ـ بما اشار[3] إليه قراءة التذكير للفعل[4]. فعلم بذلك أنهم لايجدون دفاعا بغير الاعتذار ، و أنـــه غير نافعهم لأنهم لايعتذرون إلا بالكذب " و الله ربنا ما كنا مشركين " او بالقدر[5] "ربنا غلبت علينا شقوتنا " ﴿ و لهم ﴾ أى خاصة ﴿ اللعنة ﴾ أى البعد عن كل خير ، مع الإهانة بكل ضير ﴿ و لهم ﴾ أى[6] خاصة ﴿ سوٓء الدار ﴾ و هى النار الحاوية لكل سوء ـ هذا مع ما يتقدمها من المواقف الصعبة ، و إذا كان هذا لهم فما ظنك بما هو عليهم ، و قد علم [7]من هذا[7] أن لأعدائهم ـ و هم الرسل و اتباعهم ـ الكرامة و الرحمة و لهم قبول الاعتذار و حسن الدار . فظهرت بذلك أعلام النصرة ، و صح ما أخبر به من تمام القدرة .

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالعدل (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : له (٣) فى م : اشارت (٤) راجع نثر المرجان ٦/٢٤٦ (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالمقدور (٦) ليس فى الأصل و ظ و م (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بهذا .

و لما كان التقدير: فلقد نصرنا موسى رسولنا مع إبراق فرعون و إرعاده، عطف عليه قوله دالا على الكرامة و الرحمة، مؤكدا لإزالة ما استقر فى النفوس من أن ملوك الدنيا لايغلبهم الضعفاء: ﴿و لقد اٰتينا﴾ أى بما لنا من العزة ﴿موسى الهدىٰ﴾ أى فى الدين اللازم منه أن يكون له العاقبة و إن تناهت ضخامة من يعانده، لأنه ضال عن الهدى، و الضال ه هالك و إن طال المدى، و ذلك بما آتيناه من النبوة و الكتاب.

و لما كانت النبوة خاصة و الكتاب عاما[1] قال: ﴿و اورثنا﴾ أى بعظمتنا ﴿بنىٓ اسرآءيل﴾ بعد ما كانوا فيه من الذل ﴿الكتٰبۙ﴾ أى [الذى -[2]] أنزلنا عليه و آتيناه الهدى به - و هو التوراة - إيتاء هو كالإرث[3] لاينازعهم فيه أحد، و لا أهل له فى ذلك الزمان غيرهم، حال ١٠ كونه[4] ﴿هدى﴾ أى بيانا عاما لكل من تبعه ﴿و ذكرٰى﴾ أى عظة عظيمة ﴿لاولى الالباب ه﴾ [أى -[2]] القلوب الصافية و العقول الوافية الشافية، فذكر إيتاء موسى الثمرة و ذكر إيراثهم السبب إشارة إلى أن منهم من جنى ثمرته فاهتدى، و منهم من ضل، و ذلك تحذير الاتباع، و تشريف للأنبياء بما نالوه من مراتب الارتفاع. ١٥

و لما كان التقدير بعد أن تقدم الوعـــد المؤكد بنصرة الرسل و أتباعهم: و لقد آتيناك الهدى و الكتاب كما آتينا موسى، و لننصرنك مثل

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عام (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الارث (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كونهم على.

ما نصرناه ، إن زاد إبراق قومك و إرعادهم ، فانهم لايعشرون فرعون فيما كان فيه من الجبروت و القهر و العز و السلطان والمكر و لم ينفعه شيء منه ، سبب عنه قوله: ﴿فاصبر﴾ [أى - [1]] على أذاهم فانا نوقع الأشياء فى أتم محالها على ما بنينا عليه أحوال هذه الدار من إجراء

٥ المسببات على أسبابها ، ثم علل ذلك بقوله صارفا القول عن[2] مظهر العظمة الذى هو مدار النصرة إلى اسم الذات الجامع لجميع الكمالات التى من أعظمها إنفاذ الأمر و صدق الوعد : ﴿ان وعد الله﴾ [أى - [3]] الذى له الكمال كله ﴿حق﴾ [أى - [1]] فى إظهار دينك و إعزاز أمرك ، فقد رايت ما اتفق لموسى عليه السلام مع أجبر أهل ذلك

١٠ الزمان و ما [4] كان له [4] من العاقبة ، / قال القشيرى : الصبر فى انتظار الموعود ٥٦١ / من الحق على حسب الإيمان و التصديق ، فمن كان تصديقه و يقينه أتم و أقوى كان صبره أكمل و أوفى .

و لما تكفل[5] هذا الكلام من التثبيت بانجاز المرام ، و كان من الأمر المحتوم أن لزوم القربات يعلى الدرجات فيوصل إلى قوة التصرفات ،

١٥ أمر بالإعراض عن ارتقاب النصر و الاشتغال بتهذيب الأحوال لتحصيل الكلام ، موجها الخطاب إلى أعلى الخلق ليكون من دونه من باب الأولى [فقال - [3]] : ﴿ و استغفر لذنبك ﴾ أى و هو كل عمل كامل ترتقى منه إلى أكمل ، و حال فاضل تصعد منه إلى أفضل ، فيكون ذلك شكرا

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) من ظ و م و مد . و فى الأصل : ناله (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تكمل .

منك

منك لأن الله غفر لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر فتستن[1] بك[2] أمتك ، و سماه ذنبا من باب « حسنات الأبرار سيئات المقربين » .

و لما أمره بالاستغفار عند الترقية فى درجات الكمال ، المطلع على بحور العظمة و مفاوز الجلال ، أمره بالتنزيه عن شائبة نقص و الإثبات لكل رتبة كمال . لافتا القول إلى صفة التربية و الإحسان لأنه من أعظم ٥ مواقعها فقال : ﴿ و سبح ﴾ أى نزه ربك عن شائبة نقص كلما علمت بالصعود فى مدارج الكمال نقص المخلوق فى الذات و الأعمال ملتبسا ﴿بحمد ربك﴾ أى إثبات الإحاطة بأوصاف الكمال للمحسن إليك المربى لك ، و لا تشتغل عنه بشىء فان الأعمال من أسباب الظفر . و لما كان المقام لإثبات قيام الساعة ، و كان العشى أدل عليها ، قدمه فقال : ١٠ ﴿ بالعشى و الابكار ه ﴾ فان تقلبهما[3] دائما دل على كمال مقلبهما[4] و قدرته على إيجاد المعدوم المحوق كما كان و تسويته ، و من مدلول[5] الآية الحث على صلاتى الصبح و العصر ، و هما[6] الوسطى لأنهما تشهدهما ملائكة الليل و ملائكة النهار ، و قال ابن عباس رضى الله عنهما : بل على الصلوات الخمس - نقله البغوى[7] . و ذلك لأن العشى من زوال الشمس ، ١٥ و الأبكار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لسسن - كذا (٢) فى ظ و م : به (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تقبلها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تقلبها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مداولها يعنى (٦) زيد فى الأصل : الصلاة ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ / ٨٢ .

و لما كان الأمر بشغل هذين الوقتين أمرا[1] بشغل غيرهما من باب الأولى، لأن أول النهار وقت الاشتغال بالأعمال و الاهتمام بالابتداء و التمام، و آخره وقت التهيؤ للراحة و المقيل بالأكل و الشرب و ما يتبعهما، و كان ذلك موجبا للاشتغال عن أعداء الدين رأسا، و كان ذلك أمرا
٥ على النفوس شاقا، علله بما يقتضى المداومة على الأعمال و الإعراض عنهم لأن خذلانهم أمر قد فرغ[2] منه فقال معللا للمداومة على الطاعة: ﴿ان الذين يجادلون﴾ أي يناصبون بالعداوة لنقل [أهل -[3]] هذا الدين عنه إلى ما هم عليه من الباطل، و لفت القول إلى الجلالة الدالة على نهاية العظمة تهوينا لشأنهم فقال: ﴿فى ايٰت الله﴾ أي الملك الأعظم الدالة
١٠ على تمام قدرته اللازم منه قدرته على البعث الذى فى تذكره صلاح الدين و الدنيا ﴿بغير سلطٰن﴾ اى أمر مسلط و دليل مسلك ﴿اتٰهم[4] ان﴾ أى ما ﴿فى صدورهم﴾ بصدودهم عن سواء السبيل، [و آذن -[5]] ذكر الصدور دون القلوب[6] [لعظم الكبر -[5]] جدا بأنه[7] قد ملأ القلوب، و فاض منها حتى شغل الصدور التى هى مساكنها
٥٦٢/ ١٥ ﴿الا كبر﴾ أى عن اتباع الحق مع إشراق ضيائه / و اعتلاء لألائه[8]

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: امر (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تفرغ (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: القلب (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بأونه. (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لا تلايه.

إرادة إطفائه أو إخفائه . و الكبر أرادة التقدم و التعظم و الرئاسة ، و أن يكون مريد ذلك فوق كل أحد ﴿ ما هم ببالغيه ج ﴾ أى ببالغى مقتضاه من إبطال الدين تكبرا عن أن يكونوا تحت أوامره ، لا يبلغون ذلك بوجه من الوجوه ، و لا بد أن يظهر الدين بنصر الرسول و من تبعه من المؤمنين على أهل الكتاب و المشركين و غيرهم من أنواع الكافرين ، ثم ٥ يبعثون فيكون أعدادهم أسفل سافلين صغرة داخرين .

و لما ظهر من أول هذا الكلام و آخره تصريحا و تلويحا بما افاده أسلوب كلام القادرين المصوغ لأعم ما يمكن أن يخطر فى البال أنه تعالى كما وصف[1] نفسه فى مطالع السورة بأنه غالب لكل شيء و لا[2] يغلبه شيء ، و [أن -[3]] الذى بهم إنما هو إرادة أن يكونوا عالين غالبين ، تسبب ١٠ عنه قوله تعالى : ﴿ فاستعذ ﴾ أى اطلب العوذ ﴿ بالله[4] ﴾ المحيط بكل شيء من شر كبرهم و غيره كما عاذ به موسى عليه السلام لينجز لك ما وعدك كما أنجز [له -[3]] ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انه ﴾ أى على ما له من البطون ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ السميع ﴾ لكل ما يمكن أن يسمع . و لما كان السياق للعياذ من شياطين الإنس الذين لهم المكر الظاهر و الباطن ، ١٥ ختم بقوله : ﴿ البصير ٥ ﴾ الصالح للبصر و البصيرة فيعم المحسوس و المعلوم ، [و ختم -[4]] آيتى الأعراف و فصلت المسبوقتين لنزغ الشيطان الذى هو وساوس و خطرات باطنة بالعليم .

(١) زيد فى الأصل و ظ : به ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لأن (٣) زيد من م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد .

و لما كان أعظم النظر في آية المجادلة المكررة من اول السورة إلى هنا إلى البعث و صيرورة العباد إلى الله بالحشر ليقع فيه الحكم الفصل[١] و تحقق نصرة الأنبياء و أتباعهم يوم يقوم الأشهاد[٢]، دل على قدرته عليه بما هو كالتعليل لما نفي[٣] في آية المجادلة من بلوغهم لما قصدوا من الكبر، فقال مؤكدا تنزيلا للقر العالم منزلة الجاهل المعاند لمخالفة فعله[٤] لاعتقاده: ﴿ لخلق السموٰت ﴾ أي خلق الله لها على عظمها و ارتفاعها و كثرة منافعها و اتساعها ﴿ و الارض ﴾ على ما[٥] ترون من عجائبها و كثرة متاعها ﴿ اكبر ﴾ عند كل من يعقل من الخلق في الخلق ﴿ من خلق الناس ﴾ أي خلق الله لهم لأنهم شعبة يسيرة من خلقهما، فعلم قطعا أن الذي قدر على ابتدائه على عظمه قادر على إعادة الناس على حقارتهم ﴿و لكن اكثرَ الناس﴾ و هم الذين ينكرون البعث و غيره مما يمكن أن تتعلق به القدرة و صح به السمع ﴿لايعلمون ۝﴾ أي لا علم لهم أصلا، بل هم كالبهائم لغلبة الغفلة عليهم و اتباعهم أهواءهم، فهم لايستدلون بذلك على القدرة على البعث كما أن البهائم ترى الظاهر فلا تدرك به الباطن، بل هم أنزل رتبة من البهائم، لأن هذا النحو من العلم في غاية الظهور فهو كالمحسوس[٦]، فمن توقف فيه كان جمادا.

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ : بالفصل (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ : المشاهد (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل : بقى (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل : فعل (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و في الأصل : عما. (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ : كالمحسوب.

و لما ثبت بهذا القياس الذى [1] لاخفاء به [1] لا دافع له و لامطعن فيه أن القادر على خلق الكبير ابتداء قادر على تسوية الصغير إعادة، و ثبت به أيضا آن خلق الناس ليس مستندا إلى طبائع السماوات و الأرض / و إلا لتساووا فى العلم و الجهل، و القدر [2] و الهيئة و الشكل، لأن اقتضاء الطبائع لذلك [3] على حد سواء لاتفاوت فيه. و هى لا اختيار لها، وكان من الناس من يقول: إن هذا الإيجاد إنما هو للطبائع، و من هؤلاء فرعون الذى مضى فى هذه السورة كثير من كشف عواره [4] و إظهار عاره [5]، دل على إبطاله بأن ذلك قول [6] يلزمه التساوى فيما نشأ عن ذى الطبع لأنه لا اختيار له و نحن نشاهد الأشياء مختلفة، فدل ذلك قطعا على أنها غير مستندة إلى طبيعة [بل إلى فاعل مختار، فكان التقدير بما أرشد إليه سياق الآية قطعا مع ختمها بنفى العلم - [7]] و عطف ما بعدها على غير مذكور: و أقلهم يعلمون، فثبت أن خالقهم الذى فاوت بينهم قادر مختار لاشريك له، فانه ما يستوى العالم و الجاهل: ﴿و ما يستوى﴾ أى بوجه من الوجوه من حيث البصر ﴿الاعمى و البصير لا﴾ و ذلك موجب للعلم بأن استناد المتخالفين ليس إلى الطبيعة، بل إلى فاعل مختار.

و لما ذكر الظلام و النور الحسيين، أتبعه المعنويين نشرا مشوشا

/ ٥٦٣ ٥ ١٠ ١٥

(١ - ١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سقا فيه (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م: القدرة (٣) من ظ و مد، و فى الأصل و م: كذلك (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: عورات (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عادة (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قواه (٧) زيد من م و مد.

ليكشف[1] قسما الظلام[2] فسمي النور إشارة إلى أن[3] المهتدي عزيز الوجود، كالذهب الإبريز بين النقود، فقال: ﴿و الذين امنوا﴾ أي أوجدوا هذه الحقيقة سواء ثبتت أو لا ﴿و عملوا الصلحت﴾ كذلك فكانوا محسنين ﴿و لا المسئ﴾ أي الثابت الإساءة الذي كفر و عمل الصالحات، و وقع ٥ التغاير في العطف لأن المراد - و الله أعلم - [نفس -[4]] التساوي بين أفراد الأعمى و أفراد البصير و المحسن و المسيء، و لكنه لما كان[5] في المخاطبين الغبي و الذكي، عطف البصير بغير «لا» ليكون ظاهر ذلك[6] نفي المساواة بين نوعي الأعمى و البصير، لأن نفي المساواة بين أفراد الأنواع دقيق، و اقتصر على الواو في عطف "الذين آمنوا" لأنه لا ينتظم ١٠ أن يراد جعل الأعمى و البصير فريقا و المؤمن الموصوف فريقا، و ينتفي التساوي بينهما لأنه لا لبس في أن المؤمنين الموصوفين[7] كالبصير، و ليس فيهم[8] من يتوهم مساواته للأعمى، فكان[9] من الجلي معرفة أن المراد نفي مساواة الأعمى للبصير و[10] نفي مساواة المؤمن الموصوف للمسيء، و زيدت

---

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: يكتنف (٢) زيد بعده في الأصل: و النور، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٣) سقط من ظ.
(٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من مد، و في الأصل و ظ و م: كانا.
(٦) زيد في الأصل: سبب، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.
(٧) زيد في الأصل: كالاعمى، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.
(٨) زيد في الأصل و ظ و م: يتوهم، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها.
(٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: و كان (١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: او.

"لا"" في المسيء [و عبر فيه بالإفراد - ١] إشارة للفطن[٢] إلى ان المراد نفي التساوي بين أفراد كل نوع لأن ذلك أدل على القدرة، و أنها بالاختيار، و هذا بخلاف الظلمات في سورة فاطر لأنه لو تركت "لا" هناك لتوهم[٣] متوهم أن المنفي المساواة بين الأعمى و البصير و بين الظلمات، فيوجد حينئذ الطعن بأن الظلمات مساوية[٤] لها باعتبار أن الظلمة منها ٥ كثيف جدا لا يمكن نفوذ البصر فيه، و منها خفيف جدا يكون تسميته ظلاما بالنسبة إلى النور الساطع[٥]، [٦]و الآية[٦] من الاحتباك: ذكر عمل الصالحات أولا دليلا على ضدها ثانيا، و المسيء ثانيا دليلا[٧] على المحسنين أولا، و سره انه ذكر الصلاح ترغيبا و الإساءة ترهيبا.

و لما تقرر هذا على هذا النحو من الوضوح الذى لا مانع للانسان ١٠ من فهمه و رسوخه في علمه إلا عدم تذكره لحسه حتى في نفسه قال تعالى: / ﴿قليلا ما تتذكرون﴾ أي المجادلون أو أيها المجادلون او الناس لأن المتذكر / ٥٦٤ غاية التذكر - بما دل عليه الإظهار - منكم قليل - على قراءة الكوفيين بالخطاب[٨] لأنه أقوى في التبكيت، و أدل على الغضب.

و لما ثبت بهذا كله تمام القدرة، و انتفى ما توهمه من لا بصر له ١٥

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: للنظر (٣) من ظ و مد، و في الأصل و م: يتوهم (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: متساوية (٥) زيد في الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٦-٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: فالآية (٧) تكرر في الأصل فقط (٨) راجع نثر المرجان ٦ / ٢٥١.

من الطبائع، ثبت قطعا قوله : ﴿ ان الساعة ﴾ أى القيامة التى يجادله
فيها المجادلون ﴿ لآتية ﴾ و عزتى ! للحكم بالعدل فى المفاوتة بين المسىء
و المحسن [لأنه - ١] لايسوغ فى الحكمة عند أحد من الخلق أن
يساوى أحد٢ بين محسن عبيده و مسيئهم ، فكيف يظن ذلك باحكم
٥ الحاكمين الذى نشاهده٣ يميت المسىء و هو فى غاية النعمة و المعصية ،
و المحسن و هو فى غاية البــلاء و الطاعة . و المظلوم قبل أن ينتصف
من الظالم ، و لهذا الأمر الظاهر قال : ﴿ لاريب فيها ﴾ أى لاشك فى
إتيانها بوجه من الوجوه ، لأقضى فيها [بالعدل -١] فأدخل فيها ناسا دار
رحمتى . و آخرين دار نقمتى .
١٠ و لما وصل الحال فى أمرها إلى حد لا خفاء به أصلا ، نفى الإيمان
دون العلم فقال تعالى : ﴿ و لـكن اكثر الناس ﴾ اى بما فيهم من النوس
و هو لاضطراب ، [و راعى معنى الأكثر فجمع لأن الجمع أدل على
المراد و أقعد فى التبكيت -١] : ﴿ لايؤمنون ه ﴾ أى لايجعلون المخبر لهم
باتيانها آمنا من التـكذيب مع وضوح علمها لديهم ، و ما ذاك إلا لعناد
١٥ بعضهم و قصور نظر الباقين على الحس .
و لما كان التقدير : فعل٤ ذلك ربكم ليقضى بين عباده بالعدل فيدخل
المحسن الجنة نصرة [له - ١] ، و المسىء النار خذلانا و إهانة له ، لما برز
به وعده من أنه ينصر رسله و أتباعهم فى الحياة الدنيا و فى الآخرة ،

---

(١) زيد من م و مد (٢) سقط من م (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ :
يشاهد (٤) فى م : فعلى .

و قال

و قال لعباده كلهم: آمنوا لأسلمكم من غوائل تلك الدار، عطف عليه قوله: ﴿ و قال ربكم ﴾ اى المحسن إليكم بهدايتكم و وعدكم النصرة: ﴿ادعونى﴾ أى استجيبوا لى بأن تعبدونى وحدى فسألونى[1] ما وعدتكم به من النصرة [2]على وجه[2] العبادة. و هذا معنى قوله صلى الله عليه و سلم «الدعاء هو العبادة» فقد [3]حصر الدعاء[3] فى العبادة سواء كانت بدعاء ٥ أو صلاة أو غيرهما[4]، فمن [كان -[5]] عابدا خاضعا لله تعالى بسؤال أو غيره كانت عبادته دعاء، عن ابن عباس[6] رضى الله عنهما: وحدونى أغفر[7] لكم، و عن الثورى[8] أنه قيل له: ادع، فقال: إن ترك الذنوب هو الدعاء. ﴿ استجب﴾ اى أوجد الإجابة إيجادا عظيما كأنه ممن يطلب ذلك بغاية الرغبة فيه ﴿لكم﴾ فى الدنيا أى بإيجاد ما دعوتم به، أو كشف مثله ١٠ من الضر، او ادخاره فى الآخرة. ليظهر الفرق بين من له الدعوة و من ليس له دعوة فى الدنيا و لا فى الآخرة، و لا تتكلوا[9] على ما سبق به الوعد فتتركوا الدعاء فتتركوا العبادة التى[10] الدعاء مخها، فكل ميسر

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فتسألون (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: حضر الداعى. (٤) من ظ و م و مد. و فى الأصل: غيرها (٥) زيد من م و مد (٦) ذكر هذا القول فى البحر المحيط ٧ / ٤٧٣ (٧) من ظ و م و مد و البحر، و فى الأصل: اكفر (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: النوري، و راجع البحر المحيط لقول الثورى هذا (٩) من م، و فى الأصل و ظ: لا تتكلموا، و فى مد: لا تتكلفوا (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الذى.

لما خلق له، قال القشيرى : وقيل : الدعاء مفتاح الإجابة، وأسنانه لقمة الحلال - انتهى - والآية بمعنى آية البقرة "أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى" .

ولما كان السبب / فى ترك الدعاء فى العادة[1] الكبر، فكان[2] كأنه ٥٦٥/
٥ قيل : ولاتتركوا دعائى تكونوا مستكبرين، علله ترهيبا فى طيه ترغيب بقوله : ﴿ ان الذين يستكبرون ﴾ أى يوجدون الكبر، ودل على أن المراد بالدعاء العبادة بقوله : ﴿ عن عبادتى ﴾ أى عن الاستجابة لى فيما دعوت إليه من العبادة بالمجادلة فى آياتى والإعراض عن دعائى فى جميع ما ينوبهم[3] فى الشدة والرخاء ﴿ سيدخلون ﴾ بوعد لاخلف فيه
١٠ ﴿ جهنم ﴾ فتلقاهم جزاء على كبرهم بالتجهم والعبوسة والكراهة ﴿ دخرين ع ﴾ اى صاغرين حقيرين ذليلين، فالآية من الاحتباك : ذكر الدعاء أولا دليلا على حذفه ثانيا، والعبادة ثانيا دليلا على حذفها أولا .

و [لما - [4]] ختم ذلك أيضا[5] بامر الساعة، زاد فى الدلالة عليه وعلى الفعل[6] بالاختيار والحكمة التى لايسوغ معها إهمال الخلق من غير حساب .
١٥ فى دار ثواب وعقاب، بعد الإتقان لدار العمل بالخطا والصواب، فقال معللا مفتتحا بالاسم الأعظم الذى لا يتخيل[7] [أن - [4]] المسمى به

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ : العبادة (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ : وكان (٣) من مد، وفى الأصل وظ وم : يتوهم (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) سقط من مد (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ : العقل .
(٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل : يخيل .

يهمل المتكبرين عليه مع الإبلاغ فى الإحسان إليهم ﴿ الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿الذى جعل لكم﴾ [1]لاغيره[1] ﴿ الّيل﴾ [أى -[2]] مظلما ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ راحة ظاهرية بالنوم الذى هو الموت الأصغر، و راحة حقيقية بالعبادة التى هى الحياة الدائمة ﴿و النهار مبصرا[4]﴾ لتنتشروا فيه[3] باليقظة التى هى إحياء فى المعنى، فالآية[4] من الاحتباك: حذف الظلام أولا لكونه ليس من النعم المقصودة فى أنفسها[5] لما دل عليه من الإبصار الذى هو المقصود من نعمة الضياء المقصود فى نفسه، و حذف الانتشار لأنه بعض ما ينشأ عن [نعمة -[6]] الإبصار لما دل عليه من السكون الذى هو المقصود الأعظم من الليل: للراحة لمن أرادها، و العبادة لمن اعتمدها و استزادها .

و لما كان بعض الكفرة ينسب الأفعال كما مضى للطبائع و يجعلها بغير اختيار، قال مستأنفا أو[7] معللا مؤكدا: ﴿ ان الله ﴾ اى ذا الجلال و الإكرام ﴿ لذو فضل ﴾ أى عظيم جدا باختياره ﴿ على الناس ﴾ أى كافة[8] باختلاف الليل و النهار و ما يحتويان عليه من المنافع . و لما بلغت هذه الآيات من الدلالة على الوحدانية و البعث و نفى امر الطبائع حدا قل أن يوجد فى غيرها. فكان المخالف مذموما لذلك غاية الذم، فكان

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: إليه (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: والآية (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نفسها (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: «و» (٨) زيد فى الأصل و ظ: اى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

التعميم بالذم للمخالفين واقعا فى أوفق محالّه. و كان الاسم قد يراد به بعض مدلوله، و كان المراد هنا التعميم، أظهر للافهام إرادة ذلك، و لم يضمر[1] ليتعلق الحكم بالوصف المفهم للنوس المشير إلى أن صاحبه قاصر عن درجة أول أسنان المؤمنين فيعلم أن هذا النوع مطبوع على ذلك ٥ فقال: ﴿ و لكن اكثر الناس ﴾ أى بما لهم من الاضطراب و عدم الثبات فى لزوم الصواب[2] ﴿ لايشكرون ﴾ فينسبون أفعاله سبحانه إلى غيره جهلا، او يعملون[3] بما يسلب عنهم اسم[4] الشكر من الشرك و غيره، و يجوز أن يكون المراد بالناس أولا كل من يتأتى منه النوس، و هو كل من برز من الوجود، و بهم[5] ثانيا الجن و الإنس - و الله أعلم.

٥٦٦/ ١٠ و لما ثبت بآية الخافقين / و آية الملوين ثبوتا لاشك فيه أصلا شمول القدرة بالاختيار، قال معظما بأداة البعد و ميم الجمع: ﴿ ذلكم ﴾ [أى -[6]] أيها المخاطبون! - الواحد القهار العظيم الشأن الذى علم بما ذكر من أفعاله أنه لايشاركه أحد ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم المعلوم لكل أحد المتميز عن كل شىء بالأفعال التى لايشاركه فيها أحد، و لذلك[7] ١٥ قال: ﴿ ربكم ﴾ أى المربى لكم و المحسن إليكم بقدرته و اختياره المتفرد بربوبيتكم لا رب لكم سواه. و لما كان فى سياق الامتنان بالنعم للدلالة

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: لم يضمره (٢) من م و مد، و فى الأصل وظ: الثبات (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يعلمون (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عدم (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لهم. (٦) زيد من م و مد (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كذلك.

على الساعة التى ينكرونها و يجادلون فى امرها ، قدم الخلق على التهليل
فقال : ﴿ خالق كل شىء ﴾ أى بما ثبت من تمام قدرته بابداع الخافقين
ثائبين و الملوين متعاقبين دائبين ، و لا مانع له من إعادة الثقلين لأنه
﴿ لآ اله الا هو ﴾ بل كان ذلك واجبا فى الحكمة ، لأن المنعم عليهم
انقسموا إلى شاكر وكافر ، فوجب فى الحكمة إقامة الساعة للفصل بينهم ، ٥
و جاء ذلك على ترتيب مطلع السورة ، فان العزيز ناظر إلى كمال القدرة
على الإيجاد و الإعدام ، و العليم هو المتوحد[1] بكمال الذات ، فان إحاطة
العلم تستلزم كل كمال ، و القدرة قد لاتستلزم العلم كما للحيوانات[2] العجم ،
و هذا بخلاف ما مضى فى آية الأنعام ، فان السياق هناك لإنكار الشرك
و إثبات الوحدانية بما دل عليها من عموم الخلق طبق ما مضى أيضا ١٠
فى مطلعها .

و لما أنتجت هذه الأخبار - التى كل [منها - [3]] مقرر لما قبله
بكونه كالعلة له - الوحدانية المطلقة اللازم منها كل كمال ، سبب عنها
قوله منكرا مبكتا : ﴿ فانى ﴾ أى فكيف و من أى وجه ﴿ تؤفكون ﴾
أى تقلبون عن وجوه الأدلة إلى أقفائها فتعبدون الأوثان و تجادلون ١٥
فى الساعة التى يلزم من الطعن فيها الطعن فى الحكمة التى الطعن فيها
طعن فى الإلهية التى الطعن فيها طعن فى وجود هذا الوجود و مكابرة
فيه ، و ذلك مؤد إلى سقوط المتكلم به بكل اعتبار لمكابرته فى المشاهد

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الموجد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : للحيوان (٣) زيد من م و مد .

المحسوس، و فى المعقول المركوز فى جميع النفوس.

و لما كشف هذا السياق عن أن هذا الصرف أمر لايقدم عليه عاقل، كان كأنه قيل: هل وقع لأحد غير هؤلاء مثل هذا؟ فأجيب بقوله: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الصرف الغريب البعيد عن مناهيج العقلاء

٥ ﴿ يؤفك ﴾ أى يصرف صرفا سيئا - بناه للفعول إشارة إلى تمام قدرته عليه بكل سبب كان، و لأنه المتعجب منه ﴿الذين كانوا ﴾[1] مطبوعين على أنهم ﴿ بايٰت الله ﴾ أى ذى الجلال و الجمال ﴿يجحدون ﴾ أى ينكرون عنادا و مكابرة. فدل هذا على أن كل من تكبر عن حق فأنكره مع علمه به عوقب بمسخ القلب و عكس الفهم، فصار له الصرف

١٠ عن وجوه الدلائل إلى أقفائها ديدنا بحيث يموت كافرا إن لم يتداركه الله برحمة منه.

و لما تقرر أنه سبحانه ربنا وحده، و أن مدعى ربوبية ما سواه معاند، لأنه سبحانه متميز بأفعاله التى لايشاركه فيها أحد، دل على ذلك بوجه مركوز فى الطبائع صحته، واضح فى العقول معرفته، كالمعلل لتسمية

١٥ هذا الإنكار جحودا، فقال دالا بالخافقين بعد الدلالة بما نشا عنهما[2]

٥٦٧/ / من الملوين، و أخر هذا لأنه مع كونه أجلى سبب بقرارية الأرض و فلكية السماء لذلك، بما حصل فيه من الاختلاف، فقال: ﴿ الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شيء ﴿ الذى جعل ﴾ أى وحده ﴿ لكم الارض ﴾ أى مع كونها فراشا ممهدا ﴿ قرارا ﴾ مع كونها فى

(١) زيد فى الأصل و م و مد: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) من م و مد. و فى الأصل و ظ: عنها.

غاية الثقل، و لا يمسك لها سوى قدرته ﴿ و السمآء ﴾ على علوها و سعتها مع كونها أفلاكا دائرة بنجوم طول الزمان سائرة، ينشأ عنها الليل و النهار و الإظلام و الإبصار ﴿ بنآء ﴾ مظلة كالقبة من غير عماد حامل، و من المعلوم لكل ذى عقل أن الأجسام الثقيلة تقتضى بطبعها تراص بعضها على بعض، فلا يمنع بعضها من السقوط على بعض إلا بقوة و قسر[1] فالآية من الاحتباك: ذكر القرار أولا دليلا على الدوران ثانيا، و البناء ثانيا دليلا على الفراش أولا.

و لما ذكر المسكن ذكر الساكن[1] دالا على أنه الفاعل فى الكل باختياره و تمام قدرته بتصويره الإنسان بصورة لايشبهها صورة شيء من الحيوانات، و فاوت[2] بين أفراده فى هيئة تلك الصورة على أنحاء ١٠ لا تكاد تنضبط فى نفسها، و لا تشبه واحدة منها الأخرى، و لا فى الخافقين شيء يشبهها بحال تصويرها عليه فقال: ﴿ و صوركم ﴾ و التصوير على غير نظام واحد لا يكون إلا بقدرة قادر تام القدرة مختار لا كما يقول أهل الطبائع ﴿ فاحسن صوركم ﴾ على أشكال و أحوال مع أنها أحسن الصور ليس فى الوجود ما يشبهها، و ليس فيها صورة تشبه الأخرى ١٥ لتسندوا انطباع تصويرها إليه، فثبت قطعا أنه [هو - [3]] المصور سبحانه على غير مثال كما أنه الذى أبدع الموجود كله كذلك.

و لما ذكر المسكن و الساكن[1]، ذكر ما يحتاج إليه فى مدة السكن

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المساكن (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: نوات (٣) زيد من م و مد.

فقال: ﴿و رزقكم من الطيبٰت﴾ الشهية الملائمة للطبائع النافعة على وجه لا احتياج معه بوجه، فلا دليل أدل على تمام [العلم -[1]] و شمول القدرة و وجود الاختيار من هذا التدبير فى حفظ المسكن و السقف و تدبير ما به البقاء على وجه يكفى الساكن من جميع الوجوه على مر السنين ٥ و تعاقب الأزمان، و بث[2] من الساكن - مع أنه قطعة يسيرة جدا من أديم الأرض - أنسالاً [3]شعبهم شعبا[3] فرعها إلى فروع لا تسعها الأرض، فدبر بحكمته و سعة علمه و قدرته تدبيرا وسع لهم به الأرض، و عمهم به الرزق، كما روى الإمام [أحمد -[1]] فى كتاب الزهد عن الحسن أنه قال: لما خلق الله آدم عليه الصلاة و السلام و ذريته قالت ١٠ الملائكة عليهم السلام: إن الأرض لاتسعهم، قال: فانى جاعل موتا، قالوا: إذا لايهنأهم العيش، قال: فانى جاعل أملا.

و لما دل هذا قطعا على التفرد، قال على وجه الإنتاج[4]: ﴿ذلكم﴾ [5]أى الرفيع[6] الدرجات ﴿الله﴾ أى المالك لجميع[7] الملك، [و دلهم على ما مضى بتربيتهم و ما فيها من بديع الصنائع فقال -[1]]: ﴿ربكم﴾ ١٥ [أى -[1]] لا غيره، و لما أفاد هذا الدليل تربية لا مثل لها، / دالة على إحاطة العلم و تمام القدرة فانها على وجه لا حاجة معه مع حسنه[8] و ثباته

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ثبت (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شيعهم شيعا (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انتاج (٥-٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ارتفع (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جميع (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حسه.

تسبب

تسبب عنه ولابد[1] قوله: ﴿ فتبٰرك ﴾ أى [2]ثبت ثباتا[2] عظيما مع اليمن و الخير و حسن المدد و الفيض ﴿ الله ﴾ [أى - [3]] المختص بالكمال، [و رقى الخطاب و عظم إيضاحا للدلالة فقال -[4]]: ﴿ رب العٰلمين ﴾ كلهم أنتم و غيركم، ثم دل على ما أفاده الدليل معللا بقوله: ﴿ هو ﴾ أى وحده[5] ﴿ الحى ﴾ و كل ما عداه لاحياة له، لأنه ليس له من ذاته ٥ إلا العدم، فأنتج ذلك قطعا قوله: ﴿ لا اله الا هو ﴾ فتسبب عنه قوله: ﴿ فادعوه ﴾ أى وحده بالقول و الفعل على وجه العبادة، و ذلك معنى ﴿ مخلصين له الدين ﴾ أى من كل شرك جلى أو خفى.

و لما أمر بقصر الحمد[6] عليه، علله بقوله: ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال، [و أظهر موضع الإضمار إشارة إلى أن له من الصفات ١٠ العلى ما لاينحصر - [4]]: ﴿ لله ﴾ أى المسمى بهذا الاسم الجامع لجميع معانى الأسماء الحسنى لذاته. و لما كان هذا الوجود على ما هو عليه من النظام و بديع الارتسام، دالا دلالة قطعية على الحمد، قال واصفا بما هو كالعلة للعلم بمضمون الخبر: ﴿ رب العٰلمين ﴾ أى الذى رباهم هذه التربية فانه لا يكون إلا كذلك. و عن ابن عباس[7] رضى الله عنهما ١٥

---

(١) زيد فى الأصل و ظ: لا، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها. (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الاصل: نبت نباتا (٣) زيد من مد (٤) زيد من م و مد (٥) زيد فى الأصل: لامشارك له فى البقاء، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: انعالية، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ / ٨٥.

قال : من قال " لا إله إلا الله " فليقل على اثرها " الحمد لله رب العالمين " .

و لما أمر سبحانه بما دل على استحقاقه[1] إياه ، أنتج قطعا قوله : ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء الذين يجادلونك فى التوحيد و البعث مقابلا لإنكارهم بالتأكيد : ﴿ انى نهيت ﴾ أى ممن[2] لا ناهى غيره[2] ، نهيا عاما ببراهين العقل ، و نهيا خاصا بأدلة النقل ﴿ ان اعبد ﴾ و لما أهلوهم لأعلى المقامات ، عبر عنهم إرخاء للعنان بقوله : ﴿ الذين تدعون ﴾ أى يؤهلونهم لأن تدعوهم ، و دل على سفولهم بقوله تعالى : ﴿ من دون الله ﴾ [أى -[3] الذى له الكمال كله . و دل على أنه ما كان متعبدا قبل[4] البعث بشرع أحد بقوله : ﴿ لما جآءنى البينت ﴾ أى الحجج الواضحة جدا[5] من أدلة العقل و النقل ظاهرة ، [و لفت القول إلى صفة الإحسان تنبيها على أنه كما يستحق الإفراد بالعبادة لذاته يستحقها شكرا لإحسانه فقال -[6]] : ﴿ من ربى ﴾ أى المربى لى تربية خاصة هى أعلى من تربية كل مخلوق سواى[7] ، فلذلك أنا أعبده عبادة تفوق عبادة كل عابد .

و لما أخبر بما يتخلى عنه ، أتبعه الأمر بما يتحلى به فقال : ﴿ و امرت ان اسلم ﴾ أى بأن أجدد[8] إسلام كليتى[8] فى [كل -[3]]

(١) العبارة من هنا إلى ما سننبه عليه ساقطة من م (٢-٢) فى مد : نهى لغيره ، (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : قبل (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل اسلاما لكليتى .

وقت على سبيل الدوام ﴿ لرب العٰلمين ه ﴾ لأن كل ما سواه مربوب فالإقبال عليه خسار . و إذا نهى هو صلى الله عليه و سلم عن ذلك و أمر بهذا لكون الآمر و الناهي ربه لأنه رب كل شيء، كان [غيره - [١]] مشاركا له فى ذلك لامحالة .

و لما قامت الأدلة و سطعت الحجج على أنه سبحانه رب العالمين ٥ الذين من جملتهم المخاطبون[٢]، و لا حكم للطبيعة و لا غيرها ، أتبع ذلك آية أخرى فى أنفسهم هى أظهر مما مضى ، فوصل به على طريق العلة لمشاركتهم[٣] له صلى الله عليه و سلم فى الأمر و النهى فى التى قبلها قوله تعالى : ﴿ هو ﴾ لا غيره ﴿ الذى ﴾ و لما كان الوصف بالتربية ماضيا ، عبر عنه به فقال : ﴿ خلقكم من تراب ﴾ أى أصلكم و اكلكم التى تربى ١٠ به أجسادكم ﴿ ثم من نطفة ﴾ من منى يمنى ﴿ ثم من علقة ﴾ مباعدا[٤] حالها لحال[٥] النطفة كما كان حال النطفة [مباعدا - [٦]] لحال[٥] التراب ، ﴿ثم﴾ بعد أن جرت / شؤن أخرى ﴿يخرجكم﴾ أى يجدد إخراجكم شيئا / ٥٦٩ بعد شيء ﴿ طفلا ﴾ لا تملكون شيئا و لاتعلمون شيئا ، ثم يدرجكم فى مدارج التربية صاعدين بالقوة فى أوج الكمال طورا بعد طور و حالا ١٥ بعد حال ﴿ لتبلغوآ اشدكم ثم ﴾ يهبطكم بالضعف و الوهن فى مهاوى

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : المخاطبين (٣) من ظ و مد . و فى الأصل : لمشاركته (٤) من ظ و مد . و فى الأصل : مباعدة .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كحال (٦) زيد من مد .

السفول ﴿ لتكونوا شيوخا ج ﴾ ضعفاء غرباء . قد مات أقرانكم ، و وهت[1] أركانكم ، فصرتم تخشون كل أحد .

و لما كان هذا مفهما لأنه حال الكل ، بين أنه ما أريد به إلا البعض لأن المخاطب الجنس ، و هو يتناول البعض كما يتناول الكل فقال :

٥ ﴿ و منكم من يتوفى ﴾ بقبض[2] روحه و جميع معانيه . و لما كان الموت ليس مستغرقا للزمن[3] الذى بين السنين ، و إنما هو فى لحظة يسيرة مما بينهما ، أدخل الجار على الظرف فقال : ﴿ من قبل ﴾ أى قبل حال الشيخوخة أو قبل حال الأشدية . و لما كان المعنى : لتتفاوت[4] أعماركم و أحوالكم و أعمالكم ، عطف عليه قوله : ﴿ و لتبلغوآ ﴾ أى كل واحد

١٠ منكم ﴿ اجلا مسمى ﴾ اى [له - [5]] سماه الملك الذى وكل به فى بطن أمه عن إذننا و بأمرنا الذى قدرناه فى الأزل ، فلا يتعداه مرة ، و لا بمقدار ذرة ، فيتجدد للملائكة إيمان فى كل زمان .

و لما كانت هذه الأمور مقطوعا بها عند من يعلمها ، و غير مترجاة عند من يجهلها ، فانه لا وصول للآدمى بحيلة و لا فكر إلى شىء منها ،

١٥ فعبر فيها باللام ، و كان التوصل بالتفكر فيها و التدبر[6] إلى معرفة أن الإله واحد فى موضع الرجاء للعاقل قال : ﴿ و لعلكم تعقلون ﴾ [أى - [5]] فتعلموا بالمفاوتة بين الناس فيها ببراهين المشاهدة بالتقليب فى أطوار الخلقة

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : وهنت (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقبض (٣) فى ظ و مد : الزمن (٤) فى ظ و مد : لتفاوت (٥) زيد من ظ و مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : التدبير .

و أدوار

و أدوار الأسنان ، و إرجاع أواخر الأحكام على أوائلها أن فاعل ذلك قادر مختار [1]حكيم قهار ، لايشبه شيئا و لايشبهه شيء .

و لما نظم سبحانه هذا الدليل فى صنع الآدمى من التراب . و ختمه بأن دلالته على البعث - باجراء سنته فى إرجاع أواخر الأمور على أوائلها و غير ذلك - لايحتاج إلى غير العقل ، أنتج [عنه - [2]] قوله : ﴿ هو ﴾ لا غيره ﴿ الذى يحي و يميت ج ﴾ كما تشاهدونه فى أنفسكم و كما مضى لكم الإشارة إليه بخلق السماوات و الأرض ، فان من خلقهما خلق ما بينهما من الآجال المضروبة باختلاف الليل و النهار و الشهور و الأعوام لبلوغ الأفلاك مواضعها ، ثم رجوعها عودا[3] على بدء مثل تطوير[4] الإنسان بعد الترابية من النطفة إلى العلقة إلى ما فوقها ، ثم رجوعه فى مدارك هبوطه إلى أن يصير ترابا كما كان ، فليست النهاية بأبعد من البداية .

ولما كانت إرادته لاتكون إلا تامة نافذة ، سبب عن ذلك قوله معبرا بالقضاء : ﴿ فاذا قضى امرا ﴾ أى أراد أىّ أمر كان من القيامة أو غيرها ﴿ فانما يقول له كن ﴾ و لما كانت " إذا " شرطية أجابها فى قراءة ابن عامر بقوله : ﴿ فيكون ع ﴾ و عطفها فى قراءة غيره على "كن" بالنظر إلى معناه ، أو يكون خبرا لمبتدأ [أى - [1]] فهو يكون ، و عبر بالمضارع تصويرا للحال و إعلاما بالتجدد عند كل قضاء ، و قد مضى فى سورة البقرة إشباع الكلام فى توجيه قراءة ابن عامر بما تبين به أنها

(١) ومن هنا استأنفت نسخة م (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عود (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تطويل .

أشد من قراءة غيره .

٥٧٠/ و لما علم من هذا أنه لا كلفة / عليه فى شىء من الأشياء بهذه الأمور المشاهدة فى أنفسهم و فى الآفاق ، أنتج التعجب من حالهم لمن له الفهم الثاقب و البصيرة الوقادة[1] ، و جعل ذلك من آياته الباهرة و قدرته ٥ القاهرة الظاهرة ، فلذلك قال لافتا الخطاب إلى اعلى الخلق لأن [2]ذم الجدال بالباطل[2] من اجل مقصود هذه السورة : ﴿الم تر﴾ أى يا أنور الناس قلبا و أصفاهم لبا ، و بين بعدهم بأداة النهاية فقال : ﴿الى الذين يجادلون﴾ أى بالباطل ، و نبه على ما فى هذه الآيات من عظمته التى لا نهاية لها باعادة الاسم الجامع فقال : ﴿فى ءايٰت الله﴾ أى ١٠ الملك [الأعظم -[3]] ﴿انى﴾ أى كيف و من أى وجه ﴿يصرفون﴾ عن الآيات الحقة الواضحة التى سبقت بالفطرة الأولى إلى جذور قلوبهم ، فلا حجة يوردون و لا عذاب عن أنفسهم يردون ، لأنه سبحانه استاقهم - كما قال ابن برجان - بسلاسل قهره المصوغة من خالص عزماتهم و عزائم إرادتهم من حقيقة ذواتهم إلى خزى الدنيا و عذاب الآخرة - فصل ما ١٥ جادلوا فيه واصفا لهم بما زيد فى التعجيب[4] من شدة جهلهم و تعاظم عماهم فقال : ﴿الذين كذبوا﴾ و حذف المفعول إشارة إلى عموم التكذيب : ﴿بالكتب﴾ أى بسببه فى جميع ما له من الشؤن التى

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الواقدة (٢-٢) من ظ و م و مد ؛ وفى الأصل : ذم الجلال و الباطل (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التعجب .

تفوت[1] الحصر و العظمة فى كل أمر [. كما - [2]] أشير بأداة الكمال إلى أنه لكماله كأنه لاكتاب غيره لأن[3] من سمعه فكأنما[4] سمعه من النبى صلى الله عليه و سلم لإعجازه، فمن كذب بحرف منه فقد كذب بكل كتاب الله[5].

و لما كان التكذيب به تكذيبا بجميع الرسالات الإلهية، أكد عظمته ٥ بذلك و بالإضافة إلى مظهر العظمة، تحذيرا للمكذبين من سطواته، و تذكيرا لهم بأن العمل مع الرسول عمل مع[6] من ارسله، [7]فلذا لفت[7] الكلام على الاسم الجامع لصفتى الجلال و الإكرام فقال تعالى: ﴿و بمآ ارسلنا﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿به رسلنا قف﴾ من جميع الملل و الشرائع بكتاب كان أو بغيره، و هو بحيث لايحاط بكنه جلاله و عظمة حاله، ١٠ و لذا تسبب عنه تهديدهم فى قوله تعالى: ﴿فسوف يعلمون لا﴾ أى بوعيد صادق لاخلف فيه، ما يحل بهم من سطوتنا.

و لما كانوا فى الدنيا قد جمعت أيديهم إلى أذقانهم بجوامع السطوة، ثم وصلت بسلاسل القهر يساقون بها عن مقام الظفر بالنجاح إلى أهويات الكفر بالجدال بالباطل و مهامه[8] الضلال المبين كما قال تعالى ١٥ "انا جعلنا فى اعناقهم اغللا" الآية، فجعل باطن تلك السلاسل الدنيوية

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تفوق (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لا (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لكأنما (٥) فى م و مد: لله (٦) سقط من م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فلذلك الفت (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مهانة.

و الأغلال ظاهرا في ذلك المجمع قال: ﴿ اذ ﴾ اى حين تكون
﴿ الاغلل ﴾ جمع غل، قال في ديوان الأدب: هو الذى يعذب به
الإنسان، و قال القزاز[1]: الغل من الحديد معروف، و يكون من القد،
و قال في النهاية[2]: هو الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه، و يقال
٥ لها جامعة أيضا - انتهى. و أصله الإدخال. يدخل فيه العنق و اليد
فتجمعان به، و ذلك معنى / قول الصغانى في مجمع البحرين: في رقبته[3] /٥٧١
غل من حديد، و قد غلت يده إلى عنقه ﴿ فى اعناقهم ﴾ أى جامعة
لأيديهم إلى تراقيهم، و عبر باذ و معناها المضى مع سوف و معناها
الاستقبال، لأن التعبير بالمضى إنما هو إشارة إلى تحقق الأمر مع كونه
١٠ مستقبلا ﴿ و السلسل[4] ﴾ أى في أعناقهم أيضا يقيدهم ذلك عن كل
تصرف لكونهم لم يتقيدوا[4] بكتاب و لا رسول، و السلسلة من: تسلسل
الشيء[5]: اضطرب، قال الراغب: كأنه تصور منه تسلسل[6] متردد، فردد
لفظه تنبيها على تردد معناه، و[7]ما سلسل متردد في مقره[7] حتى صفا، حال
كونهم ﴿ يسحبون ﴾ أى بها، و السحب: الجر بعنف ﴿ فى الحميم ﴾ أى
١٥ الماء الحار الحاضر الذى يكسب الوجوه سوادا، و الأعراض عارا، و الأرواح

---

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: الفراء (٢) راجع ٣/١٨٩ (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: رقبه (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: لم يتقيد. (٥) زيد في الأصل: اذا، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد في الأصل: به، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٧-٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: بالسلسل متردد في هذه - كذا.

عذابا و الأجسام نارا، و القلوب هما و اللحوم ذوبانا[1] و اعتصارا[2]؛ و ذلك عوض ترفيعهم لأنفسهم عن سحبها بأسباب الأدلة الواضحات فى كلف العبادات و مرارات[3] المجاهدات و حرارات المنازلات .

و لما أخبر عن تعذيبهم بالماء[4] الحار الذى من شأنه أن يضيق[5] الأنفاس، و يضعف القوى، و يخفف القلوب، أخبر بما هو فوق ذلك ٥ فقال: ﴿ ثم فى النار ﴾ أى عذابها[6] خاصة ﴿ يسجرون ﴾ أى يلقون فيها و توقد بهم مكردسين مركوبين كما يسجر التنور بالحطب - أى يملأ - و تهيج ناره، و كما يسجر - أى يصب - الماء فى الحلق، فيملأ ونها فتحمى بهم و يشتد اضطرامها لكونهم كانوا فى الدنيا وقود المعاصى، و الفتن بهم يشب وقودها، و يقوى عودها، و يثبت عمودها، لأنهم ١٠ لم يلقوا أنفسهم فى نيران الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و مخالفات الشهوات فى أبواب الأوامر و النواهى، التى هى فى الظاهر نيران، و فى الحقيقة جنان .

و لما كان المدعو إنما[7] يدخر لأوقات الشدائد، قال موبخا لهم مندما[8] مقبحا لقاصر نظرهم لأنفسهم بانيا للمفعول لأن المنكى[9] هذا القول ١٥

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ذبانا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اعتصار (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مرامات (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عن الماء (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يضيف (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عذابا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لما كان (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مقدما (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الملى .

مطلقا لا لكونه من قائل معين: ﴿ثم قيل لهم﴾ أي بعد أن طال عذابهم، و بلغ منهم كل مبلغ، و لم يجدوا ناصرا يخلصهم و لا شافعا يخصصهم: ﴿اين﴾ و التعبير عنهم بأداة ما لايعقل فى أحكم مواضعه فى قوله: ﴿ما كنتم﴾ أى دائما ﴿تشركون ۙ﴾ أى بدعائكم لهم فى مهماتكم دعاء عبادة

٥ مع تجديده فى كل وقت؛ ثم بين سفولهم بقوله لافتا القول عن[1] مظهر العظمة إلى أعظم منه فقال: ﴿من دون الله﴾ أى المحيط بجميع العز[2] و كل العظمة، لتطلبوا منهم تخليصكم مما[3] أنتم فيه أو تخفيفه: ﴿قالوا﴾ أى مسترسلين مع الفطرة [4]و هى الفطرة[4] الأولى على الصدق: ﴿ضلوا عنا﴾ فلا نراهم كما ضللنا نحن فى الدنيا عما ينفعنا.

١٠ و لما رأوا أن صدقهم قد أوجب اعترافهم بالشرك، دعتهم رداءة المكر و رذالة الطباع إلى الكذب، فاسترسلوا معها فبادروا إلى أن أظهروا الغلط فقالوا ملبسين على من يعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصدور ظانين أن ذلك / ينفعهم كما كان ينفعهم عند[5] المؤمنين فى دار الدنيا: ﴿بل لم نكن ندعوا﴾ أى لم يكن ذلك فى طباعنا. و لما كان مرادهم

١٥ نفى دعائهم لهم أصلا و رأسا فى لحظة فما فوقها، لا النفى المقيد بالاستغراق، فانه لاينفى ما دونه، أثبتوا الجار[6] فقالوا: ﴿من قبل﴾ أى قبل هذه

/ ٥٧٢

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٢) زيد فى الأصل: و الكمال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الى ما (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد. و فى الأصل: عن (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحال.

الإعادة ﴿ شيئا ﴾ لنكون قد أشركنا به ، فلا يقدرهم الله إلا على ما يزيد في ضررهم[1] و يضاعف ندمهم و يوجب [لعن - [2]] أنفسهم و لعن بعضهم [بعضا - [2]] بحيث لا يزالون في ندم كما كان حالهم في الدنيا " انظر كيف كذبوا على انفسهم و ضل عنهم ما كانوا يفترون " فالآية من الاحتباك : ذكر الإشراك أولا دليلا على[3] نفيهم له ثانيا ، و الدعاء ثانيا ٥ دليلا على تقديره أولا .

و لما كان هذا في غاية الإعجاب من ضلالهم ، كان كأنه قيل : هل يضل أحد من الخلق ضلال هؤلاء ، فأجيب بقوله : ﴿ كذلك ﴾ أي نعم مثل هذا الضلال البعيد عن الصواب ﴿ يضل الله ﴾ أي المحيط علما و قدرة ، عن القصد النافع من حجة و غيرها ﴿ الكفرين ۝ ﴾ أي الذين ١٠ ستروا مرائي بصائرهم لئلا يتجلى فيها[3] ثم صار لهم ذلك ديدنا .

و لما تم جواب السؤال عن[4] التعجب من هذا الضلال ، رجع إلى خطاب الضلال فقال معظما لما ذكر من جزائهم بأداة البعد و ميم الجمع نصا على تقريع كل منهم : ﴿ ذلكم ﴾ أي الجزاء العظيم المراتب ، [الصعب - [2]] المراكب ، الضخم المواكب ﴿ بما كنتم ﴾ أي دائما ﴿ تفرحون ﴾ أي ١٥ تبالغون في السرور و تستغرقون فيـــه و تضعفون عن حمله للاعراض عن العواقب . و لما كانت الأرض سجنا[5] ، [فهي - [2]] في الحقيقة

---

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ضررهم (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : منها (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : من . (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : محبسا .

دار الأحزان، حسن قوله : ﴿ فى الارض ﴾ أى ففعلتم فيها ضد ما وضعت له، و زاد ذلك حسنا قوله : ﴿ بغير الحق ﴾ فأشعر أن السرور لاينبغى إلا إذا كان مع كمال هذه الحقيقة، و هى الثبات دائما للفروح به، و ذلك لايكون إلا فى الجنة ﴿ و بما[1] ﴾ أى و بسبب ما ﴿ كنتم تمرحون ﴾ ٥ أى تبالغون فى الفرح مع الأشر و البطر و النشاط الموجب للاختيال و التبختر و الخفة بعدم احتمال الفرح.

و لما كان السياق لذم الجدال، و كان الجدال إنما يكون عن الكبر، [2]و كان[2] الفرح غير ملازم للكبر، لم يسبب دخول النار عنه، بل جعله كالنتيجة لجميع ما مضى فقال: ﴿ ادخلوآ ﴾ أى أيها المكذبون. و لما ١٠ كان فى النار أنواع من العذاب، دل على تعذيبهم بكل نوع منها بذكر الأبواب جزاء على ما كانوا يخوضون بجدالهم فى كل نوع من أنواع الأباطيل فقال: ﴿ ابواب جهنم ﴾ [أى - [3]] الدركة التى تلقى صاحبها بتكبر و عبوسة و تجهم ﴿ خلدين فيها ج ﴾ أى لازمين لما شرعتم فيه بالدخول من الإقامة لزوما لا براح منه أصلا.

١٥ و لما كانت نهاية فى البشاعة و الخزى و السوء، و كان دخولهم فيها مقرونا[4] بخلودهم سببا لنحو أن يقال: فهى مثواكم، تسبب عنه قوله: ﴿ فبئس مثوى ﴾ دون أن يقال: مدخل ﴿ المتكبرين ﴾ أى موضع

(١) زيد فى الأصل و ظ : كنتم، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.
(٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : فكان (٣) زيد من ظ و م و مد.
(٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : معروفا.

إقامتهم المحكوم بلزومهم إياه لكونهم تعاطوا ما ليس لهم، و لا ينبغي أن يكون إلا لله[1]، الكبرياء ردائي و العظمة / إزاري فمن نازعنيهما قصمته، ٥٧٣ /
و لم يؤكد جملة "بئس" هنا لأن مقاولتهم هذه بنيت على تجدد علمهم في الآخرة بأحوال النار، [2]و أحوال[2] ما سببها[3]، و التأكيد يكون للنكر و من في عداده، و حال كل منهما مناف للعلم، و زاد ذلك حسنا أن ٥
أصل الكلام مع الأعلم للسر الذي تقدم - صلى الله عليه وسلم فبعد جدا من التأكيد. و لما كان في هذا الجزاء أعظم الشماتة بهم، فكان فيهم أعظم التسلية لمن جادلوه و تكبروا عليه، سبب عنه قوله: ﴿ فاصبر ﴾ [أي -[4]] ارتقابا لهذه النصرة، ثم علل بقوله مؤكدا لأجل تكذيبهم بالوعد: ﴿ ان وعد الله ﴾ أي الجامع لصفات الكمال ﴿حق ج﴾ أي في ١٠
نصرتك في الدارين فلا بد من وقوعه، و فيه أعظم تأسية [لك -[4]] و لذلك سبب عنه مع صرف القول إلى ما يأتي الاعتراض إشارة إلى أنه لا يسأل عما يفعل، قوله تعالى: ﴿ فاما نرينك ﴾ و أكده بـ «ما» و النون و مظهر العظمة لإنـــكارهم لنصرتـــه عليهم و لبعثهم[5] ﴿بعض الذي نعدهم﴾ أي بما لنا من العظمة مما يسرك فيهم من عذاب ١٥
أو متاب قبل وفاتك، فذاك إلينا و هو علينا هين.

و لما ذكر فعل الشرط و حذف جوابه للعلم به، عطف عليه قوله:

---

(١) زيد في الأصل: يقول الله تعالى، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: سببهما (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: لبغيهم.

﴿ او نتوفينك ﴾ [أى -[1]] قبل أن ترى ذلك فيهم ، و أجاب هذا المعطوف بقوله : ﴿ فالينا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ يرجعون ه ﴾ أى معنى فى الدنيا فتريهم[2] بعد وفاتك من نصر أصحابك عليهم بما تسر به فى برزخك فانه لا بقاء لجولة باطلهم ، و حسا فى القيامة فنريك فيهم فوق ما تؤمل من النصرة المتضمنة لتصديقك و تكذيبهم ، و إكرامك و إهانتهم ، و الآية من الاحتباك : ذكر الوفاة ثانيا دليلا على حذفها أولا ، و الرؤية أولا دليلا على حذفها ثانيا .

و لما قسم له الله[3] سبحانه الحال إلى إصابتهم أو وفاته صلى الله عليه و سلم ، و كان قد بقى مما هو أقر لعينه و أشفى لصدره أن يريهم فى حياته آية تلجئهم إلى الإيمان ، و تحملهم على الموافقة و الإذعان ، فيزول النزاع بحسن الاتباع ، كما وقع لقوم يونس عليه الصلاة و السلام ، قال عاطفا على ما تقديره فى تعليل الأمر بالصبر ، فلقد أرسلناك إليهم و لننفذن[4] أمرنا فيهم ، و أما أنت فما عليك إلا البلاغ : ﴿ و لقد ارسلنا ﴾ أى على ما[5] لنا من العظمة ﴿ رسلا ﴾ أى بكثرة . و لما كان الإرسال إنما هو فى بعض الزمان الماضى و إن كان بلوغ رسالة كل لمن بعده موجبة لانسحاب حكم رسالته إلى مجيء الرسول الذى يقفوه ، أثبت الجار لإرادة الحقيقة فقال : ﴿ من قبلك ﴾ أى إلى أممهم ليبلغوا عنا ما أمرناهم به :

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ترنهم - كذا (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لتنفذن . (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما .

﴿ منهم من قصصنا ﴾ أى بما لنا من الإحاطة ﴿عليك ﴾ اى أخبارهم
و أخبار أممهم ﴿ و منهم من لم نقصص ﴾ و إن كان لنا العلم التام
و القدرة الكاملة ﴿ عليك ﴾ لا أخبارهم و لا أخبار أممهم و لا ذكرناهم
لك بأسمائهم ﴿ و ما ﴾ أى أرسلناهم و الحال أنه[1] ما ﴿ كان لرسول ﴾
أصلا ﴿ ان يأتى بآيــة ﴾ أى ملجئة أو غير ملجئة مما يطلب الرسول ٥
استعجالا[2] لاتباع قومه له، أو اقتراحا من قومه عليه أو غير ذلك مما
يجادل[3] فيه قومه / أو يسلمون له أو ينقادون، و صرف الكلام عن المظهر / ٥٧٤
المشير إلى القهر إلى ما فيه - مع الإهانة[4] - الإكرام فقال: ﴿الا باذن الله ج ﴾
اى بأمره و تمكينه، فان له الإحاطة بكل شيء، فلا يخرج شيء عن
أمره، فان لم يأذن فى ذلك رضوا و سلموا و صبروا و احتسبوا[5]، و إن ١٠
أذن فى شيء من ذلك من عذاب أو آية ملجئة أو غير ذلك جاءهم ما
أذن فيه ﴿فاذا جآء﴾ و زاد الأمر عظما لمزيد الخوف و الرجاء بالإظهار
دون الإضمار فقال[6]: ﴿ امر الله ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة و علما،
و أمره ما توعد به من العذاب عند العناد بعد الإجابة إلى المقترح،
و من القيامة و ما فيها، و تكريرا لاسم الأعظم لتعظيم المقام باستحضار ١٥
ما له من صفات الجلال و الإكرام، و لثبات ما أراد و لزومه عبر عنه

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انهم (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: استعهالا (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يحاول (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاعانة (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: احسبوا.
(٦) سقط من ظ و مد.

بالقضاء، فقال مشعرا بصيغة المفعول بغاية السهولة: ﴿ قضى ﴾ أى بأمره على أيسر وجه و أسهله ﴿ بالحق ﴾ أى الأمر الثابت الذى تقدم الوعد به و حكم بثبوته[1] من إهلاك ناس و إنجاء آخرين أو إيمان قوم و كفر آخرين ـ هذا كله هو الذى أجرى سبحانه سنته القديمة بثبوته، و أما ٥ الفضل[2] من الإمهال[3] و التطول بالنعم فانما هو قبل الإجابة إلى المقترحات، و الدليل على ان هذا من مراد الآية ما يأتى من قوله " فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا " و ما أشبهه ﴿ و خسر ﴾ أى هلك أو تحقق و تبين بالمشاهدة أنه خسر ﴿ هنالك ﴾ اى فى ذلك الوقت العظيم بعظمة ما أنزلنا فيه، ظرف مكان استعير للزمان إيذانا بغاية الثبات و التمكن فى ١٠ الخسار تمكن الجالس ﴿ المبطلون ع ﴾ أى المنسوبون إلى إيثار الباطل على الحق، إما باقتراح الآيات مع إتيانهم بما يغنيهم عنها و تسميتهم له[4] سحرا أو بغير ذلك، إما بتيسرهم على الرجوع عما هم فيه من العناد من غير إذعان، و إما بالهلاك، و إما بادحاض الحجج و الحكم عليهم بالغلب ثم النار و لو بعد حين. و من هذه الآية أخذ سبحانه فى رد مقطع السورة ١٥ على مطلعها، فهذه الآية ناظرة إلى[5] قوله تعالى[5] " و همت كل امة برسولهم لياخذوه" [" و ما كان لرسول ان ياتى باية" إلى ـ[6]] " و جادلوا بالباطل"

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بثبوته (٢) سقط من مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الاهمال (٤) من ظ وم و مد، و فى الأصل: لها. (٥ ـ ٥) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد.

و اقلم

و[1] "افلم يسيروا فى الأرض" إلى "فاخذتهم فكيف كان عقاب" و هذا و ما بعده مما اشتمل عليه من الحكمة و القدرة إلى الثلاث الآيات الأول .

و لما كان المبطلون[2] ليسوا أشد نفرة و لا أقوى من بعض الحيوانات العجم ، دل على ما أخبر به من نافذ نصرته فيهم بقوله مذكرا لهم بنعمته مستعطفا إلى طاعته دالا على التوحيد بعد تليينهم بالوعيد مظهرا ٥ الاسم الجامع إشارة إلى أن ما فى هذه الآية من الدلالات لا يحصى: ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ الذى جعل لكم ﴾ لا غيره ﴿الانعام﴾ أى الأزواج الثمانية بالتذليل و التسخير ﴿ لتركبوا منها ﴾ و هى الإبل مع قوتها و نفرتها ، و التعبير باللام فى الركوب مطلقا ثم فيه مقيدا ببلوغ الأماكن الشاسعة إشارة إلى أن ذلك هو المقصود منها بالذات ، و هو ١٠ الذى اقتضى تركيبها على ما هى عليه ، فنشأ منه بقية المنافع فكانت تابعة . و لما كان الاقتيات منها - فى عظيم نفعه و كثرته و شهوته - بحيث لايناسبه غيره ، / عد الغير عدما فقال تعالى: ﴿و منها﴾ أى من الأنعام ٥٧٥ / كلها ﴿ تاكلون ﴾ بتقديم الجار .

و لما كان التصرف فيها غير منضبط ، أجمله بقوله : ﴿و لكم فيها﴾ ١٥ أى كلها ﴿منافع ﴾ أى كثيرة بغير ذلك من الدر و الوبر و الصوف و غيرها . و لما [كان - [3]] سوقها و بلوغ الأماكن الشاسعة عليها فى أقرب مدة لنيل الأمور الهائلة عظيم الجدوى جدا ، نبه على عظمته[4] بقطعه

(١) زيد فى الأصل : قوله تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المطلوب (٣) زيد من ظ و م و مد .
(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عظمة .

عما قبله بإجمال المنافع ثم تفصيله منها فقال: ﴿و لتبلغوا﴾ اى مستعلين[1]
﴿عليها﴾ و هى فى غاية الذل و الطواعية، و نبههم على نقصهم و عظيم نعمته
عليهم بقوله: ﴿حاجة﴾ أى جنس الحاجة. و لما كان فى مقام التعظيم
لنعمه لأنه من سياق الامتنان و إظهار القدرة وحدها و جمع ما تضمر
٥ فيه فقال: ﴿فى صدوركم﴾ إشارة إلى أن حاجة واحدة ضاقت عنها
قلوب الجميع[2] حتى فاضت منها فملأت مساكنها. و لما كان الحمل يكون
مع مطلق الاستعلاء سواء كان على أعلى الشيء أو لا بخلاف الركوب،
قال معبرا بأداة الاستعلاء فيها و فى الفلك غير سفينة نوح عليه الصلاة
و السلام، فانها كانت مغطاة كما حكى فكانوا فى بطنها [لا - [3]] على
١٠ ظهرها: ﴿و عليها﴾ أى فى البر ﴿و على الفلك﴾ أى فى البحر
﴿تحملون ؎﴾ أى تحمل لكم أمتعتكم فان حمل الإنسان نفسه تقدم بالركوب،
و أشار بالبناء للمفعول إلى أنه سخر ذلك تسخيرا عظيما لايحتاج معه إلى
علاج فى نفس الحمل.

و لما كانت هذه آية عظيمة جعلها سبحانه مشتملة على آيات كثيرة،
١٥ عبر فيها بالماضى و عطف بالمضارع تنبيها على التجدد على ما تقديره:
فأراكم هذه الآيات البينات منها، قوله: ﴿و يريكم﴾ أى فى لحظة
﴿ايٰته﴾ أى الكثيرة الكبيرة فيها و فى غيرها من أنفسكم و من الآفاق،
و دل[4] على كثرة الآيات و عظمتها باسقاط تاء التأنيث كما هو المستفيض

(١) فى م: مشتغلين (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الجمع (٣) زيد من
م و مد (٤) فى م: ذلك.

فى غير النداء باظهار الاسم الأعظم فى قوله: ﴿ فاىّ ايٰت الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ تنكرون ﴾ حتى تتوجه[1] لكم المجادلة فى آياته التى من أوضحها البعث .

و لما وصل الأمر إلى حد من الوضوح لايخفى على احد، تسبب عنه لفت الخطاب عنهم دلالة على الغضب الموجب للعقاب المقتضى للرهب ٥ فقال: ﴿ افلم يسيروا ﴾ [أى - [2]] هؤلاء الذين هم أضل من الأنعام ﴿ فى الارض ﴾ اىّ أرض كانت، سير اعتبار ﴿ فينظروا ﴾ نظر ادكار فيما سلكوه من سبلها و نواحيها، و نبه على زيادة[3] العظمة فيما حثهم على النظر فيه بسوقه مساق الاستفهام تنبيها على خروجه عن أمثاله، و مباينته لأشكاله، بقوله: ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ الذين ﴾ ١٠ و لما كانوا لا يقدرون على استغراق نظر جميع الأرض و آثار جميع أهلها، [نبه - [4]] بالجار [على - [4]] ما تيسر فقال تعالى: ﴿ من قبلهم ﴾ أى مع قرب الزمان و المكان، و لما [5] كانوا معتمدين[5] فى مغالبة الرسول صلى الله عليه و سلم و مجادلته بالباطل[6] فى الآيات الظاهرة على كثرتهم و قوتهم و قلة أصحابه[7] مع ضعفهم، و كان قد تقدم الإنكار عليهم فى ١٥ المجادلة لإدحاض الحق، و عظم التنكير عليهم بعدم النظر عنه المسير فى

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: توجد (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ذلك (٤) زيد من م و مد (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كان هؤلاء معتمدا (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بلاباطيل (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اصحابهم .

/٥٧٦ الأرض بأعين / الاعتبار فى الآثار، من المساكن و الديار، لمن مضى من الأشرار، و أثبت لهم الأشدية و أنها لم تغن عنهم، و ذكر فرعون و ما كان له من المكنة بالمال و الرجال، و انه أخذه أخذة صارت مثلا من الأمثال، و [1]كان قد[1] بقى مما قد يتعلق به فى المغالبة الكثرة، ذكرها مضمومة إلى الشدة تأكيدا لمضمون الخبر فى[2] أنه [3]لا أمر[3] لأحد مع أمره، فقال مستأنفا جوابا لمن يقول: ما كانت عاقبتهم؟ فقال: ﴿ كانوآ اكثر منهم ﴾ أى عددا أضعافا[4] مضاعفة [و - [5]] لاسيما قوم نوح عليه الصلاة و السلام: ﴿ و اشد قوة[6] ﴾ فى الأبدان كقوم هود عليه الصلاة و السلام الذين قالوا كما يأتى فى التى بعدها "من اشد منا قوة" ﴿و اثارا فى الارض﴾ بنحت[7] البيوت فى الجبال، و حفر الآبار، و إنباط المياه، و بناء المصانع الجليلة[8] - و غير ذلك [9]مما كانوا عليه[9].

و لما كان [التقدير - [10]] : فنظروا فأهلكهم الله، سبب عن كثرتهم و شدتهم فى [قوتهم - [11]] قوله نافيا صريحا، أو يكون استفهاما[12]

(١-١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كانه (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ « و » (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لامر (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اضعاف (٥) زيد من ظ و مد (٦) ليس فى الأصل فقط. (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: نحت (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الجبلية (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد إلا أن السقوط امتد فى ظ إلى « فنظروا » (١٠) زيد من م و مد (١١) زيد من ظ و م و مد. (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: استفهام.

إنكاريا

إنكاريا ﴿ فمآ ﴾ أى أىّ شىء ﴿ اغنى عنهم ﴾ أو لم يغن عنهم شيئا من الغنى ﴿ ما كانوا ﴾ أى دائما كما فى جبلاتهم من دواعيه ﴿ يكسبون ﴾ بقوة أبدانهم و عظم عقولهم و احتيالهم و ما رتبوا من المصانع لنجاتهم حين جاءهم أمرنا بل كانوا كأمس الذاهب .

و لما أخبر عن كثرتهم و قوتهم و آثارهم الدالة على [مكنتهم -[1]] ، ٥ سبب عنه شرح حالهم ، الذى أدى إلى هلاكهم و اغتيالهم ، فقال مبينا لما أغنى : ﴿ فلما جآءتهم رسلهم ﴾ اى الذين ارسلناهم إليهم و هم منهم يعرفون صدقهم و أمانتهم ﴿ بالبينٰت ﴾ أى الدالة على صدقهم لامحالة ﴿ فرحوا ﴾ أى القوم الموصوفون ﴿ بما عندهم من العلم ﴾ الذى أثروا به تلك الآثار فى الأرض من إنباط المياه و جر الأثقال و هندسة الأبنية ١٠ و معرفة[2] الأقاليم و إرصاد الكواكب لأجل معرفة أحوال المعاش ، و غير ذلك من ظواهر العلوم[3] المؤدية إلى[4] التفاخر و التعاظم و التكاثر وقوفا مع الوهم ، و تقييدا بالحاضر من [الرسم -[5]] ، من علم ظاهر الحياة الدنيا و قناعة بالفانى كما قال فى التى قبلها " ثم اذا خولنٰه نعمة منا قال انما اوتيته [على علم -[5]] " و كما قال قارون[6] لما قيل له " و احسن ١٥ كما احسن الله اليك[7] " : " انما اوتيته على علم عندى " و فرحهم به

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تعرفة (٣) زيد فى الأصل : الى الأمور ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : الظواهر و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فرعون (٧) زيد فى الأصل و ظ : قال ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

لأنه أداهم إلى التوسع فى الدنيا و التلذذ بما فيها و استهزأوا بما اتتهم به الرسل من علم الباطن الداعى إلى الإعراض عن الفانى و الإقبال على الباقى و الخوف مما بعد الموت من الأمور الغائبة و الأهوال الآتية و الكوائن العظيمة المستورة بحجاب هذه [الحياة - ١] الدنيا الواهى ، على ما فيها ٥ من الذوات و المعانى و الأحوال و الأوجال و الدواهى ، و الذى حركهم إلى الفرح بما عندهم [هو - ٢] ما٣ هم فيه من الزهرة مع ما يرون من تقلل الرسل و أتباعهم من الدنيا . و إسراع المصائب إليهم ، وكثرة ما يعانونه من الهموم و الأنكاد ، و يكابدونه من الأنداد و الأضداد ، فاشتد استهزاؤهم بهم / و بما أتوا به بعدّهم ذلك محالا و٤ باطلا و ضلالا ، وكانوا /٥٧٧ ١٠ لاينفكون من فعل الفرح الأشر البطر بالتضاحك و التمايل كما قال الله تعالى " فلما [جاءهم - ٤] اذا هم منها يضحكون " و نصبوا للرسل و أتباعهم المكايد ، و أحاطوا بهم المكر و الغوايل ، و هموا بأخذهم فأنجينا رسلنا٥ و من آمن بهم منهم و آتيناهم بما أزال فرحهم ، و أطال غمهم و ترحهم ﴿ و حاق ﴾ أى أحاط على وجه الشدة ﴿ بهم ما كانوا ﴾ أى ١٥ عادة مستمرة .

و لما كان استهزاؤهم بالحق عظيما جدا ، عد استهزاءهم بغيره عدما ، و أشار إلى ذلك بتقديم الجار فقال : ﴿ به يستهزءون ﴾ من الوعيد الذى

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مما (٣) زيد فى الأصل و م : لا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى م : ارسلهم .

كانوا قاطعين ببطلانه فعلم قطعا أنه إنما يفرح من العلم بما تضمن النجاة و السعادة الأبدية على أن سوق الكلام هكذا ملئ بالاستهزاء بهم و التهكم عليهم لأنهم نصبوا أنفسهم منصب العالم المطيق [المنطيق - [1]] الذى إذا غلب خصمه فأسكته[2] و ألقمه الحجر فأخرسه[3] و أفحمه بواضح الحجة و [4]قويم الحجة[4] ظهر عليه السرور و غلبه[5] الفرح . فان عاند خصمه و وقف ٥ مع وهمه استهزأ به و تضاحك منه - هذا مع ما عنده من عمايات الجهل التى لايقدرون على إنكارها بدليل اعتراف[6] هؤلاء الذين أرسل إليهم هذا النبي الكريم أن أهل الكتاب أعلم منهم ، فكانوا يوجهون ركابهم إلى اليهود يسألونهم عن [أمرهم - [1]] و أمره [على أنه - [7]] قد أتاهم بما يعلى به قدرهم على أهل الكتاب ، و يجعلهم المخصوصين بالسيادة ١٠ على مر الأحقاب ، و هم يأبون بمجادلتهم بالباطل إلا سفولا و إعراضا عن الصواب ، و عدولا و نكوصا و نكولا ، [8]و الآية مرشدة[8] إلى أنه لايتعلم[9] إلا من ظن من نفسه القصور ، و لهذا [كان - [7]] أقبل شيء للعلم الصغار ، و الآية من الاحتباك : إثبات الفرح أولا دليل[10] على حذف

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) من م ومد، وفى الأصل و ظ : واسكنه (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و احرسه (٤ - ٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قوائم الحجة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليه (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعترافهم (٧) زيد من م و مد (٨ - ٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شدة - مع بياض فى البداية (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لايعلم (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دليلا .

ضده ثانيا، و إثبات الاستهزاء ثانيا دليل على حذف مثله اولا ٠

و لما كانت هذه السورة فى بيان العزة التى هى نتيجة كمال العلم و شمول القدرة، و كان عظم العزة بحسب عظمة المأخوذ بها المعاند لها، كرر ذكر المجادلة فى هذه السورة تكريرا آذن بذلك فقال فى أولها ٥ "ما يجادل فى ا'يٰت الله الا الذين كفروا" ثم دل على أنهم مأخوذون من غير أن يغنى [عنهم -[1]] جدالهم الذى أنتجه ضلالهم، و على توابع ذلك ترغيبا و ترهيبا إلى أن قال "هو الذى يريكم ا'يٰته" و ذكر بعض ما اشتد إلفهم له حتى سقطت غرابته عندهم، فنبههم على ما فيه ليكفهم عن الجدال و يغتنوا به عن اقتراح غيره، ثم ذكر قصة موسى عليه ١٠ الصلاة و السلام مذكرا لهم ما حصل من تعذيب المكذبين المجادلين بعد وقوع ما اقترحوا من الآيات بقولهم "فائت بٰاية ان كنت من الصٰدقين" و مضى يذكر و ينـــذر و يحذر فى تلك الأساليب التى هى أمضى من السيوف، و أجلى من الشموس فى الصحو دون[2] الكسوف، حتى قال "الذين يجادلون فى ا'يٰت الله بغير سلطٰن اتٰهم كبر مقتا عند الله و عند ١٥ الذين ا'منوا" ثم / شرع فى إتمام قصة موسى عليه السلام إلى أن قال /٥٧٧ "ان الذين يجادلون فى ا'يٰت الله بغير سلطٰن اتٰهم ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه" ثم شرع [3]بعدد الآيات[3] العظيمة التى تأبى لشدة وضوحها جدال المجادل، و ضلال المماحك المماحل، لولا أنـــه قد

(١) زيد من م و مد (٢) تكرر فى الأصل و ظ (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بعدادالات - كذا .

أخرجتها

اخرجتها شدة الإلف لها من حيز الغرابة من [1]خلق الخافقين[1] و تكوير الملوين، و بسط الأرض و رفع السماء و تصوير الإنسان و ما فيه من عظم الشأن، فكشف ستورها، و بين دلالتها و ظهورها، و لفت الكلام إلى تهديد المجادلين بقوله منكرا عليهم "الم تر الى الذين يجادلون فى اٰيٰت الله انى يصرفون" على عادة البلغاء فى أنه إذا أخرس أحدهم خصمه بما هو ٥ من حججه كالشمس نورا و طلعة [و ظهورا -[2]] أنكر بالاستفهام الذى هو أمر من وقع السهام. فلما ثبت بذلك عنادهم و غلظتهم و قوتهم فى لددهم و اشتدادهم، بين جهلهم بذلهم عند ما بدا لهم وبال[3] أمرهم و حان أن تبرك[4] عليهم أثقال العذاب الفائتة للقوى، فحلت ما أحكموا عقده من شرهم، فقال مبينا لما أجمل من الحيق[5] مسببا عنه لافتا القول إلى ١٠ مظهر العظمة ترهيبا: ﴿ فلما راوا ﴾ أى عاينوا ﴿ باسنا ﴾ أى عذابنا الشديد على ما له من العظمة التى[6] آذنت بها نسبته إلينا و صدوره عنا ﴿ قالوآ اٰمنا بالله ﴾ أى الذى له مجامع العظمة، و معاقد العز و نفوذ الكلمة، كما ظهر لنا فى هذا البأس من غير إشكال و لا إلباس، و أكدوا ذلك نافين لما كانوا فيه [من الشرك -[2]]: بقولهم ﴿ وحده ﴾ و دل على ١٥ انحلال عزائمهم و وهى قوائمهم بزيادة التصريح فى قولهم: ﴿ و كفرنا بما كنا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ به مشركين ۝ ﴾ لأنا علمنا أنه لا يغنى من دون الله شيء[7].

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خلف الخافين (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ومال (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ينزل (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الحنق، و فى م: الحيف. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الذى (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: شيئا.

و لما كان الكفر بالغيب سببا لعدم قبول الإيمان عند الشهادة قال :
﴿ فلم يك ﴾ أى لم يصح و لم يقبل بوجه من الوجوه لأنه لا كون
يساعد على ذلك و لا بأدنى[1] درجات الكون، فأشار بكان إلى أن هذا
أمر مستقر و شأن مستمر لكل أمة ليس خاصا بالمحدث عنهم و من مضى
٥ قبلهم [و - [2]] بحذف لام الكلمة إلى أنهم أمعنوا فى الترقق بتقرير
الإيمان و تكريره و تصريحه فى إطلاقه و تسريحه، و الوقت ضيق و المجال
حصير، و قد أزفت الآزفة، ليس لها من دون الله كاشفة، فلم يكونوا
لفوات الوقت موفين بما طلب منهم ﴿ ينفعهم ايمانهم ﴾ أى يتجدد لهم
نفعه بعد ذلك لأنه إيمان إلجاء و اضطرار لا إيمان طواعية و اختيار
١٠ ﴿ لما راوا ﴾ [و - [3]] أظهر موضع الإضمار زيادة فى الترهيب فقال :
﴿ باسنا[4] ﴾ لأن الإيمان لا يتحقق و لا يتصور إلا مع الغيب، و أما عند
الشهادة فقد كشفت سريرته على أنه قد فاتت حقيقته و صورته، فلو
ردوا لعادوا، و لو أتاهم بعد ذلك العذاب لانقادوا، و لهذا السر قال تعالى
صارفا القول إلى الاسم المقتضى لمزج الحكمة بالعظمة : ﴿ سنت الله ﴾ أى
١٥ سن[4] الملك الأعظم المحيط علما و قدرة ذلك فى كل دهر سنة، و لذا
قال : ﴿ التى قد خلت فى عباده ﴾ أن الايمان بعد كشف الغطاء
لا يقبل، و كل أمة كذبت الرسل أهلكت، و كل من أجيب إلى الإيمان
المقترحة فلم يؤمن عذب، سنها سنة / و أمضاها عزمة، فلا غير لها، فربح /٥٧٩

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بادنى (٢) زيد من ظ و م و مد
(٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل : الله . و لم تكن الزيادة فى ظ و م
و مد فحذفناها

إذ ذاك المؤمنون ﴿ و خسر ﴾ اى هلك او تحقق و تبين أنه خسر .
و لما كان المكان لاينفك عن الزمان ، استعير ظرفه له و ليدل على غاية
التمكن فقيل : ﴿ هنالك ﴾ أى فى ذلك الوقت العظيم الشأن بما كان
فيه و كان ﴿ الكٰفرون ع ﴾ أى العريقون فى هذا الوصف فلا انفكاك
بينهم و بينه ، و قد التف آخرها بما بين من كمال العزة و تمام القدرة ٥
و شمول العلم عما رتب من[1] أسباب الهداية و الإضلال و الإشقاء و الإسعاد
و النجاة و الإهلاك بأولها أى التفاف ، و اكتنفت[2] البداية و النهاية
بيان ذلك مع ما اشتمل عليه الوسط أيضا منه أعظم اكتناف[3] ، فسبحان
من هذا إنزاله ، و تبارك اسمه و جل جلاله ، [4]و لا إله سواه و لا حول
و لا قوة إلا بالله - رب سهل يا كريم[4] ١٠

* * * *

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : اكتشفت (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : اكتشاف (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

سورة حمٓ السجدة و تسمى فصلت

مقصودها الإعلام بأن العلم إنما هو ما اختاره المحيط بكل شيء قدرة و علما من علمه لعباده فشرعه لهم، لجاءتهم به عنه رسله، و ذلك العلم هو الحامل على الإيمان بالله و الاستقامة على طاعته المقترن بهما - ٥ كما تقدم فى الزمر فى قوله " هل يستوى الذين يعلمون و الذين لايعلمون" فتكون عاقبته الكشف الكلى حين يكون سبحانه سمع العالم الذى يسمع به، و بصره الذى يبصر به، و يده التى يبطش بها، و رجله التى يمشى بها - إلى آخر الحديث القدسى الذى معناه انه يوفقه[٢] سبحانه فلا يفعل إلا ما يرضيه، و على ذلك دل اسمها " فصلت " بالإشارة إلى [ما -[٣]] ١٠ فى الآية المذكورة فيها[٤] هذه الكلمة من الكتاب المفصل لقوم يعلمون، و السجدة بالإشارة إلى ما فى آيتها من الطاعة له بالسجود الذى هو أقرب مقرب من الملك الديان. و التسبيح الذى هو المدخل الأول للايمان ﴿ بسم الله ﴾ الذى لم يرض لاحاطته بأوصاف الكمال من جلال العلم إلا ما اقترن بجمال العمل ﴿الرحمن﴾ الذى وسع كل شيء رحمة و علما ١٥ ففصل الكتاب تفصيلا و بينه غاية البيان ﴿الرحيم﴾ الذى خص العلماء العاملين بسماع الدعوة و نفوذ الكلمة ﴿ حمٓ ﴾ [-[٥] أى حكمة محمد التى

(١) الحادية و الأربعون من سور القرآن الكريم، و عدد آياتها خمسون و آيتان بصرى و شامى و ثلاث مكى و مدنى، و أربع كوفى - كما فى روح المعانى ٧ / ٤٧٠ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يوافقه (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فيما (٥) زيد من م و مد.

أعجزت

أعجزت الخلائق] .

لما ختمت غافر بأن الكفرة جادلوا فى آيات الله بالباطل، و فرحوا بما عندهم من علم ظاهر الحياة الدنيا، و أنهم عند البأس انسلخوا عنه و تبرأوا منه و رجعوا إلى ما جاءت به الرسل فلم يقبل منهم، فعلم أن كل علم لم ينفع عند الشدة و البأس فليس بعلم، بل الجهل خير منه، ٥ و كان ذلك شاقا على النبى صلى الله عليه و سلم خوفا من أن يكون آخر أمر أمته الهلاك، مع الإصرار على الكفر إلى مجىء البأس، و ان يكون أغلب أحواله صلى الله عليه و سلم النذارة، افتتح سبحانه هذه السورة[1] بأن هذا القرآن رحمة لمن كان له علم و له قوة توجب له القيام فيما ينفعه، و كرر[2] الوصف بالرحمة فى صفة العموم و صفة الخصوص إشارة ١٠ إلى أن أكثر الأمة مرحوم، / و أعلم أن الكتاب فصل تفصيلا و بين ٥٨٠ / تبيينا لايضره جدال مجادل، و كيد مماحك مماحل، و أنه مغن بعجز الخلق عنه عن اقتراح الآيات فقال [مخبرا عن مبتدأ -[3]] : ﴿ تنزيل ﴾ أى بحسب التدريج عظيم ﴿ من الرحمن ﴾ اى الذى له الرحمة العامة للكافر و المؤمن بانزال الكتب و إرسال الرسل ﴿ الرحيم ﴾ [أى -[3]] ١٥ الذى يخص رحمته بالمؤمنين بالزامهم ما يرضيه عنهم .

و لما تشوف[4] السامع إلى بيان هذا التنزيل المفرق[5] بالتدريج، بين

---

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) زيد فى الأصل : هذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من م و مد (٤) فى ظ و مد : شوف (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : المعرق .

أنه مع ذلك حاوٍ لكل خير فقال [مبدلا من تنزيل -[1]]: ﴿ كتب ﴾ أى جامع قاطع غالب . و لما كان الجمع ربما أدى[2] إلى اللبس قال: ﴿ فصلت ﴾ أى تفصيل الجوهر ﴿ ءايته ﴾ أى بينت بيانا شافيا فى اللفظ و المعنى مع كونها مفصلة إلى أنواع من المعانى، و إلى مقاطع و غايات ٥ ترقى جلائل المعانى إلى أعلى النهايات، حال كونه ﴿ قرءانا ﴾ أى جامعا مع التفصيل، و هو مع الجمع محفوظ بما تؤديه مادة "قرا" من معنى الإمساك . و هو مع جمع اللفظ و ضبطه و حفظه و ربطه منشور اللواء منتشر المعانى لا إلى حد، و لانهاية [و -[3]] عد، بل [كلما -[1]] دقق النظر جل المفهوم، و لذلك قال تعالى: ﴿ عربيا ﴾ لأن لسان العرب ١٠ أوسع الألسن ساحة، و أعمقها عمقا و اغمرها باحة، و أرفعها[4] بناء و أفصحها لفظا، و أبينها[5] معنى و أجلها فى النفوس وقعا، قال الحرالى: هو قرآن لجمعه، فرقان لتفصيله، ذكر لتنبيهه على ما فى الفطر و الجبلات، وجوده[6] حكيم لإنبائه الاقتضاءات الحكمية، مجيد لإقامته قسطاس العدل، عربى لبيانه عن كل شىء، كما قال تعالى فى سورة أحسن القصص، ١٥ و تفصيل كل شىء مبين لمحوه الكفر بما ابان من إحاطة أمر الله، محفوظ لإحاطته حيث لم يختص فيقبل العدول عن سنن .

و لما كان لايظهر إلا لمن له قابلية ذلك، و أدمن اللزوم ذلا

(١) زيد من م و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: ادنى (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ارفها (٤) فى م: ثبتها (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و حوزه - كذا .

للأعتاب، و القرع خضوعا و حبا للأبواب، قال معلقا[1] بـ «فصلت أو «تنزيل» أو «الرحمن الرحيم»: ﴿لقوم﴾ أى ناس فيهم قوة الإدراك لما يحاولونه ﴿يعلمون ﴾ أى فيهم قابلية العلم و تجدد الفهم بما فيهم من سلامة الطبع و سلامة[2] الانقياد لبراهين العقل و السمع وحدة الأذهان و فصاحة اللسان و صحة الأفكار و بعد الأغوار، و [فى -[3]] هذا تبكيت لهم فى كونهم لا ينظرون ٥ محاسنه فيهتدوا بها كما يعتنون بالنظر فى القصائد حتى يقضوا لبعضها على بعض حتى[4] أنهم ليعلقون بعضها على الكعبة المشرفة تشريفا له، و فيه حث لهم - و هم أولوا العزائم الكبار - على العلم به ليغتنوا عن سؤال اليهود، و فيه بشرى بأنه تعالى يهب العرب بعد هذا الجهل علما كثيرا، و عن هذا الكفر إيمانا عظيما كبيرا، و فى الآية إشارة إلى ذم المقترحين ١٠ المشار إليهم آخر التى قبلها بأنهم قد آتاهم ما أغناهم عنه من آيات هذا الكتاب الذى[5] عجزوا عن مباراته، و مناظرته و مجاراته[6] و ذلك فى غاية الغرابة، لأنه كلام من جنس كلامهم فى كونه عربيا، و قد خالف كلامهم فى تخطيه من ذرى البلاغة إلى فن تضاءلت عنها أشعارهم، و تقاصرت دونها خطبهم و أسجاعهم[7]، مع كونه ليس شعرا و لا سجعا أصلا و لا هو ١٥ من أنواع نثرهم، و لا من ضروب خطبهم، فعجزوا عن / الإتيان بشىء / ٥٨١

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معلنا (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: سلامة (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: على (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التى (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: محارته (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: اشجاعهم.

من مثله فى مر الأحقاب وكر الدهور والأعصار، وكفى بذلك معجزة شديدة[1] الغرابة لمن ينيب.

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تضمنت سورة غافر بيان حال المعاندين وجاحدى الآيات، وان ذلك ثمرة[2] تكذيبهم وجدلهم، وكان بناء السورة على هذا الغرض بدليل افتتاحها وختمها، ألا ترى قوله تعالى "ما يجادل فى اٰيٰت الله الا الذين كفروا" وتأنيس نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام بقوله "فلا يغررك تقلبهم فى البلاد" فقد تقدم ذلك من غيرهم فأعقبهم سوء العاقبة والأخذ الوبيل "كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم لياخذوه" فعصمتهم[3] واقية "انا لننصر رسلنا" وقال تعالى "وجدلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب" أى رأيت ما حل[4] بهم وقد بلغك خبرهم، فهلا اعتبر هؤلاء بهم "اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا فى الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق" وإنما أخذهم بتكذيبهم الآيات "ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينٰت فكفروا فاخذهم الله" ثم ذكر تعالى من حزب المكذبين فرعون وهامان وقارون، وبسط القصة تنبيها على سوء عاقبة من عاند وجادل بالباطل وكذب الآيات، ثم قال تعالى بعد آيات "ان الذين يجادلون فى اٰيٰت الله بغير سلطٰن اتٰهم ان فى

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: عن (٣) من م و مد، وفى الأصل و ظ: نعصمهم (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ: وصل.

صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه" إذ الحول و القوة ليست لهم "فاستعذ بالله" من شرهم، فخالق غيرهم لو استبصروا أعظم من خلقهم "لخلق السموٰت و الارض اكبر من خلق الناس" و هم غير آمنين من الأخذ من كلا الخلقين "ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء" ثم قال تعالى بعد هذ "الم تر الى الذين يجادلون فى اٰيٰت الله ٥ انى يصرفون"، ان[1] أمرهم لعجيب فى صرفهم عن استيضاح الآيات بعد بيانها، ثم ذكر تعالى سوء حالهم فى العذاب الأخراوى و واهى اعتذارهم بقولهم "ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا" ثم صبر تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم بقوله "فاصبر ان وعد الله حق" ثم أعاد تنبيههم فقال تعالى "افلم يسيروا فى الارض" إلى ختم السورة، و لم يقع من ١٠ هذا التنبيه الذى دارت عليه آى هـذه السورة فى سورة الزمر شيء و لا من تكرار التحذير من[2] تكذيب الآيات، فلما بنيت على هذا الغرض أعقبت بذكر الآية العظيمة التى تحديت بها العرب، و قامت بها حجة الله سبحانه على الخلق، وكان قيل لهم: احذروا ما قدم لكم، فقد جاءكم محمد صلى الله عليه و سلم بأوضح آية و أعظم برهان "تنزيل من الرحمن ١٥ الرحيم كتٰب فصلت اٰيٰته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا و نذيرا" و تضمنت هذه السورة العظيمة من بيان عظيم الكتاب و جلالة قدره و كبير الرحمة به ما لا يوجد فى غيرها من أقرانها كما أنها فى الفصاحة

---

(١) فى م: إذ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عن.

/ ٥٨٢ تبهر العقول بأول / وهلة ، فلا يمكن العربى الفصيح فى شاهد برهانها أدنى توقف ، و لا يجول فى وهمه إلى معارضة بعض آيها أدنى تشوف ، و أنه لكتاب عزيز " لا ياتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد" "و لو جعلنٰه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اٰيٰته ءاعجمى

٥ و عربى" فوبخهم سبحانه و تعالى و أدحض حجتهم و أرغم باطلهم و بكت دعا‌ئهم[1] ثم قال " قل هو للذين اٰمنوا هدى و شفاء و الذين لايؤمنون فى اٰذانهم وقر و هو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد" [2]" انما يستجيب الذين يسمعون" و قرعهم تعالى فى ركيك جوابهم عن واضح حجته بقولهم[3] " قلوبنا فى اكنة مما تدعونا[4] اليه و فى اٰذاننا وقر"

١٠ و قولهم " لاتسمعوا لهذا القراٰن و الغوا فيه" و هذه شهادة منهم على أنفسهم بالانقطاع عن معارضته ، وتسجيلهم بقوة عارضته[5] ، ثم فضحهم بقوله " قل ارءيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم بـــه" - الآية ، و تحملت السورة مع هذا بيان هلاك من عاند و كذب ممن كان قبلهم و أشد قوة منهم ، و هم الذين قدم ذكرهم مجملا فى سورة غافر فى آيتى

١٥ "او لم يسيروا فى الارض" [" افلم يسيروا "-[6]] فقال تعالى مفصلا

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : دعاهم (٢) زيد فى الأصل : قل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بقلوبهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تدعوننا (٥) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : عارضة (٦) زيد من م و مد .

لبعض ذلك الإجمال "فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود" ثم قال "فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق و قالوا من اشد منا قوة" ثم قال تعالى "فارسلنا عليهم ريحا صرصرا" - الآية، ثم قال "و اما ثمود" فبين [تعالى -[1]] حالهم و أخذهم، فاعتضد التحام السورتين، و اتصال المقصدين - و الله أعلم - انتهى. ٥

و لما كان حال الإنسان إن مال إلى جانب الخوف الهلع أو إلى جانب الرجاء البطر، فكان لا يصلحه إلا الاعتدال، بالتوسط الموصل إلى الكمال، بما يكون لطبعه بمنزلة حفظ الصحة و دفع المرض لبدنه. قال واصفا له قرآنا: ﴿بشيرا﴾ أى لمن اتبع[2] ﴿و نذيرا ج﴾ أى لمن امتنع فانقطع - روى[3] أبونعيم فى الحلية فى ترجمة إمامنا الشافعى رضى الله عنه ١٠ و أرضاه أنه روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال فى خطبة له: و أعجب ما فى الإنسان قلبه، و له مواد من الحكمة و أضداد من خلافها إن سنح له الرجاء ادلهمه[4] الطمع، و إن هاج به الطمع أهلكه الحرص، و إن ملكه اليأس قتله الأسف، و إن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، و إن سعد بالرضى نسى التحفظ، و إن ناله الخوف ١٥ شغله الحزن، و إن أصابته مصيبة قصمه الجزع، و إن أفاد مالا أطغاه الغنى، و إن عضته فاقة شغله البلاء، و إن أجهده الجوع قعد به الضعف،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد فى الأصل: النبي الامي أو الله سبحانه و النبي. و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: و روى (٤) من ظ و م و مد. و فى الأصل: اذا همه.

فكل تقصير به مضر[1] و كل إفراط به مفسد .

و لما كانت عادتهم دوام الاحتياط فى كل بشارة و نذارة بأمر دنيوى، سبب عن هذا مخالفتهم لعادتهم فى ترك الحزم [بالجزم - [2]] بالإعراض فقال : ﴿فاعرض اكثرهم﴾ أى عن / تجوز شىء من بشارته ٥٨٣ /
٥ أو نذارته[3] ﴿فهم﴾ لذلك ﴿لا يسمعون ه﴾ أى يفعلون فعل من [4]لا يسمع فهم[4] لايقبلون شيئا مما دعا إليه و حث عليه .

و لما أخبر عن إعراضهم، أخبر عن مباعدتهم فيه فقال : ﴿و قالوا﴾ أى عند إعراضهم ممثلين[5] لمباعدتهم فى عدم قبولهم : ﴿قلوبنا فىٓ اكنة﴾ أى أغشية محيطة بها . و لما كان السياق فى الكهف للعظمة كان الأنسب
١٠ له أداة الاستعلاء فقال " انا جعلنا على قلوبهم اكنة " و عبروا هنا بالظرف إبعادا لأن يسمعوا ﴿ مما ﴾ أى مبتدئة تلك الأغشية و ناشئة من الأمر الذى ﴿ تدعونآ ﴾ أيها[6] المخبر بأنه نبى . ﴿ اليه ﴾ فلا سبيل له إلى الوصول إليها لنفيه أصلا . و لما كان القلب أفهم لما يرد إليه[7] من جهة السمع قالوا : ﴿ و فىٓ اٰذانا ﴾ التى هى أحد الطرق[8] الموصلة إلى القلوب[9]
١٥ ﴿ وقر ﴾ أى ثقل [10]قد أصمها[10] عن سماعه ﴿و من بيننا و بينك﴾ أى

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : نصير (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : نذارة (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لايسمعون فيهم (٥) من مد . و فى الأصل و ظ و م : مملين (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اى (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : عليه (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الطر (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : القلب (١٠-١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل : فقاصمها .

و مبتدئ من الحد الذى فصلك منا و الحد الذى فصلنا منك فى منتصف المسافة فى ذلك ﴿ حجاب ﴾ ساتر كثيف، فنحن لا نراك لنفهم عنك بالإشارة، فانسدت طرق الفهم لما تقول ﴿ فاعمل ﴾ [أى - [1]] بما تدين به . و لما كان تكرار[2] الوعظ موضعا للرجاء فى رجوع الموعوظ قطعوا ذلك الرجاء بالتأكيد[3] بأداته، و زادوه بالنون الثالثة و التعبير ٥ بالاسمية فقالوا : ﴿ اننا عملون ه ﴾ أى بما ندين به فلا مواصلة بيننا بوجه ليستحى أحد منا من الآخر فى عمله أو يرجع إليه، و لو قال "[و - [4]] بيننا" من غير "من" لأفهم أن البينين بأسرهما حجاب، فكان كل من الفريقين ملاصقا لبينه، و هو نصف الفراغ الحاصل بينه و بين خصمه، فيكون حينئذ كل فريق محبوسا بحجابه لا يقدر على عمل فينا فى ما بعده ١٠ أو يكون بينهما اتصال أقله [5]بالإعلام بطرق[5] من أراد من المتباينين الحجاب، فأفادت "من" التبعيض مع إفادة الابتداء، فانهم لا يثبتون الحجاب فى غير أمور الدين .

و لما أخبروا[6] باعراضهم و عللوا بعدم فهمهم لما يدعو إليه، أمره سبحانه بجواب يبين أنهم على محض العناد فقال : ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء ١٥ الذين عجزوا عن رد شىء من أمرك بشىء يقبله ذو عقل فادعوا[7] ما ينادى

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م : تكرير.
(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بالتكيد (٤) زيد من م و مد .
(٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : باعلام بطريق (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اخبر (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فارعوا .

عليهم بالعجز: ﴿ انمآ انا بشر مثلكم ﴾ لاغير [1]بشر مما[1] لايرى، و البشر يرى بعضه بعضا و يسمعه و يبصره[2] فقولكم أنه لاوصول لكم إلى رؤيتى و لا إدراك شيء مما أقول مما لا وجه له أصلا . و لما كان ادعاؤهم لعدم المواصلة بينهم قد تضمن شيئين : أحدهما فيه، و الآخر فيما يدعو إليه،

٥ و نقض الأول، قال فى الثانى : ﴿ يوحىٓ الىّ ﴾ أى بطريق يخفى عليكم ﴿ انمآ الهكم ﴾ أى الذى يستحق العبادة[3] ﴿ اله واحد ﴾ لا غير [واحد - [4]]، و هذا مما دلت عليه الفطر الأولى السوية، و قامت عليه الأدلة العقلية، و أيدتها[5] فى كل عصر[6] الطرق النقلية، و انعقد عليه الإجماع فى أوقات الضرورات النفسانية، أى لست مغايرا للبشر ممن

١٠ يخفى عليكم شخصه كالملك، و لا يعجم عليهم مراده بصوته كسائر الحيوانات، و مع كونى بشرا فلست بمغاير لكم فى الصنف بكونى أعجميا، بل أنا مثلكم سواء فى كونى عربيا، و مع ذلك كله فأصل ما أوحى إلىّ ليس معبرا / عنه بجمل طوال تمل أو تنسى، أو يشكل فهمها[7]، و إنما هو حرف واحد و هو التوحيد، فلا عذر لكم أصلا فى عدم فهمه و لاسماعه

/٥٨٤

١٥ و لارؤية قائله .

و لما قطع حجتهم و أزال علتهم، سبب عن ذلك قوله :

(١ - ١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : مبشرحا (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : يبصر (٣) زيد فى الأصل و ظ : له، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ايدها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بحصر - كذا (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فهما .

﴿ فاستقيموآ ﴾ أى اطلبوا و اقصدوا و أوجدوا القوام[1] متوجهين و إن كان فى غاية البعد عنكم ﴿ اليه ﴾ غير معرجين أصلا على نوع شرك بشفيع و لا غيره . و لما [كان - [2]] أعظم المراد من الوحى العلم و العمل ، و كان رأس العلم التوحيد فعرفه و أمر بالاستقامة فيه ، أتبعه راس العمل و هو ما أنبأ عن الاعتراف بالعجز مع الاجتهاد فقال : ٥
﴿ و استغفروه ﴾ أى اطلبوا منه غفران ذنوبكم ، و هو محوها عينا و أثرا [حتى - [3]] لا تعاقبوا عليها و لا تعاتبوا بالندم عليها ، و الإقلاع عنها حالا و مآلا . و لما أمر بالخير ، رغب فيه و رهب من ضده ، فكان التقدير للترغيب : فالفلاح و الفوز لمن فعل ذلك ، فعطف عليه ما السياق له فقال : ﴿ و ويل ﴾ أى سوأة و هلاك ﴿ للمشركين لا ﴾ . ١٠

و لما كانت العقول و الشرائع ناطقة بأن خلاصة السعادة فى أمرين : التعظيم لأمر الله ، و الشفقة على خلق الله ، و كان [أفضل - [2]] أبواب التعظيم لأمر الله الإقرار بوحدانيته ، فكان أخس[4] الأعمال التى بين العبد و ربه الإخلال بذلك ، و كان اخس[5] الأعمال التى بين العبد و بين الخلق منع ما أوجبه[6] الله من الزكاة ، و كان معنى الشرك الحكم بأن ما لا ١٥ شيء له اصلا و ما لا يمكن أن يكون له ملك تام على شيء أصلا قد شارك من له الكل خلقا و تصرفا فيما هو عليه من الملك التام الذى

(١) فى م : القيام (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى مد : احسن (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : الأخس ، و فى مد : احسن . (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اوجبه .

لا شوب فيه، و كانت الزكاة إشراك من له ملك غير تام لمثله فى جزء يسير من ماله، قال ذاما لمن أبى أن يشارك الخلائق و أشرك بالخالق: ﴿الذين لايؤتون﴾ أى أمثالهم من أولاد آدم ﴿الزكوة﴾ من المال الذى لا صنع لهم فى خلقه، فهو مخلف عن أبيهم آدم، فالقياس يقتضى ٥ اشتراكهم[1] كلهم فيه على حد سواء، و لكنا رحمناهم[2] بتخصيص كل واحد منهم بما ملكت يمينه منه بطريقه، فقد حكموا فى أمر ربهم بما لا يرضونه لأنفسهم، فانهم أبوا أن يشركوا ببذل الزكاة بعض أخوانهم فى بعض مالهم الذى ملكهم له ضعيف، و أشركوا ما لا يملك شيئا أصلا بما لا نفع فيه مع المالك المطلق.

١٠ و لما كان مما[3] تضمنه إشراكهم و إنكارهم البعث أنهم أداهم شحهم إلى استغراقهم فى الدنيا و الإقبال بكلياتهم على لذاتها، فأنكروا الآخرة، فصار محط حالهم أنهم أثبتوا لمن لا فعل له أصلا فعلا لا يمكنه تعاطيه بوجه، و نفوا عن الفاعل المختار الذى هم لأفعاله الهائلة فى كل وقت يشاهدون، و إليه فى منافعهم و مضارهم يقصدون، ما أثبت لنفسه من ١٥ فعله، فقال مؤكدا تنبيها على أن إنكارهم هذا مما لا يكاد يصدق: ﴿و هم بالأخرة﴾ أى الحياة التى بعد هذه و لا بعد لها ﴿هم﴾ أي خاصة من بين أهل الملل ﴿كفرون ﴾ فاختصموا[4] بانكار شىء لم يوافقهم عليه

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: اشراكهم (٢) من ظ و م، و فى الأصل و مد: رحمنا (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ما (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فاختصوا.

أحد

أحد فى حق من يشاهدون فى كل وقت من أفعاله أكثر من ذلك، و أثبتوا لمن لم يشاهدوا له فعلا قط ما لايمكنه فعله أصلا، و هم يدعون العقول الصحيحة و الآراء المتينة و رضوا لأنفسهم بالدناءة فى منع [الزكاة -[1]] / و حكموا بأعظم منها على الله و هم يدعون مكارم الأخلاق و معالى الهمم، فأقبح بهذه عقولا و أسفل بها هما [فقد -[1]] تضمنت الآية أن الويل لمن اتصف بصفات ثلاثة: الشرك الذى هو ضد التعظيم لأمر الله، و الامتناع من الزكاة الذى هو ضد الشفقة على خلق الله، و إنكار القيامة المؤدى إلى الاستغراق فيما أبغض الله من طلب الدنيا و لذاتها و [هو -[2]] من الاستهانة بأمر الله، قال الأصبهانى: و تمام الكلام فى أنه لا زيادة على [3]هذه المراتب[3] الثلاثة أن الإنسان له ثلاثة أيام: أمس و اليوم و الغد، فمعرفة أنه كيف كانت أحواله بالأمس[4] فى الأزل هو بمعرفة الخالق لهذا العالم، و معرفة كيف ينبغى وقوع الأحوال فى اليوم الحاضر هو بالإحسان إلى أهل العلم بقدر الطاقة، و معرفة الأحوال فى اليوم المستقبل بالإقرار بالبعث و القيامة، فاذا كان الإنسان على ضد الحق فى هذه المراتب الثلاثة كان فى نهاية الجهل و الضلال.

و لما ذكر ما للجاهلين وعيدا و تحذيرا، ذكر ما لأضدادهم وعدا و تبشيرا، فقال مجيبا لمن تشوف لذلك[5] مؤكدا لإنكار من ينكره:

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هذا الترتيب (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: امس.
(٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بذلك.

﴿ان الذين ءامنوا﴾ أى بما آتاهم الله من العلم النافع ﴿وعملوا الصلحت﴾ من الزكاة و غيرها ليكون علمهم شرعيا نافعا ، و لما كان افتتاح السورة بالرحمن الرحيم مشعرا بأن الأسباب الظاهرية انمحت عند السبب الحقيقى الذى هو رحمته ، أعرى الخبر عن الفاء ، فقال إيذانا بعظم الجزاء لأن ٥ سببه رحمة الرحيم ، و لو كان بالفاء لآذنت أنه على مقدار العمل الذى هو سببه : ﴿لهم اجر﴾ أى عظيم ﴿غير ممنون ع﴾ أى مقطوع - جزاء على سماحهم بالفانى اليسير من أموالهم فى الزكاة و غيرها و ما أمر الله به من أقوالهم و أفعالهم فى الآخرة و الدنيا ، و الممنون : المقطوع من منت[1] الحبل أى قطعته بقطع منته[2] و منه قولهم[3] : قد منه السفر أى قطعه ١٠ و أذهب منته .

و لما ذكر سبحانه سفههم فى كفرهم بالآخرة ، شرع فى ذكر الادلة على قدرته عليها و على كل ما يريد بخلق الأكوان و ما فيها الشامل لهم و لمعبوداتهم من الجمادات و غيرها[4] الدال على أنه واحد لا شريك له ، فقال منكرا عليهم [و مقررا بالوصف لأنهم كانوا عالمين بأصل الخلق : ١٠ ﴿قل﴾ أى لمن أنكر الآخرة منكرا عليه -[5]] بقولك[6] : ﴿ائنكم﴾ و أكد لإنكارهم التصريح بما يلزمهم من الكفر ﴿لتكفرون﴾ أى توجدون حقيقة الستر لأنوار العقول الظاهرة ﴿بالذى خلق الارض﴾

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منت (٢) فى م : منته (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : قوله (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : غيرهم . (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بقوله .

أى على سعتها و عظمتها[١] من العدم ﴿ فى يومين ﴾ فتنكرون قدرته على إعادة ما خلقه [منها -[٢]] ابتداء مع اعترافكم بأنه ابتدأ خلقها و خلق ذلك منها، و هذان اليومان الأحد و الاثنين - نقل هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما و عبد الله بن سلام رضى الله عنه - قال ابن الجوزى : و الأكثرين، و حديث مسلم الذى تقدم فى سورة البقرة « خلق الله التربة يوم السبت » ٥ يخالف هذا، فان البداءة فيه بيوم[٣] السبت وهو مصرح بأن خلق الأرض و ما فيها فى ستة أيام كما هو ظاهر هذه الآية، و يجاب بأن المراد بالخلق فيه إخراج أقواتها بالفعل، و المراد هنا تهيئتها لقبول ذلك، و يشكل أيضا بأن الأيام إنما كانت بدوران الأفلاك، و إنما كان ذلك بعد تمام الخلق بالفعل، فالظاهر / أن المراد باليوم ما قال الحرالى: مقدار ما يتم ١٠ / ٥٨٦ فيه أمر ظاهر أو مقدار يومين تعرفونها من ايام الدنيا . و لما ذكر[٤] كفرهم بالبعث و غيره، عطف على " تكفرون " قوله : ﴿ و تجعلون ﴾ ، أى مع هذا الكفر ﴿ له اندادا[٥] ﴾ مما خلقه، فتثبتون له °افعالا و أقوالا° مع أنكم لم تروا شيئا من ذلك، فأنكرتم ما تعلمون مثله و أكبر منه، و[٦] اثبتم ما لم تعلموه[٦] أصلا، هذا هو الضلال المبين . و لما بكتهم على ١٥ قبيح معتقدهم، عظم ذلك بتعظيم شأنه سبحانه فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى

---

(١) فى ظ و مد : عظمها (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يوم (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ذكرهم (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : افعالكم و اقوالكم (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل : اثبتم ما لم تعلموا، و فى مد : أتيتم بما لم تعلموه .

الإله العظيم ﴿ رب العٰلمين ج ﴾ اى موجدهم و مربيهم ، و ذلك يدل قطعا على [جميع - [1]] ما له من صفات الكمال .

و لما ذكر[2] ما هم به[3] مقرون من إبداعها ، أتبعه ما جعل فيها من الغرائب ، فقال عاطفا على ما تقديره : أبدع الأرض على ما ذكر :

٥ ﴿ و جعل ﴾ و لا يجوز عطفه على صلة الموصول للفصل بأجنبى ﴿ فيها رواسى ﴾ [هى أشدها - [1]] و هى الجبال ، و نبه على انها مخالفة للرواسى فى كونها تحت ما يراد إرساؤه فقال : ﴿ من فوقها ﴾ فمنعتها من الميد ، فعل ذلك لكونه أدل على القدرة ، فانها لو كانت من تحت لظن أنها ، أساطين حاملة ، و لتظهر منافع الجبال بها أنفسها و بما فيها ، و يشاهد أنها أثقال

١٠ مفتقرة[4] إلى حامل . و لما هيأها لما يراد منها ، ذكر ما أودعها فقال : ﴿ و بٰرك فيها ﴾ أى جعلها قابلة ميسرة صالحة بالأقوات و المنافع من الذوات و المعانى المعينة على محاسن الأعمال الميسرة للسير إليه و الإقبال عليه ، و دالة على جميع صفاته الحسنى و أسمائه العلى و غير ذلك من المعارف و القدر[5] و القوى ﴿ و قدر فيهآ اقواتها ﴾ أى جعلها

١٥ مع البركة على مقدار لا تتعداه[6] ، و منهاج بديع دبره فى الأزل و ارتضاه ، و قدره فأمضاه[7] ، و من ذلك أنه خص بعض البلاد بشيء لا يوجد فى غيرها لتنتظم عمارة الأرض كلها باحتياج بعضهم إلى بعض ، فكان

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذكرهم (٣) زيد فى الأصل و ظ : من ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تفتقر (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : القدرة. (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لايتعداها (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و امضاه .

جميع ما تقدم من إيداعها و إبداعها ما ذكر من متاعها، دفعة واحدة لاينقص عن حاجة المحتاجين أصلا، و إنما ينقص توصلهم أو توصل بعضهم إليه فلا يجد [له -[1]] حينئذ ما يكفيه، و فى الأرض أضعاف أضعاف كفايته، ثم ذكر فذلكة خلق الأرض[2] و ما فيها فقال: ﴿ فیٓ اربعة ايام[4] ﴾ و هذا العدد عند ضم اليومين [الماضيين إلى -[3]] يومى الأقوات و هما الثلاثاء و الأربعاء، أو يكون المعنى فى تتمة أربعة أيام، و لايحمل على الظاهر ليكون ستة لأنه سيأتى للسماوات يومان[4] فكانت تكون ثمانية، فتعارض آية "الم السجدة" "الله الذى خلق السمٰوٰت و الارض و ما بينهما فى ستة ايام" و فصل مقدار ما [خلقها فيه و مقدار ما -[1]] خص الأقوات و المنافع لإحاطة العلم بأنه يخص كل أمر من الأمرين يومان، و نص على الأولين ليكون ذلك أدل على القدرة فيحسن موقع النعى عليهم بما فصل به الآيتين من اتخاذ الأنداد، و إنما كان أدل على القدرة، لأنه إيجاد ذوات محسوسة من العدم[5] قائمة بأنفسها بخلاف البركة، و تقدير الأقوات فانه أمر لايقوم بنفسه، فلم يفرد يوميه[6] بالذكر، بل جعلهما تابعين كما أن ما قدر فيهما تابع، و لم يفعل ذلك فى أقل من لمح البصر مع تمام القدرة عليه، لأن هذا أدل على الاختيار و أدخل فى الابتلاء و الاختبار، ليضل / به كثيرا و يهدى /٥٨٧

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الله (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل و م: يومين (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: العدد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يومه.

به كثيرا، فيكون أعظم لأجورهم لأنه أدل على تسليمهم، و جعل مدة خلقها ضعف مدة السماء مع كونها أصغر من السماء دلالة على أنها [هي -[1]] المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين، فزادت بما فيها من كثرة المنافع و تباين أصناف الأعراض و الجواهر لأن ذلك أدخل في
٥ المنة على سكانها، و الاعتناء بشأنهم و شانها، و زادت أيضا بما فيها من الابتلاء بالتهيئة للعاصي و المجاهدات و المعالجات[2] التي يتنافس فيها الملأ الأعلى و يتخاصم - كل ذلك دلالة على أن المدة ما هي لأجل القدرة بل لأجل التنبيه على ما في المقدر من المقدور و عجائب الأمور، و ليعلم أيضا بخلق السماء التي هي أكبر جرما و أتقن جسما و اعظم زينة و اكثر
١٠ منافع[3] بما لايقايس[4] في أقل من مدة خلق الأرض أن خلقها في تلك المدة ليس للعجز عن إيجادها في أقل من اللمح، بل لحكم تعجز عن حملها العقول، و لعل تخصيص السماء بقصر المدة دون العكس لإجراء أمرها [على -[5]] ما نتعارفه[5] من أن بناء السقف[6] أخف من بناء البيت تنبيها على أنه بنى أمر دارنا هذه على الأسباب [7] تعليما للتأنى و تدريبا [7]
١٥ على السكينة و البعد من العجلة.

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد. و في الأصل: الصالحات.
(٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: منافعا (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: لايقاسي (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: تتقادنه (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: السقف (٧-٧) من م و مد، و في الأصل و ظ: تعلما على التاني و تدربا.

و لما كان لفظ "سواء" الذى هو بمعنى العدل الذى لا يزيد عن[1] [النصف و لاينقص يطلب اثنين، تقول: سواء زيد و عمرو "الى كلمة سواء بيننا و بينكم" قال تعالى -[2]] مزيلا[3] لما أوهمه قوله "اربعة ايام" من أنها للأقوات و البركة ليكون مع يومين من الارض ستة، ناصبا على المصدر: ﴿سوآء﴾ أى التوزيع إلى يومين و يومين على السواء ٥ ﴿للسآئلين ه﴾ أى لمن سأل أو كان بحيث يسأل و يشتد بحثه بسؤال أو نظر عن التوفيق بين ظاهر هذه الآية و بين غيرها، و لايتأتى السواء إلا بين يومين و يومين [لا بين يومين -[4]] و أربعة، لايزيد أحد الشقين من اليومين على اليومين الآخرين ذرة بعلم محيط و قدرة شاملة، و ليس ذلك كأيام الدنيا، لابد فى [كل -[2]] يوم منها من زيادة عن[5] الذى قبله أو نقص، ١٠ و مجموع الأربعة كأربعة من أيام الدنيا لاتزيد عليها و لاتنقص، و قراءة يعقوب[6] بجر «سواء» معينة لأن تكون نعتا[7] لـ «اربعة»، و قراءة أبى جعفر بالرفع خبر لمبتدأ[8] محذوف، و عن خلقها و تتميمها [فى -[2]] اربعة أيام كانت فصولها أربعة[9]، قال ابن برجان: ألا ترى الأمر ينزل إلى السماء أولا فى إنزال الماء فيخلقه فيما هنالك ثم ينزله إلى الأرض و النبات ١٥

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من بلا (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: على (٦) راجع نثر المرجان ٦/ ٢٨٣ (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: وصفا (٨) فى م و مد: مبتدأ (٩) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

و الحيوان عن الماء الذى ينزل من السماء إلى الأرض بمنزلة النسل بين
الذكر و الأنثى و بمنزلة تسخير السماء و الأرض و ما بينهما لما وجدنا له
فافهم - أمر قويم و حكمة شائعة آية ذلك قضاؤه بركات الأرض فى أربعة
أيام بواسطة ما قدر فى السماء من أمر و هى الأربعة الفصول[1] من السنة
٥ الشتاء و[2] الربيع و الصيف[2] و الخريف، فهذه الأيام معلومة بالمشاهدة،
فيهن يتم زرع الأرض و بركات الدنيا و جميع ما يخرجه منها من فوائد
و عجائب، قال: و قوله «للسائلين» تعجيب و إغراب و تعظيم للمراد المعنى
بالخطاب، و قد يكون معنى السواء زائدا إلى ما تقدم أن بهذه الأربعة
الأيام استوت السنة مطالعها و مغاربها و قربها و بعدها و ارتفاعها و نزولها
١٠ فى شمالى بروجها و جنوبيها[3] باحكام ذلك كله و توابعه - انتهى. و لما
كانت السماوات أعظم من الأرض فى ذاتها بنور / أبنيتها و اتساعها /٥٨٨
[و زينتها -[4]] و دوران أفلاكها و ارتفاعها[5]، نبه على[6] ذلك بالتعبير
بأداة التراخى، و لفظ الاستواء و حرف الغاية الدال على عظيم العناية[7]
فقال: ﴿ [8]ثم استوى[8] ﴾ أى[8] قصد قصدا هو القصد منتهيا قصده
١٥ ﴿ الى السمآء و هى ﴾ أى و الحال أنها ﴿ دخان ﴾ بعد ما فتقها من

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: فصول (٢ - ٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الصيف و الربيع (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: جنوبها.
(٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اتساعها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: عن (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الغاية.
(٨-٨) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط.

الأرض، قالوا: كان ذلك الدخان بخار الماء فهو مستعار من المرتفع من النار، وهو تشبيه صورى، فالسماء[1] متقدمة فى الدخانية على الأرض، تقدم [2]الذكر على[2] الانثى ثم خلقت ذات الأرض و بعد تصوير السماء و تتميمها دحيت أنثى [الأرض - [3]] و سويت لذكر السماء، قال ابن برجان: فالذى يعتقد أن السماء أولا [4] إيجادا و تتميما [4] و الأرض بعدها[5] ٥
إيجادا و رتبة، و أيام الخلق يومان لإيجاد الأرض و يومان لتسوية[6] السماء بعد أن كانت دخانا، و يومان لتتميم المنافع فتداخلت الأعداد لتداخل الأفعال[7]. ﴿ فقال لها ﴾ أى عقب هذا الاستواء ﴿ و للارض ﴾ بعد خلقها و قبل دحوها: ﴿ ائتيا ﴾ أى تعاليا و أقبلا[8] [9]مواتيتين مقارنتين[9] لما قدرته فيكما و اردته منكما من إخراج المنافع من المياه و النبات و المعادن ١٠
و غيرها، و وضع المصدر موضع الحال مبالغة فقال: ﴿طوعا او كرها ﴾ أى طائعتين أو كارهتين فى إخراج ما أودعتكما من الأمانة فى أوقاتها و على ما ينبغى من مقاديرها و هيآتها طوع تسخير لا تكليف

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و السماء (٢ - ٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ذكر (٣) زيد من م و مد (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و إيجادا و تتميمها (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بعد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لسوية (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الا (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اقبالا، و زيد فى الأصل بعده: متواليين، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩ - ٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: متواتيين متقارنتين.

﴿ قالتآ اتينا ﴾ أى نحن و ما فينا و ما بيننا .

و لما جعلهما موضع المخاطبة التى هى للعقلاء و التكلم ، قال جامعا لهما باعتبار أفرادهما و ما فيهما جمع من يعقل : ﴿ طآئعين ه ﴾ أى فى كل ما رسمته فينا لانحمل من ذلك شيئا بل نبذله على ما أمرت به لا نغير

٥ و لانبدل ، و ذلك هو بذلها للأمانة ، و عدم حملها ، و جمع الأمر لهما فى الإخبار[1] لايدل على جمعه فى الزمان ، بل قد يكون القول لهما متعاقبا ﴿ فقضٰهن ﴾ أى خلقهن و صنعهن حال كونهن معدودات ﴿ سبع سمٰوٰت ﴾ صنعا نافذا[2] هو كالقضاء[3] لا تخلف [فيه -[4]] ﴿ فى يومين ﴾ أى الخميس و الجمعة إذا حسب[5] مقدار ما يخصهن من التكوين فى الستة الأيام[6] التى

١٠ كان فيها جميع الخافقين ، و ما بينهما كان بمقدار ما خص واحدا من الأرض و من أقواتها لا يزيد على مدة منهما و لاينقص ، فيكون الذى خصهما ثلث المجموع . قال ابن جرير[7] : و إنما سمى[8] [يوم -[9]] الجمعة[10] لأن الله تعالى جمع فيه خلق السماوات و الأرض . يعنى فرغ من ذلك و أتمـــه ﴿ و اوحىٰ ﴾ أى ألقى بطريق خفى و حـــكم مبتوت قوى

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاختبار (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نافذ (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : القضا (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد فى الأصل و ظ : ما ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : ايام (٧) فى تفسيره ٢٤ / ٥٨ . (٨) من ظ و م و مد و التفسير ، و فى الأصل : سميت (٩) زيد من التفسير . (١٠) زيد فى الأصل : جمعة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و التفسير فحذفناها .

﴿ فى كل سمآء امرها[4] ﴾ أى الأمر الذى دبرها[1] و دبر منافعها به على نظام محكم لايختل، و زمام[2] مبرم [لاينحل -[3]].

و لما عم، خص ما للتى تلينا إشارة إلى تشريفنا، فقال صارفا القول إلى مظهر العظمة تنبيها على ما فى هذه الآية من العظم : ﴿ و زينا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ السمآء الدنيا ﴾ أى القربى إليكم لأجلكم ٥ ﴿ بمصابيح قصلى ﴾ من زواهر النجوم، و شفوفها عنها لا ينافى أن تكون فى غيرها مما[4] هو / أعلى منها، و دل السياق على أن المراد : زينة ﴿ و ﴾ / ٥٨٩ حفظناها بها ﴿ حفظا[4] ﴾ من الشياطين، فالآية من الاحتباك : حذف فعل الحفظ بدلالة المصدر، و مصدر الزينة بما دل عليه من فعلها.

و لما كان [هذا -[5]] أمرا باهرا، نبه على عظمته بقوله صارفا الخطاب ١٠ إلى صفتى العز و العلم إعلاما بأنهما أساس العظمة و مدارها : ﴿ ذلك ﴾ [أى -[3]] الأمر الرفيع و الشأن البديع ﴿ تقدير العزيز ﴾ الذى لايغلبه شىء و هو يغلب كل شىء ﴿ العليم ﴾ المحيط علما بكل شىء و كما قدر سبحانه ذلك بعزته و علمه قضى أنه لايفيد العز الدائم إلا ما شرعه من العلم، و فى ختمه بالوصفين بشارة للأمة التى خوطبت بها[6] أنه يؤتيها ١٥ من عزه و علمه[7] لاسيما بالجبة و ما شاكلها من الطبائع و غيرها ما لم يؤت

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : دبره (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : رما (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ما. (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بها (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : علمها.

أمة من الأمم قبلها ، [و سر خلقه سبحانه العالم فى مدة و لم يكن فى لمحة و جعلها ستة لا اقل و لا اكثر أنه لو خلقه فى لمحة لكان ذلك شبهة لمن يقول : إنه فاعل بالذات لا بالاختيار ، فاقتضى الحال عددا[1] ، ثم اقتضى الحال أن يكون ستة لأنها أول عدد يدل على الكمال لأنها
٥ عدد تام كسورها لا تزيد عنها و لا تنقص ، فآذن ذلك بأن للفاعل نعوت الكمال و أوصاف التمام [2]و التعال[2] ، و لم يخلقه فيما دون ذلك من العدد لأنه ناقص ، و خلق الأرض فى يومين لأن الاثنين عدد يدل على الفردانية فهو قائد للعبيد إلى التوحيد ، و جعل اليومين مكررين باعتبار الذات و المنافع إيذانا بما يقع فيها من المعصية بالشرك الذى هو تثنية
١٠ و إفك ، و لم يكرر فى السماء لأن آياتها أدل على التوحيد و لم يحصل من أهلها ما يدل على الوعيد ، و ليكون إيجادها فى أقل من مدة الأرض - مع أنها أكبر جرما و أعجب صنعا و أتقن جسما - أدل على الفعل بالاختيار بعجائب الحكم[3] و غرائب الأسرار الكبار - [4]] .

و لما كان هذا القدر من العلم موجبا للانقياد لكل خير من
١٥ الوحدانية و غيرها ، و الإقبال على الحق فى كل أمر ، فكان المتمادى على إعراضه قبل الوعظ [به - [4]] كأنه جدد إعراضا غير إعراضه الأول ، قال مفصلا بعض قوله " فاعرض أكثرهم " : ﴿ فان اعرضوا ﴾ أى استمروا على إعراضهم ، أو أعرض غيرهم عن قبول ما جئتهم به[5]

---

(١) من مد ، و فى الأصل : عدد (٢ - ٢) ليس ما بين الرقمين من مد (٣) من مد ، و فى م : الحكمة (٤) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منه .

من

من الذكر بعد هذا البيان الواضح فى هذه الآيات التى دلت على الوحدانية و العلم و القدرة و غيرها من صفات الكمال أتم دلالة ﴿ فقل ﴾ أى لهم: إن لكم سلفا سلكتم طريقهم فى العناد، فان أبيتم إلا الإصرار ألحقناكم[1] بهم كأمثالهم[2] و هو معنى ﴿ أنذرتكم صعقة ﴾، أى حلول صاعقة مهيأة لمن كشف له الأمر فعاند، فان وظيفة الحجة قد تمت[3] ٥ على أكمل الوجوه، قال البغوى[4] و ابن الجوزى: و الصاعقة المهلكة من كل شيء - انتهى . و الحاصل أنه عذاب شديد الوقع كأنه[5] فى شدة وقعه صاعقة .

و لما كان التخويف بما تسهل مشاهدة مثله أوقع فى النفس قال: ﴿ مثل صعقة عاد و ثمود ﴾ أى الذين تنظرون ديارهم و تستعظمون ١٠ آثارهم، و علل إيقاع ذلك [بهم -[6]] بقوله: ﴿اذ﴾ و يجوز أن يكون ظرفا[7] لصاعقة و ظرفيته لاتنافى عليته[8] أى حين ﴿جآءتهم الرسل﴾ لأن الزمان الطويل يجوز نسبة ما وقع فى جزء منه إليه . و لما كانت الرسل إنما أتت بالفعل فى بعض الزمان أدخل الجار فقال: ﴿من بين ايديهم﴾ أى من قبلهم لأن النذير الأول نذير لكل من أتى بعده بأنه إن واقع ١٥ ما واقعه أتاه ما عذب به ﴿و من خلفهم﴾ و هم من أتى إليهم لأنهم

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحق معكم (٢) سقط من م (٣) من م و مد، و فى الأصل: تقدمت (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٦/٨٩ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و انه (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ظرف (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: علته .

لم يكونوا يعلمون[١] إتيانهم، فالخلف كناية عن الخفاء، و القدام عن الجلاء، و لاشك ان الإنسان لما انقاد له من قبله فسمعه منه أقبل مما رآه بعينه، لأن النفس لاتنقاد لما خالفها إلا بعد [٢]جدال و جهاد[٢]، فاذا تطاول الزمن[٣] و انقاد له الغير، سهل عليها الأمر، و خف عليها الخطب. و أيضا

٥ الآتى إلى ناس إنما يأتيهم بعد وجودهم و بلوغهم حد التكليف، فهو بهذا آت إليهم من ورائهم اى[٤] بعد وجودهم أو يكون ما بين الأيدى هو من جاءهم لأنهم علموا بمجيئه / علم من ينظر من[٥] قدامه، و ما خلفهم [٦]ما غاب عنهم[٦] ممن تقدمهم، فلم تنقل إليهم أخبارهم إلا على وجوه تحتمل الطعن[٧]، أو المعنى: أتاهم رسولهم الذى هو باظهار المعجزة كجميع

١٠ الرسل بالوعظ من كل جانب يخفى عليهم أو يتضح لهم و أعمل[٨] فيهم كل حيلة بكل حجة حتى لم يدع لهم شبهة، ثم بين أن مجيء الرسل بنفى عبادة غير الله و قصر العبادة عليه، فقال مظهرا مع العبادة الاسم الذى هو أولى بها[٩]: ﴿ ان ﴾: أى بأن قالوا لهم ﴿ لاتعبدوا الا الله ﴾ أى الذى له جميع صفات [١٠]الكمال.

٥٩٠ /

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يعلموا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) فى م: الزمان (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: إلى، و فى م: ما (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: إلى، و فى م: ما (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧) من ظ و م و مد. و فى الأصل: الظن (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عمل (٩) من مد، و فى الأصل و ظ و م: لها، و زيد فى الأصل و ظ بعده: فقال، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١٠) سقط من ظ و م و مد.

و لما كان هذا موضعا لتشوف السامع إلى خبرهم عند ذلك اجابه[1] بقولهم[2] : ﴿قالوا﴾ أى كل منهم : ﴿لو شآء ربنا﴾ أى[3] الذى ربانا أحسن تربية و جعلنا من خواصه بما حبانا به من النعم أن يرسل إلينا رسولا ﴿لانزل﴾ أى إلينا ﴿ملئكة﴾ فأرسلهم إلينا بما يريده منا لكنه لم ينزل ملائكة فلم يشأ ان يرسل رسولا، فتسبب عما قالوه من القياس ٥ الاستثنائى[4] الذى استنجوا[5] فيه من نقيض تاليه نقيض مقدمه، لما جعلوا بين المقدم و التالى من الملازمة بزعمهم قولهم : ﴿فانا بمآ﴾ أى بسبب الذى ؛ و لما كانوا لم ينكروا مطلق رسالتهم، إنما أنكروا كونها من الله، بنوا للمجهول قولهم مغلبا تعالى[6] فى الترجمة[6] عنهم للخطاب على الغيبة لأنه أدخل فى بيان قلة أدبهم : ﴿ارسلتم﴾ [أى -[7]] أيها الرسل و من كان ١٠ على مثل حالهم من البشر ﴿به﴾ أى [على -[7]] ما تزعمون خاصة لابغير ما ارسلتم به مما أنزل به ملائكة مثلا ﴿كفرون ٥﴾ لأن قياسنا قد دل على أنه تعالى لم يشأ الإرسال، فأنتم لستم بمرسل عنه لأنكم بشر لا ملائكة و قد كذبوا فى قياسهم الذى لم يأخذوه عن عقل و لانقل لأنه لاملازمة بين مشيئة الإرسال إلى الناس كافة أو إلى أمة منهم و بين ١٥ أن يكون المرسل إليهم كلهم ملائكة .

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اجابوا (٢) فى ظ و مد : بقوله .
(٣) سقط من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاستثناء .
(٥) فى مد : انتجوا (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالترجمة .
(٧) زيد من م و مد .

و لما جمعهم فيما اجتمعوا فيه حتى كأنهم تواصوا به ، فصل ما اختلفوا فيه فقال مسببا عما مضى من مقالهم: ﴿ فاما عاد ﴾ أى قوم هود عليه الصلاة و السلام ﴿ فاستكبروا ﴾ أى طلبوا الكبر و أوجدوه ﴿ فى الارض ﴾ أى كلها التى كانوا فيها بالفعل و بقيتها بالقوة ، أو فى ٥ الكل بالفعل لكونهم ملكوها[1] كلها . و لما كان الكبر قد يكون بالحق كما على من خالف أمر الله قال : ﴿ بغير الحق ﴾ أى الأمر الذى يطابقه[2] الواقع ، و هو إنكار رسالة البشر ، فان الواقع إرسالهم ﴿ و قالوا ﴾ أى و ضموا إلى[3] استكبارهم على قبول ما جاءهم من الحق أن قالوا متعاظمين على أمر الله بما آتاهم الله من فضله : ﴿ من اشد منا قوة ﴾ ١٠ فنحن نقدر على دفع ما يأتى من العذاب الذى يهددنا[4] به هود عليه الصلاة و السلام لأنهم كانوا أشد الناس قوى و اعظمهم أجساما .

و لما كان التقدير أن يقال إنكارا عليهم : ألم يروا أن الله لو شاء لجعلهم[5] كغيرهم ، عطف عليه قوله : ﴿ ا و لم يروا ﴾ أى[6] يعلموا علما كما هو كالمشاهدة لأنه غرزة فى الفطرة الأولى فهو علم ضرورى ﴿ ان الله ﴾ ١٥ أى المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿ الذى خلقهم ﴾ و لم يكونوا شيئا ﴿ هو اشد منهم قوة ﴾ و من علم أن غيره أقوى منه و كان عاقلا

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مهكوها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يطابقه (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هددنا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جعلهم . (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان .

انقاد له فيما ينفعه و لا يضره . و اجتماع / قوتهم التى هى شدة البنية و قوته سبحانه التى هى كمال القدرة و هى صفة قديمة قائمة بذاته سبحانه إنما هو فى الآثار الناشئة عن القوة ، فلذلك جمعا بأشد .

و لما بين أنهم أوجدوا الكبر ، عطف عليه من غرائزهم ما [هو -[1]] اصل لكل سوء ، فقال [مبينا فرط جهلهم باجترائهم على العظمة التى ٥ شأنها قصم الظالم و أخذ الآثم -[2]] : ﴿ و كانوا ﴾ أى طبعا لهم ﴿ بآيٰتنا ﴾ على ما لها من العظمة بنسبتها إلينا ﴿ يجحدون ه ﴾ أى ينكرون إنكارا يضمحل عنده كل إنكار عنادا مع علمهم بأنها من عندنا ﴿ فارسلنا ﴾ بسبب ذلك على ما لنا من العظمة ، و دل على صغارهم و حقارتهم بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ عليهم ﴾ و زاد فى تحقيرهم بأن أخبر أنه أهلكهم ١٠ لأجل ما تعززوا به من قوة أبدانهم و وثاقة خلقهم بما[3] هو من ألطف الأشياء جسما[4] و هو الهواء فقال : ﴿ ريحا ﴾ اى عظيمة ﴿ صرصرا ﴾ أى شديدة البرد و الصوت و العصوف حتى كانت تجمد البدن ببردها فيكون كأنها تصره[5] - أى تجمعه - فى موضع واحد فتمنعه التصرف بقوته ، و تقطع القلب بصوتها ، فتقهر شجاعته ، و تحرق بشدة بردها ١٥ [كل -[2]] ما مرت عليه .

و لما تقدم فى هذا السياق استكبارهم على الوجه المذكور و ادعاؤهم

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مما (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سما (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نضره .

انهم أشد الناس قوة اقتضى الحال تحتيرهم فى إهلاكهم، فذكر الأيام دون الليالى و إن تضمنتها فقال تعالى: ﴿ فى ايام ﴾ [و لما كان -[1]] جمع القلة [قد -[2]] يستعار للكثرة[3] حقق أن المراد القلة بوصفه بجمع السلامة فقال: ﴿نحسات﴾ و كان ذلك أدل على هذا المراد من إفراد
٥ اليوم كما فى القمر لأنه قد يراد به زمان يتم فيه امر ظاهر و لو طالت مدته، و يصح للجنس فيشمل مع القليل ما يصلح له جمع الكثرة. و فيه - مع أنه نذارة - [4]رمز للنزل[4] عليه هذا الوحى صلى الله عليه و سلم بأعظم بشارة بما أومأ إليه افتتاح السورة باسمى الرحمة، و قوله تعالى "لقوم يعلمون" من أنه يكون لقومه[5] قوة و علم، و من قرن
١٠ النذارة بالبشارة فى قوله " بشيرا و نذيرا" و من جعل أيام هذا العذاب ثمانية، أشار إلى الحلم و التأنى كما أشار إليه ما تقدم من خلق هذا الوجود فى ستة أيام، و قد كان قادرا على كل من التعذيب و الإيجاد فى لحظة [واحدة -[2]]، فأشار ذلك إلى أنه فى السنة السادسة من الهجرة يكون الفتح السبى بعمرة الحديبية التى كانت سبب نزول سورة الفتح،
١٥ و فى السابعة يكون الاعتمار الذى كان عليهم أشد من وقوع الصارم البتار، حتى ذهب عمرو بن العاص من أجل ذلك إلى الحبشة لئلا يرى من دخول النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه رضى الله عنهم ما لا صبر له

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لكثر (٤-٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عن المنزل (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لقوم.

عليه، و فى الثامنة يكون الفتح الحقيق بعشرة الآف مقاتل أكثرهم دارع[1]. لايرى منهم إلا الحدق، حتى خالوا بياض لأمهم السراب، فظنوا بهم غاية العذاب، فكانوا[2] رحمة، و عاد رأوا السحاب فظنوه رحمة فكان[3] عذابا و نقمة، و وصفها بالنحس مبالغة / مثل "رجل عدل" ليدل على أنها كانت قابلة لانفعال[4] الجسد و ما كان[5] فيه من القوى[6] بهذه الريح، و هو مصدر جمع لاختلاف أنواع النحس فيها - هذا على قراءة الجماعة[7] بسكون الحاء، و أما قراءة ابن عامر و الكوفيين بكسر الحاء فهى صفة من فعل بالكسر مثل: فرح فهو فرح، و أول هذه الأيام[8] الأربعاء فى قول يحيى بن سلام[9]، و قال غيره: و ما عذب[10] قوم إلا يوم الأربعاء ﴿لنذيقهم﴾ و أضاف الموصوف إلى صفته على المبالغة من وادى رجل عدل فقال: ﴿عذاب الخزى﴾ أى الذى يهينهم و يفضحهم و يذلهم بما تعظموا[11] و افتخروا على كلمة الله التى آتتهم بها رسله، و[12] وصف العذاب بالخزى الذى هو للعذب به مبالغة فى إخزائه له ﴿فى الحيوٰة الدنيا﴾ ليذلوا عند[13]

٥٩٢ /

١٠

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وداع (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: وكانوا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وكان (٤) من م و مد، و فى الاصل و ظ: لانتقال (٥) سقط من مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: القوة (٧) راجع نثر المرجان ٦/٢٩١ (٨) سقط من م (٩) و فى البحر المحيط ٧ / ٤٩١: و قال يحيى بن سلام: يوم الأحد (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عدم (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تعاظموا. (١٢) سقطت الواو من م و مد (١٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عن.

من تعظموا عليهم فى الدار التى اغتروا[1] بها فتعظموا فيها . فان ذلك أدل على القدرة عند من تقيد[2] بالوهم ﴿ و لعذاب الأخرة ﴾ الذى أعد للمتكبرين ﴿ اخزى ﴾ أى أشد إخزاء كما قالوا : هو اعطاهم للدراهم و أولاهم للمعروف ، و أكد لإنكارهم له . و لما انتفت مدافعتهم عن أنفسهم ، نفى دفع غيرهم

٥ فقال : ﴿ و هم ﴾ أى أصابهم هذا العذاب و سيصيبهم عذاب الآخرة و الحال انهم ﴿ لا ينصرون ۝ ﴾ اى لايوجد و لا يتجدد لهم نصر ابدا بوجه من الوجوه .

و لما انهى امر صاعقتهم ، شرع فى بيان صاعقة ثمود فقال : ﴿ و اما ثمود ﴾ و هم قوم صالح عليه الصلاة و السلام ﴿ فهدينهم ﴾

١٠ [أى - [3]] بينا لهم طريق الهدى من أنا قادرون على البعث و على كل شيء ، فلا شريك لنا ، و كان بيان ذلك [4]بالناقة غاية البيان[4] فأبصروا ذلك بأبصارهم التى هى سبب [5]أبصار بصائرهم[5] غاية الإبصار ، [6]فكرهوا ذلك لما[6] يلزمه من [7]تنكب طريق آبائهم و اقبلوا[7] على لزوم طريق آبائهم : ﴿ فاستحبوا العمى ﴾ أى الضلال الناشئ[8] عن عمى البصر او البصيرة

١٥ أو هما معا ﴿ على الهدى ﴾ أى أوجدوا من الأفعال و الأقوال ما يدل

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انتهزوا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لقد (٣) زيد من مد (٤ - ٤) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ بعد « طريق الهدى » و الترتيب من م و مد (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أبصارهم (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فكسر - مع يسير من البياض (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سك طريقا - مع يسير من البياض .

على

على حب ذلك و على طلب حبه فعموا فضلوا[1]، و قال القشيري : قيل : إنهم آمنوا و صدقوا ثم ارتدوا و كذبوا، فأجراهم مجرى إخوانهم فى الاستئصال . ﴿ فاخذتهم ﴾ أى بسبب ذلك أخذ قسر و هوان ﴿صعقة العذاب﴾ و أبلغ فى وصفه بجعله نفس الهون فقال : ﴿الهون﴾ أى ذى[2] الهون، قامت ضمته مقام ما فى الهوان من الصيغة[3] فعلم أن ٥ المراد أنه المهين المخزى ﴿ بما كانوا﴾ أى دائما ﴿يكسبون ج﴾ أى يتجدد تحصيلهم له و عدمهم له فائدة، فالآية من الاحتباك : ذكر الهداية أولا دليلا على حذف الضلال [4]ثانيا و[4] العمى ثانيا دليلا على حذف[5] الإبصار أولا، و سره أنه نسب إليه اشرف فعليه، و أسند إليهم ما لا يرضاه [ذو روح -[6]] . ١٠

و لما أتم الخبر عن الكافرين من الفريقين، أتبعه الخبر عن مؤمنيهم بشارة لمن اتبع النبى صلى الله عليه و سلم و نذارة لمن صد عنه فقال : ﴿ و نجينا ﴾ [أى -[6]] تنجية عظيمة ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف و لو على أدنى وجوهه من الفريقين ﴿ و كانوا ﴾ اى كونا عظيما ﴿يتقون ع﴾ أى يتجدد لهم هذا / الوصف فى كل حركة و سكون ١٥ / ٥٩٣ فلا يقدمون على شيء بلا دليل .

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : وعموا و ضلوا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ذا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الصفة (٤-٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : او (٥) سقط من م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد .

و لما ذكر حالهم فى الدنيا، و أشار إلى حال الآخرة، أتبعه تفصيل ذلك فقال: ﴿ و يوم ﴾ أى اذكر أيام أعداء الله فى الدنيا فى إنزال عذابه بهم و إحلال مثلاته بساحاتهم، و اذكر يوم يحشرون - هكذا كان الأصل، و لكنه بين ما عذبوا به ليعم كل من اتصف به من
٥ الأولين و الآخرين فقال: ﴿ يحشر ﴾ أى يجمع بكثرة بأمر قاهر لا كلفة علينا فيه - هذا على قراءة الجماعة بالبناء للمفعول، و على قراءة نافع و يعقوب[1] بالنون مبنيا للفاعل يكون [2]ناظرا إلى[2] سياق «و نجينا» و فى كلتا القراءتين[3] معنى العظمة، فلذلك ناسبها[4] الاسم الأعظم الذى هو أعظم من مظهر العظمة الذى وقع الصرف عنه لما فى ذكره من زيادة
١٠ التوبيخ لهم و التهجين لفعلهم و التخسيس[5] لعقولهم فى قوله: ﴿ اعدآء الله ﴾ أى الملك الأعظم و لا يخفى إعرابه[6] بحسب كل قراءة ﴿ الى النار ﴾ دار الأشقياء ﴿ فهم ﴾ بسبب حشرهم ﴿ يوزعون ﴾ أى يدفعون و يرد بأيسر أمر أولهم على آخرهم، و من يريد ان يعرج منهم يمينا أو شمالا ظنا منه أنه قد يخفى بسبب كثرتهم و يزجرون زجر إهانة. و يجمع
١٥ إليهم من شذ منهم، فان كل شىء من ذلك نوع من العذاب.

و لما بين إهانتهم بالوزع، بين غايتها فقال: ﴿ حتى اذا ﴾ و أكد

---

(١) راجع نثر المرجان ٦/٢٩٤ (٢-٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ظرفا على (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: القراءة (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ناسبهما (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التحيير (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اعدادم.

الكلام لإنكارهم مضمونه بزيادة النافى ليكون اجتماعه مع الإثبات نفيا للضد فيفيد غاية القوة بمضمون[1] الخبر فى تحقيقه و ثباته و اتصاله بالشهادة على الفور فقال : ﴿ما جآؤها﴾ أى النار التى كانوا [بها -[2]] يكذبون ﴿شهد عليهم﴾ حين التكوير فيها مركومين[3] بعضهم على بعض . و لما كان فى مقام الترهيب، و كان التفصيل أهول قال : ﴿ سمعهم ﴾ أفرده ٥ لتقارب الناس فيه ﴿و ابصارهم﴾ جمع لعظم[4] التفاوت فيها ﴿و جلودهم بما﴾ و اثبت الكون[5] بيانا لأنهم كانوا مطبوعين على ما أوجب لهم النار من الأوزار فقال : ﴿ كانوا يعملون ه ﴾ أى يجددون عمله مستمرين عليه، فكأن هذه الأعضاء تقول فى ذلك الحين إقامة للحجة البالغة : أيها[6] الأكوان و الحاضرون من الإنس و الملائكة و الجان . اعلموا! أن صاحبى كان يعمل ١٠ بى كذا و كذا مع الإصرار ، فاستحق بذلك النار ، و غضب الجبار - ثم يقذف به .

و لما أخبر بهذا الذى يفتت الحجارة لو عقلت ساعة ما ، أخبر أنه لم يفدهم الرجوع عن طبعهم الجافى و بلادتهم الكثيفة ، فقال عاطفا على ما تقديره : فلم تفدهم هذه الشهادة خجلا من الله و لاخضوعا فى ١٥ أنفسهم و لارجوعا عن [7]الجدال و[7] العناد كما لم يفدهم ذلك بمجرد علم الله

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لمضمون (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مركوبين (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعظيم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لكون (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الابها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

فيهم[1] : ﴿ و [2] قالوا لجلودهم ﴾ و دخل فيها ما صرح به من منافعها بها لفقد ما يدعو إلى التفصيل . و لما فعلت فعل العقلاء خاطبوها مخاطبتهم فقالوا : ﴿ لم شهدتم علينا[4] ﴾ .

و لما كان هذا محل عجب منهم ، و كان متضمنا لجهلهم بظنهم انه ٥ كان لها قدرة على السكوت ، و كان سؤالهم عن العلة ليس على حقيقته و إنما المراد به اللوم ، أجيب من تشوف إلى الجواب بقوله معبرا لنطقها بصيغة ما يعقل : ﴿ قالوآ ﴾ [معتذرين - [3]] : ﴿ انطقنا ﴾ قهرا ﴿ الله ﴾ الذى له مجامع العز على وجه لم نقدر / على التخلف عنه . و لما كان ٥٩٤ / حال الكفار دائما دائرا بين غباوة و عناد ، أقاموا لهم على ذلك دليلين ١٠ شهوديين فقالوا : ﴿ الـــذىٓ انطق كل شيء ﴾ أى فعلا أو قوة أو حالا و مقالا .

و لما كانت الأشياء كلها متساوية الأقدام فى الإنطاق و الإخراس و غيرهما[4] من كل ما يمكن بالنسبة إلى قدرته سبحانه ، نبهوهم على ذلك بقولهم : ﴿ و هو خلقكم اول مرة ﴾ و العلم القطعى حاصل عندكم بأنكم ١٥ كنتم عدما ثم نطفا لا تقبل النطق فى مجارى العادات بوجه ، ثم طوركم فى أدوار الأطوار[5] كذلك إلى أن أوصلكم إلى حيز الإدراك ، فقسركم

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غيهم (٢) زيد فى الأصل : ذلك انهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من م و مد (٤) فى ظ و م و مد : غيرها (٥) زيدت الواو فى الأصل و م ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .

على النطق بحيث لو أردتم سلبه عن أنفسكم ما قدرتم. و لما كان الخلق شيئا واحدا فعبر عنه بالماضى وكان الرجوع تارة بالحس و تارة بالمعنى وكان الذى بالمعنى كثير التعدد بكثرة التجدد قال[1]: ﴿و اليه﴾ [أى -[2]] إلى غيره ﴿ترجعون ه﴾ أى فى كل حين بقسركم بأيسر أمر على كل ما يريد من أول ما خلقتم إلى ما لانهاية له، فلو كان لكم نوع علم ٥ لكفاكم ذلك واعظا فى الدنيا تعلمون به أنكم فى غاية العجز، و أن له العظمة و الكبر و القدرة و القهر، روى مسلم فى صحيحه[3] عن أنس رضى الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فضحك فقال: هل[4] تدرون مما[5] أضحك؟ قلنا: الله و رسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرنى[6] من الظلم؟ قال: يقول: بلى، ١٠ قال: فيقول: فانى لا أجيز[7] إلا شاهدا منى، قال: فيقول: كفى بنفسك [اليوم -[8]] شهيدا و بالكرام الكاتبين شهودا، قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطق، فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه و بين الكلام فيقول: بعدا لكن و سحقا فعنكن كنت أناضل.

و لما اعتذروا بما إخبارهم به فى هذه الدنيا وعظ و تنبيه، و فى ١٥ الآخرة توبيخ و تنديم، قالوا مكررين للوعظ محذرين من جميع الكون:

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: نقال (٢) زيد من م و مد (٣) راجع أبوب الزهد: ٢/٤٠٩ (٤) سقط من م (٥) من ظ وم و مد و صحيح مسلم، وفى الأصل: بم (٦) من ظ و مد و صحيح مسلم، و فى الأصل و م: الم تجزنى. (٧) زيد فى صحيح مسلم: على نفسى (٨) زيد من ظ و م و مد و صحيح مسلم.

﴿ و ما كنتم ﴾ أى بما هو [1]لكم كالجبلة[1] ﴿ تستترون ﴾ اى تتكلفون
الستر عند المعاصى و أنتم تتوهمون، و هو مراد قتادة بقوله: تظنون.
﴿ ان يشهد عليكم ﴾ بتلك المعاصى . و لما كان المقصود الإبلاغ فى
الزجر، أعاد التفصيل فقال: ﴿ سمعكم ﴾ و أكد بتكرير النافى فقال:
٥ ﴿ و لآ ابصاركم ﴾ جمع و أفرد لما مضى ﴿ و لا جلودكم و لكن ﴾ إنما
كان استتاركم لأنكم ﴿ ظننتم ﴾ بسبب إنكاركم البعث جهلا منكم
﴿ ان الله ﴾ الذى له جميع الكمال ﴿ لا يعلم ﴾ أى فى وقت من الأوقات
﴿ كثيرا مما تعملون ﴾ أى تجددون عمله مستمرين عليه، و هو ما كنتم
تعدونه خفيا فهذا هو الذى جرأكم على ما فعلتم، فان كان هذا ظنكم
١٠ فهو كفر، و إلا كان عملكم عمل من يظنه فهو قريب من الكفر
و المؤمن حقا من علم أن الله مطلع على سره و جهره، فلم يزل مراقبا
خائفا هائبا، روى الشيخان فى صحيحيهما[2] و اللفظ للبخارى فى كتاب
التوحيد[3] عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: اجتمع عند البيت
ثقفيان و قرشى أو قرشيان و ثقفى كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم،
١٥ فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن
جهرنا و لا يسمع إن أخفينا، و قال / الآخر: إن كان يسمع [إذا -[4]] ٥٩٥ /
جهرنا فانه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله "و ما كنتم" - الآية، قال

(١-١) فى م: كالجبلة لكم (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: صحيحهما، و راجع من صحيح مسلم أبواب المنافقين (٣) ٢ / ١٢٢ (٤) زيد من م و مد و صحيح البخارى .

البغوى[1] : قيل : اتقفى عبدياليل و ختناه[2] ، و القرشيان : ربيعه و صفوان ابن أمية .

و لما كان ذكر المعصية و ما جرأ عليها يقتضى انتقاصا يقدح فى الإلهية ، بين أنه الموجب للغضب فقال : ﴿و ذٰلكم﴾ أى الأمر العظيم فى القباحة ، ثم بينه بقوله : ﴿ظنكم﴾ أى الفاسد ، و وصفه بقوله : ٥ ﴿الذى ظننتم بربكم﴾ أى الذى طال إحسانه إليكم من أنه لا يعلم حالكم . ثم أخبر عنه[3] بقوله : ﴿اردٰكم﴾ أى تسبب عنه خاصة أنه أهلكم . و أما معاصى الجوارح مع التوحيد و التنزيه[4] فأمرها أسهل ، و الحاصل أن كل ظن كان غير مأذون فيه من الشارع فهو يردى صاحبه .

و لما كان الصباح محل رجاء الأفراح ، فكان شر الأتراح ما كان فيه ، قال : ﴿فاصبحتم﴾ أى بسبب أن ما أعطيتموه من النعم لتستنقذوا [5]به أنفسكم[5] من الهلاك [6] كان سبب هلاككم[6] ﴿من الخسرين ﴾ أى العريقين[7] فى الخسارة ، المحكوم بخسارتهم فى جميع ذلك اليوم ، و صوره بأقبح صورة و هو الصباح ، فالمعنى[8] أنه إذا صار حالكم حال من أصبح كذلك لم يكن للربح وقت يتدارك فيه بخلاف ما لو وجد ذلك عند المساء فانه ١٥

---

(١) فى معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٦ / ٩٢ (٢) من مد و المعالم ، و فى الأصل و ظ و م : حسناه (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عنهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التنزيل (٥-٥) فى م و مد : انفسكم به (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المترتب عليكم (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الخاسرين الغارقين (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و المعنى .

كان ينتظر الصباح للسعى فى الربح، و يوم القيامة لايوم بعده يسعى فيه للربح، فينبغي للمؤمن أن يكون حال خلوته أشد ما يكون هيبة لله .

و لما كان ذلك ، تسبب عنه قوله لافتا القول عن خطابهم إيذانا بشدة الغضب و إشارة إلى أنهم لما وصلوا إلى ما ذكر من الحال أعيا

٥ عليهم المقال، فلم يقدروا على نطق بلسان، و لا إشارة[1] برأس ولا بنان: ﴿ فان يصبروا ﴾ أى على ما جوزوا به فليس صبرهم بنافعهم، و هو معنى قوله[2]: ﴿ فالنار مثوى ﴾ أى منزلا ﴿ لهم ج و ان يستعتبوا ﴾ أى يطلبوا الرضى بزوال العتب، و هو المؤاخذة بالذنب ﴿ فما هم من المعتبين ﴾ أى[3] المرضيين الذين يزال العتب [عليهم -[4]] عنهم ليعفى عنهم

١٠ و يترك عذابهم .

و لما ذكر وعيدهم فى الدنيا و الآخرة، أتبعه كفرهم الذى هو سبب الوعيد، و عطفه على ما تقديره: فانا طبعناهم طبيعة سوء تقتضى أنهم لاينفكون عما يوجب العتب، فأعرضوا و لم تنفعهم النذرى بصاعقة عاد و ثمود، فقال صارفا القول إلى مظهر العظمة إشارة إلى، أن التصرف

١٥ فى القلوب أمر عظيم جدا: ﴿ و قيضنا ﴾ أى جئنا و[5] أتحنا و بعثنا و سببنا و وكلنا و هيأنا، من القيض الذى هو المثل، و قشر البيضة الأعلى اليابس ﴿ لهم قرنآء ﴾ اى أشخاصا امثالهم فى الأخلاق و الأوصاف

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: باشارة (٢) ليس فى ظ و م و مد . (٣) زيد فى الأصل: القوم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: او .

أقوياء

أقوياء و هم مع كونهم شديدى الالتصاق بهم و الإحاطة فى غاية النحس و الشدة فى اللؤم و الخبث و اللجاجة فيما يكون به ضيق الخير و اتساع الشر من غواة الجن و الإنس ﴿ فزينوا لهم ﴾ أى من القبائح ﴿ ما ﴾ وعم الأشياء كلها فلم يأت بالجار فقال: ﴿ بين ايديهم ﴾ أى يعلمون قباحته حتى حسنوه لهم فارتكبوه و رغبوا فيه ﴿ و ما خلفهم ﴾ [أى ٥ ما يجهلون أمره و لايزالون -[1]] فى كل شىء يزينونه[2] و يلحون فيه و يكررونه حتى يقبل، فان التكرير مقرون / بالتأثير، قال القشيرى: إذا أراد الله ٥٩٦ / بعبد سوءا قيض له إخوان سوء و قرناء سوء يحملونه على المخالفات و يدعونه إليها، و إذا أراد الله بعبد خيرا قيض له قرناء خير يعينونه[3] على الطاعات[4] و يحملونه عليها و يدعونه إليها. و من ذلك الشيطان، ١٠ و شر منه النفس و بئس القرين، تدعو اليوم إلى ما فيه الهلاك و تشهد غدا عليه.

و لما كان التقدير: فلم يدعوا قبيحة حتى ارتكبوها، عطف عليه قوله: ﴿ و حق ﴾ أى وجب [و ثبت -[5]] ﴿ عليهم القول ﴾ أى بدوام الغضب.

١٥

و لما كان هذا مما يوجب شدة أسفه صلى الله عليه و سلم [عليهم -[5]]، خفف منه بقوله: ﴿ فىٓ ﴾ أى كائنين [فى -[5]] جملة ﴿ امم ﴾ أى

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يزينوه.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يعينوه (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الطاعة (٥) زيد من م و مد.

كثيرة . و لما عبر[1] عنهم بما يقتضى تعظيمهم بأنهم مقصودون، حقرهم[2] بضمير التأنيث فقال : ﴿ قد خلت ﴾ أى لم تتعظ أمة منهم بالأخرى . و لما كان الخلو قد يكون بالموت فى زمانهم، بين أنه مما مضى [3]وفات[3] .

٥ و لما كان بعض من مضى غير مستغرق لجميع الزمان، عبر بـ «من» فقال : ﴿ من قبلهم ﴾ أى فى الزمان ، و قدم الأقوى لتفهم[4] القدرة عليه[5] القدرة على ما دونه من باب الأولى، فان الإنس كانوا يعدون أنفسهم دون الجن فيعوذون بهم فقال : ﴿ من الجن و الانس ﴾ ثم علل حقوق الشقاء عليهم بقوله منبها بالتأكيد على أنهم ينكرون أن تكون القبائح

١٠ موجبة للخسر[6] ﴿ انهم ﴾ أى جميع المذكورين منهم و ممن قبلهم : ﴿ كانوا ﴾ أى طبعا و فعلا ﴿ خسرين ﴾ فعلى العاقل أن يجتهد فى اختيار أصحابه[7] و أخدانه[8] و أحبابه ، فان العاقبة فيهم حسنة جسيمة أو قبيحة وخيمة، روى صاحب الفردوس[9] عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : إذا أراد الله بعبد شرا قيض له قبل موته

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اخبر (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : خفهم (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليفهم منه (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : للجزاء (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : صاحبه (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اخلايه (٩) راجع تلخيص مسند الفردوس (خط) ص : ٩٦ / ب .

 شيطانا

شيطانا فلا يرى [حسنا -[1]] إلا قبحه عنده و لاقبيحا[2] إلا حسنه عنده .
و لأحمد[3] و أبي داود و النسائي و أبي يعلى و ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : إذا أراد الله بالوالي خيرا جعل له وزير صدق ، إن نسي ذكره ، و إن ذكر اعانه ، و إن أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره و إن ذكر لم يعنه ٥
و روى [البخاري -[4]] عن أبي سعيد الخدري و أبي هريرة رضي الله عنهما[5] و النسائي[6] عن أبي هريرة وحده رضي الله عنه و البخاري أيضا عن أبي أيوب[7] رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ما بعث الله من نبي و لا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانة تأمره بالمعروف و تحضه عليه ، و بطانة تأمره بالشر و تحضه عليه ، و المعصوم من عصمه الله ١٠ تعالى . و في رواية [النسائي -[8]] : ما من وال إلا و له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف و تنهاه عن المنكر ، و بطانة لا تألوه خبالا ، فمن وقي شرها فقد وقي ، [و هو إلى من يغلب عليه منهما ، و رواية البخاري عن أبي أيوب نحوها .

و لما أخبر بخسرانهم ، دل عليه -[8]] بما[9] عطف على ما أرشد ١٥

(١) زيد من م و مد و التلخيص (٢) من ظ و مد ، و في الأصل و ظ : قبيحة ، و ليس هذا الشطر الاخير في التلخيص (٣) راجع مسند الإمام أحمد ٦ / ٧٠ حيث ذكر الحديث بدون ذكر وزير السوء (٤) زيد من م و مد . (٥) راجع أبواب الأحكام و أبواب القدر من صحيح البخاري (٦) راجع أبواب البيعة من سننه (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : أبي يعقوب . (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من م و مد ، و في الأصل و ظ : ما .

/ ٥٩٧ إليه السياق / من[1] تقديره من قولى : فأعرضوا - أى هؤلاء العرب - و قالوا - هكذا كان الأصل و[1] لكنه قال تنبيها على الوصف الذى اوجب إعراضهم : ﴿ و قال الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دلتهم عليه عقولهم من الحق ﴿ لا تسمعوا ﴾ أى شيئا من مطلق السماع ﴿ لهذا القراٰن ﴾
٥ تعيينا بالإشارة احترازا من غيره من الكتب القديمة كالتوراة، قال القشيرى : لأنه يغلب القلوب و يسلب العقول ، و كل من استمع له صبا إليه ﴿ و الغوا ﴾ [اى اهذوا -[2]] من لغى - بالكسر يلغى - بالفتح - إذا تكلم بما لا فائدة [فيه -[3]] ﴿ فيه ﴾ أى اجعلوه ظرفا للغو بأن تكثروا من الخرافات و الهذيانات و اللغو[4] بالمكاء و التصدية
١٠ اى الصفير و التصفيق و غيرهما [5]فى حال[5] تلاوته ليقع تاليه فى السهو و الغلط ، قال القشيرى : قالوا ذلك و لم يعلموا أن من نور قلبه بالإيمان و أيد بالفهم و أمد بالبصيرة و كوشف بسماع السر[6] من الغيب ، فهو الذى[7] يسمع و يؤمن ، و الذى هو فى ظلمات جهله لايدخل الإيمان قلبه ، و لا يباشر السماع سره . ﴿ لعلكم تغلبون ﴾ أى ليكون حالكم حال من
١٥ يرجى له ان يغلب و يظفر بمراده فى أن[8] لايميل إليه أحد ، أو يسكت

(١) سقطت الواو من ظ و م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من م و مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : اللفظ (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من حالة (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الستر . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : كالذى (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امان .

او

او ينسى ما كان يقول، و هذا يدل على انهم عارفون بأن من سمعه ولا هوى عنده مال إليه و اقبل بكليته عليه، و قد فضحوا أنفسهم بهذا فضيحة لامثل لها، و ذلك لأنهم تحدوا به فى أن يأتوا بشيء من مثله ليعدوا غالبين فلم يجدوا شيئا يترجون به الغلب إلا [1] الصفير و التصفيق و نحوه [2] من اللغو فى معارضة ما علا عن أعلى ذرى الكلام إلى حيث ٥ لامطمع و لا مرام، فلا يفيد ما أتوا به معنى غير أنهم عاجزون عن المعارضة قاطعون بأنهم متى أتوا بشيء منها افتضحوا، و قطع كل من سمعه بأنهم مغلوبون.

و لما استحقوا بهذا العقوبة، سبب عن ذلك مؤكدا لإنكارهم قوله تعالى: ﴿فلنذيقن﴾ و أظهر فى موضع الإضمار تعميما و تعليقا بالوصف ١٠ فقال: ﴿ الذين كفروا ﴾ أى هؤلاء و غيرهم ﴿ عذابا شديدا لا ﴾ فى الدنيا بالحرمان [3]و ما يتبعه من فنون الهوان[3] و فى الآخرة بالنيران ﴿ و لنجزينهم ﴾ أى بأعمالهم. و لما كان من قدر على الأغلظ، قدر على ما دونه قال: ﴿ اسوا ﴾ أى جزاء أسوأ العمل ﴿ الذى كانوا ﴾ بما هو لهم كالغرائز ﴿ يعملون ﴾ مواظبين عليه. ١٥

و لما أبلغ سبحانه فى الترهيب من عقابهم [4]، زاد فى تعظيمه و فضله لطفا لمن أراد هدايته من عباده و إقامة الحجة على غيرهم فقال:

---

(١) زيد فى الأصل: ان كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: نحو (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م.
(٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عقابه.

﴿ذلك﴾ اى الجزاء الأسوا العظيم جدا ﴿جزآء﴾ و لما كانت عداوة من لا يطاق أمرا[١] زائد العظمة، نبه[٢] على ذلك بصرف الكلام عن مظهرها[٣] إلى أعظم منه فقال: ﴿اعدآء الله﴾ أى الملك الأعظم، لأنهم ما كانوا يفعلون ما دون الأسوأ إلا عجزا عنه لأن جبلتهم تقتضى ذلك، و بينه

٥ بقوله: ﴿النار ج﴾ و فصل بعض ما فيها بقوله: ﴿لهم فيها﴾ أى النار ﴿دار الخلد[٤]﴾ اى المحل المحيط بهم الدار من غير علم / من زاوية /٥٩٨ أو غيرها يعرف[٥] به خصوص موضع منه، مع إيذانه بالدوام و اللزوم و عدم الانفكاك، أو هو على التجريد بمعنى: هى لهم دار خلود كما كان لهم فى الدنيا دار سرور بمعنى أنها[٦] كانت لهم نفسها دار لهو و غرور.

١٠ و لما كانوا على أعمالهم التى استحقوا بها هذا العذاب مصرين إصرارا يمتنع انفكاكهم عنه، زاد حسنا قوله: ﴿جزآء﴾ أى وفاقا ﴿بما كانوا﴾ أى جبلة و طبعا، و رد الكلام إلى مظهر العظمة المقتضى للنكال فقال: ﴿بايٰتنا﴾ أى على ما لها من العظمة ﴿يجحدون ه﴾ أى ينكرون عنادا من غير مراعاة لعلوها فى نفسها و لا علوها بنسبتها إلينا، فلأجل جحودهم

١٥ كانوا يقدمون على ما لا يرضاه عاقل من اللهو و غيره.

و لما تراءى [لهم - [٧]] أن الذى أوجب لهم هذا السوء جلودهم

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كان (٢) من م و مد، و فى الأصل: امر (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: منبها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مظهر (٥) من ظ و م و من، و فى الأصل: يرفون (٦) م و مد، و فى الأصل و ظ: انا (٧) زيد من م و مد.

بالشهادة عليهم و قرناؤهم [1]باضلالهم لهم[1] و كان التباغض و العداوة قد
وقع[2] بين الجميع ، فصار تمنى كل للآخر السوء زيادة فى عـذابهم ،
و كانت مساءة جلودهم مساءتهم ، خصوا القرناء بارادة الانتقام منهم ، فحكى
سبحانه قولهم بقوله عطفا على " و قالوا لجلودهم " أو على ما تقديره :
٥ فعلموا حينئذ أنهم كانوا على ضلال لتقصيرهم فى النظر و تقليدهم لغيرهم :
﴿ و قال الذين كفروا ﴾ أى غطوا أنوار عقولهم داعين بما [لو -[3]]
يسمع لهم ، فهو زيادة فى عقوبتهم[4] ، و حكايته لنا وعظ و تحذير : ﴿ ربنآ ﴾
أى أيها الذى لم يقطع قط إحسانه عنا ﴿ ارنا ﴾ الصنفين ﴿ الّذين اضلّنا ﴾
عن المنهج الموصل إلى محل الرضوان ﴿ من الجن و الانس ﴾ المزينين
١٠ لنا ارتكاب السوء خفية و جهرا ، قرأ الجماعة بكسر الراء من ارنا ، و قرأ
ابن كثير[5] و ابن عامر و يعقوب و السوسى عن أبى عمرو و أبو بكر
عن عاصم باسكان الراء [6]هنا خاصة[6] . قال الأصبهانى[7] : يحكى عن الخليل
أنك إذا قلت : أرنى ثوبك - بالكسر فالمعنى بصرنيـه ، و إذا قلته[8]
بالسكون فهو [9]استعطاء ، و معناه[9] أعطنى ثوبك ، و نظيره اشتهار الإيتاء فى
١٥ معنى الإعطاء ، و أصله الإحضار - انتهى . ﴿ نجعلهما تحت اقدامنا ﴾ فى

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بضلالهم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وقعت (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عقولهم (٥) راجع نثر المرجان ٦/٣٠٣ - ٣٠٤ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٧) و ذكره الزمخشرى أيضا - راجع البحر المحيط ٧/٤٩٥ (٨) من م و مد و البحر ، و فى الأصل و ظ : قلت (٨-٨) من ظ و م و مد و البحر ، و فى الأصل : استعطاف و معنى .

النار إذلالا لهما كما جعلانا[1] تحت أرجلهما ﴿ ليكونا من الاسفلين ﴾
أي من أهل الدرك الأسفل و ممن هو دوننا كما جعلانا كذلك في الدنيا
في حقيقة الحال باتباعنا لهما[2] فيما أرادا[3] بنا، و في الآخرة بهذا المآل،
و الظاهر أن المراد أن كل أحد يتمنى أن يعرف من أضله من القبيلتين
٥ ليفعل بهم ذلك إن قدر عليه .

و لما ذكر الأعداء و قرناءهم نذارة، أتبعه[4] ذكر الأولياء و أوداءهم
بشارة، فقال مبينا لحالهم القابل للاعراض و ثمراته جوابا لمن يسأل عنهم
مؤكدا لأجل إنكار المعاندين: ﴿ ان الذين ﴾ قال أبو حيان[5]: قال ابن
عباس رضى الله عنهما: نزلت في الصديق رضى الله عنه و أرضاه .
١٠ ﴿ قالوا ﴾ أي قولا حقيقيا مذعنين به بالجنان و ناطقين باللسان تصديقا
لداعي الله في دار الدنيا متذللين حيث ينفع الذل جامعين بين الأس
الذي هو المعرفة و الاعتقاد، و البناء الذي هو العمل الصالح بالقول و الفعل
على السداد، فان أصل الكمالات النفسانية يقين مصلح و عمل صالح،
/ تعرف الحق لذاته و الخير لتعمل به و رأس المعارف اليقينية و رئيسها ٥٩٩ /
١٥ معرفة الله، و رأس الأعمال الصالحة الاستقامة على حد الاعتدال من
غير ميل إلى طرف إفراط أو تفريط: ﴿ ربنا ﴾ أي المحسن إلينا ﴿ الله ﴾
المختص بالجلال و الإكرام وحده لاشريك له .

---

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: جعلنا (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: لهم (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: ارادوا (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: اتبعها (٥) في البحر المحيط ٧/٤٩٦ .

و لما كان الثبات على التوحيد و مصححاته إلى الممات أمرا فى علو رتبته لايرام إلا بتوفيق ذى الجلال و الإكرام، أشار إليـــه بأداة التراخى فقال: ﴿ثم استقاموا﴾ طلبوا و أوجدوا القوام بالإيمان بجميع الرسل و جميع الكتب و لم يشركوا به صنما و لا وثنا و لا آدميا و لا ملكا [1]و لا كوكبا[1] و لا غيره بعبادة و لا رياء، و عملوا بما يرضيه و تجنبوا كل ما ٥ يسخطه و إن طال الزمان، امتثالا لما أمر[2] به أول السورة فى قوله " انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه " فمن كان له أصل الاستقامة فى التوحيد أمن من النار بالخلود، و[3] من كان له كمال الاستقامة فى الأصول و الفروع أمن[4] الوعيد ﴿تتنزل﴾ على سبيل التدريج المتصل ﴿عليهم﴾ من حين نفخ الروح فيهم إلى أن يموتوا ثم إلى أن يدخلوا الجنة باطنا فظاهرا[5] ١٠ ﴿الملئكة﴾ بالتأييد فى جميع ما ينوبهم فتستعلى الأحوال الملكية[6] عـــلى صفاتهم البشرية و شهواتهم الحيوانية فتضمحل عندها، و تشرق مرائيهم، ثم شرح ما يؤيدونهم[7] به و فسره فقال: ﴿الا تخـافوا﴾ أى من شيء مثله يخيف، و كأنهم يثبتون ذلك فى قلوبهم ﴿و لا تحزنوا﴾ أى[8] على شيء فاتكم، فان ما حصل لكم أفضل منه، فأوقاتكم الأخراوية[9] ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اقر (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: دون (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: من (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: و ظاهرا (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: الملائكة (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يويدهم (٨) سقط من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الأخروية.

فيها بل هي كلها روح و راحة، فلا يفوتهم لذلك محبوب و لا يلحقهم مكروه ﴿و ابشروا﴾ أى املأوا صدوركم [سرورا -[1]] يظهر أثره على بشرتكم بتهلل الوجه و نعمة سائر الجسد ﴿بالجنة التى كنتم﴾ أى كونا[2] عظيما على ألسنة الرسل ﴿توعدون ە﴾ أى يتجدد لكم ذلك كل حين
٥ بالكتب و الرسل، و قال الرازى فى اللوامع: يبشرون فى ثلاثة مواضع: عند الموت، و فى القبر، و يوم البعث - انتهى. و هذا محمول على الكلام الحقيق و ما قبله على أنهم يفعلون معه ما ترجمته ذلك.

و لما أثبتوا لهم الخير، ونفوا عنهم الضير، عللوه بقولهم: ﴿نحن اولـيؤكم﴾ أى أقرب الأقرباء إليكم، فنحن نفعل معكم كل ما يمكن
١٠ أن يفعله القريب ﴿فى الحيوٰة الدنيا﴾ نجتلب لكم المسرات و نبعد عنكم[3] المضرات و نحملكم على[4] جميع الخيرات بحيث يكون لكم فيها ما تؤثره[5] العقول بالامتناع مما تهواه النفوس و إن تراءى للرائين فى الدنيا أن الأمر بخلاف ذلك، فنوقظكم من المنام، و نحملكم على الصلاة و الصيام، و نبعدكم عن الآثام، ضد[6] ما تفعله الشياطين مع أوليائهم ﴿و فى الأخرة ج﴾
١٥ كذلك حيث يتعادى الأخلاء إلا الأتقياء ﴿و لكم فيها﴾ أى الآخرة فى الجنة و قبل دخولها فى جميع أوقات الحشر ﴿ما تشتهـى﴾

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كونها. (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عنهم (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: إلى (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ثورة (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ضده.

[و لو على أدنى وجوه الشهوة بما يرشد إليه حذف المفعول -[١]]
﴿ انفسكم ﴾ لأجل[٢] ما منعتموها من الشهوات فى الدنيا ﴿ و لكم ﴾ .
و لما كان السياق للذين استقاموا العام للسابقين و أصحاب اليمين على
ما أشير إليه الختم [بصفة -[١]] المغفرة و تقديمها ، قيد بالظرف بخلاف
ما فى يٰسٓ فقال : ﴿ فيها ﴾ [٣]أى الآخرة[٣] ﴿ ما تدعون[٤] ﴾ [أى -[٤]] ٥
ما تؤثرون دعاءه و طلبه و تسألونه و تمنونه بشهوة نفوسكم و رغبة قلوبكم .
و لما كان / هذا كله بالنسبة إلى ما يعطون شيئا يسيرا ، نبه عليه ٦٠٠ /
بقوله : ﴿ نزلا ﴾ أى هذا كله يكون لكم كما يقدم إلى الضيف عند
قدومه إلى أن يتهيأ ما يضاف به . و لما كان من حوسب عذب ، فلا
يدخل أحد الجنة إلا بالرحمة ، أشار إلى ذلك بقوله[٥] : ﴿ من ﴾ أى كائنا ١٠
ذلك النزل من ﴿ غفور ﴾ له صفة المحو للذنوب عينا و أثرا على
غاية لا يمكن وصفها ﴿ رحيم ﴾ أى بالغ الرحمة بما ترضاه الإلهية . فالحاصل
أن المفسد يقيض[٦] الله [له -[١]] قرناء السوء من الجن و الإنس يزيدونه
فسادا و المصلح ييسر الله له أولياء الخير من الإنس و الملائكة يعينونه
و يحببونه فى جميع الخيرات و يبعدونه و يكرهونه فى جميع المضرات - ١٥
و الله يتولى الصالحين .

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا (٣-٣) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد : فى الدنيا و لكم ، و الترتيب من ظ و م و مد ، و وقع فى الأصل : أى فى الآخرة (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بكله (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مقبض .

و لما كان هذا لمن كمل نفسه، أتبعه بمن أكمل غيره إشارة إلى
أن السعادة التامة أن يكتسب الإنسان من الصفات الفاضلة ما يصير
بها كاملا فى نفسه، فاذا فرغ اشتغل بتكميل الناقص عاطفا على ما تقديره:
ما أحسن هذا الذى كمل نفسه، و قاله تنويها بعلو قدر النفع المتعدى
٥ و حثا على مداومة الدعاء و إن أبوا و قالوا "قلوبنا فى اكنة" ثم قالوا
"لا تسمعوا لهذا القرآن" فانهم لم يقولوا من ذلك شيئا إلا ذكرت
أجوبته الشافية الكافية فاندفعت جميع الشبهات و زالت غياهب الضلالات[1]،
فصار تحذير الدعاء موضعا للقبول: ﴿و من احسن قولا﴾ أى من جهة
القول ﴿ممن دعآ﴾ وحد الضمير دلالة على قلة هذا الصنف ﴿الى الله﴾
١٠ [أى -[2]] الذى عم بصفات كماله جميع الخلق فهو يستعطف كل أحد
بما تعرف إليه سبحانه [به -[3]] من صفاته ﴿و عمل﴾ أى و الحال
أنه قد عمل ﴿صالحا﴾ فى نفسه ليكون ذلك أمكن لدعائه أعم من
أن يكون ذلك الصالح[4] نية أو قولا أو عملا للجوارح الظاهرة سرا كان
أو علنا[5]، و لذا حذف الموصوف لئلا يوهم تقييده بالأعمال الظاهرة و للاغناء
١٥ عنها بقوله «دعا» بخلاف ما كان سياقه للتوبة كآية الفرقان أو اعتقاد الحشر
كآية الكهف، فانه لابد فيه من إظهار العمل ليكون شاهدا على صحة
الاعتقاد و كمال التوبة، و الدعاء هنا مغن[6] عن ذلك ﴿و قال﴾ مؤكدا

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الغلالات (٢) زيد من م و مد.
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الصلح (٥) من
ظ و م و مد، و فى الأصل: علانية (٦) من ظ و م و مد، و فى
الأصل: مغنى.

عند المخالف و المؤالف قاطعا لطمع المفسد فيه: ﴿انني من المسلمين ﴾ أى الراسخين فى صفة الإسلام متظاهرا بذلك لايخاف فى الله لومة لائم و إن سماه أبناء زمانه كذا جافيا و غليظا[1] عاسيا لتصلبه فى مخالفته إياهم فيما هم عليه بتسهله[2] فى انقياده لكل ما أمره[3] به ربه سبحانه.

و لما كان التقدير: لا أحد[4] أحسن قولا منه، بل هو المحسن ٥ وحده، فلا يستوى هذا المحسن و غيره أصلا، ردا عليهم أن حالهم أحسن من حال الدعاة[5] إلى الله، [وكان -[6]] القيام بتكميل الخلق يحتاج إلى جهاد للنفس عظيم من تحمل المشاق و الصبر على الأذى، و غير ذلك من جميع الأخلاق، عطف عليه التفرقة بين عمليهما[7] ترغيبا فى الحسنات فقال: ﴿و لا تستوى﴾ أى و إن اجتهدت[8] فى التحرير و الاعتبار ١٠ ﴿الحسنة﴾ أى لابالنسبة إلى أفراد جنسها / و لا بالنسبة إلى عامليها ٦٠١ / عند وحدتها، لتفاوت الحسنات فى أنفسها، و الحسنة الواحدة باعتبار نيات العاملين لها و اجتهادهم فيها و لا بالنسبة إلى غيرها، و إلى ذلك أشار بالتأكيد فى قوله: ﴿و لا السيئة﴾ أى فى نفسها و لا بالنسبة إلى جنس آخر. ١٥

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: غاليظا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لتسهله (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: امر (٤) من ظ و م و مد، و فى الاصل: احدا (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الدعاء.
(٦) زيد من م و مد (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عمليها (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اجتهد.

و لما أنتج هذا الحث على الإقبال على الحسن و الإعراض عن السئ ، و أفهم أن كلا من القسمين متفاوت الجزئيات متعالى الدرجات ، و كان الإنسان لاينفك عن عوارض[1] تحصل له من الناس و من نفسه يحتاج إلى دفع[2] بعضها ، أنتج عنه قصد الأعلى فقال : ﴿ ادفع ﴾ أى ٥ كل ما يمكن أن يضرك من نفسك و من الناس ﴿بالتى﴾ أى الخصال و الأحوال التى ﴿هى احسن﴾ على قدر الإمكان من الأعمال الصالحات فالعفو عن المسيء حسن ، و الإحسان أحسن منه ﴿فاذا الذى بينك و بينه عداوة﴾ عظيمة قد ملأت ما بين البينين فاجأته حال كونه ﴿ كانه ولى ﴾ أى قريب فاعل ما يفعل القريب ﴿ حميم ه ﴾ [أى -[3]] فى غاية القرب ١٠ لا يدع مهما إلا قضاه و سهله و يسره ، و شفا علله ، و قرب بعيده ، و أزال درنه ، كما يزيل الماء الحار الوسخ .

و لما كانت هذه الخصلة أمًّا جامعا[4] لجميع مصالح[5] الدين و الدنيا ، قال منبها على عظيم فضلها و بديع نبلها[6] حاثا على الاستظلال بجميع[7] ظلها مشيرا بالبناء[8] للفعول إلى أنها هى العمدة المقصودة بالذات على ١٥ وجه منبه على أنها مخالفة لجبلة الإنسان حثا على الرغبة فى طلبها من

---

(١) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رفع (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جامعة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مصلح . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ديلها - كذا (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بجميل (٨) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : بالفاء .

واهبها ﴿ و ما يلقّىها ﴾ اى يجعل لاقيا لهذه الخصلة التى هى مقابلة الإساءة بأحسن الحسن و هو الإحسان الذى هو أحسن من العفو و الحلم و الصبر و الاحتمال بأن يعلق الله تعالى إرادته على وجه الشدة و المبالغة بالقائها إليه ﴿ الا الذين صبروا ج ﴾ اى وجدت منهم هذه الحقيقة و ركزت فى طباعهم، فصاروا يكظمون الغيظ و يحتملون المكاره، و كرر إظهار ٥ البناء للمفعول للتنبيه على أنه لا قدرة عليها إصلا إلا بتوفيق الخالق بأمر باطنى يقذفه الله فى القلب قذفا وحيا تظهر ثمرته على سائر البدن، فقال دالا باعادة النافى على زيادة العظم و على أن أصحاب هذه الخصلة على رتبتين كل رتبة منهما مقصودة فى نفسها ﴿ و ما يلقّىهآ ﴾ على ما هى عليه[1] من العظمة ﴿ الا ﴾ و أفرد هنا بعد جمع الصابر دلالة على ندرة ١٠ المستقيم على هذه الخصلة ﴿ ذوحظ ﴾ أى نصيب و قسم و بخت ﴿ عظيم ه ﴾ أى جليل فى الدنيا و الآخرة عند الله و عند الناس.

و لما كان التقدير: فان لقيت ذلك و أعاذك الله من الشيطان فانت أنت، عطف عليه قوله [معبرا بأداة الشك المفهمة لجواز وقوع ذلك فى الجملة، مع العلم بأنه صلى الله عليه و سلم معصوم إشارة إلى رتبة ١٥ الإنسان من حيث هو إنسان و إلى أن الشيطان يتوهم مع علمه بالعصمة أنه يقدر على ذلك فيعلق أمله به، و كأنه لذلك أكد لأن نزغه له فى محل الإنكار -[2]]: ﴿ و اما ﴾ و لما كانت[3] وسوسة الشيطان تبعث على ما

(١) سقط من م (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كان.

لا ينبغي ، و كان العاقل لايفعل ما لاينبغي إلابالإلجاء ، شبه المتعاطي له بالمنخوس الذي حمله النخس على ارتكاب ما يضر فقال : ﴿ ينزغنك ﴾ أي ينخسنك و يطعننك طعنا مفسدا [١]فيحصل لك تألم[١] ﴿ من الشيطن ﴾ البعيد من الرحمة المحترق باللعنة . و لما كان المقام خطرا لأن الطبع
٥ مساعد للوسواس ، جعل النزغ نفسه نازغا إشارة إلى ذلك فقال : ﴿ نزغ ﴾ أي وسوسة تحرك نحو الموسوس من أجله / و تبعث إليه بعث المنخوس /٦٠٢
إلى الجهة التي يوجه إليها ، فانه ينبعث إلى تلك الجهة بعزم[٢] عظيم ﴿ فاستعذ بالله[٣] ﴾ أي استجر بالملك [الأعلى - [٣]] و اطلب منه الدخول في عصمته مبادرا[٤] إلى ذلك حين تخس بالنزغة فانه لايقدر على الإعاذة
١٠ منه غيره ، و لا تذر النزغة تتكرر ، بل ارجع إلى المحيط علما و قدرة في أول الخطرة ، فانك إن لم تخالف أول الخطرة صارت فكرة ، فيحصل العزم فتقع[٥] الزلة فتصير قسوة فيحصل التمادي[٦] - نبه عليه القشيري .
و لما كانت الاستعاذة هنا من الشيطان ، وكان نزغه مما يعلم لا مما يرى ، وكانت صفة السمع تعم ما يرى و ما لا يرى ، قال مؤكدا لوقوف
١٥ الجامدين مع الظواهر : ﴿ انه هو ﴾ أي وحده ﴿ السميع ﴾ و ختم بقوله : ﴿ العليم ه ﴾ الذي يسمع كل مسموع من استعاذتك و غيرها ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بحزم (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل و م : متبادرا (٥) من م و مد ، و في الأصل و ظ : فتحصل (٦) زيد في الأصل : به ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها .

و يعلم

و يعلم كل معلوم من نزغه و غيره، فهو القادر على رد كيده، و توهين أمره و أيده. و ليس هو كما جعلتموه له من الأنداد الصم البكم التى لا قدرة لها على شيء أصلا.

و لما ذكر أنهم جعلوا له أندادا مع أنه خلق الأرض فى يومين، و ختم ذلك بأن أحسن الحسن الدعاء إلى الله، و ختم الأمر [بالدعاء -[1]] ٥ بصفة العلم. أتبعه دلائل التوحيد إعلاما بأن التوحيد أحسن الحسن يطرد[2] كل شيء، و تنبيها على أن الدعوة إلى الله تعالى عبارة عن تنوير الدلائل الدالة على الذات و الصفات، و ذلك ببيان الأفعال و آثارها و هو العالم بجميع ما فيه من الأجزاء و الأبعاض جوهرا [3]و عرضا، و[3] بدأ بذكر الفلكيات لأنها[4] أدل، فقال عاطفا على ما تقديره: فمن آياته الناشئة ١٠ عن شمول علمه المستلزم لشمول قدرته المنتجة لإعادته لمن يريد و نفوذ تصرفه فى كل ما يشاء المستلزم لتفرده بالإلـهية أنه خالق الخافقين كما مضى فى ستة أيام: ﴿ و من ءايٰته ﴾ الدالة على وحدانيته:

[5]و فى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد[5]

و لما كانت الظلمة[6] عدما و النور وجودا و العدم مقدم قال: ١٥ ﴿ الّيل و النهار ﴾ أى الدالان[7] باختلافهما و هيئتهما على قدرته على

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بطرد. (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اوعرض او - كذا (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لأنه (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العظمة (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الدالين.

البعث و على[1] كل مقدور ﴿ و الشمس و القمر[2] ﴾ اللذ ن هما لليل و النهار كالروح لذوى الأجساد، و هذه الموجودات - مع [ما -][2] مضى من خلق الخافقين - كتاب الملك الديان، إلى الإنس و الجان، المشهود لهم بالعيان كما قيل [3]يا إنسان[3]:

٥ تأمل سطور الكائنات فانها من الملك الأعلى إليك رسائل

و قد خط فيها لو تأملت خطه الا كل شيء ما خلا الله باطل

و لما ثبت[4] له سبحانه التفرد بالخلق و الأمر، و كان باطنا إلا عند من نور الله أو كانت الشمس و القمر من اياته[5] المعرفة المشيرة فى وجود الدنيا و الآخرة إليه، و كانا مشاهدين[6]. و كان الإنسان قاصر العقل مقيد

١٠ الوهم بالمشاهدات لما عنده من الشواغل إلا من عصم[7] الله، أنتج قوله محذرا من عبادتهما لما يرى لهما من البهاء و فيهما من المنافع: ﴿ لا تسجدوا للشمس ﴾ التى هى أعظم أوثانكم فانها من جملة مبدعاته[8]، و أعاد[9] النافى تأكيدا للنفى[9] و إفادة لأن النهى عن كل منهما على حدته، و لذلك أظهر موضع الإضمار[10] فقال: ﴿ و لا للقمر ﴾ كذلك.

١٥ و لما نهى عن السجود لهما، أمر بالسجود بما يبين[11] استحقاقه لذلك

---

(١) سقط من م و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اثبت (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: ايات (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شاهدين. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عظم (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مبتدعاته (٩-٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التاكيد النافى فى تاكيد المنفى (١٠) سقط من م (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بين.

و عدم استحقاقهما، او استحقاق شيء غيرهما له فقال: ﴿و اسجدوا﴾ [1]و نبه على مزيد عظمته بالإظهار موضع الإضمار فقال[1]: ﴿لله﴾ أى الذى له كل كمال من [غير -[2]] شائبة نقص [من أفول أو تجدد حلول -[3]] ﴿الذى خلقهن﴾ [4]أى الأربعة[4] لأجلكم فهو الذى يستحق الإلهية، و أنث لأن [ما -[5]] لايعقل حكمه حكم المؤنث [فى الضمير -[2]] و هى أيضا ٥ آيات، و فيـــه إشارة إلى تناهى سفولها عما أهلوها له و ذم عابديها بالإفراط فى الغباوة، و يمكن أن يكون عد القمر اقمارا لأنه يكون تارة هلالا و اخرى بدرا و أخرى محوا، فلذلك جمع إشارة إلى قهرهما بالتغيير له فى الجرم و لهما بالتسيير، و لذلك عبر بضمير المؤنث الذى يكون لجمع[6] الكثرة مما لا يعقل. ١٠

و لما ظهر أن الكل عبيده، و كان السيد لايرضى باشراك عبده عبدا آخر فى عبادة سيده قال: ﴿ان كنتم اياه﴾ أى خاصة بغاية الرسوخ ﴿تعبدون ه﴾ [كما - [5]] هو صريح قولكم فى الدعاء فى وقت الشدائد لاسيما فى البحر، و محصل قولكم "ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى" فان اشركتم به شيئا بسجود أو غيره فما[7] خصصتموه بالعبادة لأن السجود ١٥

(١-١) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد « تجدد حلول » و الترتيب من ظ و م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من م و مد، و زيد فى الأصل: و أتى باسمه الجامع للصفات العلية المنزه عن الأفول أو التجدد أو الحلول فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤-٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الأربعة أى (٥) زيد من م و مد (٦) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مما.

من العبادة و فعله و لو فى وقت واحد لغيره إشراك فى الجملة ، و من أشرك به لم يعبده وحده ، و من لم يعبده وحده لم يعبده أصلا ، لأنه أغنى الأغنياء ، لايقبل إلا الخالص و هو أقرب إلى عباده من كل شيء فيوشك أن ينتقم منكم باشراككم ، و فى الآية إشارة إلى الحث على[1] صيانة الآدميين عن أن يقع منهم سجود[2] لغيره رفعا لمقامهم عن[3] أن يكونوا ساجدين لمخلوق بعد أن كانوا مسجودا لهم ، فانه سبحانه أمر الملائكة الذين هم أشرف خلقه بعدهم بالسجود[4] لآدم و هم فى ظهره فتكبر اللعين[5] إبليس ، فابد لعنه ، فشتان ما بين المقامين .

و لما كانوا فى هذا الأمر بين طاعة و معصية ، وكان درأ المفاسد مقدما ، سبب عن ذلك قوله معبرا بأداة الشك تنبيها [لهم -[6]] على أن استكبارهم بعد إقامة هذه الأدلة ينبغى أن لايتوهم ، و صرف القول إلى الغيبة تحقيرا لهم و إبعادا على تقدير وقوع ذلك منهم: ﴿فان استكبروا﴾ أى أوجدوا الكبر عن اتباعك فيما أمرتهم به من التوحيد [7]فلم يوحدوا الله و لم ينزهوه[7] تعالى عن الشريك ﴿فالذين عند﴾ وأظهر موضع الإضمار معبرا بوصف الإحسان بشارة له و نذارة لهم ﴿ربك﴾ خاصة لاعندهم لكونهم مقربين لديه فى درجة الرضاء و الكرامة و لكونهم مما يستغرق

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الى (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سجوده (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للسجود (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧-٧) فى الأصل و ظ و م : فلم ينزهوا الله .

و عدم استحقاقهما، او استحقاق شيء غيرهما له فقال: ﴿ و اسجدوا ﴾ [1] و نبه على مزيد عظمته بالإظهار موضع الإضمار فقال [1]: ﴿ لله ﴾ أي الذي له كل كمال من [غير - [2]] شائبة نقص [من أفول أو تجدد حلول - [3]] ﴿الذي خلقهن﴾ [4] أي الأربعة [4] لأجلكم فهو الذي يستحق الإلهية، و أنث لأن [ما - [5]] لا يعقل حكمه حكم المؤنث [في الضمير - [2]] و هي أيضا ٥ آيات، و فيـــه إشارة إلى تناهي سفولها عما أهلوها له و ذم عابديها بالإفراط في الغباوة، و يمكن أن يكون عد القمر اقمارا لأنه يكون تارة هلالا و اخرى بدرا و أخرى محوا، فلذلك جمع إشارة إلى قهرهما بالتغيير له في الجرم و لهما بالتسيير، و لذلك عبر بضمير المؤنث الذي يكون لجمع [6] الكثرة مما لا يعقل. ١٠

و لما ظهر أن الكل عبيده، و كان السيد لا يرضى باشراك عبده عبدا آخر في عبادة سيده قال: ﴿ان كنتم اياه﴾ أي خاصة بغاية الرسوخ ﴿ تعبدون ه ﴾ [كما - [5]] هو صريح قولكم في الدعاء في وقت الشدائد لاسيما في البحر، و محصل قولكم " ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى" فان اشركتم به شيئا بسجود أو غيره فما [7] خصصتموه بالعبادة لأن السجود ١٥

(١-١) وقع ما بين الرقمين في الأصل بعد « تجدد حلول » و الترتيب من ظ و م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من م و مد، و زيد في الأصل: و أتى باسمه الجامع للصفات العلية المنزه عن الأفول أو التجدد أو الحلول فقال، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٤-٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: الأربعة أي (٥) زيد من م و مد (٦) في الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: مما.

من العبادة و فعله و لو فى وقت واحد لغيره إشراك فى الجملة ، و من أشرك به لم يعبده وحده ، و من لم يعبده وحده لم يعبده أصلا ، لأنه أغنى الأغنياء ، لايقبل إلا الخالص و هو أقرب إلى عباده من كل شيء فيوشك أن ينتقم منكم باشراككم ، و فى الآية إشارة إلى الحث على[1]
٥ صيانة الآدميين عن أن يقع منهم سجود[2] لغيره رفعا لمقامهم عن[3] أن يكونوا ساجدين لمخلوق بعد أن كانوا مسجودا لهم ، فانه سبحانه أمر الملائكة الذين هم أشرف خلقه بعدهم بالسجود[4] لآدم و هم فى ظهره فتكبر اللعين[5] إبليس ، فابد لعنه ، فشتان ما بين المقامين .

و لما كانوا فى هذا الأمر بين طاعة و معصية ، وكان درأ المفاسد
١٠ مقدما ، سبب عن ذلك قوله معبرا بأداة الشك تنبيها [لهم -[6]] على أن استكبارهم بعد إقامة هذه الأدلة ينبغى أن لايتوهم ، و صرف القول إلى الغيبة تحقيرا لهم و إبعادا على تقدير وقوع ذلك منهم : ﴿فان استكبروا﴾ أى أوجدوا الكبر عن اتباعك فيما أمرتهم به من التوحيد [7]فلم يوحدوا الله و لم ينزهوه[7] تعالى عن الشريك ﴿فالذين عند﴾ وأظهر موضع الإضمار
١٥ معبرا بوصف الإحسان بشارة له و نذارة لهم ﴿ربك﴾ خاصة لاعندهم لكونهم مقربين لديه فى درجة الرضاء و الكرامة و لكونهم مما يستغرق

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الى (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سجوده (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للسجود (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧-٧) فى الأصل و ظ و م : فلم ينزهوا الله .

ه الآدميون و لكون الكفار لاقدرة لهم على الوصول إليهم[1] بوجه: ﴿ يسبحون له ﴾ أي يوقعون التنزيه عن النقائص و يعدون عن الشركة لأجل علوه الأقدس و عزه الأكبر لا لشيء غيره[2] إخلاصا في عبادته و هم لايستكبرون .

/و لما كان حال الكفار في الإخلاص مختلفا في الشدة و الرخاء، ٥ / ٦٠٤ أشار إلى تقبيح ذلك منهم بتعميم خواصه عليهم[3] الصلاة و السلام بالإخلاص حالتي الإثبات الذي[4] هو حالة بسط في الجملة، و المحو الذي هو حالة قبض كذلك يجددون هذا التنزيه مستمرين عليه في كل وقت [فقال -[5]]: ﴿ بالليل و النهار ﴾ أي على مر الملوين و كر الجديدين لايفترون . و لما كان في سياق الفرض لاستكبارهم المقتضي[6] لإنكارهم، أكد بالعاطف و الضمير ١٠ فقال مؤذنا بأن هذا ديدنهم لاينفكون عنه: ﴿ و هم ﴾ أي و الحال أنهم على هذا الدوام ﴿ لا يسئمون ه ﴾ أي لا يكون لهم في وقت من الأوقات فتور و لاملل، فهو غني عن عبادة هؤلاء [7]بل و[7] عن عبادة كل عابد، و الحظ الأوفر[8] لمن عنده. و أما هو سبحانه فلا يزيده شيئا و لاينقصه شيء فدع هؤلاء إن استكبروا و شأنهم، فسيعلمون من الخاسر، فالآية ١٥

---

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ : اليه (٢) زيدت الواو بعده في الأصل و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و في الاصل و ظ : عليه. (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ : التي (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و في الاصل و ظ : المودى (٧-٧) من ظ و م و مد، و في الأصل : لا بل (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل : الأفر .

[من الاحتباك - [1]] : ذكر الاستكبار اولا دليلا على حذفه [ثانيا و التسبيح ثانيا دليلا على حذفه - [1]] أولا ، و سر ذلك أنه ذكر أقبح ما لأعدائه و أحسن ما لأوليائه .

و لما ذكر بعض آيات السماء لشرفها ، و لأن بعضها عبد ، و من ٥ آثار الإلهية ، فذكر دلالتها على وحدانيته [2] اللازم منه إبطال عبادتها ، أتبعه بعض آيات الأرض بخلاف ما فى يٰس ، فان السياق هناك للبعث و آيات الأرض أدل فقال : ﴿ و من اٰيٰته ﴾ [أى - [3]] الدالة على عظم [4] شأنه و علو سلطانه ﴿ انك ترى الارض ﴾ أى بعضها بحاسة البصر و بعضها بعين البصيرة قياسا على ما أبصرته ، لأن الكل بالنسبة ١٠ إلى القدرة [5] على حد سواء .

و لما كان السياق للوحدانية ، عبر بما هو أقرب إلى حال العابد [6] بخلاف ما مضى فى الحج فقال : ﴿ خاشعة ﴾ أى يابسة لانبات فيها فهى بصورة الذليل الذى لامنعة [7] عنده لأنه [لا - [1]] مانع من المشى [8] فيها لكونها متطأمنة [9] بعد الساتر لوجهها بخلاف ما إذا كانت مهتزة رابية [10] ١٥ متزخرفة تختال بالنبات .

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الوحدانية . (٣) زيد من م و مد (٤) فى م : عظيم (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قدرته (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العباد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : منعة (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الشى . (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مطمئنة (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ثابية .

و لما كان إنزال الماء مما استأثر به سبحانه، فهو من اعظم الأدلة على عظمة الواحد، صرف القول إلى مظهر العظمة فقال: ﴿فاذآ انزلنا﴾ بما لنا من [1]القدرة التامة و[1] العظمة ﴿عليها المآء﴾ من الغمام أو سقناه إليها من الأماكن العالية و جلبنا به إليها من الطين ما تصلح به للانبات و إن كانت سبخة كأرض مصر ﴿اهتزت﴾ أى تحركت حركة عظيمة ٥ كثيرة سريعة، فكانت كمن يعالج ذلك بنفسه ﴿و ربت[4]﴾ أى تشققت فارتفع ترابها و خرج منها النبات و سما فى الجو مغطيا لوجهها، و تشعبت عروقه، و غلظت سوقه، فصار يمنع سلوكها على ما كان فيه من السهولة، و صار بحسن زيه بمنزلة المختال فى أثواب ثرية[2] بعد أن كان عاريا ذليلا فى أطمار رثة و حال زرىء، و كذلك القلوب إذا خشعت لاستشعارها ١٠ بما ألمت به من الذنوب أقبل[3] الحق سبحانه عليها فطهرها[4] بمياه المعارف فظهرت / فيها بركات الندم و عفا عن أربابها ما قصروا فى صدق [5]القدم / ٦٠٥ و أشرقت[5] بحلى الطاعات و زهت بملابس القربات، و زكـت بأنواع التجليات.

و لما كان هذا دليلا عظيما مشاهدا[6] على القدرة على إيجاد المعدوم، ١٥ و إعادة البالى المحطوم، أنتج و لابد قوله مؤكدا لأجل ما هم فيه من الإنكار صارفا القول عن مظهر العظمة إلى ما ينبه على القدرة على البعث و لابد:

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: بزينة (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فنزاها (٥-٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: القلب و اشفقت.
(٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: شاهدا.

﴿ان الذىٓ احياها﴾ بما أخرج من نباتها الذى كان بلى و تحطم و صار ترابا ﴿لمحي الموتىٰ﴾ كما فعل بالنبات من غير فرق . و لما كانوا مع إقرارهم بتمام قدرته كأنهم ينكرون قدرته لإنكارهم البعث [قال -[1]] معللا مؤكدا : ﴿ انه على كل شيء قدير ﴾ لأن الممكنات متساوية الأقدام ٥ بالنسبة إلى القدرة ، فالقادر قدرة تامة[2] على شيء منها قادر على غيره .

و لما بين أن الدعوة إلى الله أعظم المناصب ، و أشرف المراتب ، و بين أنها إنما تحصل ببيان دلائل التوحيد التى[3] من أعظمها البعث ، و بينه إلى أن كان بهذا الحد من الوضوح ، كان مجز[4] التهديد من أعرض عن قبوله ، فقال فى[5] عبارة عامة له[6] و لغيره ، مؤكدا تنبيها على أن فعلهم ١٠ فعل من يظن أنه سبحانه لا يطلع [على -[1]] أعماله : ﴿ان الذين يلحدون﴾ أى يميلون بصرف المعانى عن القصد و سنن العدل بنحو قولهم "ما[7] نعبدهم الا[8] ليقربونا الى الله زلفى" ، او يماحلون باللغو بالمكاء[9] و التصدية و غير ذلك من أنواع اللغط و كل ما يشمله معنى الميل عما تصح إرادته .

و لما كان الاجتراء على الإلحاد قادحا فى الاعتراف بالعظمة ، أعاد[10] ١٥ مظهرها فقال : ﴿ فى اٰيٰتنا ﴾ على ما لها من العظمة الدالة على ما لنا

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل و ظ : كل ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : محر (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عن (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لها (٧) فى م و مد : انما (٨) ليس فى م و مد . (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالمكاية (١٠) فى م : اعادة .

من

من الوحدانية و شمول العلم و تمام القدرة . و لما كان العلم بالإساءة[1] مع القدرة سببا للأخذ، قال مقررا للعلم بعد تقرير[2] القدرة: ﴿لا يخفون علينا﴾ أى فى وقت من الأوقات و لا وجه من الوجوه، و نحن قادرون على أخذهم، فمتى شئنا أخذنا، و لايعجل إلا ناقص يخشى الفوت .

و لما كان الإلحاد سببا لإلقاء صاحبه فى النار، و كان التقدير: ٥ و نحن نحلم عن العصاة فمن رجع إلينا أمن[3] كل مخوف، و من أعرض إلى الممات ألقيناه فى النار، سبب عنه قوله تعالى: ﴿افمن يلقى فى النار﴾ أى على وجهه بأيسر أمر بسبب إلحاده فى الآيات و إعراضه عن الدلالات الواضحات، فيكون خائفا يوم القيامة لما يرى من مقدمات ذلك حتى يدهمه[4] ما خاف منه ﴿خير ام من ياتى﴾ إلينا ﴿امنا يوم القيمة﴾ حين ١٠ نجمع عبادنا للعرض علينا للحكم بينهم بالعدل[5] فيدخل[6] الجنة دار السلام فيدوم أمنه، و الآية من الاحتباك: ذكر الإلقاء فى النار أولا دليلا على دخول الجنة ثانيا، و الأمن ثانيا دليلا على الخوف أولا، و سره أنه ذكر المقصود بالذات، و هو ما وقع الخوف لأجله أولا، و الأمن الذى هو / العيش فى الحقيقة ثانيا . ١٥ ٦٠٦ /

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالاشارة (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تقدير (٣) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) فى م: يدهم (٥) زيد فى الأصل: صارفا القول عن الغيبة إلى الخطاب لأنه أدل على الغضب على التمادى بعد هذا البيان و من كان امنا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دخل .

و لما كان هذا [1]رادا و لابد[1] للعاقل عن سوء أعماله إلى الإحسان رجاء إنعام الله و إفضاله، أنتج قوله مهددا و مخوفا و[2] متوعدا صارفا القول [3]عن الغيبة إلى الخطاب[3] لأنه أدل على الغضب على المتمادى بعد هذا البيان: ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ أى فقد[4] علمتم مصير المسيء و المحسن، فمن أراد
٥ شيئا من الجزائين فليعمل أعماله، فانه ملاقيه[5]. و لما كان العامل[6] لا يطمع فى الإهمال إلا على تقدير خفاء الأعمال، و المعمول له لا يترك الجزاء إلا لجهل أو عجز، بين [أنه - [7]] سبحانه محيط العلم [8]عالم بمثاقيل[8] الذر فقال مرغبا مرهبا مؤكدا لأنهم يعملون عمل من يظن أن أعماله تخفى، عادلا[9] عن مظهر العظمة إلى ما هو أدل شيء على الفردانية، لئلا يظن أن
١٠ مزيد العلم بواسطة كثيرة: ﴿ انه ﴾ و قدم أعمالهم تنبيها على الاهتمام بشأنها جدا فقال: ﴿ بما تعملون ﴾ أى فى كل وقت ﴿ بصير ه ﴾ بصرا و علما، فهو على كل شيء منكم قدير.

و لما جعل إليهم الاختيار فى العمل تهديدا، أتبعه الإخبار بما لمن خالفه، فقال مؤكدا لإنكارهم مضامين ما دخل عليه التأكيد:
١٥ ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى ستروا مرائى العقول الدالة على الحق مكذبين

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ولابد رادا (٢) سقطت الواو من م. (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: إلى الخطاب بعد الغيبة (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لاقيه. (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العاقل (٧) زيد من م و مد (٨-٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عالما مثاقيل (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عادة.

بالذكر الذى لا ذكر فى الحقيقة غيره ﴿لما جاءهم﴾ من غير توقف أصلا، فدل ذلك منهم على غاية العناد ﴿وانه﴾ أى و الحال أنه ﴿لكتب﴾ أى جامع لكل خير ﴿عزيز﴾ أى لايوجد مثله فهو يغلب كل ذكر [و لايغلبه ذكر -[1]] و لايقرب من ذلك، و يعجز كل معارض، و لايعجز أصلا عن إفعاد مناهض. ٥

و لما كان من معانى العزة انه ممتنع بمتانة[2] رصفه و جزالة نظمه و جلالة معانيه من أن يلحقه[3] تغيير ما، بين ذلك بقوله: ﴿لاياتيه الباطل﴾ أى البين البطلان إتيان غلبة فيصير [4]أو شيء[4] منه باطلا بينا. و لما كان المراد تعميم النفى، لا نفى العموم، أدخل الجار فقال: ﴿من بين يديه﴾ أى من جهة الظاهر مثل أمر أخبر به عما كان قبله ﴿و لا من خلفه﴾ ١٠ من جهة العلم الباطن مثل علم ما لم يشتهر من الكائن و الآتى سواء كان حكما أو خبرا لأنه فى غاية الحقية و الصدق، و الحاصل أنه لايأتيه من جهة من الجهات، لأن ما قدام أوضح ما يكون، و ما خلف أخفى ما يكون، فما بين ذلك من باب الأولى، فالعبارة كناية عن ذلك لأن صفة الله [5]لا وراء لها و لا أمام[5] على الحقيقة، و مثل ذلك ليس وراء الله ١٥ مرمى، و لا دون الله منتهى، و نحوه مما تفهم العرب و من علم لسانها[7]

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: علانه.
(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يخلفه (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ارشى (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امام لها و لا وراء.
(٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لشانها.

المراد بـه دون لبس، ثم علل ذلك بقوله: ﴿ تنزيل ﴾ أى بحسب
التدريج لأجل المصالح ﴿ من حكيم ﴾ بالغ الحكمة فهو يضع كل شيء
منه فى أتم محاله فى وقت النزول و سياق النظم ﴿ حميد ﴾ أى بالغ
الإحاطة بأوصاف الكمال من الحكمة و غيرها و التنزه و التطهر و التقدس
٥ عن كل شائبة نقص، يحمده كل خلق بلسان حاله إن لم يحمده بلسان
قاله، بما ظهر عليه من نقصه أو كماله، و الخبر محذوف تقديره:
خاسرون لا محالة لأنهم لايقدرون على شيء مما يوجهونه[1] إليه من الطعن
لأنهم / عجزة ضعفاء صغرة[2] كما قال المعرى: /٦٠٧

أرى الجوزاء تكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا[3]

١٠ و حذف الخبر أهول لتذهب النفس كل مذهب.

و لما وصف الذكر بأنه لايصح و لايتصور أن يلحقه نقص،
فبطل قولهم "لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه" و نحوه مما مضى
و حصل الأمن منه، أتبعه التسلية مما يلحق به من الغم ليقع الصبر على
جميع أقوالهم و أفعالهم فقال: ﴿ ما يقال لك ﴾ أى يبرز إلى الوجود
١٥ قوله سواء كان فى ماضى الزمان أو حاضره أو آتيه من[4] شيء من الكفار
أو غيرهم يحصل به ضيق صدر أو تشويش فكر من قولهم "قلوبنا فى
اكنة مما تدعونا اليه" إلى آخره، و غير ذلك مما تقدم أنهم قالوه له

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يوجهون (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: صغيرة (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الفسادا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عن.

متعنتين به ﴿ الا ما ﴾ أي شيء ﴿ قد قيل ﴾ أي حصل قوله على ذلك الوجه ﴿ للرسل ﴾ و إن لم يقل لكل واحد منهم فانه قيل للجموع ، و نبه على أن ذلك ليس لمستغرق للزمان بل تارة [و تارة -[1]] بادخال الجار في قوله: ﴿ من قبلك ﴾ و لما حصل بهذا الكلام ما أريد من التأسية، فكان موضع التوقع لهم أن يحل بهم ما حل[2] بالأمم قبلهم من عذاب ٥ الاستئصال، و كان صلى الله عليه و سلم شديد الشفقة عليهم و المحبة لصلاحهم ، سكن سبحانه روعه بالإعلام بأن رحمته سبقت غضبه ، فقال مخوفا مرجيا[3] لأجل إنكار المنكرين: ﴿ان﴾ و أشار إلى مزيد رفعته بذكر صفة الإحسان و إفراد[4] الضمير فقال: ﴿ ربك ﴾ أي المحسن إليك بارسالك و إنزال كتابه [إليك -[1]]، و من أكرم بمثل هذا لا ينبغي له ١٠ أن يحزن لشيء يعرض ﴿لذو مغفرة﴾ أي عظيمة جدا في نفسها و زمانها [و مكانها -[1]] لمن يشاء منهم، فلا يقطع لأحد بشقاء .

و لما رغبهم باتصافه بالمغفرة ، رهبهم باتصافه بالانتقام، و أكد باعادة "ذو" و الواو فقال: ﴿ و ذو عقاب ﴾ و الختم بما رويه الميم مع تقديم الاسم الميمي في التي قبلها دال للأشعري الذي قال بأن الفواصل ١٥ غير مراعية[5] في الكتاب العزيز، و إنما المعول عليه المعاني لا غير، و المعنى [هنا على -[1]] إيلام من كانوا يؤلمون[6] أولياءه باللغو عند

(١) زيد من م و مد (٢) في م: حصل (٣) زيد في الأصل و ظ : لا راجيا ، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : افرد (٥) في ظ ومد: مرعية (٦) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : يلامون .

التلاوة الدالة على غاية العناد، فلذلك[1] قدم حكيم، و لم [يقل -[2]] شديد، [و قال -[3]]: ﴿ اليم ه ﴾ [أى -[3]] كذلك، فلا يقطع لأحد بجاة[4] إلا من أخبر[5] هو سبحانه باشقائه أو إنجائه، و قد تقدم فعله لكل من الأمرين أنجى ناسا و غفر لهم كقوم يونس عليه الصلاة و السلام، ٥ و عاقب آخرين، و سيفعل فى قومك من كل من الأمرين ما هو الأليق بالرحمة بارسالك، كما أشار إليه ابتداؤه بالمغفرة، فالآية[6] نحو: إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم، و لعله لم يصرح هنا تعظيما للقرآن الذى الكلام بسببه.

و لما افتتحت السورة بأنه أنزل على أحسن الوجوه و أجملها و أعلاها ١٠ و أبينها و أكملها من التفصيل و الجمع و البيان بهذا اللسان العظيم الشأن، فقالوا فيه ما وقعت هذه التسلية لأجله / من قولهم "قلوبنا فى اكنة" ٦٠٨ / إلى آخره، و كان ربما قال قائل: لو كان بلسان غير العرب، و أعطى هذا النبي فهمه و القدرة على تبيينه لكان أقوى فى الإعجاز و أجدر بالاتباع، أخبر أن الأمر ليس كذلك، لأنهم لم يقولوا: هذا الشك ١٥ حصل لهم فى أمره، بل عنادا، و المعاند لا يرده شيء، فقال على سبيل التأكيد، معلما بأن الأمر على غير ما ظنه هذا الظان، و قال الأصبهانى: إنه جواب عن قولهم "و قالوا قلوبنا فى اكنة". و الأحسن عندى

(١) فى م و مد: فلذا (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بناجة (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اكبر (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فايه.

أن يكون عطفا على "فصلت ايته قرانا عربيا" و بناه للمفعول لأنه بلسانهم فلم يحتج إلى تعيين المفصل[١]، فيكون التقدير: فقد جعلناه عربيا معجزا، و هم أهل العلم باللسان، فأعرضوا عنه و قالوا فيه ما تقدم، و لفت القول عن وصف الإحسان الذى اقتضى أن يكون عربيا إلى مظهر العظمة الذى هو محط إظهار الاقتدار و إنفاذ الكلمة ﴿و لو جعلنه﴾ ٥ أى هذا الذكر بما لنا من العظمة [٢]و القدرة[٢] ﴿ قرانا ﴾ أى على ما هو عليه[٣] من الجمع ﴿اعجميا﴾ أى لا يفصح و هو مع ذلك على وجه يناسب عظمتنا ليشهد [كل -[٤]] أحد أنه معجز للعجم كما [٥]ان هذا[٥] معجز للعرب و أعطيناك فهمه و القدرة على إفهامهم إياه ﴿لقالوا﴾ أى هؤلاء المتعنتون[٦] فيه كما يقولون فى هذا بغيا و تعنتا: ﴿لولا﴾ أى هلا و لم لا ﴿فصلت ايته﴾ ١٠ أى بينت على [٧]طريقة نفهمها[٧] بلا كلفة و لا مبين، حال كونه قرآنا عربيا كما قدمنا أول السورة.

و لما تبين[٨] بشاهد الوجود[٩] أنهم قالوا فى العربى[١٠] الصرف و بشهادة

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الفعل (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) سقط من م (٤) زيد من م و مد (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: المتعنتين - كذا (٧-٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: طريق تفهيما (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بين (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الوجوه.
(١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العرفى.

الحكيم الودود ، و أنهم يقولون فى الأعجمى[1] الصرف ، لم يبق إلا المختلط منهما المنقسم إليهما ، فقال مستأنفا منكرا عليهم للعلم بأن ذلك منهم مجرد لدد لاطلبا للوقوف على سبيل الرشد : ﴿ ءاعجمى ﴾ أى أمطلوبكم[2] أو مطلوبنا - على قراءة الخبر من غير استفهام - أعجمى ﴿ و عربى ﴾ مفصل
٥ باللسانين ، [و الأعجمى -[3]] كما قاله الرازى فى اللوامع : الذى لا يفصح و لو كان عربيا . و العجمى من العجم و لو تفاصح بالعربية .

و لما كان من الجائز أن يقولوا : نعم ، ذلك مطلوبنا ، وكان نزولا من الرتبة العليا إلى ما دونها مع أنه لايجيب إلى المقترحات إلا مريد للعذاب . أو عاجز عن إنفاذ ما [نريد -[4]] ، بين أن[5] مراده نافذ من
١٠ غير هذا فقال : ﴿ قل هو ﴾ أى هذا القرآن على ما هو عليه من العلو الذى لا يمكن ان يكون شيء يناظره ﴿ للذين ءامنوا ﴾ أى اردنا وقوع الإيمان منهم ﴿ هدى ﴾ بيان لكل مطلوب ﴿ و شفاء ﴾ لما فى صدورهم من داء الكفر و الهواء و الإفك فآذانهم به سميعة ، و قلوبهم له[6] واعية ، و هو لهم بصائر ، قال القشيرى ، فهو شفاء للعلماء حيث استراحوا عن
١٥ كد الفكرة و تحير الخواطر و شفاء لضيق [صدور -[4]] المريدين[7] بما فيه من التنعم بقراءته و التلذذ بالتفكر فيه ، و لقلوب المحبين من لواعج[8]

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العجمى (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : مطلوبكم - بدون همزة الاستفهام (٣) زيد من ظ وم و مد . (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يدبين (٦) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : به (٧) من مد ، و فى الأصل وظ وم : المهدين . (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نواعج .

الاشتياق بما فيه من لطائف المواعيد، و لقلوب العارفين بما يتوالى عليها[1] من أنوار التحقيق و آثار خطاب الرب العزيز ﴿ و الذين لايؤمنون ﴾ أى اردنا أنه لايتجدد منهم إيمان[2] ﴿ فى اذانهم وقر ﴾ اى ثقل مذهب للسمع مصم، فهم لذلك لايسمعون سماعا ينفعهم لأنهم بادروا إلى رده [3] أول ما[3] سمعوه و تكبروا عليه[4] / فصاروا لايقدرون على تأمله ٥ / ٦٠٩ فهزم الكسل و أصمهم الفشل[5] فعز عليهم فهمه ﴿ و هو عليهم ﴾ أى[6] خاصة ﴿ عمى ﴾ [مستعل -[7]] على أبصارهم و بصائرهم لازم لهم، فهم لايعونه حق الوعى، و لايبصرون[8] الداعى به [حق -[7]] الإبصار، فلهم به ضلال و داء، فلذلك قالوا " و من بيننا و بينك حجاب " و ذلك لما يحصل لهم من الشبه[9] التى هيئت قلوبهم اقبولها[10]، أو يتمادى بهم فى ١٠ الأوهام التى لا يألفون سوى فروعها و أصولها، فقد بان أن سبب الوقر فى آذانهم الحكم بعدم إيمانهم للحكم باشقائهم، فالآية من الاحتباك: ذكر الهدى و الشفاء أولا دليلا على الضلال و الداء ثانيا، و الوقر و العمى ثانيا دليلا على السمع و البصائر أولا، و سر ذلك أنه ذكر أمدح صفات المؤمنين و أذم صفات الكافرين، لأنه لا أحقر من اصم أعمى. ١٥

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عليهم (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ايمانهم (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: او (٤) من م و مد، وفى الأصل وظ: عنه (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٦) سقط من م و مد (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل و م: لايبصرونه (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: السيئة (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لقلوبها.

و لما بان بهذا بعدهم عن عليائه و طردهم عن فنائه قال : ﴿اولـٰئك﴾ [أى - [1]] البعداء البعضاء مثالهم مثال من ﴿ ينادون ﴾ أى يناديهم من يريد نداءهم غير الله ﴿ من مكان بعيد ع ﴾ فهم بحيث لا يتأتى سماعهم ، و أما الأولون فهم ينادون بما هيئوا له من القبول من مكان قريب ،

٥ فهذه هى القدرة الباهرة ، و ذلك ان شيئا واحدا يكون لناس فى غاية القرب و لناس معهم فى مكانهم فى انهى البعد •

و لما كان التقدير : فلقد آتيناك الكتاب على هذه الصفة من العظمة ، فاختلفت فيه أمتك على ما اعلمناك به أول البقرة من انقسام الناس فعاقبنا الذين تكبروا عليه أن ختمنا على مشاعرهم ، عطف عليه

١٠ مسليا قوله مؤكدا لمن يقول من اهل الكتاب إضلالا : لو كان نبيا [2] ما اختلف الناس عليه و نحو ذلك مما يلبس به : ﴿و لقد اتينا﴾ [أى - [1]] على ما لنا من العظمة ﴿ موسى الكتب ﴾ أى الجامع لما فيه [3] هداهم ﴿فاختلف ﴾ أى [4] وقع الاختلاف ﴿ فيه [5] ﴾ أى من أمته كما وقع فى هذا الكتاب لأن الله تعالى خلق الخلق [1] الاختلاف مع ما ركب

١٥ فيهم من العقول الداعية إلى الاتفاق ﴿ و لولا كلمة ﴾ أى إرادة ﴿ سبقت ﴾ فى الأزل ، و لفت القول إلى صفة الإحسان ترضية بالقدر [5]

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بينا (٣) زيد فى الأصل و ظ : من ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : فيه كذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالقدرة .

و تسلية، و [زاد - ١] ذلك بإفراده بالإضافة فقال: ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك بتوفيق الصالح لاتباعك و خذلان الطالح بالطرد عنك لإراحتك منه من غير ضرر لدينك و بإهمال كل إلى أجل معلوم ثم إمهال الكل إلى يوم الفصل الأعظم من غير استئصال بعذاب كما صنعنا بغيرهم من الأمم ﴿ لقضى ﴾ أى وقع القضاء الفيصل ﴿ بينهم ﴾ ٥ المختلفين بانصاف المظلوم من ظالمه الآن . و لما علم بهذا و غيره ان يوم القيامة قد قدره و جعله موعدا من لايبدل القول لديه، فاتضح أنه لابد منه و لا محيد عنه و هم يجادلون فيه، قال مؤكدا: ﴿ و انهم لفى شك ﴾ أى محيط بهم ﴿ منه ﴾ أى [القضاء - ١] يوم الفصل ﴿ مريب ﴾ أى موقع فى الريب و هو التهمة و الاضطراب بحيث لايقدرون على ١٠ التخلص من دائرته أصلا .

و لما تقرر بما مضى أن / المطيع ناج، و تحرر أن العاصى هالك، / ٦١٠ كانت النتيجة من غير تردد: ﴿ من عمل صالحا ﴾ كائنا من كان [٢] من ذكر أو انثى [٢] ﴿ فلنفسه ﴾ أى فنفع عمله لها [ببركتها به - ١] لايتعداها، [و النفس فقيرة إلى التزكية بالأعمال الصالحة لأنها محل النقائص، فلذا ١٥ عبر بها، و كان قياس العبارة فى جانب الصلاح « و من عمل سيئا » فأفاد العدول إلى ما عبر به مع ذكر العمل أولا الذى مبناه العلم إن الصالح تتوقف صحته على نيته، و أن السيء يؤاخذ به عامله فى الجملة من الله أو الناس و لو وقع خطأ فلذا قال - ١] : ﴿ و من اساء ﴾

(١) زيد من م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

أي[1] في عمله ﴿ فعليها[1] ﴾ أي على نفسه خاصة ليس على غيره منه شيء .

و لما كان لمقصد السورة نظر كبير إلى الرحمة ، كرر سبحانه وصف الربوبية فيها كثيرا ، فقال عاطفا على ما تقديره : فما ربك بتارك جزاء أحد أصلا خيرا كان أو شرا : ﴿ و ما ربك ﴾ أي المحسن [إليك - [2]] بإرسالك لتتميم مكارم الأخلاق . و لما كان لايصح أصلا و لا يتصور أن ينسب إليه سبحانه ظلم ، عبر للدلالة على ذلك بنكرة في سياق النفي دالة[3] على النسبة مقرونة بالجار فقال : ﴿ بظلام ﴾ أي بذي ظلم ﴿ للعبيد ه ﴾ أي هذا الجنس فلا يتصور أن يقع منه ظلم لأحد منهم اصلا لأن له الغنى المطلق و الحكمة البالغة ، و عبر بـ « عبيد »[4] دون ' عباد ' لأنه موضع إشفاق و إعلام بضعف و عدم قدرة على انتصار و عباد[5] يدل على طاعة و عدم حقارة بل إكرام هذا أغلب الاستعمال ، و لعل حكمة التعبير بصيغة المبالغة الإشارة إلى أنه لو ترك الحكم و الأخذ للظلوم من الظالم ، لكان بليغ الظلم من جهة ترك الحكمة التي هي وضع الأشياء في أتقن محالها ثم من جهة[6] وضع الشيء و هو العفو عن المسيء و ترك الانتصار للظلوم في غير موضعه ، و من جهة التسوية بين المحسن و المسيء ، و ذلك أشد في تهديد الظالم لأن الحكيم لايخالف الحكمة فكيف إذا كانت المخالفة في غاية البعد عنها - هذا مع أن التعبير بها لا يضر

(١) سقط من م ومد (٢) زيد من م ومد (٣) من م ومد، وفي الأصل وظ : دلالة (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بعبد (٥) من م و مد ، و في الأصل و ظ : عباد (٦) من م و مد ، و في الاصل و ظ : وجهة - كذا.

لأنها

لأنها موضوعة ايضا للنسبة إلى أصل المعنى مطلقا و لأن نفي مطلق الظلم[1] مصرح به [في - ؟] آيات أخرى .

و لما تضمنت الآية السالفة الجزاء على كل جليل و حقير ، و قليل و كثير ، و البراءة من الظلم ، كما قال تعالى "و قضى بينهم بالحق و هم لا يظلمون" "و وفيت كل نفس ما عملت" "و هو اعلم بما يفعلون" و أشير ٥ إلى التوعد بالجزاء في يوم الفصل لأنا نشاهد أكثر الخلق يموت من غير جزاء ، و[3] كان من عادتهم السؤال عن علم ذلك اليوم ، و كان ترك الجزاء إنما يكون للعجز ، و الظلم إنما يكون للجهل ، لأنه وضع الأشياء في غير محالها فعل الماشي في الظلام ، دل على تعاليه عن كل منهما بتمام العلم المستلزم لشمول القدرة على وجه فيه جوابهم ١٠ عن السؤال عن علم الوقت الذي تقوم فيه الساعة الذي[4] كان سببا لنزول هذه الآية - كما ذكره ابن الجوزي - بقوله على سبيل التعليل :

---

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : المظالم (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : او (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : التي .

﴿ اليه ﴾ اى إلى المحسن إليك لا إلى غيره ﴿ يرد ﴾ من كل راد ﴿ علم الساعة[1] ﴾ أى التى لاساعة فى الحقيقة غيرها ، لما لها من الأمور التى لانسبة لغيرها بها ، فهى الحاضره لذلك فى جميع الأذهان ، و إنما يكون الجزاء على الإساءة و الإحسان فيها حتى يظهر لكل أحد ظهورا بينا لكل أحد أنه

٥ لا ظلم أصلا ، فلا يمكن ان يسأل أحد سواه عنها و يخبر [عنها -[1]] بما يغنى فى تعيين وقتها [2]و كيفيتها و صنعتها[2]، / و كلما[3] انتقل السائل [من -[4]] مسؤل إلى أعلم منه وجده كالذى[5] قبله حتى يصل الأمر إلى الله تعالى ، و العالم منهم هو الذى يقول : الله أعلم ، فاستئثاره بعلمها دال على تناهى علمه ، و حجبه له عن كل من دونه دال على تمام قدرته ، و اجتماع[6]

١٠ الأمرين[7] مستلزم لبعده عن الظلم ، و أنه لايصح اتصافه به ، فلابد من إقامته لها ليوفى كل ذى حق حقه ، و يأخذ لكل مظلوم ظلامته غير متعتع[8] .

و لما كانوا ينازعون فى وقوعها فضلا عن العلم بها ، عدها أمرا[9] محققا مفروغا منه [10]و ذكرما[10] يدل على شمول علمه لكل حادث فى وقته دليلا

١٥ على علمه بما يعين وقت الساعة ، و ذلك على وجه يدل على قدرته عليها و على كل مقدور بما لا نزاع لهم فيه من ثمرات النبات و الحيوان التى

---

(١) زيد من م و مد (٢-٢) ليس ما بين الرقمين فى م ومد ١م) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : لما (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) من م ومد ، و فى الأصل وظ : كالتى (٦) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : لاجتماع (٧) زيد فى الأصل : و ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٨) من م و مد ، وفى الاصل وظ : متصنع (٩) سقط من م (١٠-١٠) من ظ وم ومد، و فى الأصل : ذكره.

هى خبء[1] فى ذوات ما هى خارجة منه ، فهى كخروج الناس بعد موتهم من خبء[1] الأرض ، فقال مقدما للرزق على الخلق كما هو الأليق ، عطفا على ما تقديره : فما يعلمها و لا يعلمها إلا هو : ﴿و ما تخرج﴾ [اى -[2]] فى وقت من الأوقات الماضية و الكائنة و الآتية ، فان « ما » النافية لا تدخل [إلا -[2]] على ما معناه الحلول ، فالمراد مجرد تصور الحال و إن كان ٥ زمانه قد مضى أو لم يأت ، و أكد النفى بالجار فقال : ﴿من ثمرة﴾ أى صغيرة أوكبيرة صالحة أو فاسدة من الفواكه و الحبوب و غيرها ؛ و الإفراد فى قراءة الجماعة للجنس[3] الصالح للقليل و الكثير ، و نبهت قراءة نافع و ابن عامر و حفص عن عاصم[4] بالجمع على كثرة الأنواع ﴿من اكمامها﴾ جمع كم و كمامة[5] بالكسر فيهما و هو وعاء الطلع و غطاء ١٠ النور ، وكل ما غطى على وجه الإحاطة شيئا من شانه أن يخرج فهو كم ، و منه قيل للقلنسوة : كمة ، و لكم[6] القميص و نحوه : كم ، إلا اى إلا بعلمه -[2]] ﴿و ما تحمل من انثى﴾ خداجا أو تماما ، ناقصا[7] او تاما[8] ، [و أكد النفى باعادة النافى ليشمل كلا على حياله ، و عبر بـ « لا » لأن الوضع ليس كالحمل يقع فى لحظة بل يطول زمان انتظاره فقال - [2]] : ﴿و لا تضع﴾ ١٥ حملا حيا[8] أو ميتا ﴿الا﴾ حال كونه ملتبسا[10] ﴿بعلمه[9]﴾ [10] و لاعلم

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حب (٢) زيد من م و مد . (٣) من مد ، وفى الأصل وظ : الجنس ، والكلمة ساقطة من م (٤) راجع نثر المرجان ٦ / ٣٢٥ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : كمامة (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بكم (٧) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تماما . (٩) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : ما متلبسا (١٠) زيد فى الاصل : اى الابعلمه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

لأحد غيره بذلك ، و من ادعى علما به فليخبر بأن ثمرة الحديقة الفلانية و البستان الفلانى [و البلد الفلانى -[1]] تخرج فى الوقت الفلانى او لاتخرج العام شيئا أصلا ، و المرأة الفلانية تحمل فى الوقت الفلانى و تضع فى وقت كذا او لا تحمل العام شيئا ، و من المعلوم أنه لايحيط بهذا[2] علما إلا الله سبحانه و تعالى .

و لما ثبت بهذا علمه صريحا و قدرته لزوما و عجز من سواه و جهله ، و تقرر بذلك امر الساعة من انه قادر عليها بما أقام من الأدلة ، و انه[3] لابد من كونها لما وعد به من تكوينها لينصف المظلوم من ظالمه لأنه حكيم و لا يظلم أحدا و إن كانوا فى إيجادها ينازعون ، و له ينكرون ، قال تعالى مصورا ما تضمنه ما سبق من جهلهم ، و مقررا بعض أحوال القيامة ، عاطفا على ما ارشد [السياق -[1]] إلى تقديره من نحو : فهو على كل شىء قدير لأنه على كل شىء شهيد و هم بخلاف ذلك ، مقررا قدرته تصريحا و عجز ما أدعوا من الشركاء[4] : ﴿ و يوم يناديهم ﴾ أى المشركين بعد بعثهم من القبور ، للفصل بينهم فى سائر الأمور فيقول المحسن إليك بأنواع الإحسان الذى منه إنصاف المظلوم من ظالمه على سبيل التوبيخ[5] و التقريع و التنديم : ﴿ اين شركآءى لا ﴾ [أى -[1]] الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم فى هذا اليوم و يحمونكم من العقاب و اللوم، و العامل[6]

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بذلك (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لأنه (٤) زيد فى الأصل : و الانداد و الآلهة فقال تعالى - و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : و التوقيع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العلى فل - كذا .

فى

فى الظرف ﴿ قالوآ ﴾ أى المشركون : ﴿ اذنك ﴾ أى أعلمناك سابقا بألسنة أحوالنا و الآن بألسنة[1] مقالنا، و فى كلتا الحالتين أنت سامع لذلك لأنك سامع لكل [ما - [2]] يمكن أن يسمع و إن لم يسمعه غيرك، و لذا عبروا بما منه الإذن ﴿ ما منا ﴾ و أكدوا[3] النفى بادخال الجار فى المبتدأ المؤخر فقالوا[4] : ﴿ من شهيد ﴾ أى حى دائما حاضر دون غيبة، مطلع ٥ على ما يريد من [غير - [5]] خفاء بحيث لايغيب عن علمه شىء فيخبر بما يخبر به على سبيل القطع و الشهادة، فآل الأمر إلى[6] أن المعنى : لانعلم أين ما كنا نسميهم شركاء لأنه[7] ما منا من هو محيط العلم .

و لما قرر جهلهم، أتبعه عجزهم فقال : ﴿ و ضل ﴾ أى ذهب [8]و شذ[8] و غاب و خفى ﴿ عنهم ﴾ و لما كانت معبوداتهم إما ممن لايعقل ١٠ كالأصنام و إما فى عداد ذلك لكونهم لا فعل لهم فى الحقيقة، عبر عنهم بأداة ما لايعقل فقال : ﴿ ما كانوا ﴾ أى دائما ﴿ يدعون ﴾ فى كل حين على وجه العبادة .

و لما كان دعاؤهم لهم غير مستغرق لزمان القبل، [أدخل الجار - [5]] فقال : ﴿ من قبل ﴾ فهم لايرونه فضلا عن أنهم[9] يجدون نفعه و يلقونه، ١٥

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بالسن (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى م و مد : أكد (٤) فى الأصل : فقال تعالى قالوا، و فى ظ : فقال تعالى، و الكلمات ساقطة من م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لما (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لانا (٨-٨) ليس ما بين الرقمين فى ظ و م و مد (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ان .

و كأنهم كانوا لما هم عريقون فيه من الجهل وسوء الطبع يتوقعون أن يظفروا بهم فيشفعوا لهم ، فلذلك عبر بالظن فى قوله : ﴿ و ظنوا ﴾ اى فى ذلك الحال ﴿ ما لهم ﴾ و أبلغ فى النفى بادخال الجار على المبتدأ المؤخر فقال . ﴿ من محيص ه ﴾ اى مهرب و ملجأ و معدل .

٥ و لما دل اتباعهم للظن حتى فى ذلك اليوم الذى تنكشف فيه الأمور ، و تظهر عظائم المقدور ، و إلقاؤهم بأيديهم فيه على انهم فى غاية العراقة فى الجهل و الرسوخ فى العجز ، أتبع ذلك لدليل على أن ذلك طبع هذا النوع فلا يزال متبدل الاحوال متغير المناهج . إن احس بخير انتفخ عظمه و تطاول كبرا . و إن مس ببلاء تضاءل ذلا و املاً

١٠ ضعفا و عجزا ، و ذلك ضد مقصود السورة الذى هو العلم ، بيانا لأن حال هذا النوع بعيد من العلم ، عريق الصفات فى الجهل و الشر إلا من عصمه[1] الله فقال تعالى : ﴿ لا يسئم ﴾ أى يمل و يضجر ﴿ الانسان ﴾ اى من الأنس بنفسه الناظر فى أعطافه ، الذى لم يتأهل للعارف الإلهية و الطرق الشرعية ﴿ من دعآء الخير ز ﴾ اى من طلبه طلبا عظيما ، و ذلك دال

١٥ مع شرهه على جهله ، فانه لو كان عالما بأن الخير يأتيه او لا يأتيه لخفف عن نفسه من جهده فى الدعاء " و لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير و ما مسنى السوء " ﴿ و ان مسه الشر ﴾ اى هذا النوع قليله و كثيره بغتة من جهة لايتوقعها ﴿ فيؤس ﴾ أى عريق فى اليأس ، و هو انقطاع الرجاء و الأمل / و الحزن العظيم و القطع بلزوم تلك الحالة ٦١٣ /

(١) فى م و مد : عصمم .

بحيث صار قدوة فى ذلك ﴿ قنوط ه ﴾ اى مقيم فى دارة انقطاع الآمل و الخواطر الرديئة، فهو تأكيد للمعنى[1] على احسن وجه و أتمه، و هذا هو ما طبع عليه الجنس، فمن أراد الله به[2] منهم خيرا عصمه، و من أراد به شرا أجراه مع الطبع فكان كافرا، لأنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون[3]، قال أبو حيان[4]: و اليأس من صفة[5] القلب، و هو ان ينقطع[6] ٥ رجاؤه من الخير، و القنوط ان يظهر عليه آثار اليأس فيتضاءل[7] و ينكسر، و بدأ بصفة[8] القلب لأنها هى المؤثرة فيما يظهر على الصورة من الانكسار[9].

و لما دل ذلك على عظيم جهله و غلبة أفكاره الرديئة على عقله، أتبعه تأكيدا لذلك ما يدل على أن حاله بعد هذا اليأس الذى قطع ١٠ فيه بلزوم الشر و امتناع حصول الخير أنه لو عاودته[10] النعمة بغتة من وجه لايرجوه، و ليس له دليل ما على دوامها و انصرامها لعاد إلى البطر و الكبر و الأشر، و نسى ما كان فيه من الشدة، فقال مسندا إلى نفسه الخير بعد أن ذكر الشر، و لم يسنده إليه تعليما للأدب[11] معبرا بمظهر العظمة

---

(١) من ظ وم و مد، و فى الأصل : المعنى (٢) من م و مد، و فى الأصل وظ : بهم (٣) زيد فى الأصل : انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٤) راجع البحر المحيط ٧ / ٥٠٤ (٥) فى البحر : صيغة (٦) فى البحر : يقطع. (٧) من ظ و م و مد و البحر، و فى الاصل : فينضال (٨) فى البحر : بصيغة. (٩) من البحر، و فى الأصول : الانكار (١٠) من م و مد، و فى الاصل و ظ : عاوته (١١) زيد فى م : و لفت القول.

تنبيها على أن ذلك من جليل التدبير ﴿و لئن اذقنه﴾ اى الإنسان الذى غلبت عليه حالة الآنس بنفسه حتى اسفلته عن أبناء جنسه إلى رتبة الحيوانات العجم بل دونها.

و لما اخبر آخر[1] الآية السالفة عن حاله عند الشر، قدم هنا ضده
٥ على صلته[2] اهتماما بـه بخلاف ما فى سورة هود عليه السلام فقال: ﴿رحمة منا﴾ اى نعمة عظيمة دلت على إكرامه من جهة لا يرجوها، و هو من فائدة التعبير بأداة الشك، و دل باثبات الجار على انفصالها عن الضر مع قرب زمانها[3] منه ليكون قد جمع مباشرة الأحوال الثلاث[4]: الانتقام و الإكرام و ما بينهما من الوسط[5] الذى بين حالتى الرضا و السخط؛
١٠ ثم شرع[6] بيان ذلك فقال: ﴿من بعد ضرآء﴾ أى محنة و شدة عظيمة ﴿مسته﴾ فطال بروكها عليه، و أجاب القسم لتقدمه على الشرط بقوله: ﴿ليقولن﴾ بمجرد ذوق تلك الرحمة على أنها ربما كانت بلاء عظيما لكونها استدراجا إلى الهلاك: ﴿هذا﴾ أى الأمر العظيم ﴿لى﴾ أى مختص بى لما لى من الفضل، لامشاركة لأحد معى فيه مع انه ثابت
١٥ لايتغير انتقالا من حالة اليأس إلى حالة الأمن و البطر و الكبر و الأشر على قرب الزمن من ذوق المحن[7] و ينسى أنها من فضل الله ليقيدها بشكرها،

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الاخر (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العلة (٣) من م و مد، و فى الاصل و ظ: زمنها (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الثلاثة (٥) فى م: الوسط (٦) فى م و مد: اسرع. (٧) فى م: المحسن.

و يطردها

و يطردها بكفرها ﴿ و مآ اظن الساعة ﴾ أي[1] القيامة التي هي لعظمها المستحقة أن تختص باسم الساعة ﴿قآئمة لا﴾ أي ثابتا قيامها ، فقطع الرجاء منها سواء عبر عن ذلك بلسان قاله أو بلسان حاله ، لكونه يفعل أفعال الشاك فيها كما كان قطع الرجاء من الخير عند مباشرته للشر لكنه هنا [قال -[2]] على سبيل التقدير و الفرض ، لدفع من يعظه محققا لدوام ٥ نعمته : ﴿و لئن رجعت﴾ أي على سبيل الفرض بقسر قاسر ما ﴿الى ربيٓ﴾ أي الذي أحسن إليّ بهذا الخير الذي أنا فيه ﴿ان لي عنده ﴾ و أكد للرد على من / يعظه بأنه يعذب إن لم يحسن قلبه و قالبه ﴿للحسنىٰج﴾ أي / ٦١٤ الحالة و الرتبة البالغة[3] في الحسن حدا لا يوصف لأني أهل لذلك ، و الدليل على تأهلي له ما أنا فيه الآن من الخير ، و نسي ما يشاهده غالبا ١٠ من أن كثيرا[4] من النعم يكون للاستدراج ، و من أن كثيرا من الناس يكون في غاية النعمة فيصبح و قد أحاطت به كل نقمة ، فهو بين أمنيتين في الدنيا بقوله[5] هذا[6] ، و في الآخرة يقول : يا ليتني كنت ترابا ، فلا يزال في المحال[7] - نعوذ بالله من سوء الحال .

و لما كان هذا هو الكفر الصراح[8] لنسيان نعمة المنعم و جعله الإنعام ١٥

---

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : التي هي (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : التي (٤) من مد ، و في الأصل و ظ و م : كثير (٥) من مد ، و في الأصل و ظ و م : يقول (٦) زيد في الأصل : لي ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الحال (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الصريح .

من الواجب اللازم و شكه وبما اخبر سبحانه[1] على السنة جميع الرسل انه محط حكمته، سبب عنه سبحانه قوله . مؤكدا فى نظير تأكيد هذا الناسى : ﴿ فلننبئن ﴾ أى تنبئة عظيمة بحير الوصف فيها مستقصاة على سبيل العدل، و جعل موضع الضمير الوصف تصريحا بالعموم و بيانا للعلة

٥ الموجبة فقال: ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دلت عليه العقول، و أوجبته صرائح النقول، من إقامة الساعة لإظهار جلاله و جماله، و من أنه تعالى يحل بالإنسان السراء و الضراء ليخافه و يرجوه و يشكره و يدعوه ﴿ بما عملوا ﴾ لاندع منه قليلا و لا كثيرا [2]صغيرا و لا كبيرا، فليرون عيانا ضد ما ظنوه فى الدنيا من ان لهم الحسنى "و قدمنا الى ما عملوا

١٠ من عمل فجعلنه هباء منثورا" ﴿ و لنذيقنهم ﴾ بعد إقامة الحجة عليهم بموازين القسط الوافية لمثاقيل الذر ﴿ من عذاب غليظ ﴾ لا يدع جهة من اجسامهم و لا قواهم إلا أحاط بها و لا تقوى على دفعه قواهم .

و لما بين جهل الإنسان فى حالات مخصوصة باليأس عند [مس -[3]] الشر، و الأمن عند ذوق النعمة بعد الضر، بين حاله عند النعمة مطلقا

١٥ و دعاءه عند الشر و إن كان قانطا تكريرا لتقلب أحواله و تناقض [4]أقواله و أفعاله[4] تصريفا لذلك على وجوه شتى ليكون داعيا له[5] إلى عدم الأنفة من الرجوع عن الكفر إلى الإيمان، و مسقطا عنه[6] خوف الشبه[7]

---

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) زيد فى الأصل : و لا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) من م ، و فى الاصل و ظ و مد : أفعاله و أقواله (٥) سقط من م (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : عند (٧) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : السيئة .

بذلك و النسبة إلى الخفة و عدم الثبات، فقال معبرا بأداة التحقيق دلالة على غلبة نعمه تعالى فى الدنيا لنقمه، و دلالة على حالة الإنسان عند[1] مس النعمة من جهة يتوقعها بعد بيان حاله عند مسها بغتة من غير توقع تأكيدا لبيان جهله حيث جعل ظرف النعمة ظرفا للاعراض من غير خوف من نزعها على قرب عهده بالضر: ﴿ و اذآ انعمنا ﴾ بما لنا من ٥ العظمة [2]و الإحسان[2] ﴿على الانسان﴾ أى الواقف مع نفسه نعمة تليق بعظمتنا، فمسه الخير، [و لم يعبر فى هذا الجانب بما عبر به فى الذى بعده إيذانا بأن المعرض مسىء لمجرد الإعراض لا المبالغة فيه فقال -[3]] : ﴿ اعرض ﴾ أى انحرف عن سواء القصد إلينا عنا فى جميع مدة النعمة - بما أفهمه الظرف، فلم يقيد تلك النعمة بالشكر بعد ما راى من ١٠ حلالنا، قاطعا بأن تلك النعمة خير محض ظاهرا و باطنا فهو يستديمها، و ربما كانت [بلاء -[4]] استدراجا [2]و امتحانا[2] ﴿ و نا ﴾ أى أبعد [5]إبعادا شديدا بحيث[5] جعل بيننا و بينه حجابا عظيما [2]حال كونه مائلا[2] ﴿بجانبه ج﴾ أى بشقه كناية عن / تكبره و بأوه و إعجابه بنفسه و زهوه / ٦١٥ و تصويرا له بمن [كلمته -[3]] فازور عنك و التوى، و أبعد فى ١٥ ضلاله و غوى.

و لما تقدم حال الإنسان عند مس الشر بغتة، بين حاله عند مسه

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عن (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد. (٥-٥) فى ظ و م و مد: بعدا.

و هو يتوقعه، فقال معبرا فى جانب الشر بأداة التحقيق على غير عادة
القرآن فى الأغلب، ليدل على أنه لزيادة جهله على الحد يلزم الكبر
و إن كان يتوقع الشر و لا يزال حاله حال الآمن إلى أن يخالطه وحينئذ
تنحل عراه و تضمحل قواه: ﴿و اذا مسه الشر﴾ أى هذا النوع قليله
٥ و كثيره لانتقامنا منه، فالآية من الاحتباك: ذكر الإنعام أولا دليل[1]
الانتقام ثانيا و ذكر الشر ثانيا دليل الخير أولا، و سره تعليم الأدب
بنسبة الإنعام دون الشر إليه و إن كان الكل منه[2].

و لما كان تعظيم العرض دالا على عظمة الطول، قال معبرا بما يدل
على الملازمة و الدوام: ﴿فذو دعآء﴾ أى فى كشفه، و ربما كان نعمة
١٠ باطنة و هو لايشعر و لا يدعو إلا عند المس، و قد كان [ينبغى -[3]] له
أن يشرع فى الدعاء عند التوقع بل قبله تعرفا إلى الله تعالى فى الرخاء
ليعرفه فى الشدة و هو خلق شريف لايعرفه[4] إلا أفراد خصهم الله
بلطفه، فدل تركه له على عدم شكره لما مضى و خفة عقله لما يأتى
و مفاجأته للزوم الدعاء عند المس على عدم صبره و تلاشى جلده و قلة
١٥ حيائه ﴿عريض ﴾ أى مديد العرض جدا، و أما طوله فلا تسئل[5] عنه،
و هذا كناية عن النهاية فى الكثرة.

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دليلا على (٢) زيد فى الأصل: فى الحقيقة قدر الخير وأراده و ضده ولم يرده، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لايفعله (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فلا تشكل.

و لما

و لما ذكر سبحانه من أحوالهم المندرجة فى [أحوال - ١] هذا النوع كله ما هو مكشوف بشاهد[٢] الوجود من أنه لا ثبات لهم لاسيما عند الشدائد إعلاما بالعراقة فى الجهل و العجز، دل على الأمرين معا بما لا يمكن عاقلا دفعه من أنهم لا يجوزون[٣] الممكن فيعدون له ما يمنعه على تقدير وقوعه، فأمره صلى الله عليه و سلم أن يذكر ذلك ٥ إيذانا بالإعراض عنهم دليلا على تناهى الغضب فقال: ﴿ قل ارءيتم ﴾ أى أخبرونى ﴿ ان كان ﴾ اى هذا القرآن الذى نصبتم لمغالبته[٤] حتى بالإعراض عن السماع باللغو حال قراءته من الصفير[٥] و التصفيق و غير ذلك، و ليس ذلك [٦]منكم صادرا[٦] عن حجة قاطعة فى أمره أنتم معها على يقين [بل هو - ١] عن خفة و عدم تأمل منكم أنه ﴿من عند الله﴾ ١٠ الذى له الإحاطة بجميع صفات الجلال و الجمال فهو لا يغالب.

و لما كان الكفر به على هذا التقدير فى غاية البعد، و كان مقصود السورة دائرا على العلم، نبه على ذلك بأداة التراخى مع الدلالة على أن ذلك ما كان منهم إلا بعد تأمل طويل. فكانوا معاندين حتى نزلوا بالصفير[٧] و التصفيق عن[٨] أعلى رتب الكلام[٩] إلى أصوات الحيوانات العجم فقال: ١٥

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مشاهد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لايجيزون (٤) من مد، و فى الأصل و ظ وم: لمبالغته (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التصفير (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صادرا منكم (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالتصفير (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الكمال.

﴿ ثم كفرتم به﴾ أى بعد إمعان[1] النظر فيه و التحقق لأنه حق ، / فكنتم بذلك فى شقاق هو فى غاية البعد من الملاءمه لمن لم يزل يستعطفكم بجميل أفعاله ، و يردكم بجليل[2] اقواله و آمن به غيركم لأنه من عند الله ﴿من اضل﴾ منكم - هكذا كان الأصل و لكنه قال : ﴿ممن هو فى شقاق﴾ /٦١٦

٥ أى لأولياء الله ﴿ بعيد ه ﴾ تنبيها على أنهم صاروا كذلك ، و أن من صار كذلك فقد عرض[3] نفسه لسطوات الله و تعالى التى من واقعته هلك لامحالة ، و من اهدى ممن هو فى إسلام قريب و هو الذى آمن لأنه سالم الله الذى من سالمه سالمه كل شىء ، فنجا من كل خطر[4] - فالآية من الاحتباك : ذكر الكفر اولا دليلا على الإيمان ثانيا ، و الضلال ثانيا

١٠ دليلا على الهدى أولا ، و سره ان [5]ذكر المضار[5] اصدع للقلب فهو أنفع [6]فى الوعظ[6] .

و لما كان هذا محزنا للشفوق[7] عليهم لإفهامه لشدة بعدهم عن الرجوع ، قال منبها على أنه إذا أراد سبحانه قرب ذلك منهم غاية القرب لافتا القول إلى مظهر العظمة إيذانا بسهولة[8] ذلك عليه : ﴿ سنريهم﴾ اى عن

١٥ قرب[9] بوعد لا خلف فيه ﴿ ءايٰتنا ﴾ أى على ما لها[10] من العظمة

---

(١) فى م و مد : انعام (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بجميل (٣) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٤) زيد فى الأصل : عظيم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الضلال (٦ - ٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : للوعظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للشقوق (٨) من م و مد ، فى الاصل و ظ : لسهولة . (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قريب (١٠) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : لنا .

و لما ذكر سبحانه من أحوالهم المندرجة فى [أحوال - [1]] هذا النوع كله ما هو مكشوف بشاهد[2] الوجود من أنه لا ثبات لهم لاسيما عند الشدائد إعلاما بالعراقة فى الجهل و العجز، دل على الأمرين معا بما لا يمكن عاقلا دفعه من أنهم لا يجوزون[3] الممكن فيعدون له ما يمنعه على تقدير وقوعه، فأمره صلى الله عليه و سلم أن يذكر ذلك ٥ إيذانا بالإعراض عنهم دليلا على تناهى الغضب فقال: ﴿ قل ارءيتم ﴾ أى أخبرونى ﴿ ان كان ﴾ اى هذا القرآن الذى نصبتم لمغالبته[4] حتى بالإعراض عن السماع باللغو حال قراءته من الصفير[5] و التصفيق و غير ذلك، و ليس ذلك [6] منكم صادرا[6] عن حجة قاطعة فى أمره أنتم معها على يقين [بل هو - [1]] عن خفة و عدم تأمل منكم أنه ﴿من عند الله﴾ ١٠ الذى له الإحاطة بجميع صفات الجلال و الجمال فهو لا يغالب.

و لما كان الكفر به على هذا التقدير فى غاية البعد، و كان مقصود السورة دائرا على العلم، نبه على ذلك بأداة التراخى مع الدلالة على أن ذلك ما كان منهم إلا بعد تأمل طويل، فكانوا معاندين حتى نزلوا بالصفير[7] و التصفيق عن[8] أعلى رتب الكلام[9] إلى أصوات الحيوانات العجم فقال: ١٥

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مشاهد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لايجيزون (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: لمبالغته (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التصفير (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صادرا منكم (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالتصفير (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الكمال.

﴿ ثم كفرتم به ﴾ أى بعد إمعان[1] النظر فيه و التحقق لأنه حق ،
/ فكنتم بذلك فى شقاق هو فى غاية البعد من الملاءمه لمن لم يزل يستعطفكم ٦١٦ /
بجميل أفعاله ، و يردكم بجليل[2] اقواله و آمن به غيركم لأنه من عند الله
﴿ من اضل ﴾ منكم - هكذا كان الأصل ولكنه قال : ﴿ ممن هو فى شقاق ﴾
٥ أى لأولياء الله ﴿ بعيد ه ﴾ تنبيها على أنهم صاروا كذلك ، و أن من
صار كذلك فقد عرض[3] نفسه لسطوات الله و تعالى التى من واقعته
هلك لامحالة ، و من اهدى ممن هو فى إسلام قريب و هو الذى آمن
لأنه سالم الله الذى من سالمه سالمه كل شىء ، فنجا من كل خطر[4] - فالآية
من الاحتباك : ذكر الكفر اولا دليلا على الإيمان ثانيا ، و الضلال ثانيا
١٠ دليلا على الهدى أولا ، و سره ان [5]ذكر المضار[5] اصدع للقلب فهو
أنفع [6]فى الوعظ[6] .

و لما كان هذا محزنا للشفوق[7] عليهم لإفهامه لشدة بعدهم عن الرجوع ،
قال منبها على أنه إذا أراد سبحانه قرب ذلك منهم غاية القرب لافتا
القول إلى مظهر العظمة إيذانا بسهولة[8] ذلك عليه : ﴿ سنريهم ﴾ اى عن
١٥ قرب[9] بوعد لا خلف فيه ﴿ ءايٰتنا ﴾ أى على ما لها[10] من العظمة

---

(١) فى م و مد : انعام (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بجميل (٣) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٤) زيد فى الأصل : عظم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الضلال (٦ - ٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : للوعظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للشقوق (٨) من م و مد ، فى الاصل و ظ : لسهولة . (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قريب (١٠) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : لنا .

﴿ فى الأفاق ﴾ اى النواحي، جمع افق كعنق و أعناق، أبدلت الهمزة الثانية ألفا لسكونها بعد مثلها[1]. أى و ما ظهر من نواحى الفلك او مهب الرياح، و ذلك بما يفتح [الله من - [2]] البلاد بغلب اهلها بوقائع كل واحد منها علم من أعلام النبوة، و شاهد عظيم كاف فى صحة الرسالة، تصديقا لوعده سبحانه و ما أهلك من أهلها لنصر أنبيائه و رسله و بما ٥ فيها من عجائب الصنع و غرائب الآثار و الوضع باختلاف الأحكام مع اتفاق جواهرها فى التجانس - و غير ذلك من الآيات المشاهدة بالبصر اللاتى يشرحها بآيات السمع.

و لما كان الإيمان بالغيب هو المعتبر، و كل ما كان اقرب إليه كان أقرب إلى الكمال، و كانت آيات الآفاق أقرب إلى ذلك، بدا بها، ١٠ ثم قال: ﴿ و فىٓ انفسهم ﴾ أى من فتح مكة و ما أصابهم من سنى الجوع و قصة أبى بصير و نحو ذلك، و تفصل لهم مع ذلك ما فى الآدمى نفسه من بدائع[3] الآيات و عجائب الخلق و غرائب الصنعة و ما فه من أمارات الحدوث و اختلاف الأوصاف و غير ذلك من الشواهد المطابقة لما تضربه من الأمثال و الدلائل المعقولة عند اعتبار الأقوال و الأفعال، ١٥ و بما فى بلاد العرب من الآيات المرئية من نفى الشرك بعد إسراعهم إليه و إطباقهم عليه و إثبات التوحيد عن جميعهم بعد إبعادهم عنه و قتالهم الداعى إليه، و قد بين سبحانه فى هذه [4]من آيات[4] الآفاق فى آية

---

(١) فى م: بمثلها (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بديع (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الآيات.

" ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين " و ما شاكلها ، و فى
الأنفس فى آيات "فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود [1]و الذين
من بعدهم[1] " و نحوها ، و آيات " لا يسئم الانسان من دعاء الخير" إلى
آخرها الدالة على أن الإنسان مبنى أمره على الجهل و العجز ، فأكثر ما
٥ يتصوره[2] ليس كما تصوره ، فعليه أن يتأمل كتاب ربه و يتدبره - [1]و الله
أعلم[1] ، / قال الرازى فى اللوامع : الاستدلال بالأفعال على فاعلها واضح
و طريق لائح ، و الأفعال على قسمين أحدهما الآفاق و هو جملة العالم ،
و الثانى النفوس ، فان من عرف نفسه عرف ربه ، أى من عرف روحه
و كونها جوهرا متصرفا فى البدن تصرف التدبير و علم صفاتها من أنها
١٠ باقية بغير البدن لايحتاج فى قوامها إلى البدن ، بل البدن محتاج إليها و أنها
محل المعرفة[3] فمن عرف أمثال هذه المعارف عرف ربه و صفاته من وحدانيته
و علمه و قدرته و إرادته و تصرفه فى جملة العالم يعنى و أن وجوده تعالى
مباين وجود غيره .

٦١٧ /

و لما كان التقدير : و[4] لا نزال نواتر[4] ذلك شيئا فى أثر شىء ، عطف
١٥ عليه قوله : ﴿ حتى يتبين لهم ﴾ غاية البيان بنفسه من غير إعمال فكر
﴿ انه ﴾ أى القرآن ﴿ الحق[5] ﴾ الكامل فى الحقية[5] الذى تطابقه[6] الوقائع

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تصوره (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : معرفة (٤ - ٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لايزال متواتر (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الحقيقة (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يطابق .

و تصادقه

و تصادقه الأحوال العارضة و الصنائع ، فيجتمعوا عليه و يقبلوا بكل قلوبهم إليه ، فلا يأباه فى جزيرة العرب إنسان ، و لا يختلف فيه منهم اثنان ، ثم ينبثون[1] فى أرجاء الأرض بطولها[2] و العرض فيظهر بهم على سائر الأديان ، و يبيد على أيديهم أهل الكفران ، فى سائر البلدان ، و يزول كل طغيان ، فيكون ظهورهم فى هذا الوقت و ضعف المؤمنين بعد أن ٥ كان سببا لازديادهم من الكفر عظة لهم و لكل من يأتى بعدهم يوجب الثبات فى محال الزلزال[3] علما بأن الله أجرى عادته أن يكون للباطل ريح تخفق ثم تسكن ، و دولة تظهر ثم تضمحل ، و صولة تجول ثم تحول .

و لما كان هذا القول منبها على أن [فى -[4]] الآفاق و الأنفس من الآيات المرئية التى يقرأها أولو الأبصار بالبصائر ، و يتأملها أهل ١٠ الاعتبار بأعين السرائر ، أمرا لايحيط به الوصف ، فكان حاديا[5] على تجريد[6] الأفكار للنظر و الاعتبار ، و الوقوف على بعض ما فى ذلك من لطائف الأسرار ، كان كأنه قيل : ألم يروا بعقولهم ما فى ذلك من الأدلة على أن القرآن من عند الله فيكفيهم عن شهادة شىء خارج عن أنفسهم ، [عطف عليه -[4]] قوله : ﴿ او لم يكف ﴾ و أكد بادخال ١٥ الجار ، و حقق الفاعل فقال مؤكدا بالباء و محققا أنه الفاعل صارفا القول

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يثبتون (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : طولها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الزلازل (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حاويا (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تحديد .

إلى وصف الإحسان إيذانا بالرفق بهم بردهم إليه[1] دون ارتكابهم ما يوجب نكالهم و إهلاكهم و استئصالهم: ﴿ربك﴾ اى المحسن إليك بهذا البيان المعجز للانس و الجان شهادة بأنه من عنده ﴿انه﴾ أى أو لم يكف شهادة ربك[2] لانه ﴿على كل شيء شهيد﴾ لا يغيب عنه

٥ شيء من الاشياء، لا هذا القرآن و لا غيره، و قد شهد لك فيه باعجازه لجميع الخلق بكل ما تضمنته آياته، و نطقت به كلماته، ففيه أعظم بشارة بتمام أمر الدين و ظهوره على المتدين، و ذلك لأن كل احد يجد فى نفسه أنه إذا أراد ثبوت حق ينكره من هو عليه و اصاحب الحق من الشهود ما يتحقق قولهم فيه و وصوله بهم إليه أنه يكون مطمئنا لا ينزعج

١٠ بالجحد علما منه بأن حقه / لابد ان يظهر و يخزى معانده و يقهر[3]، / ٦١٨ و فى هـــذا تأديب لكل من كان على حق و لا يجد من يساعده على ظهوره فان الله شاهده فلا بد ان يظهر أمره فتوكل على الله إنك على الحق المبين.

و لما لم يبق بعد هذا لمتعنت[4] مقال، و لا شبهة أصلا لضال، كان

١٥ موضع المناداة على من استمر على عناده بقوله مؤكدا لادعائهم[5] أنهم على جليه من أمرهم: ﴿الآ انهم﴾ أى الكفرة ﴿فى مرية﴾ اى جحد و جدال و شك و ضلال عن[6] البعث ﴿من لقآء﴾ و صرف القول

---

(١) من م و مد، وفى الأصل و ظ: إلى (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بربك (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يقهره (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المتعنت (٥) من ظ و م و مد، و فى الاصل: لا علايهم.
(٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على.

[إلى -[1]] إضافة وصف الإحسان [إليهم -[1]] إشارة إلى أنه لابد من كمال تربيتهم بالبعث لأنه أحكم الحاكمين فقال: ﴿ ربهم[4] ﴾ أى المحسن إليهم بأن خلقهم و رزقهم للحساب و الجزاء بالثواب و العقاب كما هو شان كل حكيم فيمن تحت أمره .

و لما كانوا مظهرين [2]الشك فى القدرة[2] على البعث ، قرره بأنهم معترفون به من قدرته على كل شيء من البعث و غيره فقال: ﴿ الآ انه ﴾ اى هذا المحسن إليهم ﴿ بكل شيء ﴾ أى من الأشياء جملها و تفاصيلها كلياتها و جزئياتها أصولها و فروعها غيبتها و شهادتها ملكها و ملكوتها ﴿ محيط ع ﴾ قدرة و علما من كثير الأشياء و قليلها كليها و جزئيها ، فعما قليل يجمعهم على الحق و يبدلهم[4] بالمرية إذعانا و بالشك يقينا ١٠ و برهانا[5] ، فرحمته عامة لجميع أهل الوجود و خاصة لمن من عليه بالإيمان الموصل إلى راحة الأمان ، فكيف يتصور فى عقل أن يترك البعث ليوم الفصل الذى هو مدار الحكمة ، و محط إظهار النعمة و النقمة ، و قد علم بذلك انطباق آخرها المادح للكتاب المقرر للبعث و الحساب على أولها المفصل للقرآن المفيض لقسمى الرحمة : العامة و الخاصة لأهل الأكوان ، ١٥ على ما اقتضاه العدل و الاحسان ، بالبشارة لأهل الإيمان ، و النذارة لأهل الطغيان ـ و الله الهادى [6]و عليه التكلان[6] .

---

(١) زيد من م و مد (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى الشك للقدرة (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قورهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يبداه (٥) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : برهانه .
(٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

سورة حم عسق[1] و تسمى أيضا[2] عسق [و الشورى -[3]]

مقصودها الاجتماع على الدين الذى أساسه[4] الإيمان، و أم دعائمه[5] الصلاة، و روح أمره الألفة بالمشاورة المقتضية لكون أهل الدين كلهم فيه سواء كما أنهم فى العبودية لشارعه سواء، و أعظم نافع فى ذلك
٥ الإنفاق و المؤاساة فيما فى اليد، و العفو و الصفح عن المسىء، و الإذعان للحق فى الخضوع للآمر الحق و إن صعب و شق، و ذلك كله الداعى إليه هذا الكتاب الذى هو روح جسد هذا الدين المعبر عما دعا إليه من محاسن الأعمال، و شرائف الخلال بالصراط المستقيم، و إلى ذلك لوح آخر السورة الماضية "حتى يتبين [لهم -[6]] أنه الحق" "الا انه بكل شىء
١٠ محيط"، و صرح ما فى هذه[7] من قوله "اقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه" "الا المودة فى القربى" "استجيبوا لربكم" "نهدى به من نشاء من عبادنا" "و انك لتهدى الى صراط مستقيم" "الا الى الله تصير الامور" و تسميتها بالشورى / واضح المطابقة لذلك لما فى الانتهاء و كذلك بالأحرف /٦١٩ المتقطعة فانها جامعة للمخارج الثلاثة[8]: الحلق و الشفة و اللسان، وكذا

---

(١) الثانية و الأربعون من سور القرآن الكريم مكية باستثناء بعض الآيات، و عدد آيها ثلاث و خمسون فى الكوفى و خمسون فيما عداه - راجع روح المعانى ٧/ ٥٠٣ (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اسبابه على (٥) من ظ و م و مد، و فى الاصل: دعاية (٦) زيد من م و مد (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هذا.
(٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الثلاث.

جمعها لصنفى المنقوطة و العاطلة ، و وصفى المجهورة و المهموسة ، و هى واسطة جامعة بين حروف أم الكتاب الذكر الأول ، و حروف القرآن العظيم ، و هذا المقصود هو غاية المقصود من أختها سورة مريم الموافقة لها فى الابتداء بالتساوى فى عدد الحروف المقطعة ، و فى الانتهاء من حيث أن من اختص بمصير الأمور ، كان المختص بالقدرة على إهلاك القرون ، ٥
و ذلك لأن مقصودها اتصافه تعالى بشمول الرحمة بافاضة جميع النعم على جميع خلقه ، و غاية هـذا الاجتماع على الدين ، و لما توافقتا فى المقصود و فى الابتداء و الانتهاء ، و اختصت الشورى بأن حروفها اثنان ، دل سبحانه بذلك أرباب البصائر على أنه إشارة إلى أن الدين قسمان : أصول و فروع ، دلت مريم على الأصول " ذلك عيسى بن مريم قول ١٠
الحق الذى فيه تمترون " ، و ان الله ربى و ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ، " هل تعلم له سميا " و الشورى على مجموع الدين أصولا و فروعا "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا و الذى اوحينا اليك" - الآية ، هذا موافقة البداية ، و أما موافقة النهاية فهو انهما[1] ختمتا بكلمتين : أول كل منهما آخر الأخرى [2]و آخر كل أول الأخرى[2] إيذانا بأن السورتين ١٥
دائرة واحدة محيطة بالدين متصلة لا انفصام لها ، و ذلك أن آخر مريم أول الشورى و آخر الشورى أول مريم " فانما يسرنه بلسانك "، الآية " هو كذلك يوحى اليك و الى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم " "و كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا " " [3]ما كنت تدرى ما الكتب[3]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انما (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م و مد .

"و لا الايمان[١]" إلى آخرها هو "ذكر رحمة ربك عبده زكريا" -
إلى آخر القصة فى الدعاء بارث[٢] الحكمة و النبوة الذى روحه الوحى
و الله[٣] الهادى ، و كذا[٤] تسميتها ببعضها بدلالة الجزء على الكل[٥]
﴿بسم الله﴾ الذى أحاط بصفات الكمال ، فنفذ أمره ، فاستجاب له كل
٥ شيء طوعا أو كرها ﴿الرحمن﴾ الذى عمت رحمته [فهيأت -[٦]] عباده
لقبول أمره ﴿الرحيم﴾ الذى خص أولياءه بما ترتضيه[٧] الإلهية من
رحمته ، فجمع كلمتهم[٨] على دينه عقدا و فعلا و مآلا . ﴿حمٓ عٓسٓقٓ ٥﴾ هذه
الحروف يجوز أن تكون إشارة إلى كلمات منتظمة من كلام عظيم
يشير إلى أن[٩] معنى هذا الجمع يجوز ان يقال : حكمة محمد علت و عمت
١٠ فعفت سقام القلوب ، و قسمت[١٠] حروفها قسمين موافقة لبقية أخواتها
و بعدها آيتين ، و لم تقسم "كهيٰعص" لانها آية واحدة [و لا أخت -[١١]] لها
و لم تقسم "المص" مثلا و إن كان لها اخوات لأنها آية واحدة ،
و لم يعد فى شيء من القرآن حرف واحد آية ، و يجوز أن يعتبر مفردة
فتكون إشارة إلى أسرار تملأ الأقطار ، و تشرح الصدور و الأفكار ،
١٥ فان نظرت إلى مخارجها[١٢] وجدتها قد حصل الابتداء فيها بأدنى وسط

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٢) من ه و مد ، و فى الاصل و ظ : بارب (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هو (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كذلك (٥) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ و م و مد : ترضاه (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كلهم (٩) سقط من م و مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سمت (١١) زيد من م و مد (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مجارى .

الحلق إلى اللسان باسم الحاء، و ثنى بأوسط حروف الشفة و هى الميم، و حصل الرجوع إلى وسط / الحلق بأقصاه من اللسان فى اسم العين، / ٦٢٠ و هو جامع للحلق و اللسان، و قصد رابعا إلى اللسان بالسين التى هى من أدناه إلى الشفتين و هو رأسه و لها التصاق بالشفتين و اتصال بأعلى الفم، ففيها بهذا الاعتبار جمع، ثم جعل بعد هذا الظهور بطونا إلى أصل ٥ اللسان، و هو أقصاه من الشفه بالقاف، و لاسم هذا الحرف جمع بالابتداء بأصل اللسان مع سقف الحلق و الاختتام بالشفة العليا و الثنيتين السفليين، فى هذه الحروف ثلاثة و هى أكثرها لها نظر بما فيها من الجمـــع إلى مقصود السورة، و قد اتسق الابتداء فيها فيما[1] كان من حرفين جمعهما مخرج بالأعلى ثم بالأدنى إشارة إلى أنه يكون لأهل هذا الدين بعد[2] ١٠ الظهور بطون كما كان فى أول الإسلام حيث [حصر -[3]] النبى صلى الله عليه و سلم و أقاربه فى الشعب، و ذلك أيضا إشارة إلى انه من تحلية الظاهر ينتقل إلى تصفية الباطن «من زين ظاهره بجمع الأعمال الصالحة صحح الله باطنه بالمراقبة الخالصة الناصحة» على أن فى هذا التدلى بشرى، بأن الحال الثانى يكون أعلى من الأول، كما كان [عند -[3]] الظهور ١٥ من الشعب بما حصل من نقض الصحيفة الظالمة الذى كان الضيق سببا له، لأن الثانى من مراتب هذه الحروف أقوى صفة مما هو اعلى منه مخرجا، فان الحاء لها من الصفات الهمس و الرخاوة و الاستفال

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بطن (٣) زيد من م و مد.

[و الانفتاح - [1]] و الميم له من الصفات الجهر و الانفتاح و الاستفال و بين الشدة و الرخاوة، و العين لها من الصفات ما للميم سواء، و السين لها من الصفات ما للحاء، و تزيد بالصفير، و القاف له من الصفات الجهر و الشدة و الانفتاح و الاستعلاء و القلقلة[2] فالحرف[3] الأول أكثر صفاته الضعف، و يزيد بالإمالة التي قرأ بها كثير من القراء، و الثاني و الثالث على السواء، و هما إلى القوة أرجح قليلا، و ذلك كما تقدم من وسط الحال عند الخروج من الشعب، و الرابع فيه قوة و ضعف و ضعفه أكثر، فان فيه للضعف ثلاث[4] صفات و للقوة صفتين، و ذلك كما كان حال النبي صلى الله عليه و سلم عند آخر أمره بمكة المشرفة حين مات الوزيران خديجة رضي الله عنها و أبو طالب[5] لكن ربما كانت الصفتان القويتان عاليتين على الصفات الضعيفة بما فيهما بالانتشار بالصفير و الجمع الذي مضت الإشارة إليه من الإشارة[6] إلى ضخامة تكون باجتماع أنصار كما وقع من بيعة الأنصار، و الخامس و هو الأخير كله قوة كما وقع بعد الهجرة عند اجتماع الكلمة و ظهور العظمة، كما قال صلى الله عليه و سلم « فلما هاجرنا انتصفنا من القوم و كانت سجال الحرب بيننا و بينهم » ثم تكاملت القوة عند تكامل الاجتماع بعد قتال أهل الردة

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: القلقه (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ : و الحرف (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل : ثلاثة (٥) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ : الاشارات .

بعد

بعد موته صلى الله عليه و سلم لاجرم انتشر أهل هذا الدين فى الأرض يمينا و شمالا ، فما قام لهم مخالف، و لا وافقتهم[1] أمة من الأمم على ضعف حالهم و قلتهم[2] و قوة غيرهم و كثرتهم إلا دمروا عليهم بجملوم كأمس[3] الدابر ، و قد جمعت هذه الحروف كما مضى وصفى المجهورة و المهموسة [كانت -[4]] المجهورة أغلبها إشارة / إلى ظهور هذا الدين على كل دين ٥ / ٦٢١ كما حققه شاهد الوجود ، و صنفى[5] المنقوطة و العاطلة ، و كانت كلها عاطلة إلا حرفا واحدا ، إشارة إلى ان أحسن أحوال المؤمن أن يكون اغلب أحواله محوا لايرى له صفة من الصفات بل يعد فى زمرة[6] الأموات و إلى أن المتحلى بالأعمال الصالحة الخالصة من أهل القلوب من ارباب هذا الدين قليل جدا . و كان المنقوط آخرها إشارة إلى أن نهاية المراتب ١٠ عند أهل الحق الجمع بعد المحو و الفرق ، و كان حرف الشفة من بين حروفها الميم ، و هى ذات الدائرة المستوية الاستدارة[7] إشارة إلى أن لأهل هذا الدين من[8] الاجتماع فيه و الانطباق عليه و الإطاقة به و الإسراع إليه ما ليس لغيرهم ، و إلى أن هم من القدم الراسخ فى القول المقتطع من الفم المختم بالشفتين ما لايبلغه غيرهم بحيث أنه لا نهاية له ١٥

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وافقهم (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قوتهم (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كامر (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صفا (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : زمرات (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : استدارة . (٨) سقط من م .

مع حسن استنارته بتناسب[1] استدارته، ثم إنك إذا بلغت نهاية الجمع فى هذه الأحرف بأن جمعت أعداد مسمياتها[2] و هو مائتان و ثمانية و سبعون إلى أعداد أسمائها، و هو خمسمائة و أحد و ثلاثون بلغ تسعا[3] و ثمانمائة، و فى السنة الموافقة لهذا العدد كانت ولادتى، فكان الابتداء فى هذا ٥ الكتاب الدينى حينئذ بالقوة القريبة من الفعل، و سنة ابتدائى فيه بالفعل و هى سنة إحدى و ستين فى شعبان كان سنى إذ ذلك [قد -[4]] شارف أربعا و خمسين سنة، و هو موافق لعدد حرفى "دن" أمرا من الدين الذى هو مقصود السورة، فكأنه أمر إذ ذاك بالشروع فى الكتاب ليحصل مقصودها، و سنة وصولى إلى هذه السورة و هى سنة ١٠ إحدى و سبعين فى[5] شعبان منها كان سنى قد شارف أربعا و ستين سنة، و هو موافق لعدد [أحرف -[6]] "دين" الذى هو مقصود السورة، فأنا أرجو بهذا الاتفاق الغريب أن يكون ذلك مشيرا إلى أن الله تعالى يجمع بكتابى هذا الذى خصنى بالهامه و ادخر لى المنحة بحله و إبرامه، و اعتنائه و التزامه، أهل هذا الدين القيم جمعا عظيما جليلا جسيما، يظهر ١٥ له اثر بالغ فى اجتماعهم و حسن تأسيهم بروس نقلته و أتباعه، و من الآثار الجليلة فى لحظها للجمع أنه لما كان مقصود سورة مريم عليها

(١) زيد فى الأصل : استنارته و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : سمياتها (٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد.

السلام بيان اتصاف الرحمن، المنزل لهذا القرآن، بشمول الرحمة لجميع الأكوان، و كانت هذه السورة لرحمة خاصة من آثار تلك الرحمة العامة، و هى الاجتماع على هذا الدين المراد ظهوره و علوه على كل دين و قهره لكل أمر، فكان لذلك محيطا قاهرا لحظ كل قاهر و ظالم، و كانت هذه الرحمة الخاصة - لنسبتها إلى الخلق - ثانية لتلك العامة و منشعبة[1] ٥ منها، كانت لكونها من أوصاف الخلق بمنزلة اليسار، و تلك لكونها من صفة الحق بمنزلة اليمين، ولذلك - و الله اعلم - قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى كتاب له فى الحرف: و لما كان ذلك - اى هذا الاسم المجتمع من هذه الأحرف المقطعة - أول هذه السورة مما ينسب[2] إلى أمر الشمال كان متى وضع[3] على أصابع اليسار ثم وضعت على ١٠ هائجة ظلم أو جور استولى عليه بحكم إحاطة حكمة الله /، و كانت خمسها /٦٢٢ مضافة إلى خمس "كهيعص" المستولية على حكمة اليمين محيطا ذلك بالعشر المحيط بكل الحكمة التى مسندها الياء الذى هو أول العشر و محل الاستواء بما هو عائد وحدة الألف - انتهى.

و لما كانت هذه الحروف - و الله أعلم - مشيرة إلى الاجتماع كما ١٥ أشار إليه آخر السورة الماضية، قال الله سبحانه و تعالى: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل[4] هذا الإيحاء العظيم الشأن الذى أخبرك به ربك صريحا اول " فصلت " من [أن الإله -[5]] إله واحد و آخرها من انه ما يقال لك

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مشبهة (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يتناسب (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: وقع (٤) فى م: بمثل. (٥) زيد من م و مد.

إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ، و من أنه يجمع لك أمتك على هذا الدين بما يتبين لهم أن هذا القرآن هو الحق بما يريهم من الآيات البينات[1] و الدلالات الواضحات فى الآفاق و فى أنفسهم و بشهادته[2] سبحانه باعجاز القرآن لجميع[3] الإنس و الجان و لاسيما إذا أقدم[4] ضال على معارضته

٥ كمسيلمة فانه يتبين لهم الأمر بذلك غاية البيان ، و بضدها تتبين الأشياء ، و رمز لك به سبحانه تلويحا أول هذه السورة بهذه الأحرف المقطعة التى هى أعلى و أغلى من الجواهر المرصعة - إلى مثل ذلك ، فهما نوعان من الوحى : صريح و عبارة ، و تلويح و إشارة .

و لما كان المقصود الإفهام لأن الإيحاء منه سبحانه عادة مستمرة

١٠ إلى جميع أنبيائه و رسله و البشارة له صلى الله عليه و سلم بتجديده له ، مدة حياته تثبيتا لفؤاده ، و دلالة على دوام وداده ، عبر بالمضارع الدال على التجدد و الاستمرار ، و تقدم فى أول البقرة نقلا عن أبي حيان و من قبله الزمخشرى و غيره أنه قد لايلاحظ[5] منه زمن معين ، بل يراد مطلق الوجود [فقال -[6]] : ﴿ يوحى إليك ﴾ أى سابقا و لاحقا ما

١٥ دمت حيا لايقطع ذلك عنك أصلا توديعا ولاقلى[7] بما يريد من أمره ، مما يعلى لك مقدارك ، و ينشر أنوارك و يعلى منارك .

---

(١) زيد فى الأصل : و الأدلة بل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها .
(٢) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : بشادته ، (٣) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : بجميع (٤) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : قدم (٥) فى م : لا يلحظ .
(٦) زيد من م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قلاير .

و لما

[و لما -[1]] كان الاهتمام بالوحى لمعرفة أنه حق - كما[2] إشارت إليه قراءة ابن كثير[3] بالبناء للفعول - و الموحى إليه لمعرفة أنه رسول حقا [وكان -[1]] المراد بالمضارع مجرد إيقاع مدلوله[4] لايفيد الاستقبال صح أن [5]يتعلق به[5] قوله مقدما على الفاعل : ﴿ و الى الذين ﴾ و القائم مقام الفاعل فى قراءة ابن كثير ضمير يعود على « كذلك » . ٥

و لما كان الرسل بعض من تقدم فى بعض أزمنة القبل ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلك لا ﴾ أي من الرسل الكرام و الأنبياء الأعلام ، بأن أمتك أكثر الامم و أنك أشرف الأنبياء ، و أخذ على كل [منهم -[1]] العهد باتباعك ، و أن يكون من أنصارك و أشياعك . و لما قدم[6] ما هو الأهم من الوحى و الموحى إليه ، أتى بفاعل " يوحى " فى قراءة العامة ١٠ فقال : ﴿ الله ﴾ [أى -[7]] الذى له الإحاطة بأوصاف الكمال ، و هو مرفوع عند ابن كثير بفعل مضمر[8] تقديره الذى يوحيه . و لما كان نفوذ الأمر دائرا على العزة و الحكمة قال : ﴿ العزيز ﴾ [اى -[1]] الذى يغلب[9] كل شيء و لا يغلبه شيء ﴿ الحكيم ﴾ الذى يضع ما يصنعه[10] فى أتقن محاله ، فلأجل ذلك لايقدر أحد على نقض ما أبرمه ، و لا نقص ١٥

(١) زيد من م و مد (٢) فى م : لما (٣) راجع نثر المرجان ٦/ ٢٣٦ (٤) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سعا ، كذا مع يسير من البياض (٦) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : تقدم (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مقدر (٩) زيد فى الأصل و ظ : على ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١٠) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : يضم .

ما احكمه[1] .

و قال الإمام أبو جعفر بن الزبير : لما تضمنت[2] سورة غافر ما تقدم من بيان حالى[3] المعاندين و [4] الجاحدين ، و أعقبت[5] بسورة السجدة بيانا[6] أن حال كفار[7] العرب فى ذلك كحال من تقدمهم و إيضاحا لأنه الكتاب العزيز و عظيم برهانه ، و مع ذلك فلم يجد على من قضى عليه تعالى بالكفر ، اتبعت السورتان بما اشتملت عليه سورة شورى من ان ذلك كله إنما جرى على ما سبق فى علمه تعالى بحكم المشيئة [الأزلية -[8]] " فريق فى الجنة و فريق فى السعير " "وما انت عليهم بوكيل" " و لوشاء الله لجعلهم امة واحدة " " و لو لا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم " "[9]لنا اعمالنا ولكم اعمالكم" "ولو لا كلمة الفصل لقضى بينهم[9] " "و هو على جمعهم اذا يشاء قدير" "و ما انتم بمعجزين فى الارض" " و من يضلل الله فما له من سبيل" "ان عليك الا البلغ" " نهدى به من نشاء من عبادنا " فتأمل هذه و ما التحم بها مما لم[10] يجر فى السورة المتقدمة منه إلا النادر ، و محكم ما استجره[11] ، و بناء هذه السورة

(١) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٢) فى م ومد : ضمنت (٣) من م ، وفى الاصل وظ ومد : حال (٤) زيد فى الأصل : حال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٥) من م و مد ، وفى و ظ : اعقب (٦) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : بيان إلى (٧) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : الكفار (٨) زيد من ظ و م ومد (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من م (١٠) من م و مد ، وفى الاصل وظ : ما (١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : استجده .

على ذلك و مدار آيها، يلح لك وجه اتصالها بما قبلها و التحامها بما جاورها .

و لما ختمت[1] سورة السجدة بقوله تعالى " الا انهم فى مرية من لقاء ربهم " أعقبها سبحانه بتنزيهه و تعاليه عن ريبهم و شكهم، فقال تعالى " تكاد السمٰوٰت يتفطرن من فوقهن " كما أعقب بمثله فى قوله تعالى ٥ " و قالوا اتخذ الرحمٰن ولدا لقد جئتم شيئا اذ تكاد السمٰوٰت يتفطرن منه " و لما تكرر فى سورة حم السجدة ذكر تكبر المشركين و بعد انقيادهم [2]فى قوله[2] تعالى "فاعرض اكثرهم و قالوا قلوبنا فى اكنة " إلى ما ذكر تعالى من حالهم المنبئة[3] عن بعد استجابتهم فقال تعالى فى سورة شورى " كبر على المشركين ما تدعوهم اليه " - انتهى . ١٠

و لما أخبر سبحانه أنه صاحب الوحى بالشرائع دائما قديما و حديثا، علل ذلك بأنه صاحب الملك العام فقال : ﴿له ما فى السمٰوٰت﴾ أى من الذوات و المعانى ﴿و ما فى الارض﴾ كذلك . و لما كان العلو مستلزما للقدرة قال : ﴿و هو العلى﴾ أى على العرش الذى السماوات فيه علو رتبة و عظمة و مكانة لا مكان و ملابسة، فاستلزم ذلك أن تكون له السماوات ١٥ كلها و الأراضى كلها مع ما فيها ﴿العظيم ﴾ أى فلا يتصور شىء فى وهم و لا يتخيل فى عقل إلا و هو اعظم منه بالقهر و الملك، فلذلك يوحى إلى من يشاء بما يشاء من إقرار و تبديل، لا اعتراض لأحد عليه .

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : تضمنت هذه السورة (٢ - ٢) من م و مد . وفى الأصل و ظ : بقوله (٣) من م و مد، و فى لأصل و ظ : المسببة .

و لما كان هذا السياق[1] مفهما عظيم ملكه سبحانه و قدرته بكثرة ما فى الأكوان من الأجسام و المعانى التى هى لفظاعتها لا تحتمل ، قال مبينا لذلك : ﴿تكاد السموٰت﴾ أى على عظم خلقهن و وثاقة إبداعهن ، و فلقهن[2] بما أعلم[3] به الواقع ، و نبه عليه بتذكير "تكاد" فى قراءة نافع و الكسائى[4] ﴿ يتفطرن ﴾ أى يتشققن و يتفرط أجزاؤهن مطلق انفطار فى قراءة [5]من قرأ[5] بالنون و خفف[4] و هم هنا ابو عمرو ويعقوب و شعبة[6] عن عاصم ، و تفطرا شديدا فى قراءة الباقين بالتاء المثناة من فوق مفتوحة و تشديد الطاء ، مبتدئا ذلك ﴿ من فوقهن ﴾ الذى جرت العادة أن يكون أصلب مما تحته ، فانفطار غيره من باب الأولى ، و ابتداء الانفطار ١٠ من ثم لأن جهة الفوق أجدر بتجلى ما يشق حمله / من عظيم العظمة ٦٢ / و الجلال و الكبرياء و العزة التى منها ما يحمل من الملائكة الذين[7] لا تسع عقولكم وصفهم على ما عليه من كل واحد منهم من عظم الخلق[8] فى الهيئة و الطول و المتانة و الكبر إلى غير ذلك مما لا يحيط به علما إلا الذى براهم[9] بحيث أن أحدهم إذا أشير له إلى الأرض حملها كما قال صلى الله ١٥ عليه و سلم [10]أقلت السماء و حق لها أن تئط[10] ما فيها موضع قدم

(١) زيد فى الأصل : ملهما و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فلعهن (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابدع (٤) راجع نثر المرجان ٦/٣٢٧ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م
(٦) فى م : سعيد (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التى (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الخلقة (٩) فى م : براهم (١٠) زيد فى الأصل و ظ : لها ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

إلا فيه ملك قائم يصلي »، و من غير ذلك من العظمة و الكبرياء و الجبروت و العلاء، او يكون انفطارهن من عظيم شناعة الكفر بالذى خلق الأرض فى يومين و جعلهم له أندادا كما قال فى السورة المناظرة لهذه سورة مريم " تكاد السموٰت يتفطرن منه و تنشق الارض و تخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا " و نقص ما فى هذه عن تلك لأنه ٥ لم يذكر هنا الولد، و هذا كناية عن التخويف بالعذاب لأن من المعلوم أن العالى إذا انفطر تهيأ للسقوط، فاذا سقط أهلك من تحته[1] فكيف إذا كان من العلو و العظم و ثقل الجسم على صفة لايحيط بها إلا بارئها[2]، فذكر الفوق تصوير[3] لما يترتب على هذا الانفطار من البلايا الكبار، [و على - [4]] هذا يحسن أن يعود الضمير على الأراضى[5] التى كفروا ١٠ بفاطرها .

و لما بين ان سبب كيدودة انفطارهن جلالة[6] العظمة التى منها كثرة الملائكة و شناعة[7] الكفر، بين لها سببا آخر و هو عظم قولهم، فقال: ﴿ و الملٰئكة ﴾ أى و الحال أنهم، [و عدل عن التأنيث مراعاة للفظ إلى التذكير و ضمير الجمع، إشارة إلى قوة التسبيح و كثرة المسبحين ١٥ فقال - [4]] : ﴿ يسبحون ﴾ أى يوقعون التنزيه [8]و التقديس[8] لله سبحانه

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تحت (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: با - مع يسير من البياض (٣) من ظ وم ومد، و فى الأصل: تصويرا (٤) زيد من م ومد (٥) من م ومد، وفى الأصل وظ : الأرض (٦) من م ومد، وفى الأصل و ظ : جلال (٧) من م ومد، و فى الأصل و ظ : شياعه (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م ومد.

و تعالى ملتبسين[1] ﴿بحمد ربهم﴾ أى باثبات الكمال للحسن إليهم [تسبيحا يليق بما لهم - بما أشارت إليه الإضافة - [2]] دائما لا يفترون ، فلهم بذلك زجل و أصوات لاتحملها العقول[3] ، و لا تثبت لها الجبال ، فلا تستبعدن ذلك ، فكم من صاعقة سمعتها من السحاب فرجت لها الأرض فتصدعت ٥ لها الأبنية المتينة[4] و الجبال الصلاب ، و لفت[5] القول إلى صفة الإحسان لمدح الملائكة بالإشارة إلى أنهم عرفوا إحسان المحسن و عملوا فى الشكر بما[6] اقتضاه إحسانه فصار تعريضا بذم الكفرة بما غطوا من إحسانه ، و تذرعوا من كفرانه .

و لما كانوا[7] لما عندهم من العلم بجلال الله سبحانه يستحيون[8] منه ١٠ سبحانه [9] كما يفعل[9] أهل الأرض و يقولون ما[10] لا يليق بحضرته الشماء و جنابه الأسمى ، و كانوا[11] يعلمون مما جادلهم سبحانه عنهم أن له بهم عناية ، فكانوا يرون أن الأقرب إلى رضاه الاستغفار لهم ، فلذلك [عبر - [2]] عنهم سبحانه بقوله حاذفا ما اوجبه السياق فى " غافر " من ذكر الإيمان ، إشارة إلى [أن - [2]] أقرب الخلق من[12] العرش كأبعد الناس فى الإيمان

---

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : متلبسين (٢) زيد من م ومد (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : القول (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : المنبتة (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الفت (٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : مما (٧) من م ومد ، و فى الأصل وظ : كان الملائكة (٨) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : يسبحون (٩-٩) من م ومد ، وفى الأصل وظ : يفعل (١٠) فى م : مما (١١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : كان (١٢) زيد فى الأصل : اله . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

المشروط بالغيب إبلاغا فى التنزيه لأنه لامقتضى له هنا : ﴿و يستغفرون﴾ أى وهم مع التسبيح يطلبون الغفران ﴿لمن فى الارض ط﴾ لما يرون من شدة تقصيرهم فى الوفاء بحق تلك العظمة التى لاتضاهى، أما للؤمن فطلقا، و أما للكافر فبتأخير[1] المعالجة، وكذا لبقية الحيوانات، و ذلك لما يهولهم[2] مما يشاهدونه من عظمة ذى الكبرياء و جلالة[3] ذى الجبروت، ٥ قال [ابن - [4]] برجان : لم يشأ الله جل ذكره كون شيء [إلا - [5]] قيض ملائكة من عباده يشفعون[6] فى كونه، و كذلك فى إبقاء ما شاء إبقاءه و إعدام ما شاء إعدامه، و هذه أصول الشفاعة فلا تكن من الممترين، / و ألطف من ذلك أن تكون كيدودة انفطارهن فى حال ٦٢٥ / تسبيح الملائكة و استغفارهم[7] لما يرين من فوقهن من العظمة، و من ١٠ تحتهن[8] من ذنوب الثقلين، فلولا ذكرهم انفطرن و حضر العذاب، فعوجل الخلق بالهلاك، و قامت القيامة، و قضى الأمر، و إذا كانت[9] كيدودة الانفطار مع هذا التنزيه و الاستغفار، فما ظنك بما يكون لو عرى[10] الأمر عنه و خلا منه، و لذلك ذكر العموم هنا ولم يخص المؤمنين بالاستغفار كما فى "غافر" لما اقتضاه السياق هنا من العموم، و لأن مقصود غافر ١٥

---

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ : فتاخير (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ : هولهم (٣) فى م ومد : جلال (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) زيد من م (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فيشفعون (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : استغفارهن (٨) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : تحتملن (٩) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : كان (١٠) من ظ وم و مد ، و فى الاصل : عدى .

تصنيف الناس فى الآخرة صنفين، و توفية كل ما يستحقه فناسب ذلك [إفراد - [1]] الذين تلبسوا بالإيمان، و مقصود هذه الجمع على الدين فى الدنيا فناسب الدعاء للكل ليجازى كل[2] بما يستحقه من إطلاق [3]المغفرة فى الدارين[3] للؤمن و تقييدها بالتأخير فى الدنيا للكافر .

٥ و لما كانت أفعال أهل الأرض و أقوالهم عظيمة المخالفة لما يرضيه سبحانه فهم يستحقون المعاجلة[4] بسببها، أجاب من كأنه قال: هذا يستجاب لهم فى المؤمنين، فكيف يستجاب [5]لهم فى الكافرين[5] ليجمع الكلام التهييب و التهويل فى أوله و البشارة و اللطف و التيسير فى آخره، فقال لافتا القول عن صفة الإحسان إلى الاسم الأعظم تعريفا بعظيم

١٠ الأمر حملا على لزوم الحمد و إدامة[6] الشكر: ﴿ الآ ان الله ﴾ [أى - [1]] الذى له الإحاطة بصفات الكمال، فله جميع العظمة، و أكد لأن ذلك لعظمه لايكاد يصدق ﴿ هو ﴾ أى وحده، [و رتب وصفيه سبحانه على أعلى وجوه البلاغة فبدأ بما أفهم إجابة الملائكة و أتبعه الإعلام بمزيد الإكرام فقال - [1]]: ﴿ الغفور الرحيم ﴾ أى العام الستر و الإكرام

١٥ على الوجه الأبلغ أما لأهل الإيمان فواضح دنيا و آخرة، و أما لأهل الكفران فى الدنيا فهو يرزقهم و يعافيهم و يملى لهم "و لو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة" و أما غير الله فلا يغفر

---

(١) زيد من م ومد (٢) من ظ و م ومد، و فى الأصل: كلا (٣-٣) فى الأصل وظ بياض ملأناه من م ومد (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: المعالجة. (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لكم بالكافرين (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اداة.

لأهل معصيته، و لو اراد ذلك ما تمكن •

و لما كان التقدير: فالذين تولوه و ماتوا فى ولايته فهو يغفر ذنوبهم بمعنى أنه يزيلها عينا و أثرا، عطف عليه قوله: ﴿ و الذين اتخذوا ﴾ اى عالجوا فطرهم الأولى و عقولهم حتى أخذوا ﴿ من دونه ﴾ اى [من -[1]] أدنى رتبة من رتبته ﴿ اولياء ﴾ يعبدونهم كالأصنام و كل من اتبع ٥ هواه فى شيء من الأشياء، فقد اتخذ الشيطان الآمر له بذلك وليا من دون الله بمخالفة امره.

و لما كان ما فعلوه عظيم البشاعة، اشتد التشوف إلى جزائهم عليه فأخبر [عنه -[1]] سبحانه بقوله معبرا بالاسم الأعظم إشارة إلى وضوح ضلالهم و عظم تهديدهم معريا[2] له عن الفاء لئلا يتوهم أن ١٠ الحفظ مسبب عن الاتخاذ المذكور [عادلا إلى التعبير بالجلالة تعظيما لما فى الشرك من الظلم و تغليظا لما يستحق فاعله من الزجر -[1]]: ﴿ الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ حفيظ عليهم ﴾ أى رقيب و راع و شهيد على أعمالهم، لا يغيب عنه شيء من أحوالهم، فهو إن شاء أبقاهم على كفرهم و جازاهم[3] عليه بما أعده للكافرين، و إن شاء تاب عليهم ١٥ و محا ذلك عينا و أثرا، فلم يعاقبهم و لم[4] يعاتبهم، و إن شاء محاه عينا و أبقى الأثر[5] حتى يعاتبهم[5] ﴿ و ما انت عليهم بوكيل ﴾ اى حتى

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تعريا (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جزاهم (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا. (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ليعاتبهم.

/٦٢٦ يلزمك ان تراعى جميع احوالهم من اقوالهم و أفعالهم، / فتحفظها و تقسرهم[1] على تركها و نحو ذلك مما يتولاه الوكيل مما يقوم فيه مقام الموكل سواء قالوا " لا تسمعوا لهذا القرآن " أو قالوا " قلوبنا فى اكنة " أو غير ذلك .

٥ و لما كان الإيحاء السابق أول السورة للبشرى لأنها[2] المقصود بالذات و كانت البشرى مقتضية[3] تلويحا و رمزا بالأحرف المقطعة لاجتماع أهل الدين و غلبتهم على[4] سائر الأديان و أن دينهم يعم سائر الأمم و يحيط بجميع الخلق، و لا يريد أحد بأهله سوءا إلا[5] كان له[6] فيه رفعة كما مضى بيانه، [7]و كانت رمزا[7] لأن المقام للانذار بما تشهد به السورة ١٠ الماضية، و كان المراد بها التكرار حتى لاتزال لذاذتها فى أذن المبشر و حلاوتها فى قلبه، ذكرها بلفظ المضارع الدال على التجدد و التكرار و الحدوث و الاستمرار، وكان المتعنت[8] ربما حمله[9] له على الوعد بالإيحاء [فى المستقبل - [10]]، و كان العاقل يكفيه فى النذرى مرة واحدة فقال[11] معبرا بالماضى الدال على الإمضاء و القطع و القضاء الحتم فى كل من ١٥ الإيحاء و فائدته التى هى الإنذار، عاطفا على ما يتصل بالآية السالفة المختومة

---

(١) فى ظ : تقرهم (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لأنه (٣) فى ظ : مقصودة (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فى (٥) زيد فى الأصل و ظ : ان، و لم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٦) من م ومد، و فى الأصل و ظ : لهم (٧-٧) من ظ و م ومد، و فى الأصل : كما رمز (٨) من م ومد، و فى الأصل و ظ : المتلفت (٩) من ظ و م ومد، و فى الأصل : يحمله (١٠) زيد من ظ و م ومد (١١) من ظ، و فى الأصل و م و مد : قال .

بنفي الوكالة مما تقديره: إنما عليك البلاغ بالبشارة و النذارة، و قد أوحينا إليك البشارة رمزا، كما جرت به عادة الأحباب في محاورات الخطاب، و لفت القول إلى مظهر العظمة لأن الإنذار من مجازه[1]: ﴿ و كذلك ﴾ أي و مثل ذلك الإيحاء[2] الذي قدمنا أنا حبوناك به من وحي الإشارة بالحروف المقطعة ﴿ اوحينآ ﴾ بما لنا من العظمة مع الفرق بين كل ٥ ملبس ﴿ اليك قرانا ﴾ جامعا لكل حكمة[3] ﴿عربيا﴾ فهو بين الخطاب واضح الصواب معجز الجناب ﴿ لتنذر ﴾ أي به ﴿ ام القرى ﴾ مكة التي هي أم الأرض و أصلها، منها دحيت[4] و لشرفها اوقع الفعل عليها، غدا لها عداد العقلاء، ثم بين ان المراد أهلها بقوله: ﴿ و من ﴾ أي و تنذر من ﴿ حولها ﴾ و هم سكان جميع الأرض التي هي امها، و بذلك ١٠ فسره البغوي[5] فقال: قرى الأرض كلها، وكذا القشيري و قال: العالم محدق بالكعبة و مكة لأنها سرة الأرض.

و لما كان مفعول " تنذر " الثاني على ما هدى إليه السياق ما عذبت به الأمم السالفة و القرون الماضية حين[6] تمادى بهم الكفر و غلب عليهم الظلم في اتخاذهم أولياء من دون الله، عطف عليه: ﴿ و تنذر ﴾ اى أم ١٥ القرى و من حولها مع[7] عذاب الأمم في الدنيا ﴿ يوم الجمع ﴾ أي لجميع الخلائق يبعثهم من الموت، حذف المفعول الأول من الشق الثاني،

---

(١) من ظ و مد، و في الاصل و م: محاذة (٢) من ظ وم و مد، وفي الأصل: الاحياء (٣) زيد في الأصل: مهر - كذا، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ وم و مد، وفي الأصل: وحت (٥) في معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٦/٩٨ (٦) من م و مد، وفي الأصل و ظ: حتى (٧) في ظ: من.

والمفعول الثانى من الأول، فالآية [من الاحتباك - [1]] : ذكر المنذرين أولا دلالة على إرادتهم ثانيا، و ذكر المنذر [2] به و هو يوم الجمع ثانيا دلالة على المنذر به من عذاب الأمم أولا، ليذهب [به - [3]] الوهم فى المحذوف كل مذهب، فيكون أهول، و ذكر هـــذا المذكور ٥ افخم و أوجل.

و لما كان الإنذار - و هو الإعلام بموضع المخافة [4] - تارة يكون عما لا علم به، و هو الأغلب، و تارة عما وقع العلم به ثم خالف المنذر [به - [3]] عليه فعمل [5] أعمال من لاعلم له به، نبه على أن هذا من القسم الثانى بقوله فى جملة حالية: ﴿ لاريب فيه [1] ﴾ أى لأنه قد ركز [6] فى فطرة كل ١٠ أحد أن الحاكم إذا استعمل عبيده فى شيء ثم تظالموا فلا بد له بما تقتضيه السياسة من جمعهم / لينصف بينهم [و - [7]] إلا عد سفيها، فما ظنك بأحكم الحاكمين. ٦٢٧ /

و لما تشوف [السامع - [7]] إلى ما يفعل فى جمعهم، و كان الثقلان لما طبعوا عليه من النقصان أهل فرقة و طغيان، ذكر نهايته معبرا [8] بما ١٥ هو من الفرقة بقوله مسوغا الابتداء بالنكرة للتفصيل [9] أو تقرير الوصف: ﴿ فريق ﴾ أى من المجموعين أهل فرقة تداركهم الله بأن جعلهم أهل

---

(١) زيد من مد (٢) من م ومد، و فى الأصل و ظ: المنذور (٣) زيد من م و مد (٤) من م ومد، و فى الأصل و ظ: المخالفة (٥) من ظ وم ومد، و فى الأصل: بعمل (٦) من م ومد، و فى الأصل و ظ: اركز (٧) زيد من ظ و م ومد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معبر (٩) من ظ و م ومد، و فى الأصل: للتفضيل.

جمع ﴿في الجنة﴾ فضلا منه و هم الذين قبلوا الإنذار و بالغوا في الحذار ﴿و فريق﴾ أي منهم [أهل -[1]] فرقة خذلهم الله و وكلهم إلى أنفسهم فزادوا في الفرقة ﴿في السعير﴾ عدلا منه، قال القشيري: كما أنهم في الدنيا فريقان: فريق في درجات الطاعة و [2]حلاوات العبادات[2]، و فريق في ظلمات الشرك و عقوبات الجحد و الشك، فلذلك[3] غدا هم ٥ فريقان: فريق هم أهل اللقاء، و فريق[4] هم أهل البلاء و الشقاء، [روى الإمام أحمد[5] [عن -[6]] عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم و في يده كتابان فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟ قال: قلنا: لا، إلا ان تخبرنا يا رسول الله! قال للذي في يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة و أسماء ١٠ آبائهم و قبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، لا يزاد فيهم و لا ينقص منهم أبدا، ثم قال للذي في يساره: هذا كتاب أهل النار بأسمائهم و أسماء آبائهم و قبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، لا يزاد فيهم و لا ينقص منهم أبدا، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم: فلأيّ شيء نعمل إن كان هذا أمرا قد فرغ منه، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: سددوا ١٥ و قاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة [و إن عمل أي عمل -[6]] و أن صاحب النار يختم له بعمل النار و إن عمل أي عمل، قال بيده

(١) زيد من م ومد (٢-٢) من ظ و م ومد، و في الأصل: حلاوة العبادة.
(٣) من ظ وم ومد، و في الأصل: فكذلك (٤) و من هنا انقطعت نسخة مد.
(٥) راجع مسنده ٢/١٦٧ (٦) زيد ولابد منه (٧) زيد من المسند.

فقبضها، ثم قال: فرغ ربكم عز و جل من العباد، ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال: فريق فى الجنة، و نبذ باليسرى فقال: فريق فى السعير، قال ابن كثير: و هكذا رواه النسائى[1] و الترمذى جميعا[2]، و قال الترمذى: حسن صحيح غريب -[3]] .

٥ و لما كان ملوك الدنيا غالبا لا يريدون أن يعصى أمرهم، فاذا حذروا من شىء أرادوا[4] أن لا يقرب، فان[5] فعله أحد كان فعله له خارجا عن مرادهم، فكانت عقوبتهم له لخروجه عن المراد شفاء لما حصل لهم من داء الغيظ، بين [أنه -[3]] سبحانه على غير ذلك، و أنه منزه[6] عن خروج شىء عن مراده، و عن أن يلحقه نفع بطاعة او ضر

١٠ بمعصية، و ان عقوبته إنما هى على مخالفة امره مع الدخول تحت مراده بالجائه و قسره، و هدا فى نفس الأمر، و أما فى الظاهر فالأمر أن لا يظهر [أنه -[3]] لشىء منهما مانع إلا صرف[7] الاختيار، فقال [صارفا القول عن مظهر العظمة استيفاء لإنذار ما هو حقيق به منها إلى الاسم الجامع صفات العظمة و غيرها لاقتضاء الحال له -[3]] : ﴿و لو شآء الله﴾

١٥ أى المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ لجعلهم ﴾ أى المجموعين ﴿امة واحدة﴾ للعذاب أو الثواب و لكنه لم يشأ ذلك بل شاء أن يكونوا فريقين: مقسطين و ظالمين، ليظهر فضله و عدله و انه إله جبار واحد قهار،

(١) فى كتاب الإيمان (٢) فى جامعه ٢/٣٦ (٣) زيد ما بين الحاجزين من م.
(٤) من ظ و م، و فى الاصل: ارادا (٥) من م، و فى الأصل و ظ: فاذا.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: قهره (٧) من ظ و م، و فى الأصل: صرو.

لايبالى بأحد و هو معنى قوله: ﴿ و لكن يدخل من يشآء ﴾ اى إدخاله ﴿ فى رحمته ﴾ بخلق الهداية فى قلبه فتكون أفعالهم فى مواضعها و هم المقسطون، و يدخل من يشاء فى نقمته بخلق الضلال فى قلوبهم فيكونون ظالمين، فلا يكون لهم [فعل[1]] فى حاق موضعه، فالمقسطون ما لهم من عدو و لانكير ﴿ و الظلمون ﴾ أى العريقون فى الظلم الذين شاء ٥ ظلمهم فيدخلهم فى لعنته ﴿ ما لهم من ولى ﴾ يلى[2] أمورهم فيجتهد[3] فى إصلاحها ﴿ و لانصير ﴾ ينصرهم من الهوان[4]، فالآية من الاحتباك، و هو ظاهر ذكر الرحمة أولا دليلا على اللعنة ثانيا، و الظلم و ما معه ثانيا دليلا على أضداده أولا، و سره أنه ذكر السبب الحقيق فى اهل السعادة ليحملهم على مزيد الشكر، و السبب الظاهرى فى أهل الشقاوة لينهاهم ١٠ عن الكفر.

و لما كان التقدير: هل قصر هؤلاء الذين تنذرهم هممهم و عزائمهم و أقوالهم و أفعالهم على الله تعالى اتعاظا و انتذارا بهذا الكلام المعجز، عادل به قوله: ﴿ام اتخذوا﴾ أى عالجوا فطرهم الشاهدة بذلك بشهادة أوقات الاضطرار[5] حتى لفتوها عنه سبحانه فأخذوا ﴿من دونه اوليآء ج﴾ ١٥ هم عالمون بأنهم لايغنون عنهم شيئا، و لهذا قال: ﴿فالله﴾ أى فتسبب[6] عما أفهمته صيغة الافتعال من أنهم عالمون بأنه وحده الضار النافع علمهم

---

(١) زيد من م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: على (٣) من ظ و م، و فى الأصل: يجتهد (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الهول (٥) من م، و فى الأصل و ظ: الاضطرارات (٦) من م، و فى الاصل و ظ: تسبب.

بأنه ﴿ هو ﴾ وحده ﴿ الولى ﴾ لا غيره، ويجوز ان يكون مسببا عن هذا الاستفهام الإنكارى التوبيخى كأنه قيل: هل قصروا هممهم عليه سبحانه، فسبب[1] أنه وحده المستحق لما يقصدونه من التولى ﴿ و هو ﴾ أيضا[2] وحده [3]لا غيره[3] ﴿ يحى الموتى ﴾ أى يجدد إحياءهم فى أى[4] وقت
٥ يشاءه ﴿ و هو ﴾ [أى -[5]] وحده[6] ﴿ على كل شىء قدير ﴾ أى بالغ القدرة / لايشاركه شىء فى ذلك بشهادة كل عاقل، و أكده بالقصر لأن شركهم بالأولياء إنكار لاختصاصه بالولاية. /٦٢

و لما كانوا جميعا يقرون بجميع ما وصف به نفسه المقدسة فى هذه الآية عند الشدائد، بعضه تصريحا من الوحدانية فى الولاية و الإحياء فى
١٠ هذه الدار و القدرة على كل شىء، و بعضه لزوما و هو الإحياء بالبعث، تسبب عن ذلك قطعا ان يقال مع صرف القول إلى الخطاب إشارة إلى أنه تعالى قرب إليهم كل خير [7]و قرب[7] إليهم فهم الوحدانية لعقولهم بعد أن فطرهم على لزومها عند الاضطرار[8]، فما اتفقتم فيه[9] من أمره سبحانه فهو الحق، و ذلك هو اصل الدين الذى أطبق عليه الخلائق فى وقت
١٥ الاضطرار، لم يتلعثم فيه منهم ضعيف، و لا جبار منيف، عطف عليه قوله:

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: سبب (٢) سقط من ظ و م (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) فى م: كل (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل: لاشريك له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧ - ٧) من م، و فى الأصل و ظ: فقرب (٨) من م، و فى الأصل و ظ: الاضرار (٩) من ظ و م، و فى الأصل: عليه.

و ما

﴿و ما اختلفتم﴾ اى ايها الخلق ﴿ فيه من شيء ﴾ و ذلك هو الفروع مطلقا و الأصول فى حال الرفاهية ﴿ فحكمة الى الله ﴾ أى[1] الذى هو الولى لا غيره و هو القدير لاغيره، فلا يخرج شيء عن أمره، فحصوا عنه تجدوه فى كتابه لأن[2] فيه تبيان كل شيء، فان قصرت أفهامكم عن إخراجه منه فاطلبوه فى سنة نبيه صلى الله عليه و سلم، فان عز عليكم ٥ ففى إجماع اهل دينه، فان أعوزكم ذلك ففى القياس على شيء من ذلك، قال القشيرى: هذه الأشياء هى قانون الشريعة، و جملتها من كتاب الله، فان الكتاب هو الذى يدل على صحة هذه الجملة - انتهى. و ما اجتهدتم فيه على ما شرع لكم و فصلتموه بما ظهرلكم على حكم بذل [3]الجهد مضى[3]، و ما لا فصله بينكم[4] سبحانه فى هذا اليوم إن أراد بنصر المحق و خذلان[5] ١٠ الظالم، و إن أراد أخره إلى يوم الدين، فان شاء عفا [عنه -[6]] و إن شاء عاقب عليه، فلا حكم لغيره لا فى الدنيا و لا فى الآخرة.

و لما أنتج هذا أنه لاعظيم غيره، و لا إله إلا هو، ترجم ذلك بقوله مخاطبا للكل: ﴿ ذلكم ﴾ أى العظيم الرتبة جدا ﴿ الله ﴾ المحيط بجميع أوصاف الكمال، فلا شريك له فى شيء منها بوجه ﴿ ربى ﴾ ١٥ الذى لا مربى لى غـيره فى ماض و لا حال و لا استقبال. و لما كان ذلك، أنتج و لابد قوله: ﴿عليه﴾ أى وحده ﴿توكلت قلى﴾ أى أسلمت

(١) سقط من ظ وم (٢) من ظ وم، و فى الأصل: لأنه (٣-٣) من ظ وم، و فى الأصل: المجهود قضى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: يليكم (٥) زيد فى الأصل: البطل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد من م.

جميع أمرى ﴿ واليه ﴾ أى[1] لا إلى غيره ﴿ انيب ه ﴾ أى ارجع بالتوبة إذا قصرت فى شيء من فروع شرعه وارجع إلى كتابه إذا نابنى امر من الأمور ، فأعرف منه حكمه فافعلوا انتم كذلك ، اجعلوه[2] الحكم تفلحوا[3]، ولا تعدلوا عنه فى شيء من الأشياء تهلكوا .

٥ ولما تقرر بهذا الكلام أنه قد ركز فى الفطر أنه لا إله غيره لأنه لاخالق سواه كما يهدى إليه الاضطرار وإن أغفل عنه البطر ، وصفه بالدليل على ذلك الذى جبل عليه جميع الفطر : ﴿ فاطر السموت والارض[4] ﴾ أى مبتدئهما[5] بالخلق والإخراج من العدم ، وكل ما اتخذتموه وليا[5] من دونه فهو منهما ، فهو مما فطره كما يعلم

١٠ كل أحد منكم ذلك لايتمارى فيه ، وهذا هو السبب فى العلم المركوز فى الفطر من أنه الواحد[6] الذى لا إله معه [كما كان فى الأزل ولاشيء معه -[7]] .

ولما ذكر سبحانه ما شق العدم بإيجاده من غير سبب أصلا ، أتبعه ما سببه عن ذلك فأنشأه من العناصر التى [8]أبدعتها يد القدرة[8]

١٥ فى الخافقين ، فقال [معبرا بالفعلية تذكيرا بما يوجب لهم الاعتراف بما اعترف به نبيه صلى الله عليه وسلم من أنه وحده ربه لاشريك له فى ذلك ، فيوجب التوكل عليه وحده -[7]] : ﴿ جعل لكم ﴾ أى [بعد -[7]]

(١) سقط من م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : اجعلوا (٣) من ظ و م ، وفى الاصل : بينكم تسلموا وتغنموا (٤) فى م : مبديهما (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : عدوا (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : واحد وهو (٧) زيد من م (٨-٨) فى ظ و م : ابدعها .

ان خلقكم من الارض ﴿من انفسكم ازواجا﴾ يكون [1] بالسكون إليها بقاء نوعكم [2]، و لما كانت الانعام و منافعها لاجلنا [4] قال: ﴿و من﴾ أى و جعل لكم [3] من ﴿ الانعام ﴾ التى هى أموالكم و جمالكم و بها أعظم قوامكم ﴿ ازواجا ج ﴾ أى من أنفسها، يكون بها أيضا بقاء نوعها، و كذا جميع الحيوانات، و معنى قوله مغلبا / العقلاء: ﴿ يذرؤكم ﴾ أى يخلقكم و يكثركم. ٥ / ٢٦٩
و لما كان الازواج فى غاية المحبة للزواج بحيث أنه مستولٍ على القلوب، كان كأنه محيط بهم فقال: ﴿ فيه ﴾ أى فى ذلك التزاوج [4] بحيث يجعلكم مولعين به، من قوله ذرأه: خلقه و كثره و أولعه بالشىء. فيكون لكم فى الأزواج من البشر نطفا [5] و جمالا و ولادة، و فى الأنعام غذاء و شرابا و أكلا، و غير ذلك مما لكم فيه [6] من المنافع، [و لا تزالون فى هذا الوجه ١٠ من الخلق و التزاوج نسلا بعد نسل و جيلا بعد جيل - [7]].

و لما تقرر فى الأوهام و ثبت فى كثير من الأذهان أنه لا يكون شىء إلا بسبب التزاوج [4]، كان ربما سرى شىء من هذا الوهم فى حق الخالق سبحانه فنفاه على أبلغ وجه بقوله [استئنافا فى جواب من يسأل عنه - [7]]: ﴿ ليس ﴾ [و قدم الخبر لأن المراد نفيه فأولاه ١٥ النافى دلالة على شدة العناية بنفسه فقال - [7]]: ﴿ كمثله ﴾ أى مثل

---

(١) زيد فى الأصل و ظ: لكم، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: نوع (٣) زيد فى م: اى لاجلكم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: التزوج (٥) من ظ و م، و فى الاصل: مطلقا (٦) فى م: فيها.
(٧) زيد من م.

نفسه فى ذاته و لا فى شيء من صفاته: ﴿شيء ج﴾ يزاوجه أو يناسبه، و كل ما اتخذتموه[1] وليا من دونه، وله ما يزاوجه و يماثله، فالمراد بالمثل هنا النفس و هو أصله و حقيقته فى اللغة من قولهم: مثل الرجل يمثل - إذا قام و انتصب، قال الإمام عبد الحق الأشبيلى فى كتابه الواعى: [و -[2]]

٥ المثل يكون هو الحديث نفسه "مثل الجنة التى وعد المتقون[3]" فمثلها هو الخبر عنها، و قيل: المثل ههنا الصفة " و لما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم" أى صفتهم، نقل ذلك الهروى و نقل عن أبى عبد الله القزاز قوله "ضرب مثل فاستمعوا له" كذلك، لأنه قال: "ان الذين تدعون" [الآية _[4]] فصار الخبر عن ذلك هو المثل، قال: و هو

١٠ على اصل ما ذكرنا أن مثل[5] الشيء صفته و صورته، و روى عن على ابن ابى طالب رضى الله عنه أنه قرأ " مثال " و قرأ " امثال الجنة التى وعد المتقون" ثم قال: و هذا كله يدل على [أن - [6]] معنى "مثل" صفة و صورة، قال أبو عبد الله: مثلت له الشيء تمثيلا[6]: صورته له[7] حتى كأنه ينظر إليه، و فى الحديث: مثلت لى الجنة و النار - انتهى. و فى

١٥ القاموس: المثل[8] - بالكسر و التحريك و كأمر: المشبه، و المثل محركة: الحجة

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: اتخذوه (٢) زيد من ظ و م (٣) سقط فى الاصل: فيها كذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من م. (٥) من م، و فى الأصل و ظ: المثل (٦) زيد فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) سقط من ظ و م (٨) من م، و فى الأصل و ظ: بالمثل.

و الحديث

و الحديث و الصفة، [1] و المثيل: المقدار و القصاص و صفة الشيء و الفراش، جمعه امثلة و مثل، و التمثال - بالكسر: الصورة و مثل قائما: قام منتصبا كمثل بالضم مثولا [2] - انتهى. و في شمس العلوم: و العرب تقيم المثل مقام النفس فتقول: مثلي لايقول هذا [أي أنا - [3]] - انتهى. فقد بان أن المثل بالإسكان و التحريك واحد، و أنه في الأصل عبارة عن نفس ٥ الشيء و صورته، ثم شاع فيما يشابهه، فمعنى [4] مثل اى انتصب تشكل [5] و تصور فكانت له صورة و شكل لأن بالانتصاب تتحقق صورته و تظهر، و كذا مثل بمعنى لصق بالأرض و إن [كان - [6]] ظهوره بالقيام اوضح، و كذا مثل إذا زال عن مكانه لأنه حصل الانتصاب أو اللصوق، و زاد الانتقال، و يوضح ذلك قولهم: مثله له - إذا صوره حتى كأنه ١٠ ينظر إليه، فعلم قطعا أن معنى الآية ما قلته، و أنه لو قيل "ليس كمثله شيء"، من غير كاف، لربما قال بعض أهل التعنت: هذا معناه أنه ليس شيئا، لأنا قد علمنا أن المثل هو الشيء، و قد كانوا يتعنتون بدون هذا، فأتى بالكاف إزالة لهذا التعنت [مع العلم القطعي بأن ظاهر ما نفهمه غير مراد، لأنه يؤدي إلى محالين هما في غاية الظهور يحاشي عن أحدهما ١٥ فكيف إذا اجتمعا من له أدنى حكمة فكيف بأحكم الحكماء، احدهما أن له مثلا، و الثاني أن مثله لامثل له مع الحكم بأنه مثله، و ذلك تناقض

(١) ومن هنا استأنفت نسخة مد (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: مثوى.
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: فمضى.
(٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: فتشكل (٦) زيد من م و مد.

ظاهر يتعالى الله عن إرادة مثله علوا كبيرا -[1]] - و الله الموفق .

و لما كان [قد -[1]] أبطن نفسه سبحانه بهذا التنزيه إبطانا عظيما، و كان هذا الإعراق فى البطون لا تحتمله العقول ، فلا يؤمن عليها النزوع إلى التعطيل ، قربه بنوع ظهور بذكر ما نعقله من الأوصاف بعد الأمن ٦٣٠ / ٥ / من التشبيه لمن أمل الكلام ، و حكم العقل و طرد الوهم ، فأتى بأوضح ما نحسه[2] من أوصافنا و اظهره مع استلزامه لبقية الصفات فقال : ﴿وهو ﴾ أى و الحال أنه لا غيره ﴿ السميع البصير ه ﴾ أى الكامل فى السمع و البصر و العلم من البصر و البصيرة ، و من المقطوع به أن ذلك لايكون على وجه الخصوص إلا بالوحدانية و الحياة و القدرة ١٠ و الإرادة و الكلام ، فاستوفت هذه الآية ما لوح[3] إليه العاطف فى قوله " و ما اختلفتم " بعد ما صرح به ، فالله هو الولى من أصول الدين بالصفات السبع على أتم وجه - و الله الموفق ، قال الحرالى : السمع إدراك ألطف المثلين و هو الاسم ، و البصر إدراك أظهر المثلين و هو الصورة ، و بالحق[4] سبحانه بدأ كل مثل لطيف فهو السميع بالحقيقة ان لايسمع ١٥ ما هو مبدئ ألطف مثليه ، أو لا يبصر ما هو مبدئ أظهر مثليه ، و لما كان سبحانه و تعالى عليما بأمثال البادئات قبل كونها كان سميعا لها بصيرا لها قبل كونها ، و إنما يستجد السمع و البصر من يتبع[5] علمه إدراك

(١) زيد من م و مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يحسه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لوحت (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحق .
(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ينبع .

حسه، لا من هو دائما سميع بصير بما هو دائما عليم، فهو سبحانه يسمع الأشياء و إن لم تقسم، و يراها و إن لم تتصور، رؤيته لها و سمعه فى خلقها و بريها و تصويرها رؤية دائمة و سمع دائم، و الخلق لايرون الشيء قبل تصوره و لايسمعونه قبل تكلمه - انتهى. فقد صرحت الآية بتنزيهه عن مُساوٍ فى شيء ما، فمن ادعى لأحد مساواته فى شيء من صفاته علم ٥ أو غيره فقد أشرك به فى تلك الصفة و هو أشد ملامة[1] من المشرك بالصنم و نحوه من المخلوقات لأن إشراك هذا ظاهر الوهى واضح الخلل بين السفسفة، و إشراك الأول خفى لايقدر على حله إلا راسخ و إن كان كل منهما يصير إلى الركاكة و الهذيان لأنه لايسوغ فى عقل ان يكون أحد شريكا لأحد فى شيء إلا و هو مساوٍ له فى حقيقة الذات، ١٠ و صالح فى الجملة لأن يقوم مقامه فى جميع الصفات، فاياك ثم إياك من مزلة[2] ربما استغوى بها الشيطان بعض من يريد الترقى فى درجات العرفان، ليخرجه من جميع الأديان.

و لما قرر أمر الوحى بما ثبت به من[3] الإعجاز، و أراهم الآيات فى الآفاق، بأن له ما فى الوجود، و أنه هو الذى فطره، و كان ربما ١٥ كان للانسان شيء و لم يكن كامل التصرف فيه بأن يكون مفاتيح خزائنه مع غيره من شريك أو غيره، و كان ربما اخترع [الإنسان -[4]] بناه و كان لغيره، أخبر إكمالا لتنزيه الآية السالفة [و -[5]] شرحا له أنه

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ملاله (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: منزلة (٣) من ظ وم و مد، و فى الأصل: امر (٤) زيد من م و مد.
(٥) زيد من ظ و م و مد.

تعالى [١] ليس كمثله شيء وليس [١] كغيره فى هذا أيضا بل كما ان [٢] له ما فى الخافقين و هو مخترعهما فله مفاتيح خزائنهما، فقال: ﴿له﴾ اى وحده ﴿مقاليد السمٰوٰت و الارض ج﴾ أى خزائنهما و مفاتيح خزائنهما من الأمطار [٣] و الانبات و غيرهما [٣] و قد ثبت أنه ابتدعهما، و أن له جميع

٥ ما فيهما مما اتخذ من دونه [وليا - [٤]] و غيره، قال القشيرى: و المفاتيح الخزائن و خزائنه مقدوراته - انتهى. و لما [٣] كان قد [٣] حصر الأمر فيه دل عليه بقوله: ﴿يبسط الرزق﴾ أى الذى فيهما و لا مانع منه إلا قدرته ﴿لمن يشآء﴾ اى أن يبسطه [٥] له ﴿و يقدر [٤]﴾ أى يضيق و يقبض على من يشاء كما وسع / على فارس [و - [٦]] الروم و ضيق ٦٣١ /

١٠ على العرب و فاوت فى الأفراد، بين [أفراد - [٤]] من وسع [٧] عليهم [و من ضيق عليهم - [٤]]، فدل ذلك قطعا على أنه لاشريك له و أنه هو المتصرف وحده فقطع بذلك أفكار الموفقين من عباده عن غيره ليقبلوا عليه و يتفرغوا له، فان عبادته هى المقاليد بالحقيقة "استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا [٨] و يمددكم باموال [٨]" الآية،

١٥ "و من يؤمن بالله و يعمل صالحا يدخله جنٰت تجرى من تحتها الانهٰر"

(١ - ١) ليس ما بين الرقمين فى ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الاصل: انه (٣ - ٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: النباتات و غيرها.
(٤) زيد من م و مد (٥) فى ظ و م و مد: يبسط (٦) زيد من ظ و م و مد.
(٧) زيد فى الأصل: فيهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من م و مد.

و لو

" و لوان اهل القرى امنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركت [1]من السماء و الارض[1] " " و لوان اهل الكتب امنوا و اتقوا لكفرنا عنهم سياتهم و لادخلنهم جنت النعيم " " ولو انهم اقاموا التورئة و الانجيل " الآية .

و لما كان كأنه قيل : لم [2]فعل ذلك ؟ علله[2] بقوله مؤكدا لأن[3] أعمال غالب الناس فى المعاصى عمل من يظن أنه سبحانه يخفى عليه ٥ عمله : ﴿ انه بكل شىء عليم ﴾ فلا فعل له إلا و هو جار على أتقن ما يكون من قوانين الحكمة ، فلو أنه وسع العرب و قواهم ثم اباحهم ملك أهل فارس و الروم لقبل[4] بقوتهم و مكنتهم ، و له فى كل شىء دق أو جل من الحكم[5] ما يعجز عن إدراك لطائفه أفاضل الأمم .

و لما ثبت أن[6] له كل شىء و أنه لامتصرف فى الوجود سواه ، ١٠ أنتج ذلك انه لا ناهج لطرق الأديان التى هى أعظم الرزق و أعظم قاسمة للرزق غيره ، فأعلمهم انه لم يشرع دينا قديما و حديثا غير ما اتفقوا عليه وقت الشدائد ، فقال دالا على ما ختم به الآية التى قبلها من شمول علمه و مرغبا فى لزوم ما هدى إليه و دل عليه : ﴿ شرع ﴾ أى طرق و سن طريقا ظاهرا بينا واضحا ﴿ لكم ﴾ أيتها[7] الأمة الخاتمة من الطرق ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فعله علل (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاو (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يقبل (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحكمة . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : انه (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ايها .

الظاهرة المستقيمة ﴿ من الدين ﴾ و هو ما يعمل فيجازى عليه . و لما كان السياق للدين، و كانوا هم المقصودين فى هذا السياق بالأمر به، لأن [الشارع - [1]] لهم قد أنتجه، و كانوا لتقليدهم الآباء يرون أن ما كان منه أقدم كان أعظم و أحكم، ذكر لهم [2]أول الآباء[2] المرسلين
٥ إلى المخالفين فقال : ﴿ ما ﴾ أى الذى ﴿ وصى به ﴾ [توصية عظيمة بعد إعلامه بأنه شرعه - [1]] ﴿ نوحا ﴾ فى الزمان الأقدم كما ختم به على لسان الخاتم، و أرسل به من توسط بينهما من الأنبياء المشاهير لأنه لا يرضيه[3] سواه، فان كنتم إنما تأنفون من الدخول فى هذا الدين لحدوثه فانه أقدم الأديان و كل ما سواه حادث مع أنه ما بعث
١٠ نبيا من أنبياءكم و لا من غيرهم [إلا به - [1]] و مع أنه توفرت على الشهادة به الفطر الأولى دائما و الفطر اللاحقة حتى من القلوب العاتية فى أوقات الشدائد أبدا فادخلوا فيه على بصيرة .

و [لما - [1]] كان الإعجاز خاصا بنا[4]، أبرزه فى مظهر العظمة معبرا بالوحى، و بالأصل فى الموصولات، و دالا على زيادة عظمته بتقديمه
١٥ على من كانوا قبله مع ترتيبهم عند ذكرهم على ترتيبهم فى الوجود فقال : ﴿ و الذىٓ اوحينآ اليك ﴾ و أفرد الضمير زيادة فى عظمته[5] دلالة على

(١) زيد من م و مد (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اولا لاباء .
(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لا يوصيه (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بما (٥) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

أنه لا يفهمه حق فهمه غيره صلى الله عليه و سلم ، و دل على عظمه [ما -[1]] كان لإبراهيم و بنيه بما ظهر من آثاره بمظهر العظمة ، و على نقصه عما إلى نبينا صلى الله عليه و سلم بالتعبير بالوصية فقال : ﴿ و ما وصينا ﴾ أى على ما لنا / من العظمة الباهرة التى ظهرت بها تلك المعجزات ﴿ به‍ ابرٰهيم ﴾ الذى نجيناه من كيد نمرود بالنار و غيرها[2] و وهبنا له على الكبر إسماعيل و إسحاق ، و هو أعظم آباء العرب و هم يدعون أكبر بالآباء[3] فليكونوا على ما وصيناه به ﴿ و موسى ﴾ الذى أنزلنا عليه التوراة موعظة و تفصيلا لكل شيء ﴿ و عيسى‍ ﴾ الذى أنزلنا عليه الإنجيل فيه هدى و نور و موعظة ، و دخرناه فى سمائنا لتأييد شريعة الخاتم الفاتح .

/ ٦٣٢ أ

و لما اشتد تشوف السامع إلى الموحى الموصى به ، أبرزه فى أسلوب الأمر فقال مبدلا من معمول " شرع " أو مستأنفا : ﴿ ان اقيموا ﴾ أى أيها المشروع لهم من هذه الأمة الخاتمة و من الأمم الماضية ﴿ الدين ﴾ اى الذى اتفق عليه الخلائق بالرجوع إلى ما فطروا عليه وقت الاضطرار و هو التوحيد و الوصف بجميع صفات الكمال على الإطلاق و غير ذلك من كل ما أرسل به رسله ، [هذا على تقدير ان تكون " ان " مصدرية ، و يجوز أن تكون مفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول -[4]] .

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : غيره .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاباء (٤) زيد من م و مد .

و لما عظمه بالأمر بالاجتماع[1]، أتبعه التعظيم بالنهي [2]عن الافتراق[2] فقال: ﴿ و لا تتفرقوا ﴾ أى [تفرقا عظيما بما أشار إليه إثبات التاء، و كأن ذلك إشاره إلى التحذير من التفرق فى الأصل و إذن فى الاجتهاد على قدر القوة فى الفرع ﴿ فيه[4] ﴾ أى الدين -[3]] فى أوقات الرخاء
٥ عند التقلب فى لذيذ ما أنعم به الشارع له الآمر به المرغب فى اتباعه المرهب من[4] اجتنابه. و اجتمعوا على من أرسله الذى اثبتم له جميع صفات الكمال عند الشدائد من غير خلاف اصلا فى شيء من الأشياء، فان التفرق سبب الهلاك[5]، و الاجتماع سبب النجاة[6]، فكونوا يدا واحدة يا أهل الكتاب [7]قال تعالى "يأهل الكتب[7] تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم
١٠ ان لانعبد الا الله و لا نشرك به شيئا و لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله".

و لما نهى عن التفرق، حث على لزوم الاجتماع اللازم به بتعليل النهى بقوله: ﴿ كبر على المشركين ﴾ أى جل و عظم و شق حتى ضاقت به صدورهم، [7]و هو[7] ﴿ ما تدعوهم اليه ﴾ [أيها -[8]] النبى الفاتح الخاتم
١٥ من الاجتماع أبدا على ما اجتمعوا عليه وقت الاضطرار من وحدانية الواحد القهار، فلأجل كبره عليهم هم يسعون فى تفرقكم عنه فان تفرقتم عنه

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالاجماع (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالافتراق، (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فى (٥) فى م و مد: للهلاك (٦) فى ظ و م و مد: للنجاة (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) زيد من ظ و م و مد.

كنتم

كنتم قد تابعتم العدو[1] الحسود و خالفتم الولى الودود . و لما كان الإخبار بكره[2] عليهم ربما اوهم اتباع اتباعهم له ، أزال ذلك الوهم بقوله جوابا لمن[3] كأنه قال: كيف السبيل مع ذلك [إلى -[4]] دخول أحد فى هذا الدين ، [عادلا عن مظهر العظمة إلى أعظم منه تعظيما للقدرة على جمع القلوب -[4]]: ﴿ الله ﴾ أى الذى له مجامع العظمة و نفوذ الأمر ٥ ﴿ يجتبىٓ ﴾ أى يختار غاية العناية و يصرف ﴿ اليه ﴾ أى إلى هذا الدين الذي تدعوهم إليه ﴿ من يشآء ﴾ اجتباءه .

و لما ذكر سبحانه بهذا المراد بغير تكسب منه ، أتبعه المزيد المعتنى بالسلوك[5] فقال: ﴿ و يهدىٓ اليه ﴾ بالتوفيق للطاعة ﴿ من ينيب ﴾ أى فيه أهلية لأن يجدد الرجوع إلى مراتب طاعاته كل حين بباطنه بعد ١٠ الرجوع بظاهره إلى ما كتبه له من[6] الدرجات [7] كأنه كان[7] الوصول إليها قد نزل عنها و هو بترقيه فى المنازلات بأحوال الطاعات يرجع إليها .

و لما كان المراد بالمشركين مع عباد الأوثان أهل الكتاب الذين اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله لقبولهم منهم التحليل و التحريم ،

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الحدود (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يكو (٣) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : بالسكوك . (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كان كأنه ، و زيد بعده فى الأصل : قد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و كان ذلك مفهما لأنهم فارقوا اهل الطاعة ، و كان ذلك موهما لأنهم
ما فارقوهم إلا عن جهل ، قال عاطفا على ما تقديره: فأتى الرسل إلى
الناس / فأقاموا لهم الدين و بينوا لهم غاية التبيين فاجتبى الله بعضهم و أضل /٦٣٣
بعضهم فافترقوا: ﴿ و ما تفرقوآ ﴾ أى المشركون من قبلكم من أهل
٥ الكتاب و غيرهم فى أديانهم ﴿ الا ﴾ و أدخل الجار لعدم استغراق
الزمان فقال: ﴿ من بعد ما جآءهم ﴾ أى على ألسنة أنبيائهم[1] الذين
لم يدعوا لبسا ﴿ العلم ﴾ أى بما لايسوغ معه التفرق و منه أن الفرقة
ضلالة، و أشار[2] الجار ايضا إلى أن التفرق كان مع العلم لم يكن طال
الزمان فتطرق إلى علمهم[3] نسيان كل ذلك بيانا لعظيم قدرة الله تعالى
١٠ فى تصرفه فى القلوب، فاياكم أن يكون حالكم كحالهم فليشتد خوفكم
لربكم و رجاؤكم له.

و لما كان ترك طريق العلم عجبا و مستبعدا، قال مبينا أن الذى
حملهم على ذلك حظوظ الأنفس التى لا نجاة منها إلا بعصمة الله تعالى:
﴿ بغيا ﴾ أى حال كون تفرقهم عداوة و لا شبهة فيها هى بينة الظلم
١٥ لأجل حظوظ الأنفس و اتباع الأهواء التى يجب على العبد البعد عنها بأن
لاتكون له إرادة [أصلا بل تكون إرادته -[4]] تابعة لأمر[5] مولاه.

---

(١) زيد فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) زيد فى الأصل و ظ: أى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.
(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اعلمهم (٤) زيد من ظ و م و مد.
(٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لارادة.

و لما كان مطلق البغي منافيا لمكارم الأخلاق، فكان ارتكابه عجبا، زاد في التعجب منه بيان [أن البغي -[1]] لم يعد جماعتهم إلى غيرها، بل كان خاصا بها، فقال: ﴿ بينهمْ ﴾.

و لما كان ذلك يقتضي المعالجة، قال عاطفا على ما تقديره: فلولا قدرة الله و لطفه لما اجتمعوا بعد الفرقة أبدا: ﴿ و لو لا كلمة ﴾ اى ٥ لاتبديل لها ﴿ سبقت ﴾ أى في الأزل بتأخيرهم إلى آجالهم. و لما كان إمهالهم و الرفق بهم رحمة لهم، بين أن ذلك إنما هو لأجل خير الخلق ليكونوا أتباعا له فيزدادوا بذلك[2] شرفا، و أفرده بالذكر تنبيها على ذلك فقال [مؤنسا له صلى الله عليه و سلم بلفت الكلام إلى صفة الإحسان إرضاء له بما يرجوه في أمته، و زاد ذلك بالإضافة إلى ضميره فأفهم أن ١٠ إحسانه إليهم إحسان يلبق بمقامه و يلتئم بمراده الشريف و مرامه -[1]]: ﴿ من ربك ﴾ اى المحسن إليك بجعلك خير الخلائق و إمامهم، سبقت الكلمة بامهالهم ﴿ الى اجل مسمى ﴾ ضربه لآجالهم ثم لجمعهم[3] في الآخرة ﴿ لقضي ﴾ على أيسر وجه و أسهله ﴿ بينهمْ ﴾ حين الافتراق باهلاك الظالم و إنجاء المحق. ١٥

و لما أخبر عن حال المتقدمين، و كان [من[4]] في زمانه[5] صلى الله عليه و سلم من أهل الكتاب يدعون غاية العلم [بها -[1]] و الاجتماع عليها، و هي كلها داعية إلى المبادرة إلى إرث هذا الكتاب الخاتم الجامع،

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: به (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: لجعلهم (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: زمنه.

و كان بعضهم يتلبس[1] بالتنسك و الإعراض عن الدنيا و غير ذلك مما يقتضى انه على بصيرة من أمره، و إنكار أن يكون عنده نوع شك، قال على وجه [يعم - [2]] غيرهم، مؤكدا تنبيها على ذلك: ﴿و ان الذين﴾ و لما كان المراد الوصول إلى الكتاب من غير منازع، ٥ و لم تدع حاجة إلى العلم بالموصل، بنى للمفعول قوله: ﴿ اورثوا الكتٰب ﴾ أى الكامل الخاتم، و هم هذه الأمة بما نسخ كتابهم ما تقدمه كان غيرهم كأنه مات، فورثوا كما قال تعالى "ثم اورثنا الكتٰب الذين اصطفينا من عبادنا" فكان حالهم فى تمكنهم من التصرف فى الكتاب بالحفظ و الفهم و عدم المنازع فى ادعائه حال الوارث و الموروث منه فقال[3]: ١٠ ﴿ من بعدهم ﴾ أى المتفرقين، و أثبت الجار لعدم استغراق الزمان ﴿ لفى شك منه ﴾ أى إرث للكتاب[4] المقتضى للاجتماع[5] لا للتفرق لما فيه من الخير، و ذلك [6]لعملهم عمل[6] الشاك فيقولون: إنه سحر و شعر و كهانة، و نحو/ ذلك، و أن الآتى به غير صادق بعد اطلاعهم على ما ٦٣٤/ أتى به من المعجزات و بعد معرفتهم [به - [7]]، أما العرب[8] و من[9] ساكنهم ١٥ من اهل الكتاب فباعجازه مع ما فى كتب أهل الكتاب من البشارة به،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: يلتبس (٢) زيد من ظ و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قال (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الكتاب (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بلا جماع (٦-٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بعلمهم علم (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل: العذاب (٩) فى مد: ما.

و أما غير من ساكنهم فدعوة كتابهم ﴿ مريب ﴾ اى موقع لى التهمة الموقعة فى الحاجة الموقعة فى [1]صروف الدهر[1] و هى شدائده و آفاته[2] و نوائبه، هذا على أن المراد كتابنا، و يجوز أن يكون الضمير لأهل الكتاب خاصة و الكتاب[3] كتابهم، و شكهم فيه عملهم بغير ما دعاهم[4] إليه من اتباع كتابنا باتباع نبينا صلى الله عليه و سلم. ٥

و لما ثبت بهذا ريغهم عن اوامر[5] الكتاب الآتى من الله، سبب عنه أمره صلى الله عليه و سلم بابلاغ الناس ما ينفعهم عن رسالة ربه الذى أنزل تلك الكتب فى آية واحدة مفصلة بعشر كلمات [فى -[6]] كل كلمة منها حكم براسه، قالوا: و لا نظير لها إلا آية الكرسى فانها [7]عشرة أصول[7] كل[8] أصل منها مستقل [براسه[9] -] فقال مسببا[10] عن ١٠ حالهم الاجتهاد فى إزالتها و العمل بضدها[11]: ﴿فلذلك﴾ أى لهذا الوحى العلى الرتبة الذى وصينا بمقاصده[12] جميع الرسل اصحاب الشرائع الكبار من [أولى -[6]] العزم و غيرهم، [أو لذلك -[6]] التصرف المباعد

(١-١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الصروف (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: آياته (٣) زيدت الواو بعد فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: دعى (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: امر (٦) زيد من ظ و م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اصول عشرة (٨) فى م: بكل (٩) زيد من م و مد. (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: سببا (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يضادها (١٢) من م و مد، و فى الاصل و ظ: بمقاصده.

للصواب و الشك فى امر الكتاب .

و لما كان سياق الدعوة للخلق إلى ما أوحى إليه فأنزل عليه. قدم قوله: ﴿ فادع ج ﴾ إلى من أرسلك الله به من الاتفاق على ما أمر به الإله من الاجتماع على الملة الحنيفية . و لما كان الداعى لغيره لاينفع ٥ دعاءه لذلك الغير ما لم ينفع نفسه ، قال: ﴿ و استقم ﴾ أى اطلب القوم[1] من ربك على مشاق الدعوة ليعينك عليه و أوجده[2] على ما يدعو إليه كتابه بما تدعو إليه و يجب عليه ﴿ كما امرت ﴾ ممن لا أمر لغيره فى تفاصيل الدعاء من[3] اللين و الغلظة و التوسط و غير ذلك من تحديث الناس بما تحتمل عقولهم و تربيتهم على حسب ما ينفعهم .

١٠ و لما كان كل ما خالف كتابنا هوى، و كل ما[4] خالف كتابنا فهو على مجرد الهوى، قال: ﴿ و لاتتبع ﴾ [5]أى تعمدا[5] ﴿ اهوآءهم ج ﴾ فى شيء ما، فان الهوى لايدعو إلى خير، و المقصود من كل أحد أن يفعل ما أمر به لأجل أنه أمر به لا لأجل أنه يهواه .

و لما كانوا قد تفرقوا فى الكتاب و شكوا فآمنوا ببعض و كفروا ١٥ ببعض، أمره بما يخالف حالهم فقال: ﴿ و قل ﴾ أى لجميع أهل الفرق، وكل من يمكن له القول فانك أرسلت إلى جميع الخلق: ﴿ امنت بما[6] ﴾

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : القوام (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : احده (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و (٤) فى مد : ما . (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل . و لاتعتمد (٦) و قع فى الأصل و ظ قبل « انزل الله » و الترتيب من م و مد .

اى بكل شيء . و لما كان أكمل الناس إيمانا أكثرهم استحضارا لأوصاف الكمال من الجلال و الجمال، صرف القول إلى الاسم الأعظم إشارة إلى سلوك أعلى المسالك فى ذلك فقال: ﴿انزل الله﴾ أى الذى له العظمة الكاملة ﴿من كتٰب ج﴾ لا أفرق بين [شيء من - ١] كتبه و لا أحد من رسله، بل [كل - ١] كتاب ثبت أنه نزل على رسول ثبتت رسالته ٥ بالمعجزة فأنا به مؤمن و إليه داع كما اقتضاه كمال القوة النظرية، قال أبو على القالى فى ذيل الأمالى: حدثنا أبوبكر - هو ابن الانبارى - حدثنا أبو جعفر محمد بن عثمان حدثنا صحاب بن الحارث أنا بشر[٢] بن عمارة عن محمد بن سوقة قال: أتى عليا رضى الله عنه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما الإيمان أو[٣] كيف الإيمان؟ قال: الإيمان على [أربع - ١] دعائم: ١٠ على الصبر و اليقين و العدل و الجهاد، و الصبر على أربع شعب: على الشوق و الشفق و الزهادة و الترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلى عن الشهوات، و من أشفق من[٤] / النار رجع عن الحرمات، و من زهد فى الدنيا تهاون / ٦٣٥ بالمصيبات، و من ارتقب الموت سارع إلى الخيرات، و اليقين على أربع شعاب: تبصرة الفطنة و تأويل الحكمة و موعظة العبرة و سنة الأولين، ١٥ فمن تبصر الفطنة تأول الحكمة. و من تأول الحكمة عرف العبرة، و من عرف العبرة عرف السنة. و من عرف السنة [٥]فكأنما كان[٥] فى الأولين،

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد. و فى الأصل: بكر (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ «و» (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عن. (٥-٥) من م و مد و فى الاصل و ظ. وكان.

و العدل على اربع شعب : على غائص الفهم و زهرة الحلم[1] و روضة العلم [و شرائع الحكم -[2]] ، فمن فهم جمع العلم ، و من حلم[3] لم يضل [في الحكم -[4]] ، و من علم عرف شرائع الحكم[3] ، و من حلم لم يفرط امره ، و عاش فى الناس . و الجهاد على أربع شعب : [على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الصدق فى المواطن و شنآن الفاسقين -[4]] . فمن[5] أمر بالمعروف [6]شد ظهر المؤمنين[6] ، و من نهى عن المنكر [7]أرغم آناف الفاسقين[7] . و من صدق فى المواطن فقد قضى الذى عليه ، و من شنىء المنافقين غضب لله و غضب الله له فأزلفه و اعلى مقامه ، قال : فهام الرجل فقبل رأسه

و لما أخبر بالعدل [8]فى القوة[8] النظرية ، أتبعه ذلك فى القوة العملية فقال . ﴿ و امرت ﴾ اى ممن له الإمر كله بما أمرنى به مما انزل على ﴿ لاعدل ﴾ أى لإجل أن اعدل ﴿ بينكم[4] ﴾ أيها المفرقون [فى -[4]] الأديان من العرب و العجم من الجن و الإنس كما دعا إليه كمال القوة العملية ، ثم علل[9] ذلك بقوله : ﴿ الله ﴾ [أى -[4]] الذى له الملك كله

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العلم (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : علم (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل : سد ظهره ، و فى ظ : شد ظهره (٧ - ٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رغم أنف المنافقين (٨ - ٨) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : بالقوه (٩) من م و مد ، و فى الاصل و ظ عدل .

وبنا

﴿ ربنا و ربكم[1] ﴾ اى موجدنا و متولى جميع امورنا ، فلهذا[1] امرنا بالعدل على سبيل العموم لأن الكل عباده .

و لما كان الرب واحدا ، انتج عنه قوله : ﴿ لنآ اعمالنا ﴾ خاصة [بنا لاتعدونا إلى غيرنا - ٢] ﴿ و لكم اعمالكم[1] ﴾ [خاصة بكم - ٢] لاتعدوكم إلى غيركم . لأنه لا داعى لأنا نأخذ عمل بعضنا فنعطيه لغيره ، ٥ لأن ذلك لايفعله إلا ذو غرض ، و هو سبحانه محيط بصفات الكمال ، فهو منزه عن الأغراض . و لما وصل بتمام هذه الجملة فى إزالة الريب و إثبات [الحق - ٢] إلى ما هو كالشمس لثبوت الرسالة بالمعجزات و إعجاز هذا الكتاب و تصادقه مع [3]ما عند[3] أهل الكتاب ، و بيان هاتين المقدمتين اللتين لانزاع بين احد من الخلق فيهما كانت نتيجة ١٠ ذلك : ﴿ لا حجة ﴾ [أى - ٢] موجودة بمحاجة[4] أحد منا لصاحبه ﴿ بيننا و بينكم ﴾ لأن الأمر وصل إلى الانكشاف[5] التام فلا فائدة بعده للحاجة[6] فما بقى إلا المجادلة[7] بالسيوف ، و إدارة كؤس الحتوف[8] ، لأنا نعلم باعلام[9] الله لنا فى كتابه الذى دلنا إعجازه للخلائق على أنه كلامه[10] ،

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فهذا (٢) زيد من ظ و م و مد . (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منه (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمحاجة (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الانكاف (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل . إلى المحاجة (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المجالدة (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الحقوق (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ لا علام (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كلام .

فنحن نسمعه لذلك[1] منه أنا على محض الحق و أنكم على محض الباطل ، و قد أعذرنا إليكم و أوصلناكم ببراهينه إلى المشاهدة [2]فلم يبق إلا[2] السيف عملا بفضيلة الشجاعة .

و لما كان هذا موضع أن يقال : أفما[3] تخافون الله فيمن تقاتلونه

٥ و هم عباده ، أجاب بقوله مظهرا غير مضمر تعظيما [للأمر -[4]] : ﴿ الله ﴾ [أى -[5]] الذى هو أحكم الحاكمين ﴿ يجمع بيننا ج ﴾ أى نحن و أنتم على دين واحد إن أراد فلا يكون قتال ، و فى الآخرة على كل [حال -[4]] " فهو يحكم بيننا[6] "" و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون " فما أقدمنا على القتال إلا عن بصيرة .

١٠ و لما كان الجامع بين ناس قد يكون مآلهم إلى غيره[7] ، بين أن الأمر فيه على غير ذلك ، فقال عاطفا على ما تقدره : فمنه كان المبدأ : ﴿ و إليه ﴾ أى[8] لا إلى غيره من حيث هذا الاسم الجامع لجميع[9] الصفات ﴿ المصير ه ﴾ حسا و معنى لتمام عزته و شمول عظمته [10]و كمال رحمته ، و ما كان فيما[11] بين المبدأ و المعاد من الأمور التى كانت بحيث يظن أنها خارجة

---

(١) من م و مد . و فى الأصل و ظ : مدلك (٢-٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : غير السيف (٣) من ظ و م و مد . و فى الأصل : أفلا (٤) زيد من م و مد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) زيد فى الأصل بينكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من م و مد . و فى الأصل و ظ : عمر (٨) سقط من م و مد (٩) فى م : بجميع (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (١١) من م و مد . و فى الاصل و ظ فيها .

ـ لتصرف[1] الغير فيها[2] ـ إنما كانت ابتلاء [منه ـ[3]] يقيم بها الحجة على العباد / ٦٣٦
على ما يتعارفونه بينهم، و ما كان المتصرف فيها[4] غيره فتصرفهم إنما كان
أمرا طارئا يصحح عليهم المحجة [و يلزمهم الحجة ـ[3]] .

و لما كان التقدير: فالذين رجعوا إليه طوعا فى هذه الدار بعد هذا
البيان و الإظهار، و تركوا الجدال حجتهم ثابتة و لهم الرضا و النعيم المقيم، ٥
عطف عليه قوله مبتدئا بالموصول[5] ليصله بما يفهم التجدد و الاستمرار:
﴿و الذين يحآجون﴾ أى يوردون[6] تشكيكا على دينه الحق من الشبه
ما يسمونه حججا، و لعل الإدغام يشير[7] إلى أن أهل هذا الضرب
منافقون يلقون شبههم فى خفاء [فتشربها ـ[3]] قلوب أمثالهم فتصير
أهوية فيضعف[8] أمرها و يؤيده تقييد الدحوض بما عند الرب[9] ﴿فى الله﴾ ١٠
أى فى دين الملك الأعظم ليعيدوا الناس بعد ما دخلوا فى نور[10] الهدى
إلى ظلام[11] الضلال .

و لما كانت إقامة الحجة و إظهار المعجزة أمرا ملزما لجميع [من بلغه ـ[3]]

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اشرف (٢) زيدت الواو فى الأصل
و ظ و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد،
و فى الأصل و ظ: فيهما (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالموصول .
(٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يودون (٧) من م و مد، و فى الأصل
و ظ: يسموا (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيصحب (٩) من م
و مد، و فى الأصل و ظ: الرحب (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل:
دين (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كلام .

الاستجابة لوصول الأمر إلى حد [من -[1]] البيان سقط معه الجدال، قال معلما أن ما كان فى قوة[2] الوجود يصح أن يطلق عليه أنه موجود، و منبها [بالجار -[1]] على ذم [هذا -[1]] الجـــدال و لو قل زمنه: ﴿ من بعد ما ﴾ و لما كان المقصود مطلق[3] الاستجابة لامن مجيب معين قال:
٥ ﴿ استجيب له ﴾ أى استجاب له الرسول صلى الله عليه و سلم، و صار الناس كلهم[4] بما يبين لهم مستجيبين بالقوة و إن لم يستجيبوا بالفعل، فان الأمر قد ظهر[5] غاية الظهور، و لم يبق إلا العناد، فهذه الجملة هى المراد و الثمرة من قوله " لاحجة بيننا و بينكم ".

و لما كان من خالف ظاهره[6] باطنه ضعيف [الحجة -[1]] هلهل
١٠ النسج، قال معبرا [7]بمبتدا ثان[7] مفردا للحجة إشارة إلى ضعفها: ﴿ حجتهم ﴾ أى التى زعموها حجة، و أخبر عن هذا المبتدأ الثانى ليكون هو [و -[1]] خبره خبرا عن الأول فقال: ﴿ داحضة ﴾ أى زالقة فهى ذاهبة غير ثابتة لأجل أنها فى معارضة ما ظهوره كالشمس بل أجلى، و[8] العبارة[9]

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قود (٣) زيد فى الأصل: الاجابة و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل و ظ: أى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صار فى (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ظهره - (٧-٧) من م و مد، و فى الاصل و ظ: مبتديا (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ثم (٩) من ظ و م و مد، و فى الاصل: الاشاره.

لفت إلى صفة[١] الإحسان و العندية[٢] إشارة إلى شدة ظهور ما فى حجتهم من الدحوض لأن "عند" للأمور[٣] الظاهرة المألوفة ، و صفة التربية للعطف و الرفق ، و الإضافة إلى ضميرهم[٤] تقتضى مزيد لطف و عطف ، فهو إشارة إلى أنها هباء منثور عند تدقيق النظر و لاسيما إذا كان بصفة عزة [٥]و قهر و غضب[٥] ، فالمعنى ان دحوضها[٦] ظاهر جـــدا و لو عوملوا ٥ بصفة الإحسان [و - ٧] لو خصوا بمزيد عطف و بر ، فأين[٨] هذا مما [لو - ٧] قيل "لدى عليم قدير" فانه يفهم أن دحوضها لايدركه إلا بليغ العلم تام القدرة ، و هو مع ذلك غريب فيصير فيه نوع مدح[٩] لحجتهم فى الجملة : ﴿ عند ربهم ﴾ اى المحسن إليهم بافاضة العقل الذى جعلهم به فى أحسن تقويم ، فمهما جردوه[١٠] عن الهوى ، دلهم على أن ١٠ جميع ما كانوا فيه باطل ، و فيه إشارة إلى أن أدنى ما يعذبهم به قطع إحسانه عنهم ، و أنه يظهر بطلان ما سموه حجة لكل عاقل فيورثهم الخزى[١١] فى الدنيا و العذاب فى الآخرى[١٢] على أن قطع إحسانه هو عند

(١) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : جهة (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العبديه (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الامور (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ضمير (٥ - ٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فهم .
(٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دخولها (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فايد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مديح (١٠) من م و مد ، و فى الأصل : و ظ : جودوه (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الجزاه (١٢) من م و مـد ، و فى الأصل و ظ : الآخرة .

التأمل اعلى العذاب ﴿ وعليهم ﴾ زيادة على قطع الإحسان ﴿غضب﴾ أى عقوبة تليق بحالهم المذموم [و وصفهم المذؤم - [1]] و منه الطرد، فهم مطرودون عن بابه، مبعودون عن جنابه، مهانون بحجابه . و لما أفهم التعبير بـ" على" ذمهم / باستعلاء [2]النقم عليهم[2] لم يشكل التعبير باللام، بل /٦٣٧ كان مفهما [3] التهكم و الملام فقال: ﴿ولهم﴾ اى [4] مع ذلك ﴿عذاب شديد ه﴾ لا تصلون إلى إدراك حقيقة وصفه، و الآية مشيرة إلى الانتصار على أهل الردة و ضربهم بكل شدة لسوء منزلتهم عنده [5] كما كشف عنه الحال عند ندب الصديق إليهم بالقتال رضى الله عنه و أرضاه .

[و - [6]] لما جزم سبحانه بما توعدهم به بعد أن حكم على حجتهم بالدحوض، و كان لا يجزم بالشيء إلا من كان نافذ الأمر محيط الحكم، نبه على أنه كذلك [7]، مبينا ما به يعرف ثبات الحجج و دحوضها المستلزم للغضب من الله [8] المستعقب للعذاب، بقوله لافتا القول إلى الاسم الأعظم تنبيها على عظمة المخبر عنه: ﴿ الله ﴾ أى الذى له جميع الملك ﴿ الذىٓ ﴾ و أشار بالتعبير بالإنزال إلى أن المراد جملة الكتاب الذى لا مطعن فى شيء منه فقال: ﴿انزل الكتٰب﴾ أى أوجد إنزاله [9]هو لا [9] غيره ﴿ بالحق ﴾ أى متلبسا

(١) زيد من م و مد (٢ - ٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : النعم . (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : معها (٤) سقط من م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : عندهم (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى م : لذلك (٨) فى م و مد : الاله (٩ - ٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : مولا .

على أكمل الوجوه بالأمر الثابت الذى لا يبدل و بسبب[1] العمل الحق العام للأقوال و الأفعال و العقائد لتعرف الحجج الثابتة من غيرها .

و لما كان الكتاب آمرا بالعدل قالا[2] و حالا ، و كان من محسوسات أوامره التقدير بالمقادير الظابطة ، قال مخصصا معبرا بأقومها[3] إشارة إلى أن الكتاب أعدل عدالة عند[4] العقل و أبين[4] من الميزان للحس : ﴿و الميزان[5]﴾ أى الأمر به مريدا به عينه حقيقة و جميعها بل جميع العدل الذى تقدم فى "لاعدل بينكم" مجازا . و لما ثبت أن من جادل فيه كانت حجته داحضة إذا حوسب فى[5] الساعة فكان معذبا ، و كان التقدير بما هدى[6] إليه السياق تسلية له صلى الله عليه و سلم فيما يقاسى فى إنفاذ ما أمر به من العدل فى جميع أقواله و أفعاله و صبره على أذاهم : فمن فزع إلى الكتاب فى المعانى و إلى الميزان فى الأعيان فبنى[7] أمره على تحقق العدل فيهما بهما[8] فاز ، و من أهمل ذلك خاب ، فدحضت حجته ، و سقطت عند ربه منزلته ، و ما يدريك لعل من جار يعاجل فى الدنيا بالأخذ لكون أجله الذى سبقت الكلمة بتأخيره إليه قد حضر ، عطف[9] عليه قوله[9] موجها الخطاب إلى أعلى الخلق تعظيما للأمر : ﴿و ما يدريك﴾

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نسبب (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مالا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : باونها (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : القطع و اسن (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اهدى (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فبين (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بها (٩-٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قوله اليه .

[1] يا أكمل الخلق ﴿ لعل الساعة ﴾ التى اشير إليها فى هذه الآية بقوله "عند ربهم" بعد أن صرح بها فى غير آية . و لما كان تأنيث الساعة غير حقيقى لأنها بمعنى الوقت، ذكرها فقال : ﴿ قريب ۝ ﴾ فأفهم ذلك أنها ذات شدائد و ان شدائدها ذكور الشدائد و أن قربها اسرع من
٥ لمع البرق لما له من الثبات فى الحق ، أو ذكرها على إرادة السبب اى ذات قرب ، أو [على -[2]] حذف مضاف أى مجيئها[3] ، و على كل حال فهو دال على تفخيمها[4] أى إنك بمظنة من قرب القيامة ، فيقع بهم ما توعدوا به مما ينبغى الإشفاق منه ، فيظهر فيها العدل بموازين القسط لجميع[5] الأعمال ظهورا لا يتمارى[6] فيه احد فيشرف[7] من و فى ، و يخزى[8]
١٠ من جار و جفا[9] .

و لما تصور بهذا قربها[10] مشارا بالتعبير بلعل إلى[11] ان حال المستعجل بها حال المترجى لشىء محبوب و هو جهل منه عظيم ، شرع فى تفصيل الناس فى أمرها فقال مشيرا إلى أنه ينبغى للعاقل / الاستعداد لها للخلاص فى وقتها لظهور دلائلها[12] من غير بحث عن قربها أو بعدها ، فانه لابد

/ ٦٣٨

---

(١) زيد فى ظ : اى (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حجتها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعجبها (٥) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : بجميع (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لايتمادى . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فليبشر (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يخوف (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : خفى (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قريبا (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : أى (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ويليها .

من كونها ﴿ يستعجل بها ﴾ اى يطلب أن تكون قبل الوقت المضروب لها ﴿ الذين لايؤمنون بهاج ﴾ أى لايتجدد[1] لهم ذلك أصلا و هم غير مشفقين منها و يظنون انها الباطل ، و كان الحال يقتضى أن يكونوا أنفر الناس منها لكن حملهم[2] على ذلك تكذيبهم بها و استهزاءهم و ظنهم عدم كونها جهلا ممن[3] هم معترفون بقدرته و علوه و عظمته . ٥

و لما دل على جهل الكافرين ، دل على علم أضدادهم فقال : ﴿ و الذين امنوا ﴾ و إن كانوا فى أول درجات الإيمان ﴿ مشفقون ﴾ اى خائفون[4] خوفا عظيما ﴿ منها لا ﴾ لأن الله هداهم بإيمانهم ، فصارت صدورهم معادن المعارف ، و قلوبهم منابع الأنوار ، فأيقنوا بما فيها من الأهوال [الكبار -[5]] ، فخافوا للطافتهم أن يكونوا مع صلاحهم من أهل النار . ١٠
و لما قدم الإشفاق تنبيها على أن العاقل ينبغى أن يخشى ما يمكن وقوعه ، قال : ﴿ و يعلمون انها الحق ط ﴾ إعلاما بأنهم على بصيرة من أمرها ، فهم لايستعجلون بها ، فالآية من الاحتباك : ذكر الاستعجال أولا دليلا على حذف ضده ثانيا ، و الإشفاق ثانيا دليلا على حذف ضده أولا ، قال ابن كثير[6] : و قد روى من طرق[7] تبلغ درجة التواتر فى الصحاح ١٥ و الحسان [8]و السنن[8] و المسانيد أن رجلا سأل رسول الله عليه و سلم

(١) فى ظ و م : لايجدد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جهلهم (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يخافون (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) راجع من تفسيره ١١٠/٤ (٧) من مد والتفسير ، و فى الأصل و ظ و م : طريق (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م .

[بصوت جهوری وهو فی بعض أسفاره فناداه : یا محمد ، فقال له النبی صلی الله علیه و سلم -[1]] [2]بنحو من[2] صوته "هاوم[3]" فقال : متی الساعة ؟ فقال رسول الله صلی الله علیهم و سلم : ویحك إنها كائنة[4] فما أعددت لها ؟ فقال : حب الله و رسوله ، فقال : أنت مع من احببت . قال ابن كثیر : فقوله

٥ فی الحدیث " المرء مع من أحب " متواتر[5] لامحالة ، و الغرض أنه لم یجبه عن وقت الساعة ، بل أمره بالاستعداد لها -[انتهی -[6]] ، و هو مشروط بالبراءة من [7]أعداء الله[7] بدلیل قصة أبی طالب فانه لم ینفعه حب الولی نفعا تاما بدون البراءة من العدو .

و لما أعلم بتعریف الحق أنها ثابتة [8]ثباتا كاملا[8] لاانقضاء له أصلا

١٠ و لا زوال لآثارها[9]، أنتج قوله مؤكدا معظما[10] فی مقابلة [إنكارهم -[6]] : ﴿ الآ ان الذین یمارون ﴾ أی یظهرون شكهم فی معرض اللجاجة الشدیدة طلبا لظهور شك غیرهم من : مریت الناقة - إذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لتستخرج ما عساه یكون فیها من اللبن ﴿ فی الساعة ﴾ أی القیامة و ما تحتوی علیه ﴿ لفی ضلٰل ﴾ ای ذهاب جائر عن الحق

(١) زید من م ومد والتفسیر (٢ - ٢) من م ومد، وفی الأصل وظ : من نحو، وفی التفسیر : نحو (٣) من ظ و م و مد و التفسیر ، و فی الأصل : ماذم (٤) من م ومد والتفسیر، وفی الأصل وظ : بانیة (٥) من م ومد و التفسیر ، وفی الأصل و ظ : متواترا (٦) زید من م و مد (٧-٧) من ظ و م ومد ، و فی الأصل : العدال له (٨-٨) من م و مد ، و فی الأصل و ظ : كلاما (٩) من م و مد وفی الأصل وظ : الاثار بما (١٠) من م و مد ، و فی الأصل و ظ : حظها .

﴿ بعيد ه ﴾ جدا عن الصواب ، فان لها من الأدلة الظاهرة فى العقل المؤيد بجازم النقل ما ألحقـها حال غيابها بالمحسوسات[1] لو كشف[2] الغطاء ما ازددت يقينا .

و لما كان حاصل أمر الفريقين أنه[3] أظهر خوف الكافرين فى غاية الأمن و أبطن أمن[4] المؤمنين فى ازعج [خوف -[5]]، و كان هذا عين ٥ اللطف ، فانه الوصول إلى الشيء بضده ، و يطلق على إيصال البر إلى الخلق على وجه يدق إدراكه ، و كان أكثر ما يطيق بالإنسان فى أمر الدين اهتمامه بالرزق ، انتج ذلك قوله : ﴿ الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فهو[6] يفعل ما يريد ﴿ لطيف ﴾ أى بالغ فى العلم و إيقاع الإحسان بايصال المنافع ، و صرف المضار على وجه يلطف إدراكه ، قال القشيرى : ١٠ اللطيف العالم بدقائق الأمور و غوامضها و هو الملطف[7] المحسن و كلاهما فى صفته سبحانه صحيح ، [و أكثر -[5]] ما يستعمل اللطف فى وصفه بالإحسان فى الأمور الدينية ، و قال الرازى فى اللوامع : هو اسم مركب من علم و رحمة و رفق خفى ﴿بعباده﴾ - انتهى . أما بالمؤمن فواضح ، / و أما الكافر فأقل لطفه به أنه لايعاجله فى الدنيا و لا يعذبه[8] فوق ما ١٥ / ٦٣٩

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى المحسوسات (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كشفت (٣) من م و مد ، و فى الأصل : كانه (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : امر (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فهل (٧) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : الطف (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لايعرفه .

[يستحق -[1]] فى الآخرى، فالاسم [الأول - [1]] تخويف و الثانى ترجيه ظاهرة باطنها تخويف، إشارة إلى ما ينبغى من الخوف و الرجاء، و ان يكون الخوف اغلب .

و لما كان اظهر ما يكون هذا الوصف فى الرزق، فانه يوسع ٥ على من لاحيلة له، و يحرم من هو فى غاية القوة[2] و القدرة، و يرفع الضعيف الجبان و يخفض القوى الشجاع، و كل دلك على حسب ما يعلم من بواطنهم و يريد من اعمالهم، قال دالا على ذلك استئنافا لمن[3] سأل عن كيفية[4] اللطف : ﴿ يرزق من يشآء ج ﴾ مهما شاء على سبيل من السعة او[5] الضيق او التوسط لامانع له من شيء من ذلك، و يمنع الرزق عمن ١٠ يشاء إذا علم فراغ اجله فيتوفاه إليه فاجهدوا أنفسكم [6]فى طلب[6] مرضاته، و لا تلتفتوا [7]إلى الخوف[7] من الحاجة فانه [8]قد فرغ[8] من تقدير[9] الرزق و نهى عن المبالغة فى طلبه .

و لما كان ذلك لايستطيعه أحد سواه لما يحتاج إليه من القوة الكاملة و العزة الشاملة [قال -[1]] : ﴿ و هو القوى ﴾ [أى - [1]]

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل وظ : العقل، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : كان كانه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : كيف (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ «و» (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لطلب : (٧-٧) من م و مد، و فى الاصل و ظ : للخوف (٨-٨) من ظ وم و مد، و فى الأصل : فرق (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ : تقرير .

فلا

فلا يضيق عطاؤه بشيء ﴿العزيز ع﴾ فلا يقدر أحد ان يمنعه [عن شيء -[1]] .

و لما بين بهذا ان الرزق ليس إلا في يده، أتبعه ما يزهد في طلب رزق البدن، و يرغب في رزق الروح فقال على سبيل الاستئناف جوابا لمن يسأل: هل يكون الرزق بشدة السعي أو لا، و بدأ برزق الروح لشرفه: ﴿من كان﴾ أي من شريف أو دنيء ﴿يريد﴾ و لما كان مدار ٥ مقصد السورة على الدين، و كان الدين معاملة بين العبد و ربه يقصد به ما يقصد بالحرث [من حصول الفائدة، و كان الحرث من أجل أسباب المكاسب، و كانت الجنة قيعانا غراسها ذكر الله، عبر عن مطلق الكسب بالحرث -[2]] فقال: ﴿حرث الاخرة﴾ أي أعمالها التي تستنمي بها الفوائد . و لما كانت أسباب الحروث و ثمراتها لا يقدر على تعطيلها ١٠ و إنجاحها إلا الله، و كان الآدمي يظن لنفسه في ذلك قدرة، نبه سبحانه بالالتفات إلى أسلوب العظمة ان أمره سبحانه في ذلك لا يستطاع دفاعه و لا ممانعته و نزاعه[3]: ﴿نزد له﴾ [أي بعظمتنا التي لا يقدر أحد على تحويلها -[2]] ﴿في حرثه ج﴾ بأن يعينه على الأعمال الصالحة بانارة القلب و تصفية الحال و تهدئة[4] السر و نفوذ البصر فيما يضر و ينفع ١٥ و يضاعف[5] له ثوابها[6] من العشر لكل حسنة إلى ما لا نهاية له و يعطيه من الدنيا التي أعرض عنها ما قدر له إعانة له[7] على ما أقبل عليه من

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: شرعه (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: تهدير (٥) في ظ و مد: لضعف (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ثوابه (٧) سقط من م.

الآخرة. و طوى ذكر الدنيا فى هذا الشق تنبيها على أنها[1] أحقر من [2]أن تذكر[2] مع أنه معلوم من آيات أخر ﴿ و من كان ﴾ أى من [3]قوى أو[3] ضعيف ﴿ يريد حرث الدنيا ﴾ أى أرزاقها التى تطلب [4]بالكد والسعى[4] و يستمى به[5] مكتفيا به مؤثرا [له - [6]] على الآخرة ٥ ﴿نؤته منها﴾ ما[7] قسمناه له، و لو تهاون به و لم يطلبه لآتاه، و لا ينال كل ما يتمناه و لوجهد كل الجهد، و أما الآخرة فكل ما نواه طالبها من أعمالها حصل له و إن لم يعمله ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أن طالب الدنيا ما ﴿ له فى الآخرة من نصيب ۝ ﴾ أصلا. روى أبى بن كعب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: " بشر هذه الأمة ١٠ بالسنا و الرفعة و النصرة و التمكين[8] فى الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب" رواه أحمد[9] و ابن حبان[10] فى صحيحه[11] و الحاكم - و قال: صحيح الإسناد - و البيهقى، و ذلك لأن الأعمال بالنيات، و إنما لكل امرئ ما نوى، و هذا تهاون بها فلم ينوها و هى أشرف من [أن - [6]] تقبل على من أعرض عنها [فانها - [6]]

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انه (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الذكر (٣-٣) من ظ وم و مد، و فى الأصل: كان (٤-٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالسعى و الكد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بها (٦) زيد من م و مد (٧) فى م: مما (٨) من ظ و مد و المسند، و فى الأصل و م: التمكن (٩) راجع المسند ٥ / ١٣٤ (١٠) من م و مد، و فى الأصل وظ: حسان (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تصحيحه.

ضرة الدنيا [و ضدها -[1]]، فالدنيا لخساستها تقبل على من اعرض عنها و تبعد[2] عمن / أقبل عليها حتى تهلكه فى مهاويها، و الآخرة تقبل على من أقبل عليها أضعاف إقباله[3]، و تنادى من أدبر عنها لينتهى عن غيه وضلاله، قال الرازى فى اللوامع: أهل الإرادة على أصناف: مريد للدنيا[4] و مريد للآخرة[5] و مريد للحق جل و علا، و علامة إرادة الدنيا أن يرضى فى زيادة دنياه بنقص دينه و الإعراض عن فقراء[6] المسلمين و أن تكون حاجاته فى الدعاء مقصورة على الدنيا، و علامة إرادة الآخرة بعكس ذلك[7]، و أما علامة إرادة الله سبحانه و تعالى كما قال[8] " و يريدون وجهه " طرح الكونين و الحرية عن الخلق[9] و الخلاص من[9] يد النفس - انتهى، و حاصله أن يستغرق أوقاته فى التوفية بحقوق الحق و حقوق الخلق و تزكية [النفس - [1]] لاطمعا فى جنة و لا خوفا من نار[10]، بل امتثالا لأمر الملك الأعلى [11] الذى لا إله غيره[11] لأنه أهل لذلك مع اعترافه بأنه لن[12] يقدر الله حق قدره.

/ ٦٤٠

٥

١٠

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تعرض (٣) من م ومد، وفى لأصل وظ: اقبال (٤) من م و مد، و فى الأصل وظ: الدنيا. (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الآخرة (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فقهاء (٧) زيد فى الأصل: و الله اعلم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل: عز من قايل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩ - ٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاخلاص (١٠) من م و مد، وفى الأصل وظ: النار (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من م و مد. (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا.

و لما تقرر ما شرع من الدين مما وصى به[1] جميع النبيين فبانت اصوله
و اتضحت فروعه و فصوله ، و ظهرت غرائبه و اشرقت فرائده و آياته ،
و ختم بالقانون الأعظم في[2] أمر الدارين مما [3]هو مشاهد[3] و لا يقدر
عليه غيره ، فكان التقدير من غير خفاء: هذا شرع الله الذى ارتضاه
٥ لعباده و حكم بأن الإقبال عليه غير ضار بطلب الرزق ، قدر الأرزاق
فلا قدرة لأحد[4] أن يزيد في رزقه شيئا ، و لا ان ينقص منه شيئا ،
اقبلوه ؟ عادل ذلك بقوله تعالى مقررا[5] موبخا منبها على ما هو الأصل
في الضلال عن قوانينه المحررة و شرائعه الثابتة المقررة : ﴿ ام لهم ﴾ اى
لهؤلاء الذين يروغون يمينا و شمالا ﴿ شركـٰوا ﴾ على زعمهم شاركوا
١٠ الشارع الذى مضى بيان عزته و ظهور جلاله و عظمته في أمره
حتى ﴿ شرعوا ﴾ اى الشركاء الذين طرقوا و نهجوا[6] ﴿ لهم ﴾ أى للكفار ،
و يجوز أن يكون المعنى : شرع الكفار لشركائهم ﴿ من الدين ﴾ في العبادات
و العادات التى تقرر في الأذهان أنه لابد من الجزاء عليها لما[7] جرت به
عوائدهم من محاسبة من تحت أيديهم و قدروا لهم من الأرزاق . و عدل
١٥ عن اسلوب العظمة إلى الاسم الأعظم إشارة إلى ما فيه مع[8] العظمة

(١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : بها (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : من (٣ - ٣) من ظ و م و مد ، و في الاصل : يشاهد (٤) من ظ و م و مد ، و في الاصل : احد (٥) من ظ و م و مد ، و في الاصل : معورا . (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : هيوا (٧) من م و مد ، و في الاصل و ظ : كما (٨) من م و مد ، و في الأصل و ظ : من .

من

من الإكرام الذى من جملته الحلم المقتضى لعدم معاجلتهم بالأخذ فقال تعالى : ﴿ ما لم يأذن به الله ﴾ أى يمكن العباد منه بأمرهم به و تقريرهم عليه الملك الذى لا أمر لأحد معه ، و قد محقت[1] صفاته كل صفة و تضائل عندها كل عظمة ، فأقبلوا عليه دون غيره لكونه معتدا به ، فإن كان كذلك فليسعد من أقبل على الدنيا التى هى محط أمرهم ٥ فلا يعرفون غيرها بأن يعطوه[2] جميع [3]مراده و يشقوا[3] من أراد الآخرة و سعى لها سعيها ، و نسب الشرع إلى الأوثان لأنها سببه كما كانت سبب الضلال فى قوله سبحانه و تعالى حكاية عن إبراهيم خليله[4] عليه الصلاة ٦٤١ / و السلام " رب انهن اضللن كثيرا من الناس " و يضاف الشركاء إليهم تارة لأنهم متخذوها [5]و تارة[5] إلى الله تعالى لأنهم [6]أشركوهم به[6] ، و العبارة ١٠ تأتى بحسب المقام .

و لما علم قطعا أن التقدير : فلولا ان هذه الأفعال التى يفعلونها من غير إذن منه لاتنقص من ملكه سبحانه شيئا ، و لاتضر إلا فاعلها مع أنها بإرادته ، فكانت لمنعهم عنها لم[7] يصلوا إلى شىء منها ، عطف عليه قوله تعالى : ﴿ و لو لا كلمة الفصل ﴾ التى سبق فى الأزل أنها لا تكون[8] ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : محت (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعطون (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مرادهم و يسعوا . (٤) ليس فى م و مد (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تارته . (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اشركوه (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلا (٨) زيد فى الأصل : الاهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و لما كان أمرهم هيناً، بنى الفعل للمفعول، فقال: ﴿لقضى بينهم﴾ اى بين الذين[1] امتثلوا أمره فالتزموا شرعه و بين الذين [اتبعوا - [2]] ما شرعوه لمن سموهم شركاء فى أقرب وقت[3] و لكنه [قد - [4]] سبق القضاء فى [أزل - [4]] الأزل بمقادير الأشياء و تحديدها على وجوه الحكمة، ٥ فهى تجرى على ما حد لها لا تقدم لشئ[5] منها و لا تأخر و لا تبدل و لا تغير، و ستنكشف لكم الأمور و تظهر مخآت[6] المقدور فلا يقع الفصل إلا فى الآخرة كما سبق به القضاء بأن يكون للقسطين نعيم مقيم.

و لما كانوا ينكرون أن يقع بهم عذاب، قال[7] مؤكدا عطفا[8] على ما قدرته بما[9] أرشد إليه السياق: ﴿و ان الظلمين﴾ بشرع ما لم يأذن ١٠ به الله من الشرك وغيره ﴿لهم عذاب اليم﴾ أى مؤلم بليغ إيلامه.

و لما علم من هذا السياق كما ترى أنه لابد من الفصل، و أن الفصل لا يكون إلا يوم القيامة، قال شارحا للفصل بين الفريقين فى ذلك اليوم[10] مقبلا على خطاب اعلى الخلق إشارة إلى أن هذا لايفهمه حق ١٥ الفهم و يوقن به حق الإيقان غيره صلى الله عليه و سلم، أو يكون المراد

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الذى (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣) من م و مد، و فى الاصل و ظ: وقته (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و فى الاصل و ظ: شيء (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: محاتت (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فقال (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عاطفا (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما (١٠) سقط من م.

كل من يصح أن يخاطب إشارة إلى أن الأمر في الوضوح بحيث لايختص به احد دون أحد فقال : ﴿ ترى ﴾ أى فى ذلك اليوم الذى لايشك فيه عاقل لما له من الأدلة الفطرية الأولية و العقلية و النقلية ﴿ الظلمين ﴾ اى الواضعين الأشياء فى غير مواضعها ﴿ مشفقين ﴾ أى خائفين اشد الخوف كما هو حال من يحاسبه من هو أعلى منه و هو مقصر . و لما ٥ كان الكلام فى الذين ظلمهم صفة راسخة لهم ، كان من المعلوم أن كل عملهم عليهم ، فلذلك عبر بفعل الكسب مجردا فقال : ﴿ مما كسبوا ﴾ أي عملوا معتقدين انه غاية ما ينفعهم ﴿ و هو ﴾ اى جزاؤه و وباله الذي هو من جنسه حتى كأنه[1] هو ﴿ واقع بهم ﴾ لامحالة من غير أن يزيدهم خوفهم إلا عذابا فى غمرات النيران ، ذلك هو الخسران المبين ، ١٠ ذلك الذى ينذر به [الذين ظلموا -[2]] ﴿ و الذين ءامنوا ﴾ [3]يصح أن يكون معطوفا على مفعول "ترى" و أن يكون معطوفا على جميع الجملة فيكون مبتدأ ﴿ و عملوا الصلحت ﴾ و هى التى أذن الله فيها [غير -[4]] خائفين مما كسبوا لأنهم [5]مأذون لهم[5] فى فعله و هو مغفور[6] لهم ما فرطوا فيه ﴿ فى روضت الجنت ﴾ أى فى الدنيا بما[7] يلذذهم الله[8] /به من لذائذ ١٥ / ٦٤٢

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كانه (٢) زيد من م و مد (٣) زيد فى الأصل و ظ : و الذين ءامنوا ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ماذونون بهم . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمقصور (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مما (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انه .

الأقوال و الأعمال و المعارف و الأحوال، فى الآخرة حقيقة بلازوال ﴿ لهم ما يشآءون ﴾ أى دائما أبدا كائن[1] ذلك لكونه فى غاية الحفظ و التربية و التنبيه على[2] مثل هذا الحفظ لفت القول إلى صفة الإحسان، فقال: ﴿ عند ربهم ﴾ اى الذى لم يوصلهم إلى هذا الثواب العظيم إلا ٥ حسن تربيته لهم، و لطف بره بهم على حسب ما رباهم.

و لما ذكر مالهم من الجزاء عظمه فقال: ﴿ ذلك ﴾ [أى - [3]] الجزاء العظيم الرتبة الجليل القدر ﴿ هو ﴾ لا غيره ﴿ الفضل ﴾ [أى -[4]] الذى هو أهل لأن يكون فاضلا عن كفاية صاحبه، و لو بالغ فى الإنفاق ﴿ الكبير ﴾ الذى ملأ جميع جهات الحاجة و صغر عنده كل ما ناله ١٠ غيرهم من هذا الحطام، فالآية كما ترى من الاحتباك: أثبت الإشفاق أولا دليلا على حذف الأمن ثانيا، و الجنات ثانيا دليلا على حذف النيران أولا.

و لما ذكر محالهم و مآلهم فيه، بين دوامه زيادة فى تعظيمه فقال مبتدئا: ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من الجنة و نعيمها، و أخبر عن ١٥ المبتدإ بقوله: ﴿ الذى يبشر ﴾ أى مطلق بشارة عند من خفف و بشارة[5] كثيرة عند من ثقل، و [6]زاد البشارة عظما[6] بالاسم الأعظم، فقال لافتا القول إليه: ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم و العائد و هو " به " محذوف

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كاينا (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عن (٣) زيد من م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عنه فكل (٦ - ٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: راده بشارة.

تفحيلا

تفخيما للبشر به لأن السياق لتعظيمه بالبشارة و بجعلها بأداة البعد و بالوصف بالذي[1]، و ذكر الاسم الأعظم و التعبير بلفظ العباد مع الإضافة إلى ضميره سبحانه فأفهم حذفه أن الفعل واقع عليه واصل[2] بغير واسطة إليه، فصار كأنه مذكور [و - [3]] ظاهر و منظور فقال: ﴿ عباده ﴾ و من المعلوم ان كل أحد يعظم من اختصه لعبوديته . ٥

و لما أشعر بالإضافة اصلاحهم، نص عليه بقوله: ﴿ الذين ءامنوا ﴾ أي صدقوا بالغيب ﴿ وعملوا ﴾ تحقيقا لإيمانهم ﴿ الصّٰلحٰت[4] ﴾، و ذلك الذي مضى قبله الذي ينذر به الذين كفروا . و لما كانت العادة جارية بان البشير لا بد له من حباء و إن لم يسأل[4] لأن بشارته قائمة مقام السؤال، قال كعب بن مالك رضى الله[5] عنه: لما أذن الله بتوبته علينا ركض نحوى[6] ١٠ راكض على فرس و سعى ساع على رجليه[6] فأوفى على جبل سلع[7] و نادى: يا كعب بن مالك أبشر، فقد تاب الله عليك، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته خلعت[8] له ثوبي، فدفعتهما إليه، و الله ما أملك يومئذ غيرهما، و استعرت ثوبين فلبستهما - إلى آخر حديثه، كان كأنه قيل: ما ذا تطلب على هذه البشارة، فأمر ١٥

---

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: بالذكر (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: وصل (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: لم يسد (٥) ذكره البخاري في أبواب المغازي و مسلم في التوبة من صحيحيهما. (٦-٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: نحو (٧) من ظ و مد، و في الأصل و ظ: يبلغ (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل حلقت.

بالجواب بقوله : ﴿ قل ﴾ أى لمن توهم فيك[1] ما جرت به عادة المبشرين : ﴿ لآ اسئلكم ﴾ أى الآن و لا فى مستقبل الزمان ﴿ عليه ﴾ أى البلاغ بشارة و نذارة ﴿ اجرا ﴾ أى و إن قل ﴿ الا ﴾ أى لكن اسألكم ﴿ المودة ﴾ أى المحبة العظيمة الواسعة .

٥ و لما كانوا يثابرون على صلة الأرحام و إن بعدت و الأنساب لذلك[2] قال : ﴿ فى القربى ﴾ أى مظروفة فيها بحيث يكون القربى موضعا للودة و ظرفا لها ، لايخرج شيء من محبتكم عنها ، فانها بها يتم أمر الدين و يكمل الاجتماع فيه ، فانكم إذا وصلتم ما بيني و بينكم من الرحم لم تكذبوني بالباطل ، ولم تردوا ما جئتكم به من سعادة الدارين ، فأفلحتم

١٠ كل الفلاح و دامت[3] الألفة بيننا حتى نموت ثم ندخل الجنة فتستمر ألفتنا دائما أبدا ، / و قد شمل ذلك جميع القرابات[4] و لم يكن[5] بطن من قريش إلا و له صلى الله عليه و سلم فيهم قرابة ، رواه البخارى [عن -[6]] ابن عباس رضى الله عنهما[7] و قال : إلا أن تصلوا [ما -[8]] بيني و بينكم من القرابة ، و روى البخارى عن سعيد بن جبير[1] : إلا أن تودوني[9] فى قرابتي

/ ٦٦٣

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قبل (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كذلك (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امت (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القربان (٥) زيد فى الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد من م و مد (٧) راجع صحيح البخارى ٢ / ٧١٣ - أبواب التفسير (٨) زيد من م و مد و الصحيح (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تودولي .

أي[1] تبروهم و تحسنوا إليهم، قال ابن كثير[2]: و قال السدي: لما جيء بعلي ابن الحسين أسيرا فأقيم على درج دمشق قام[3] رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم[4] و استأصلكم و قطع قرن الفتنة، فقال له علي: أقرأت القرآن؟ قال: [نعم قال: ما -[5]] قرأت " قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى " قال: و إنكم لأنتم هم، قال: نعم[6]، و عن العباس ٥ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! إن قريشا إذا لقي بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن و إذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها، فغضب النبي صلى الله عليه و سلم غضبا شديدا و قال: و الذي نفسي بيده لايدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله[7] و رسوله، و عنه أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال[8]: إنا لنخرج فنرى قريشا تحدث، فاذا رأونا[9] سكتوا، ١٠ فغضب رسول الله صلى الله عليه و سلم و در عرق بين عينيه، ثم قال: و الله لايدخل قلب امرئ [مسلم -[10]] إيمان حتى يحبكم لله[11] و لقرابتي. و عبر في المنقطع بأداة الاستثناء إعراقا في النفي بالإعلام بأنه لا يستثنى أجر أصلا إلا هذه المودة إن قدر[12] أحد أنها تكون أجرا، و يجوز ان تكون

---

(١) من م ومد، و في الأصل وظ: او (٢) في التفسير ٤/١١٢ (٣) من ظ وم ومد و التفسير، و في الأصل: نقام (٤) من ظ و م و مد و التفسير، و في الأصل: نتلكم (٥) زيد من م ومد والتفسير (٦) من ظ وم ومد و التفسير، وفي الأصل: هم (٧-٧) من م ومد و التفسير، وفي الأصل وظ: يحب الله. (٨) من ظ و م و مد و التفسير، و في الأصل: قال (٩) من ظ و م و مد و التفسير، و في الأصل: راينا (١٠) زيد من ظ و م ومد و التفسير (١١) من ظ وم و مد و التفسير، و في الأصل: الله (١٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: قد.

«إلا» بمعنى «غير» فيكون من باب:

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن[1] فلول من قراع الكتائب

فمن كان بينه و بين أحد من المسلمين قرابة فهو مسؤل أن يراقب الله في قرابته تلك، فيصل صاحبها بكل ما تصل قدرته إليه[2] من جميع ما أمره الله به من ثواب أو عقاب، فكيف بقرابة النبي صلى الله عليه و سلم فانه قد قال صلى الله عليه و سلم فيما رواه الطبراني[1] و أبو نعيم في الحلية عن أبي ذر رضي الله عنه "مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح عليه الصلاة و السلام، من ركب فيها نجا، و من تخلف عنها هلك" و قال فيما رواه في الفردوس[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما: أصحابي بمنزلة النجوم [في السماء -[3]] بأيهم اقتديتم اهتديتم. قال الأصبهاني: و نحن الآن [في -[4]] بحر التكليف محتاجون إلى السفينة الصحيحة و النجوم الزاهرة، فالسفينة حب الآل، و النجوم حب الصحب، فنرجو[5] من الله السلامة و السعادة بحبهم في الدنيا و الآخرة -[6] و الله أعلم[6].

و لما كان التقدير حتما: فمن يقترف سيئة فعليه وزرها، و لكنه طوى لأن المقام للبشارة كما يدل عليه ختم الآية مع سابقه، عطف عليه قوله: ﴿و من يقترف﴾ أي يكسب و يخالط و يعمل بجد و اجتهاد و تعمد و علاج ﴿حسنة﴾ [أي -[4]] و لو صغرت، و صرف القول

---

(١) راجع مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٦٨ (٢) راجع تلخيصه (خ) ص:

(٣) زيد من م و مد والتلخيص (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، وفي الأصل و ظ: فتزودوا (٦-٦) ليس ما بين الرقمين في ظ و م و مد

إلى

إلى مظهر العظمة [إشارة إلى أنه لايزيد فى الإحسان إلا العظماء، و إلى أن الإحسان قد يكون سببا لعظمة -[1]] المحسن فقال: ﴿ نزد ﴾ على عظمتنا ﴿ له فيها حسنا ﴾ بما لايدخل تحت الوهم، و من الزيادة أن يكون له مثل أجر من اقتدى به [فيها -[2]] إلى يوم القيامة لاينقص / من أجورهم شيئا، و هذا من أجر الرسل على إبلاغهم إلى الأمم، فهم ٥ /٦٤٤ أغنياء عن طلب غيره - هذا إن اهتدوا به، و إن دعاهم فلم يهتدوا كان له مثل أجورهم لو اهتدوا، فان عدم اهتدائهم ليس من تقصيره، بل قدر الله وما شاء فعل.

و لما كانوا يقولون: إنا قد ارتكبنا من المساوئ ما لم ينفع معه شيء، قال نافيا لذلك على سبيل التأكيد معللا مبينا بصرف القول إلى ١٠ الاسم الأعظم أن مثل ذلك لايقدر عليه ملك غيره على الإطلاق: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى لايتعاظمه شيء ﴿ غفور ﴾ لكل ذنب تاب منه صاحبه أو[3] كان يقبل الغفران و إن لم يتب منه إن شاء، فلا[4] يصدن أحدا[4] سيئة عملها عن[5] الإقبال على الحسنة.

و لما كان إثبات الحسنة فضلا عن الزيادة عليها لايصح إلا مع ١٥ الغفران، و لايمكن أن يكون مع المناقشة، [6]فذكر ذلك[6] الوصف الذى هو أساس الزيادة، أفادها - أى الزيادة - بقوله: ﴿ شكور ٥ ﴾ فهو يجزى

---

(١) زيد من م ومد (٢) زيد من ظ وم و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ «و» (٤ - ٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يصدق (٥) من م ومد، و فى الأصل وظ: على (٦-٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: فذلك

بالحسنة أضعافها و يترك سائر حقوقه . و لما أثبت أنه أنزل الكتاب بالحق، و دل على ذلك إلى أن ختم بنفي الغرض في البلاغ لحصل[1] القطع بمضمون الخبر، كان كأنه [قيل -[2]] إنكارا عليهم و توبيخا لهم : هل عملوا بما نبهناهم عليه مما يدعون أنهم عريقون فيه من صلة الرحم و الإقبال ٥ على معالي[3] الأخلاق باجتناب السيئات و ارتكاب الحسنات، و البعد عن الكذب و المكابرة و البهتان، فاعتقدوا أنه حق و أنه وحي من عند الله بما قام على ذلك من البرهان : ﴿ام يقولون﴾ عنادا : ﴿ افترى ﴾ أي تعمد أن يقطع، و قدم[4] ذكر الملك الأعظم[5] تنبيها على أنه لا أفظع من الكذب على ملك الملوك مع فهم المفعول به من لفظ الافتراء ١٠ فقال : ﴿ على الله ﴾ الذي أحاط بصفات الكمال، فله العلم الشامل بمن يتقول عليه و القدرة التامة على عقابه ﴿ كذبا ج ﴾ حين زعم أن هذا القرآن من عنده و أنه أرسله لهذا الدين .

و لما كان التقدير قطعا : إنهم ليقولون ذلك و كان قولهم [له -[2]] قولا [6]معلوم البطلان[6] لأنه تحداهم بشيء من مثله في زعمهم أن له مثلا ١٥ ليعلم صحة قولهم فلم يأتوا بشيء و هم و إن كانوا قد يدعون أنه يمنعهم من ذلك أنهم [لا - [2]] يستجيزون الكذب مبطلون لا يمتري عاقل

---

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ : فهل (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ : تعاطي (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ : تقدم (٥) زيد في الأصل و ظ : لا، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها. (٦-٦) من م و مد، و في الأصل و ظ : معلوما بالبطلان .

فى بطلان ذلك [منهم أيضا لأنهم لم يطلب منهم أن ينسبوا ما يأتون
به إلى الله على أنه لو طلب منهم ذلك -[1]] لما كان عذرا ، لأنه لا يتوقف
أحد فى أن الضرورات تبيح المحذورات ، و أنه يرتكب أخف الضررين
لدفع أثقلهما ، فالاتيان بكلام يسير يسكن به فتن[2] طوال و تنقطع به
شرور كبار فى غاية الحسن لأن الخطب فيه سهل ، و الأمر يسير ، ٥
فكان ذلك و هم يرتكبون[3] أكبر منه من قطع الأرحام و تفريق الكلمة
لقتل النفوس و تخريب الديار و إتلاف الأموال دليلا قاطعا على أنهم
[إنما - [1]] يتركونه[4] عجزا ، تسبب عن قولهم هذا و هو نسبتهم له إلى
تعمد الكذب أن قال تعالى ردا[5] عليهم ببيان كذبهم فيما قالوا ببيان
ما له صلى الله عليه و سلم من نور القلب اللازم عنه[6] استقامة القول : ١٠
﴿ فان ﴾ و أظهر الجلالة و لم يضمر تعظيما للأمر بأن الختم لا يقدر
عليه إلا المتصف [7]بجميع صفات الكمال[7] على الإطلاق من غير [8]تقيد بقيد[8]
أصلا فقال : ﴿يشا الله﴾ أى الذى له الاحاطة بالكمال[9] ﴿يختم﴾ و جرى
على الأسلوب السابق فى الخطاب لأعظم أولى الألباب فقال معبرا بأداة
الاستعلاء : ﴿على قلبك﴾ فيمنعه من / [قبول - [1]] روح [هذا - [1]] ١٥ / ٦٤٥

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سنن (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يركبون (٤) فى م : يرتكبوا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رادا (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منه (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالكمال (٨-٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تقييد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بجميع أوصاف الكمال .

الوحى كما ختم على قلوب أعدائك من قبول ذلك، فتستوى حينئذ [1]معهم فى[1] عدم القدرة على الإتيان بشيء منه و تصير[2] لو قلت و قد أعاذك الله [3]عما يقولون[3] مما يصح نسبته إلى الباطل لم تقله إلا و معه الأدلة قائمة على بطلانه[4] كما أنهم هم كذلك لايزالون[5] مفضوحين بما على أقوالهم من الأدلة [قائمة -[6]] على بطلانها. و كان الأصل فى الكلام: أم يقولون [ذلك -[6]] [7]و أنهم لكاذبون فيه بسبب أن الله قد شرح صدرك و أنار قلبك فلا تقول قولا إلا كانت الأدلة قائمة على صدقه، و لكنه ساق الكلام هكذا لأنه مع كونه [8]أنصف دال على تعليق[8] الوصف بالافتراء على ختم القلوب، و ذلك دال[9] قطعا على أنهم هم الكاذبون لما على قلوبهم من الختم الموجب لأنها تقول ما الأدلة قائمة على كذبه.

و لما كان التقدير كما دل عليه السياق: و لكنه لم يشأ ذلك، بل شاء جعله قابلا لروح الوحى [10]واعيا لفنون[10] العلم فهو يقذف بأنواع المعارف، و يهتف بتلقى أعاجيب اللطائف، و يثبت الله ذلك كله من غير

(١-١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مع (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تعبر (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بطلانهم (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لم يزالوا (٦) زيد من م و مد (٧-٧) زيد فى م: أى تعمد الكذب (٨-٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا نصف على تعلق (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: إلى (١٠-١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و لقبول.

مانع و لا صارف، عطف عليه قوله: ﴿ و يمح الله ﴾ [أى -[١]] الذى له جميع صفات الكمال ﴿ الباطل ﴾ وهو قولهم « افترى » و كل كذب فلا يدع له أثرا، و هنالك يظهر خسران الجاحد و ينقطع لسان الألد المعاند، و لم يذكر أن آلة[٢] المحو الكلمات و غيرها استهانة به بالإشارة إلى أنه تارة يمحوه بنفسه بلا سبب و تارة بأضعف[٣] الأسباب و تارة بأعلى منه، ٥ و حذفت واوه فى [الخط فى -[٤]] جميع المصاحف مع أنه استئناف غير داخل فى الجواب لأنه تعالى [يمحو -[٤]] الباطل مطلقا إيماء إلى أنه سبحانه يمحق[٥] رفعه و [٦]علوه و غلبته[٦] التى دلت عليها الواو مطابقة بين خطه و لفظه، و معناه تأكيدا[٧] للبشارة بمحوه محوا لا يدع له عينا و لا أثرا لمن ثبت اصولته[٨]: و صبر كما أمر لجولته، اعتمادا على صادق وعد الله إيمانا ١٠ بالغيب و ثقة بالرسل عليهم الصلاة و السلام، و فى الحذف أيضا تشبيه [له -[٤]] بفعل الأمر إيماء إلى أن إيقاع هذا المحو أمر لابد من كونه على أتم الوجوه و أحكمها و أعلاها و أتقنها كما يكون المأمور به من الملك المطاع، و أما الحق فانه ثابت شديد مضاعف فلذا[٩] قال: ﴿ و يحق ﴾ أى يثبت على وجه لايمكن زواله ﴿ الحق ﴾ أى كل ما من شأنه الثبات ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الآلة.
(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: باصعب (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ وم ومد، و فى الأصل: نحو (٦-٦) فى م: غلبته وعلوه (٧) من م ومد، و فى الأصل و ظ: تاكيد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اصوته.
(٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فكذا.

لأنه أذن فيه و أقره، و عظم الحق و إحقاقه بذكر آلة الفعل فقال: ﴿ بكلمته ﴾ أي التي " لو كان البحر مدادا لها " الآية التي يقولون إن ما أتاهم من العبارة عنها افتراء للكذب، و الحاصل أنه سبحانه أثبت [1]صفاء لبه و نورانية[1] قلبه و سداد قوله و صواب أمره، [2]و ظلام[2] قلوبهم و بطلان أقوالهم إثباتا مقرونا بدليله أما لأهل[3] البصائر فبعجزهم ٥ عن معارضته، و أما الأغبياء[4] فباثبات قوله و محو قولهم.

و لما كانوا يعلمون أنه [على - [5]] حق و هم على باطل، و كان من أحاط علمه [6]بشيء قدر[6] على ما يريده من ذلك الشيء، بين ذلك بقوله معللا على وجه التأكيد لأن عملهم عمل من يظن أن الله لا يعلم مكرهم: ﴿ انه عليم ﴾ أي بالغ العلم ﴿ بذات الصدور ﴾ أي ما ١٠ هو[7] فيها مما يعلمه صاحبه و مما لا يعلمه[8] فيبطل باطله و يثبت حقه و إن كره / الخلائق ذلك " و لتعلمن نبأه بعد حين " ولقد صدق الله فأثبت /٦٤٦ ببركة[9] هذا القرآن كل[10] ما كان يقوله صلى الله عليه و سلم، و أبطل[11] بسيف

(١ - ١) من ظ و م و مد، و في الأصل: صقالته و نورانيته (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: بظلام (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: باهل. (٤) من مد، و في الأصل و ظ و م: الاعتناء (٥) زيد من م و مد. (٦-٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: بكل شيء قادر (٧) زيد في الأصل: مخفى، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيد في الأصل: صاحبه أيضا، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٩) من م و مد، و في الأصل و ظ: بركة (١٠) من م و مد، و في الأصل و ظ: على (١١) من م و مد، و في الأصل و ظ: بطل.

هذا البرهان كل ما كانوا يخالفونه فيه، و من أصدق من الله قيلا .

و لما اخبر بضلالهم و جزم بابطال [1]اعمالهم، رغبهم[1] رحمة منه لهم في التوبة التي هي من الحق الذي يحقه و لو على اقل وجوهها بأن يقولوها بألسنتهم ليبلغه ذلك عنهم[2]، فان قول اللسان يوشك أن يدخل [إلى -[3]] الجنان، فقال[4] مذكرا له[5] بامتنانه عليهم بقبول توبتهم و [6]تطهير ٥ حوبتهم[6] كرما [7]منه و حلما[7] معبرا بالضمير الذي هو غيب إشارة إلى [8]لطفه في علمه[8] الغيب نذارة في طي هذه البشارة: ﴿و هو﴾ [أي -[3]] لا غيره[9] أزلا و أبدا[9] ﴿الذي يقبل التوبة﴾ كلما شاء بالغة له [10]او متجاوزا[10] ﴿عن عباده﴾ الذين هم خالصون لطاعته، سئل [أبو -[11]] الحسن البوشنجي عن التوبة فقال: إذا ذكرت الذنب فلا تجد له حلاوة ١٠ في قلبك .

و لما كان القبول قد يكون في المستقبل مع الأخذ بما مضى قال: ﴿و يعفو عن السيئات﴾ [أي - [3]] التي كانت التوبة عنها صغيرة

(١-١) من م و مد، و في الأصل و ظ : عمالهم و غيبهم (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل : منهم (٣) زيد من م و مد (٤) زيد في الأصل : و هو الحنان المنان، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ : لهم (٦-٦) من ظ و م و مد، و في الأصل : تطهر حربهم. (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٨-٨) من م و مد، و في الاصل و ظ : ان لفظة في علم (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد. (١٠ - ١٠) من م و مد، و في الأصل و ظ : و تجاوزا (١١) زيد من ظ و م و مد.

كانت أو كبيرة . و عن غيرها فلا يؤاخذ بها إن شاء لأن التوبة تجب ما قبلها كما أن الإسلام الذى [١] هو توبة خاصة يجب ما كان قبله .

و لما كانت تعدية القبول بـ «عن» مفهمة لبلوغه ذلك بواسطة ، فكان ربما اشعر بنقص فى العلم ، اخبر بما يوجب التنزيه عن ذلك ترغيبا و ترهيبا بقوله : ﴿و يعلم﴾ أى و الحال أنه يعلم كل وقت ﴿ما يفعلون لا﴾ أى كل ما يتجدد لهم عمله سواء كان عن علم أو داعية شهوة و طبع سيئة كان أو حسنة ، و قرأ حمزة [٢] و الكسائى و حفص عن عاصم و رويس [٣] عن يعقوب بالخطاب لافتا [٤] للقول عن غيب العباد لأنه أبلغ فى التخويف و قرأ الباقون بالغيب نسقا على العباد و هو ، أعم [٥] و أوضح فى المراد فعفوه [٦] مع العلم عن سعة الحلم .

و لما رغب بالعفو زاد بالإكرام فقال : ﴿و يستجيب﴾ أى يوجد [٧] بغاية العناية و الطلب إجابة ﴿الذين امنوا﴾ أى دعاء الذين أقروا بالإيمان فى كل ما دعوه به أو [٨] شفعوا عنده فيه [٩] لأنه لولا إرادته [٩] لهم الإكرام [١٠] بالإيمان ما آمنوا ، و عدى الفعل بنفسه تنبيها على زيادة بره لهم و وصلتهم به

---

(١) زيد فى الأصل و ظ : عن ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢) راجع نثر المرجان ٦ / ٣٦٤ (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و رس (٤) فى م : لفتا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اشهر (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعفوه و (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بوحب (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ «و» (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من م (١٠) فى م : لا كرام .

و عملوا

﴿ و عملوا ﴾ تصديقا لدعواهم الإيمان[1] ﴿ الصّٰلحٰت ﴾ فيثيبهم النعيم المقيم ﴿ و يزيدهم ﴾ أى [مع -[2]] ما دعوا بـــه[3] ما لم يدعوا به و لم يخطر على قلوبهم و لما كان هذا و إن كان الأول فضلا منه أبين فى الفضل قال تعالى: ﴿ من فضله[4] ﴾ على أنه يجوز تعليقه بالفعلين ٠

و لما رغب الذين طالت مقاطعتهم فى المواصلة بذكر إكرامهم إذا ٥ اقبلوا عليه، رهب الذين استمروا على المقاطعة فقال: ﴿ و الكٰفرون ﴾ أى العريقون فى [هذا -[2]] الوصف، الذين منعتهم عراقتهم من التوبة و الإيمان ﴿ لهم عذاب شديد ﴾ و لا يجيب دعاءهم، فغيرهم من العصاة لهم عذاب غير لازم التقيد[4] بشديد، و الآية من الاحتباك: ذكر الاستجابة أولا دليلا على ضدها ثانيا، و العذاب / ثانيا دليلا على ضده أولا، و سره ١٠ ٦٤٧ أنه ذكر الحامل على الطاعة و الصاد[5] عن المعصية .

و لما كان المتبادر من[6] الاستجابة إيجاد كل ما سألوه فى هذه الدنيا على ما أرادوه و كان الموجود غير ذلك بل كان أكثر أهل الله مضيقا عليهم، و كانت الإجابة إلى كل ما يسأل بأن يكون فى هذه الدار يؤدى فى الغالب إلى البطر المؤدى إلى الشقاء فيؤدى ذلك إلى عكس المراد، ١٥ قال على سبيل الاعتذار لعباده و هو الملك الأعظم مبينا ان استجابته تارة تكون كما ورد به الحديث لما سألوه، و تارة تكون بدفع مثله

---

(١) فى م: للايمان (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: إليه (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التقييد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الصادر (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: صادر عن .

من البلاء و تارة تكون بتأخيره إلى الدار الآخرة[1] ﴿ و لو ﴾ أى[2] هو يقبل و يستجيب و الحال أنه لو ﴿ بسط ﴾ و لما كان هذا المقام عظيما لاحتياجه إلى الإحاطة بالخلائق و الإحاطة بأخلاقهم و أوصافهم و ما يصلحهم و يفسدهم و القدرة على كل بذل و منع، عبر بالاسم ٥ الأعظم فقال : ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم الجامع لجميع صفات الكمال تنبيها على عظمة هذا المقام : ﴿ الرزق ﴾ لهم - هكذا كان الأصل، لكنه كره أن يظن خصوصيته ذلك بالتائبين فقيل : ﴿ لعباده ﴾ أى كلهم التائب منهم و غيره بأن[3] أعطاهم فوق حاجتهم ﴿لبغوا فى الارض﴾ أى لصاروا يريدون كل ما يشتهونه، فان لم يفعل سعوا فى إنفاذه ١٠ كالملوك بما لهم من المكنة بكل طريق يوصلهم إليه فيكثر القتل و السلب و النهب و الضرب و نحو ذلك من أنواع الفساد، و قد تقدم فى النحل[4] من الكلام على[5] البغى ما يتقن به علم هذا المكان .

و لما كان معنى الكلام أنه سبحانه لايبسط لهم ذلك بحسب[6] ما يريدونه[7]، بنى عليه قوله سبحانه : ﴿و لكن ينزل﴾ أى لعباده من الرزق

(١) زيد فى الأصل : فى وقت يكون محتاجا إليها أشد الاحتياج فقال تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بل.
(٤) زيد فى الأصل : ما سبق، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٥) زيد فى الأصل : من، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : على (٧) فى مد : يرونه .

﴿ بقدر ﴾ أى بتقدير لهم جملة و لكل [واحد - [1]] منهم لا زيد عن[2] تقديره دره و لا ينقصها ﴿ ما يشآء[3] ﴾ من الماء الذى هو اصل الرزق و البركات الى يدبر بها عباده كما اقتضه حكمته التى بنى عليها احوال هذه الدر .

و لما كان اكثر الناس يقول فى نفسه : لو بسط لى الرزق[3] لعملت ٥ الخير، و تجنبت الشر، و أصلحت غاية الإصلاح . قال معللا ما اخبر به فى أسلوب التأكيد : ﴿ انـه ﴾ و كان الأصل : بهم، و لكنه قال : ﴿ بعباده ﴾ لئلا يظن ان الأمر خاص[4] بمن وسع عليهم او[5] ضيق عليهم : ﴿ خبير بصير ﴾ يعلم جميع ظواهر[6] امورهم[7] و حركاتهم و انتقالاتهم و كلامهم[7] و بواطنها[8] فيـقيم كل واحد فيما يصلح له من فساد ١٠ و صلاح و بغى و عدل، و يهئ لكل شيء [من ذلك - [9]] أسبابه[10] .

و لما ذكر إنزال الرزق على هذا المنوال، و كان من الناس ممن[11] خذله الإضلال من[12] يقول: إن ما الناس فيه من المطر و النبات

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الاصل و ظ : على (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الاصل : خاصا بهم (٥) من م و مد، و فى الاصل و ظ : لو (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ظواهرهم من (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بواطنهم (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) زيد فى الأصل : كما يريه و يطلع لى كما يروى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) من ظ و م و مد، و فى الاصل : من (١٢) من ظ و م و مد، و فى الاصل: ممن .

و إخراج الأقوات إنما هو عادة الدهر، تبين[1] انه سبحانه هو الفاعل لذلك بقدرته و اختياره بما هو كالشمس من انه قد يحبس المطر عن إبانه[2]. و إعادته[3] في وقته و أوانه، حتى ييأس [الناس - [4]] منه ثم ينزله إن شاء، فقال معبرا الضمير[5] الذى هو غيب[6] لأجل ان إنزال الغيث

٥ من مفاتيح الغيب: ﴿ و هو ﴾ [اى - [4]] لا غيره [7]قادر على ذلك / فانه هو[7] ﴿ الذى ينزل الغيث ﴾ أى المطر الذى يغاث به الناس أى ٦٤٨ / يجابون إلى ما سألوا و يغاثون ظاهرا كما ينزل الوحى الذى يغاثون به ظاهرا و باطنا .

و لما كان الإنزال لايستغرق زمان القنوط، أدخل الجار فقال:

١٠ ﴿ من بعد ما قنطوا ﴾ اى يئسوا من إنزاله و علموا انه لا يقدر على إنزاله غيره، و لا يقصد فيه سواه. ليكون ذلك أدعى لهم إلى الشكر و ينشره - هكذا كان الأصل و لكنه لما بيّن انه غيث[8] قال بيانا لأنه رحمة[9]، و تعميما لأثره[10] من النبات و غيره: ﴿ و ينشر رحمته ﴾ [أى - [11]] على السهل و الجبل فينزل من السحاب المحمول بالريح من الماء ما يملأ الأرض

(١) من م و مد. و في الأصل و ظ: من (٢) من م و مد. و في الأصل و ظ: ايامه م) زيد في الأصل: و لو، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد. و في الأصل و ظ: بالصير. (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: عجيب (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) في مد عبث (٩) من م و مد، و في الأصل و ظ: رحمته (١٠) من م و مد، و في الأصل و ظ: لامره (١١) زيد من ظ و م و مد.

بحيث لو اجتمع عليه الخلائق ما أطاقوا حمله، فتصبح الأرض ما بين غدران و أنهار، و نبات نجم و أشجار، و حب و ثمار، و غير ذلك من المنافع الصغار و الكبار، فتعالى[1] أعلى هذه القدرة الباهرة و الآية[2] الظاهرة، فيخرج من الأرض التي هي من صلابتها تعجز عنها المعاول[3] نجما هو في لينه ألين من الحرير، و في لطافته ألطف من النسيم، و من ٥ سوق[4] الأشجار التي تنثني فيها المناقير أغصانا[5] الطف من ألسنة العصافير، فما أجلف من ينكر إخراجه الموتى من القبور، أو يحيد عن ذلك بنوع من الغرور.

و لما أنكر عليهم فيما مضى اتخاذ ولي من دونه [6]بقوله تعالى "ام اتخذوا من دونه اولياء[6]" و أثبت أنه هو الولي، و تعرف إليهم بآثاره التي ١٠ حوت أفانين انواره، و كانت كلها في غاية[7] الكمال موجبة للحمد المتوالي المنوال، قال: ﴿ و هو ﴾ أي وحده [8]لا غيره[8] ﴿ الولي ﴾ أي الذي لا أحد اقرب منه إلى عباده في شيء من الأشياء ﴿ الحميد ﴾ اى الذي استحق مجامع الحمد مع أنه يحمد من يطيعه فيزيده من فضله و يصل

---

(١) زيد في الأصل: أحلاو. و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) زيد في الأصل: البينة، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.
(٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: الحاول (٤) من م و مد، و في الأصل وظ: شوق (٥) من م و مد، و في الأصل وظ: اغصانه، وفي مد: أغصان.
(٦-٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: اوما (٧) زيد في الأصل: الجمال و، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ وم و مد.

١ حَبْلِه دائما١ بحبله .

و لما كان ما مضى من بسط الرزق و قبضه ، و إنزال الغيث و حبسه ، من الآيات العظيمة ، عمم بذكر ما ٢ذلك بعض٢ منه ، و هو دال على جميع ما ختم به الآية السالفة من الحمد الذى هو الاتصاف بجميع صفات
٥ الكمال ، فقال عاطفا على ما تقديره : فذلك من آيات الله الدالة على قدرته و اختياره و انه [هو - ٣] الذى يحيي هذا الوجود بالمعانى من روح الوحى و غيره تارة و الأعيان من الماء و غيره اخرى : ﴿و من ايٰته﴾ العظيمة على ذلك و على استحقاقه لجميع صفات الكمال ﴿خلق السمٰوٰت﴾ التى تعلمون أنها متعددة بما ترون من امور الكواكب ﴿ و الارض ﴾
١٠ أى٤ جنسها على ما هما عليه من الهيئات و ما اشتملا عليه من المنافع و الخيرات ﴿ و ما بث﴾ أى فرق بالأبدان و القلوب على هذا المنوال الغريب من الحس ٥و الحركة بالاختيار٥ مع التفاوت فى الأشكال ، و القدور و الهيئات و الأخلاق و غير ذلك من النقص و الكمال .

و لما كانت الأرض بناء و السما سقفه ، فمن كان فى أحدهما صح
١٥ نسبته إلى أنه فى كل منهما : الأسفل بالإقلال و الأعلى بالإظلال٦ قال تعالى : ﴿فيهما﴾ أى السماوات و الأرض و لا سيما و قد جعل لكل منهما تسبيبا

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دايما حبله (٢-٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذكر بعضى (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل : من م و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحركة بالأخبار (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : باظلال .

فى ذلك بما أودعها[١] من الجواهر -و[٢] أنشأ عنها[٢] من العناصر .

و لما كانت الحياة التى هى سبب الانتشار و الدب ربما اورثت [صاحبها - [٣]] كبرا و غلطا فى [نفسه - [٣]] ظن انه / تام القدرة ، / ٦٤٩ أنث تحقيرا لقدرته و توهية لشأنه و رتبته فقال ﴿ من دآبة ﴾ أى شىء فيه أهلية الدب[٤] بالحياة من الإنس و الجن و الملائكة و سائر الحيوانات ٥ على اختلاف أصنافهم و ألوانهم و أشكالهم و لغاتهم و طباعهم و اجناسهم و أنواعهم و أقطارهم و نواحيهم و أصقاعهم[٥] ، [و - [٦]] من نظر إلى صنائعه[٧] سبحانه تيقن وجوده و قدرته و اختياره ، ثم إذا أمعن فى النظر و تابع التدبر فى الفكر وصل إلى معرفة الصانع بأسمائه و صفاته و ما ينبغى له و يستحيل عليه فيحمده بمحامده[٨] التى لا نهاية لها[٨] و يسبحه ١٠ بسبحاته ثم إن[٩] امعن سما إلى الوقوف على حكمة ما جاءت به الرسل و نزلت به الكتب .

و لما كنا عالمين بأن من أوجد أشياء[١٠] قدر على ضم أشتاتهم متى شاء مع نقص التصرف و العجز فى التقلب[١١] كنا جديرين بالعلم[١٢] القطعى

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اودعها (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ساغها (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الدبيبة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اصعافهم (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : صانعه (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٩) من م و مد . و فى الأصل و ظ : اذا (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شيئا (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جانب قدرته (١٢) و من هنا انقطعت نسخة مد .

بمضمون قوله تعالى : ﴿ و هو ﴾ اى بما له من صفات[1] العظمة التى يعلم الظاهر منها ، و ما غاب عنا اكبر ﴿على جمعهم﴾ اى هذه الدواب من ذوى[2] العقول و غيرهم بعد تفرقهم بالقلوب و الأبدان بالموت و غيره[3] من الحظوظ و الأهوء و غير ذلك .

و لما كان الجمع لابد منه ، عبر بأداة التحقق[4] فقال معلقا بجمع : ﴿ اذا ﴾ و حقق النظر إلى البعث فعبر بالمضارع فقال : ﴿يشآء قدير ع﴾ اى بالغ القدرة [5] كما كان بالغ القدرة عند[5] الإيجاد من العدم بجمعهم فى صعيد واحد يسمعهم الداعى و ينفذهم البصر[6] . و لما ذكرهم[7] سبحانه [بنعمه ، و كان السياق لتعداد ما ناسب -[8]] مقصود هذه السورة منها ، ١٠ و كان الفكر جديرا بأن يخطر له ما فى الدنيا من الأمراض و الأنكاد و الهموم و الغموم بالإشقاء فيها و الإسعاد ، قال شافيا لعى[9] سؤاله عن ذلك ببيان ما فيه من نعمته على وجه دال على تمام قدرته و علمه ، عاطفا على ما هو مضمون[10] ما مضى [بما -[11]] تقديره : فهو الذي خلقكم و رزقكم و هو المتصرف فيكم بعد بثكم بالعافية و البلاء تمام التصرف ، فلا نعمة

(١) فى م : الصفات (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : ذى (٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م فحذفناها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : التحقيق (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : البصير (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : ذكر (٨) زيد من م (٩) من ظ و م ، و فى الاصل : لعلى (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ : المضمون (١١) زيد من ظ و م .

عندكم

عندكم و لانقيصة إلا منه، لايقدر أصحابها على ردها و لا رد شيء منها فهو وليكم وحده ﴿ و مآ اصابكم ﴾ واجههم بالخطاب زيادة فى تقريب الطائع و تبكيت العاصى، و عم بقوله: ﴿ من لامصيبة ﴾ و أخبر عن المبتدأ بقوله: ﴿ وبما ﴾ أى كائن بسبب الذى- هذا على [قراءة نافع و ابن عامر، و إثبات الفاء فى -[2]] الباقين[3] زيادة فى إيضاح السببية فقراوا "فبما"[4] ٥ لتضمن المبتدأ الشرط أى فهو بالذى.

و لما كانت النفوس مطبوعة على النقائص، فهى لاتنفك عنها إلا بمعونة من الله شديدة، كان عملها كله أو جله عليها، فعبر بالفعل المجرد إشارة إلى ذلك فقال: ﴿ كسبت ﴾.

و لما كان العمل غالبا باليد قال: ﴿ ايديكم ﴾ أى من الذنوب، ١٠ فكل نكد لاحق إنما هو بسبب ذنب سابق أقله التقصير، روى ابن ماجة فى سننه[5] و ابن حبان فى صحيحه - و الحاكم و اللفظ له - و قال: صحيح ا سناد - عن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لايرد القدر إلا الدعاء[6] و لايزيد فى العمر إلا البر، و إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه. فالآية داعية لكل احد إلى المبادرة ١٥ عند وقوع المصيبة إلى محاسبة النفس ليعرف[7] من أين [8]جاء تقصيره

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ثم (٢) من م، و فى الأصل و ظ: قوله (٣) راجع نثر المرجان ٦/٣٦٨ (٤) من م، و فى الأصل و ظ: فيها (٥) راجع المقدمة ص ٤٠ (٦) من م و السنن، و فى الأصل و ظ: بالدعاء (٧) فى م: ما ليعلم (٨-٨) فى م: الى.

/٦٥٠ فيبادر[1] إلى التوبة عنه و الإقبال على الله / لينقذ نفسه من الهلكة، و فائدة ذلك و إن كان الكل بخلقه و إرادته إظهار الخضوع و التذلل و استشعار[2] الحاجة و الافتقار إلى الواحد القهار، و لو لا ورود الشريعة لم يوجد سبيل [3]إلى الهدى ، لا إلى[3] هذه الكمالات الديعية ، و مثل هذه التنبيهات ٥ ليستخرج من العبد ما أودع فى طبيعته و ركز فى غريزته كغرس و زرع سبق إليه ماء و شمس لاستخراج ما أودع فى طبيعته من المعلومات الإلهية و الحكم العلية .

و لما ذكر عدله ، أتبعه فضله فقال : ﴿و يعفو عن كثير ﴾ و لولا عفوه و تجاوزه لما[4] ترك على ظهرها من دابة و يدخل فى هذا [ما ـ[5]] ١٠ يصيب الصالحين لإنالة درجات [6]و فضائل و خصوصيات[6] لا يصلون إليها إلا بها لأن اعمالهم لم تبلغها فهى خير واصل[7] من الله لهم ، و قيل لأبى سليمان الدارانى : ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم؟ قال : لأنهم[8] علموا أن الله إنما ابتلاهم بذنوبهم ـ و قرأ هذه الآية .

و لما كان من يعاقب بما دون الموت ربما ظن أنه عاجز قال[9] : ١٥ ﴿و مآ انتم بمعجزين﴾ لو أريد [10] محقكم بالكلية و لا فى شىء أراد سبحانه

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : فبادر (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : استشغال (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) فى م : ما (٥) زيد من م. (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فضل (٧) سقط من ظ و م (٨) فى ظ و م : انهم (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : فقال (١٠) من ظ و م و مد ، وفى الأصل و ظ : اراد .

منكم كائنا ما كان . و لما كان من ثبتت قدرته على محل العلو بخلقه و ما اودعه من المصنوعات أجدر بالقدرة على ما دونه ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ فى الارض ملے ج ﴾ و لما كان الكلام فى العقوبة فى الدنيا قبل الموت ، و لم يكن أحد يدعى فيها التوصل إلى السماء ، لم يدع داع إلى ذكرها بخلاف ما مضى فى العنكبوت . و لما نفى امتناعهم بأنفسهم ، و كان له ٥ سبحانه من العلو ما تقصر عنه العقول ، فكان كل شيء دونه ، فكان[1] قادرا على كل شيء قال : ﴿ و ما لكم ﴾ اى عند الاجتماع فكيف عند الانفراد .

و لما كانت الرتب فى غاية السفول عن رتبته و التضاءل[2] دون حضرته ، اثبت الجار منبها على ذلك فقال : ﴿ من دون الله ﴾ أى المحيط بكل شيء عظمة و كبرا و عزة ، و عم[3] بقوله : ﴿ من ولى ﴾ أى يكون متوليا ١٠ لشيء من أموركم بالاستقلال ﴿ و لا نصير ه ﴾ يدفع عنكم شيئا يريده[4] سبحانه بكم .

و لما دله سبحانه على تمام قدرته [و اختياره -[5]] وختم بنفى الشريك اللازم للوحدانية التى اعتقادها أساس الأعمال الصالحة ، دل عليها بأعظم[6] الآيات عندهم و اوضحها فى أنفسهم و أقربها إلى أفهامهم لما ١٥ لهم من الإخلاص عندها فقال تعالى : ﴿ و من اٰيٰته ﴾ أى الدالة على تمام قدرته و اختياره و وحدانيته و عظيم سلطانه تسخيره و تذليله لسير

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : و كان (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : التطاول (٣) فى م : عمه (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : يريد (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ، و فى الاصل و ظ : بما عظم .

الفلك فيه حاملة ما لا يحمله غيرها، و هو معنى قوله: ﴿ الجوار ﴾ أى من السفن، و هى من الصفات التى جرت مجرى الأعلام، و دل على الموصوف ما بعده فلذلك حذف لأن القاعدة أن الصفة إذا لم تخص الموصوف امتنع حذفه فتقول: مررت بمهندس، و لا تقول: مررت ٥ بماش - إلا بقرينة كما هنا.

و لما كانت ثقيلة فى أنفسها، و كان يوضع فيها من الأحمال[1] ما يثقل الجبال، و كان كل ثقيل ليس له من ذاته إلا الغوص[2] فى الماء، كانت كأنها فيه لا عليه لأنها جديرة بالغرق فقال تعالى محذرا[3] من سطواته متعرفا[4] [5]بجليل نعمته معرفا[5] بحقيقة الجوارى[6]: ﴿ فى البحر كالاعلام ﴾ ١٠ أى الجبال الشاهقة بما لها من العلو فى نفسها عن الماء ثم بما يوصلها[7] و ما فيه من الشراع عليها [8]من الارتفاع[8]/، و قال الخليل: كل شيء مرتفع /٦٥١ عند العرب فهو علم.

و لما كان كأنه قيل: و ما تلك الآيات؟ ذكر ما يخوفهم منها و يعرفهم أن جميع ما اباحهم إياه من شؤنها[9] إنما هو بقدرته و اختياره

(١) من م، و فى الأصل و ظ: الاعمال (٢) من م، و فى الأصل و ظ: العرض (٣) زيد فى الأصل و ظ: لهم، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها. (٤) زيد فى الأصل: لهم. و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: بجميع نعائه و بمعرفا (٦) زيد فى الأصل و ظ: فقال، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٧) من ظ و م. و فى الأصل: لزمها. (٨-٨) فى م: و ارتفاع (٩) من ظ و م، و فى الأصل: سورتها.

فقال

فقال: ﴿ ان يشا ﴾ أى الله الذى حملكم فيها علی ظهر الماء آية بينة سقط اعتبارها عندكم لشدة الفكر [لها -[1]] ﴿ يسكن الريح ﴾ التى[2] يسيرها و انتم مقرّون أن أمرها ليس إلا بيده ﴿ فيظللن ﴾ أى فلسبب عن ذلك أنهن[3] يظللن أى يقمن ليلا كان او نهارا ، و لعله عبر به مع أن أصله الإقامة[4] نهارا لأن النهار موضع الاقتدار على[5] الأشياء و هو المنتظر عند ٥ كل متعسر للسعى فى إزالة عسره و تيسر أمره ﴿ رواكد ﴾ اى ثوابت مستقرات من غير سير ﴿ على ظهره[6] ﴾ ثباتا[6] ظاهرا بما دل عليه إثبات اللامين و فتح لامه الأولى للكل

و لما كان ذلك موضع إخلاصهم[7] الدعوة لله و الإعراض عن الشركاء[8] فانهم كانوا يقولون فى مثل هذا الحال: اخلصوا فان ألهتكم - أى من ١٠ الأصنام و غيرها من دون الله - لاتغنى فى البحر شيئا ، و كانوا ينسبون ذلك شركاء مع طلوعهم[9] إلى البر كانوا بمنزلة من لايعد ذلك آية أصلا ، فلذلك[10] أكد قوله: ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى ما ذكر من حال السفن فى سيرها و ركودها مما[11] لايقدر عليه إلا الله سبحانه بدليل ما للناس

(١) زيد من م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : اى (٣) من م . و فى الأصل و ظ : لاقامة (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : عن (٥) من م ، و فى الاصل و ظ : ثابتا (٦-٦) من م ، و فى الاصل و ظ : الابن وصح الامه (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : اطلاعهم (٨) من ظ و م . و فى الاصل : الاشراك . (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : الطلوع (١٠) من م . و فى الاصل و ظ : فكذلك (١١) فى م : بما .

كافه من الإجماع على التوجه [1]في ذلك إليه[1] خاصة و الانخلاع مما سواه ﴿ لأيٰت ﴾ أي على [ان - [2]] إحاطته سبحانه بجميع [صفات - [3]] الكمال امر مركوز في العقول ثابت في الفطر الأولى مما [4]لا يصد عنه[4] إلا الهوى ، و على أن بطلان أمر ما دونه لذلك[5] هو من الظهور
٥ بمكان لا يجهل .

و لما كانوا يتمادحون بالصبر على نوازل الحدثان و الشكر لكل إحسان و يتذامون بالجزع و الكفران ، وكان ذلك يقتضي ثباتهم على حال واحد فان كان الحق عليهم لمعبوداتهم فرجوعهم [عنها - [3]] عند الشدائد مما لاينحو نحوه و لايلتفت لفتة أحد من كمل[6] الرجال
١٠ الذين يجانبون [7]العار و الاتسام بميسم الإغمار ، و إن[7] كان الحق كما هو الحق لله فرجوعهم عنه عند الرخاء بعد إنعامه عليهم بانجائهم من الشدة لايفعله ذوعزيمة[8] ، قال مشيرا إلى ذلك بصيغتي المبالغة : ﴿لكل صبار﴾ أي في الشدة ﴿ شكورٍ لا ﴾ اي في الرخاء و إن كثر مخالفوه ، و عظم نزاعهم له ، و هاتان [9]صفتا المؤمن[9] المخلص الذي وكل همته بالنظر في
١٥ الآيات فهو يستملي منها العبر و يجلو بها من البصيرة عين[10] البصر .

(١-١) من م ، و في الأصل و ظ : اليه في ذلك (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م (٤ - ٤) من م . و في الاصل و ظ : يصدر (٥) من م ، و في الأصل و ظ : بذلك (٦) من ظ و م ، و في الأصل : كهل (٧-٧) من ظ و م ، وفي الأصل : الصار ولا يسام عليم الإعمال و اذا (٨) من م ، و في الأصل و ظ : عظمة (٩-٩) من ظ و م ، و في الأصل : صفاتان للمومن (١٠) من م ، و في الاصل و ظ : غير .

و لما نبه بهذا الاعتراض بين[1] الجزاء و معطوفه على ما فيه من دقائق المعاني في جلائل المباني، قال مكملا لما في ذلك من الترغيب في صورة الترهيب: ﴿ او ﴾ اى او ان يشاء فى كل وقت أراده[2]، و اسند الإيباق[3] إلى الجوارى تأكيدا لإرادة[4] العموم فى هلاك [5]الركاب فقال[5]: ﴿ يوبقهن ﴾ أى يهلكهن بالإغراق بارسال الريح و غير ذلك من التباريح حتى كأنهن ٥ بعد ذلك العلو[6] فى وقبه اى حفره، و طاق فى الماء و قعره، و قد تقدم تحقيق معنى "وبق" بجميع تقاليبه / فى سورة الكهف، و منه / ٦٥٢ [أن وبق -[7]] كوعد و وجل و ورث وبوقا[8] و موبقا: هلك، و الموبق كمجلس: المهلك و كل شىء حال بين شيئين[9] لأن[10] الوقبة تحول بين ما فيها و بين غيره[11]، و منه قيل للموعد: موبق، و أوبقه: حبسه[12] ١٠ أو أهلكه.

و لما كان الإهلاك لهن إهلاكا للركاب، قال مبينا أنهم المقصودون بمجردا الفعل[13] إشارة إلى [أن -[14]] ابن آدم لما طبع عليه من النقائص

(١) من م، و فى الأصل و ظ: مبين (٢) من م، و فى الأصل و ظ: ارزاد.
(٣) من ظ و م، و فى الاصل: الاباق (٤) من م، و فى الأصل و ظ: لارادته.
(٥-٥) من ظ و م، و فى الاصل: الركاب قال (٦) من م، و فى الأصل و ظ: العلوة (٧) زيد من ظ و م (٨) من م، و فى الأصل و ظ: بواق
(٩) من م، و فى الاصل و ظ: شىء (١٠) و من هنا تستأنف نسخة مد.
(١١) من م، و فى الأصل و ظ: غيرها (١٢) من م، و فى الأصل و ظ: حبه
(١٣) من ظ و م و مد، و فى الاصل: الفعل (١٤) زيد من م و مد.

ليس له من نفسه فعل خال عن شوب نقص حثا له على اللجاء إلى الله في تهذيب [نفسه -[1]] و إخلاص فعله[2]: ﴿ بما كسبوا ﴾ اى فعلوا من المعاصي بجدهم فيه و اجتهادهم[3].

و لما كان التقدير تفصيلا للايباق: فيغرق كل من فيهن إن شاء

٥ و يغرق [كثيرا -[4]] منهم[4] إن شاء، عطف عليه قوله: ﴿ و يعف ﴾ [أي -[5]] إن يشأ ﴿عن كثير ﴾ أى من الناس الذين في هذه السفن الموبقه، فينجيهم بعوم أو حمل[6] على خشبة[6] او غير ذلك، و إن يشأ يرسل الريح[7] [طيبة -[1]] فينجيها و يبلغها أقصى المراد إلى غير ذلك من التقادير الداخلة تحت المشيئة، فالفعل كما ترى عطف على

١٠ يوبق[8]، و عطف بالواو لأنه قسم [من -[1]] حالى الموبقة، و هو بمعنى ما روى عن أهل المدينة من نصب «يعفو» بتقدير "ان" ليكون[9] المعنى: يوقع إيباقا و عفوا.

و لما كان هذا كله على صورة الاختيار[10] لمن يستبصر فيدوم إخلاصه[11]، و من يرجع إلى العمى فلا يكون خلاصه، قال مبينا بالنصب

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مذ، و في الاصل و ظ: فعليه (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: جهادهم (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: منهن (٥) زيد من ظ و م و مد (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: عن عشبه (٧) من م و مد، و في الأصل و ظ: الرياح (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: موبق (٩) من ظ وم ومد، و في الاصل: يكون، (١٠) من م و مد، و في الأصل و ظ: الاختبان (١١) من م و مد، و في الأصل و ظ: خلاصه.

للصرف عن[1] العطف على شيء من الأفعال الماضية لفساد المعنى لكونها في حيز الشرط، فيصير العلم أيضا مشروطا: ﴿ و يعلم الذين يجادلون ﴾ اى عند النجاة بالعفو. و لما كان مقام العظمة شديد المنافاة للمجادلة، لفت القول إليه فقال: ﴿ في ايتنا ﴾ أي هذه التي لاتضاهي عظمتها و لاتقايس جلالتها و عزتها رجوعا إلى ما كانوا عليه من الشرك و النزاع ٥ في تمام القدرة بانكار البعث، و من واو[2] الصرف يعرف[3] أن مدخولها[4] مفرد في تأويل المصدر لان النصب فيها بتقدير أن فيكون مبتدأ[5] خبره ما يدل عليه السياق فالتقدير هنا: و علمه سبحانه بالمجادلين عند هذا حاصل، و التعبير عنه بالمضارع لإفادة الاستمرار لتجدد تعلق العلم بكل مجادل كلما حصل جدال[6]، و قراءة نافع[7] و ابن عامر [بالرفع -[8]] دالة على هذا، ١٠ فان التقدير: و هو يعلم - فالرفع هنا و النصب[9] سواء، قال الرضى في شرح قول ابن الحاجب في نواصب الفعل: و الفاء - أي ناصبة - بشرطين: السببية، و الثاني أن يكون قبلها[10] [أحد الأشياء الثمانية، و الواو بشرطين: الجمعية و أن يكون قبلها -[8]] مثل ذلك، و قد تضمر "أن" الناصبة بعد الفاء و الواو الواقعتين بعد الشرط قبل الجزاء[11] نحو إن تأتني فتكرمني ١٥

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: على (٢) من م و مد، و في الأصل وظ: راوا (٣) سقط من م (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: مدحلها. (٥) زيدت الواو في الأصل و ظ، و لم تكن في م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل و ظ: بجدال (٧) راجع نثر المرجان ٦/٣٧٢-٣٧٣. (٨) زيد من م و مد (٩) من م و مد، و في الأصل و ظ: الرفع (١٠) من م و مد، و في الأصل و ظ: فيها (١١) من ظ و م و مد، و في الأصل: الخبر.

أو تكرمنى أنت، او بعد الشرط و الجزاء[1] : إن تأتى إنك[2] فأكرمك أو و أكرمك، و ذلك لمشابهة الشرط فى الأول و الجزاء فى الثانى النفى، إذ الجزاء مشروط و وجوده بوجود الشرط، و وجود الشرط مفروض، فكلاهما غير موصوفين بالوجود حقيقة، و عليه حمل قوله تعالى «و يعلم

٥ الذين» فى قراءة النصب، ثم قال: وكذا يقول فى الفعل المنصوب بعد واو الصرف أنهم [لما -[3]] قصدوا فيها معنى الجمعية نصبوا المضارع بعدها[4] ليكون الصرف / عن سنن الكلام المتقدم مرشدا من أول الأمر أنها /٦٥٣ ليست للعطف فهى[5] إذن إما واو[6] الحال و أكثر دخولها [على -[3]] الاسمية فالمضارع بعدها فى تقدير مبتدأ محذوف الخبر وجوبا، فمعنى قم

١٠ و أقوم: [قم -[3]] و قيامى ثابت: أى فى حال ثبوت قيامى، و أما بمعنى مع و هى لاتدخل إلا على[7] الاسم قصدوا هاهنا مصاحبة الفعل للفعل منصوبا ما [بعدها، فمعنى قم و أقوم: قم مع قيامى كما قصدوا فى المفعول معه مصاحبة الاسم للاسم فنصبوا ما -[8]] بعد الواو، و لو جعلنا الواو عاطفة للصدر على مصدر متصيد[9] من الفعل قبله كما قاله النحاة، أى

١٥ لم يكن منك [قيام و قيام منى، لم يكن فيه نصوصية على معنى الجمع، و الأولى فى -[3]] قصد النصوصية فى شيء على معنى أن يجعل على وجه

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الخبر (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انت (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بعدما (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فهو (٦) من ظ و م و مد و فى الأصل: او (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مع (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مقصد.

يكون ظاهرا فيما قصدوا النصوصية عليه، و إنما شرطوا فى نصب ما بعد فاء السببية كون ما قبلها أحد الأشياء المذكورة[1] أى الأمر و النهى [و النفى -[2]] و الاستفهام و التمنى [و العرض -[2]] و التحضيض[3] و الرجاء لأنها غير حاصلة المصادر فتكون كالشرط الذى ليس بمتحقق الوقوع، و يكون ما بعد الفاء كجزائها ثم حملوا ما قبل وأو[4] الجمعية فى وجوب ٥ كون أحد الأشياء المذكورة[5] على ما قبل [فاء -[2]] السببية التى هى أكثر استعمالا من الواو فى مثل هذا الموضع أعنى فى انتصاب المضارع بعدها[6]، و ذلك لمشابهة الواو للفاء فى أصل العطف، و فى صرف ما بعدهما عن سنن العطف لقصد السببية فى إحداهما و الجمعية فى الأخرى، و لقرب الجمعية من التعقب الذى هو لازم السببية ثم قال: و كذا ربما ١٠ لم يصرف بعد واو الجمعية إلى النصب أمنا من اللبس، نحو ائتنى و أكرمك - بالرفع، لأن واو الحال قد تدخل على المضارع المثبت كما ذكرنا فى باب الحال، نحو قمت و اضرب زيدا أى و أنا أضرب.

و لما كان علم القادر بالمعصية موجبا لعذاب من عصاه، كان كأنه قيل: قد خسر من فعل ذلك فيا ليت شعرى ما يكون حالهم؟ أجاب ١٥ بقوله: ﴿ما لهم من محيص ه﴾ أى محيد و مفر أصلا عن عذابه، و لا بشىء

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المذكور (٢) زيد من م و مد.
(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التخصيص (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ «و» (٥) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بعد ما.

يسير ، وإن تأخر في نظركم إيقاع العذاب بهم فان عذابه سبحانه منه ما هو باطن و هو الاستدراج بالنعم [و هذا -[1]] لا يدركه إلا ارباب القلوب [2]المقربون لدى[2] علام الغيوب، و منه ما هو ظاهر، و يجوز أن يكون " الذين[3] " فاعل " يعلم "، و حينئذ يكون هذه الجملة في محل نصب لسدها [4]مسد مفعول[4] العلم .

و لما علم أن جميع النعم من الغيث و اثاره، و من نشر الدواب برا و بحرا بمعرض من الزوال و هو عظيم التقلبات هائل[5] الأحوال سبب، عنه قوله محقرا لدنياهم[6] و ما فيها من الزهرة بسرعة الذبول و الزوال، و الأفول و الارتحال، و لهم بأنها مع ما ذكر لا قدرة لهم على شيء منها إلا بموت يمن عليهم بها، و[7] أما هم[7] فقوم ضعفاء لا قدرة لهم على شيء و ليس لهم من أنفسهم إلا[8] العجز، فلو عقلوا [9]علموا و لو علموا لعملوا[9] عمل العبيد، و اطاعوا القوى الشديد : ﴿ فمآ اوتيتم ﴾ اى أيها الناس ﴿ من شيء ﴾ أى من النعم الظاهرة، و أجاب " ما " الشرطية بقوله : ﴿ فمتاع الحيوة الدنيا ج ﴾ [أى -[10]] القريبة الدنيئة لا نفع [11]فيه لأحد[11]

(1) زيد من ظ و م و مد (2-2) من ظ و م و مد، و في الأصل : المقربين اللذين.
(3) من م و مد، و في الأصل و ظ : الذى (4-4) من ظ و م و مد. و في الاصل : من مفعول (5) من م و مد، و في الأصل و ظ : هل بل (6) من ظ و م و مد، و في الاصل : الدنيا (7-7) من ظ و م و مد، و في الأصل : املهم (8) في م و مد : غير (9-9) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.
(10) زيد من م و مد (11-11) من م و مد، و في الأصل و ظ : لاحد فيه.

إلا

إلا مدة حياته، و ذلك جدير بالإعراض عنه[1] و عما يسببه من الأعمال إلا[2] ما يقرب إلى الله ﴿و ما﴾ أي و الذي. و لفت الكلام عن مظهر العظمة إلى أعظم منها[3] بذكر الاسم الجامع للترغيب في ذكر [آثار -[4]] الأوصاف/الجمالية و الترهيب من آثار[5] النعوت الجلالية فقال: ﴿عند الله﴾ / ٤:٦
أي الملك الأعظم المحيط بكل شيء قدرة و علما من نعم الدارين ﴿خير﴾ ٥
أي في نفسه و أشد خيرية من النعم الدنيوية [المحضة -[6]] لانقطاع نفعها. و لما كانت النعم الدنيوية قد تصحب الإنسان طول عمره فتسبب بذلك إلى البقاء قال: ﴿و ابقى﴾ أي من الدنيوية لأنه لابد من نزعها منه بالموت، ولذلك[7] قيد بالحياة فلا تؤثر [8]الفاني على خساسته[8] على الباقي مع نفاسته. ١٠

و لما بين ما لها من [النفاسة -[6]] ترغيبا فيها، بين من هي له فقال: ﴿للذين امنوا﴾ أي أوجدوا هذه الحقيقة ﴿و على﴾ أي و الحال أنهم صدقوها بأنهم على، و لفت القول إلى صفة الإحسان [9]لأنها نسب شيء[9] للتوكل، و أحكم الأمر بالإضافة[10] إشارة إلى [11]أنه إحسان[11] هو في غاية

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: عنها (٢) من ظ وم ومد. و في الأصل: إلى (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: منه (٤) زيد من ظ و م و مد. (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: الارا (٦) زيد من م و مد (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: لذيد - كذا (٨-٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الفاء في حساسته - كذا (٩-٩) من م و مد، و في الأصل و ظ: لاسبب بشيء. (١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: باضافة (١١ - ١١) من م و مد، و في الأصل و ظ: ان احسانه.

[1]المناسبة لحالهم فقال[1]: ﴿ ربهم ﴾ أى الذى لم[2] يروا إحسانا قط إلا منه وحده بما رباهم من الإخلاص له ﴿ يتوكلون ج ﴾ أى يحملون جميع أمورهم عليه كما يحمل غيرهم متاعه على [من -[3]] يتوسم فيـــه قوة على الحمل و لا يلتفتون فى ذلك إلى شيء غيره اصلا لينتفى عنهم بذلك الشرك
٥ الخفى كما أنتفى بالإيمان الشرك الجلى، و التعبير بأداة الاستعلاء تمثيل للاسناد و التفويض إليه[4] بالحمل عليه لأن الحمل أبين فى الراحة، و أظهر فى البعد من[5] الهم و المشقـة. و لعل التعبير بالمضارع للتخفيف فى [أمر [3]] التوكل بالرضى بتجديده[6] كلما تجدد مهم[6]، و من كان كذلك كان الله كافيه كل ملم، فيشاركون أهل الدنيا فى نيل نعمها و يفارقونهم
١٠ فى أن ربهم سبحانه يجعلها على وجه[7] لا حساب[7] عليهم فيها، بل و لهم فيها الأجور الموجبة[8] للنعمة و الحبور، و فى أنه يجعلها كافية لمهماتهم[9] و سادّة لخلاتهم، و يزيدهم الباقيات الصالحات التى يتسبب عنها نعيم الآخرة بعد[10] راحة الدنيا.

و لما كان كل من الإيمان و التوكل أمرا باطنا فكان لابد من

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المكاسبة لحالهم على (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عليه (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عن (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كما يتجدد منهم (٧-٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الاحساف (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المرجبة (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لمها تهم (١٠) من م و مد، و فى الاصل و ظ: بقدر.

دلائله من ظواهر الأعمال ، و كانت تخليات من الرذائل و تحليات بالفضائل ، و كانت التخليات لكونها درءًا[1] للفاسد مقدمة على التحليات التي هي جلب للصالح قال عاطفا على "الذين" : ﴿ و لذين يجتنبون ﴾ أي يكلفون أنفسهم أن يجانبوا ﴿ كبّئر الاثم ﴾ اي [جنس -[2]] الفعال الكبار التي لا توجد إلا ضمن أفرادها[3] [و يحصل بها -[4]] دنس للنفس ، فيوجب عقابا لها مع الجسم ، و عطف على "كبائر" قوله : ﴿ و الفواحش ﴾ و هي ما أنكره الشرع و العقل و الطبع التي هي آيات الله الثلاث التي نصبها حجة على عباده و له الحجة البالغة فاستعظم [الناس -[5]] امرها و لو أنها صغائر لدلالتها على الإخلال[6] بالمروءة كسرقة لقمة و الإقرار[6] على المعصية من شيخ جليل القدر لمن لايخشاه ١٠ و لايرجوه ، و قرأ حمزة و الكسائي : كبير[7] ، و هو للجنس ، فهو بمعنى قراءة الجمع[8] أو هي أبلغ لشمولها المفرد . و لما ذكر ما قد [9]تقود إليه[9] المطامع دون حمى [10]"الغضب الصارع"[10] قال منبها على عظمته[11] معبرا بأداة

---

(١) من م و مد ، و في الاصل و ظ : دارا (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : انفرادها (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الاحلال (٦) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الاضرار (٧) من ظ و م و مد و نثر المرجان ٦/٥٧٣ ، و في الأصل : كثير .
(٨) من ظ و مد . و في الأصل و م : الجميع (٩ - ٩) من م و مد ، و في الأصل و ظ : عليه ، مع بياض قبله قدر أنملة (١٠ - ١٠) من م و مد ، و في الأصل و ظ : النصب على المضارع (١١) في م و مد : عظمه .

التحقق[1] دلالة على أنه لابد منه توطينا للنفس عليه معلقا بجعل الغفر: ﴿و اذا﴾ و أكد بقوله: ﴿ما﴾ و قدم[2] الغضب إشارة إلى الاهتمام باطفاء جمره و تبريد حره فقال: ﴿غضبوا﴾ /أى غضبا هو على حقيقته /٦٥٥ من امر مغضب فى العادة ، و بين بضمير الفصل أن[3] بواطنهم فى غفرهم[4] كظواهرهم فقال: ﴿هم يغفرون ج﴾ أى[5] الإحصاء و الإخفاء بأنهم كلما ٥ بجدد لهم غضب جددوا غفرا[6] أى محوا للذنب عينا و اثرا مع القدرة على الانتقام فسجاياهم[7] تقتضى الصفح دون الانتقام ما لم يكن من الظالم بغى لأنه لايؤاخذ[8] على مجرد الغضب إلا متكبر ، و الكبر لايصلح لغير الإله و ذلك لأنه لايغيب أحلامهم عند اشتداد الأمر ما يغيب ١٠ أحلام غيرهم من طيش الجهل و سفاهة الرأى[9] ، فدل ذلك على أن الغفر دون غضب لايعد[10] بالنسبة إلى الغفر معه ، و فى الصحيح أنه[11] صلى الله عليه و سلم ما انتقم لنفسه قط إلا ان تنتهك حرمات الله ، و روى ابن ابى حاتم عن إبراهيم قال: كان المؤمنون يكرهون أن يستذلوا و كانوا

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التحقيق (٢) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : قد (٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مقرهم (٥) زيد فى الأصل و ظ و م : هم ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غمرانا (٧) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : نياهم (٨) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : لايوخذ. (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الراى (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لايعيد (١١) فى م و مد : ان النبى .

إذا قدروا عفوا .

و لما أتم ما منه التحلي ، أتبعه ما به التخلي ، و ذكر أوصافا أربعة هي قواعد [1]النصفة ما انبنى عليها[1] قط ربعها إلا كان الفاعلون لها كالجسد الواحد لاتأخذهم نازلة في الدنيا و لا في الآخرة فقال : ﴿و الذين استجابوا﴾ اى أوجدوا الإجابة بما لهم من العلم الهادى إلى سبيل الرشاد ﴿لربهم﴾ ٥ اى الداعي لهم إلى إجابته إحسانه إليهم إيجادا [2]هم من شدة حمل أنفسهم عليه يطلبونه من أنفسهم طلبا عظيما صادقا لم يبق [معه - [3]] لأحدهم نفس و لابقية من وهم و لا رسم [4]إلا على موافقة رضاه سبحانه لأنهم يعلمون أنه ما[5] دعاهم إليه و هو مربيهم إلا لصلاحهم و سعدهم و فلاحهم ، لأنه محيط العلم شديد الرحمة لايتهم بوجه من الوجوه . ١٠

و لما كان هذا عاما لكل خير دعا[6] إليه سبحانه ، خص أعظم عبادات البدن ، و زاد في عظمتها بالتعبير بالإقامة فقال : ﴿ و اقاموا ﴾ أى بما لهم من القوة ﴿الصلوٰة﴾ فأفهم ذلك مع اللام أنهم أوجدوا صورتها محمولة بروحها على وجه يقتضي ثبوتها دائما . و لما كانت الاستجابة توجب للاتحاد القلوب بالإيمان الموجب للاتحاد في الأقوال ١٥ و الأفعال ، و الصلاة توجب الاتحاد بالأبدان ، ذكر الاتحاد بالأقوال

(١-١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الصفه ما انتها إليها (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اجابة (٣) زيد من م و مد (٤) زيد في الأصل : ص ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : انما (٦) من م و مد ، و في الاصل و ظ : دعاهم .

الناشئ [عنه -[1]] عند أولى الكمال الاتحاد فى الأفعال، فقال معبرا بالاسمية حثا على أن [2]جعلوا ذلك لهم خلقا ثابتا لاينفك: ﴿و امرهم﴾ أى كل ما ينوبهم مما يحوجهم إلى تدبير ﴿شورى﴾ أى يتشاورون فيه مشاورة عظيمة مبالغين بما لهم من قوة الباطن و [3]صفائه فى[3] الإخلاص
٥ و النصح، من الشور و هو العرض و الإظهار ﴿بينهم ص﴾ أى بحيث أنهم لافرق فى حال المشاورة بين كبير منهم و صغير [بل كل منها -[1]] يصغى إلى كلام الآخر و ينظر فى صحته وسقمه بتنزيله على أصول الشرع و فروعه، فلا يستدل[4] أحد منهم برأى لدوام اتهامه لرأيه لتحققه نقصه[5] بما له من غزارة العلم و صفاء [الفهم - [1]] و لايعجلون[6] فى شىء بل
١٠ صار / التأنى لهم خلقا، و سوق المشورة[7] هذا السياق دال على عظيم جدواها / ٦٥٦ و جلالة نفعها قال الحسن[8] رحمه الله: ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم - على أنه روى الطبرانى فى الصغير و الأوسط لكن بسند ضعيف عن انس رضى الله عنه[9] أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: ما خاب من استخار و لاندم من استشار و لاعال من اقتصد، و روى فى الأوسط
١٥ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم[9] قال: من

---

(١) زيد من م و مد (٢) فى م: بان (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صفائه بما لهم من (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فلا يستبدل (٥) من م ومد، و فى الأصل و ظ: نفعه (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لايجعلون. (٧) زيد فى الأصل و ظ: على، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها. (٨) رواه عنه السيوطى فى الدر المنثور ٦/١٠ (٩) راجع مجمع الزوائد للهيثمى ٨/٩٦.

أراد أمرا فشاور فيه أمرا مسلما وفقه الله لأرشد أمره .

و لما كانت المواساة بالأموال بعد الاتحاد فى الأقوال و الاتفاق فى الأفعال أعظم جامع على[1] محاسن الخلال[2]، و اظهر دال على ما ادعى من الاتحاد فى الحال و المآل، قال مسهلا عليهم امرها [بأنه - [3]] لامدخل لهم فى الحقيقة فى تحصيلها راضيا منهم باليسير منها: ﴿ و مما ﴾ ٥ ولفت القول إلى مظهر العظمة تذكيرا بما يتعارفونه بينهم من أنـــه لامطمع فى التقرب من[4] العظماء إلا بالهدايا فقال: ﴿ رزقنهم ﴾ أى بعظمتنا من غير حول منهم و لا قوة ﴿ ينفقون ﴾ اى يديمون[5] الإنفاق كرما منهم و إن قل ما بأيديهم اعتمادا على فضل الله سبحانه و تعالى لايقبضون [أيديهم - [3]] كالمنافقين، و ذلك الإنفاق على حسب ما حددناه[6] لهم ١٠ فواسوا بالمشورة[7] فى فضل عقولهم و بالإنفاق فى فضل أموالهم تقوى منهم و مراقبة لله[8] لا شهوة نفس .

و لما كان فى العقوبة مصلحة و مفسدة فندب[9] سبحانه إلى المغفرة تقديما لدرء المفسدة لأن الإنسان لعدم غلبه بالقلوب لايصح له بوجه أن يعاقب بمجرد الغضب لأنه قد يخطئ فيعاقب من أغضبه، و هو ١٥

(١) من م ومد، و فى الأصل و ظ: فى (٢) من م و مد . و فى الأصل وظ: الجلال (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ وم و مد، و فى الاصل: الى (٥) من م ومد، وفى الاصل وظ: يدعون (٦) من ظ وم ومد، وفى الاصل: اوجده م (٧) من ظ و م و مد. و فى الأصل: فى المشوره (٨-٨) من ظ و م ومد، و فى الأصل - الله ومراقبه (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ندب .

شريف الذات كريم الطبع علي[1] الهمة أبي النفس، ما يقع منه الذنب الذي أعضب إلا خطأ معفوا عنه أو[2] كذب عليه[3] فيه فيرى في نفسه أخته تفسد ذات البين فيجر[4] إلى خراب كبير، وكانت إدامة الغفرجالبة[5] للفساد مجرئة على العناد[6]، وكان البغي هو التمادي [في السوء -[7]] محققا لقصد الذنب مجوزا للإقدام على الانتقام، وكان الانتصار من الفجار ربما أحوج مع قوة الجنان إلى إنفاق المال، عقب الإنفاق[8] بمدح الانتصار بقوله : ﴿ و الذين ﴾ و ذكر أداة التحقق[9] إشارة إلى ان شرطها لابد من وقوعه[10] بالفعل أو بالقوة فقال ناصبا بفعل الانتصار مقدما لما[11] من شأن النفس الاهتمام بدفعه لعدم صبرها عليه : ﴿اذا اصابهم﴾ أي وقع بهم و أثر فيهم ﴿ البغي ﴾ و هو التمادي على الرمي بالشر ﴿ هم ﴾ أي بأنفسهم خاصة لما لهم من قوة الجنان و الأركان المعلمة بأن ما تقدم من غفرانهم ما كان إلا لعلو شأنهم لا لهوانهم ﴿ ينتصرون ﴾ أي يوقعون بالعلاج بما أعطاهم الله من سعة العقل و شدة البطش و قوة القلب النصر لأنفسهم في محله على ما ينبغي من زجر الباغي عن معاودتهم[12] و عن

(١) من ظ وم ومد، وفي الأصل : عالي (٢) من م و مد، وفي الاصل وظ : «و» (٣) سقط من م (٤) من ظ و م و مد، وفي الاصل : ويجر (٥) من ظ وم ومد، وفي الاصل : حابسة (٦) من م ومد، وفي الاصل وظ : الفساد. (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ و م و مد، وفي الاصل : لانفاق (٩) من م و مد، وفي الاصل و ظ : التحقيق (١٠) من م و مد، وفي الاصل و ظ : وقوعها (١١) من ظ و م و مد، وفي الأصل : لهاما (١٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل : معاد تهم .

الاجتراء على غيرهم مكررين لذلك كلما كرر لهم فيكون [ذلك - ٢] من إصلاح ذات البين، ليسوا بعاجزين و لا في أمر دينهم متوانين، و التعبير في هذه الأفعال بالإسناد إلى الجمع إشارة إلى أنه لا يكون تمام التمكن الرادع / إلا مع الاجتماع، و من كان فيها مفردا كان همه طويلا و[٣] بثه جليلا[٣]، قال النخعي: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ[٤] عليهم الفساق.

/ ٥٧

٥

و لما كان [الإذن - ٢] في الانتصار في هذا السياق المادح[٥] مرغبا فيه [مع ما للنفس من الداعية إليه، زجر عنه لمن كان له قلب أولا بكفها عن الاسترسال فيه - ٢] و ردها[٥] على حد[٦] المماثلة، و ثانيا [٧]بتسميته سيئة[٧] و إن كان على طريق المشاكلة، و ثالثا بالندب إلى العفو، فصار المحمود منه إنما هو ما كان لإعلاء كلمة الله لا شائبة [٨]فيه للنفس[٨] أصلا [فقال - ٩]: ﴿ و جزٰٓؤا سيئة ﴾ أي أي سيئة كانت ﴿ سيئة مثلها ج ﴾ [أي - ٢] لا تزيد عليها في عين و لا معنى أصلا، و قد كفلت[١٠] هذه الجمل بالدعاء إلى أمهات[١١] الفضائل الثلاث العلم و العفة[١٢] و الشجاعة على

١٠

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: الى (٢) زيد من م و مد (٣-٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: سه خليلا (٤) ز مد في الأصل: قال، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد، و في الاصل: ردا. (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: حبر (٧-٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: بتسميه سببه (٨-٨) من م و مد، و الأصل و ظ: للنفس فيه (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من م و مد، و في الأصل و ظ: تكلمت (١١) من ظ و م و مد، و في الأصل: مهمات (١٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: امقه.

أحسن الوجوه، فالمدح بالاستجابة و الصلاة دعاء إلى العلم، و بالنفقة[1] إلى العفة، و بالانتصار إلى الشجاعة، حتى لايظن ظان[2] أن إذعانهم لما مضى مجرد ذل، و القصر على المماثلة دعاء إلى فضيلة التقسيط[3] بين الكل و هي العدل، و هذه الأخيرة كافلة بالفضائل الثلاث، فان من علم المماثلة
٥ كان عالما، و من قصد الوقوف عندها كان عفيفا، و من قصر نفسه على ذلك كان شجاعا، و قد ظهر من المدح بالانتصار بعد المدح بالغفران أن الأول للعاجز[4] و الثاني للمتغلب المنكر بدليل البغي.

و لما [5]كان شرط[5] المماثلة نادبا بعد شرع العدل الذي هو القصاص إلى العفو الذي هو الفضل لأن تحقق المثلية من العبد الملزوم للعجز
١٠ لايكاد يوجد، سبب عنه قوله: ﴿ فمن عفا ﴾ أى باسقاط حقه كله أو بالنقص عنه لتتحقق البراءة عما حرم من المجاوزة ﴿ و اصلح ﴾ [أى أوقع الإصلاح -[6]] بين الناس بالعفو و الإصلاح لنفسه ليصلح الله ما بينه و بين الناس، فيكون بذلك منتصرا من نفسه لنفسه ﴿ فاجره على الله[1] ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال فهو يعطيه على حسب ما يقتضيه مفهوم
١٥ هذا الاسم الأعظم، و هذا سر لفت الكلام [إليه -[6]] عن مظهر العظمة و قوله صلى الله عليه و سلم: ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا.

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالتفقه (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التقسط (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: للفاجر. (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كانت (٦) زيد من م و مد.

و لما كان هذا ندبا إلى العفو بعد المدح بالانتصار، بين ان علته كراهة أن يوضع شيء فى غير محله[1] لأنه لا يعلم المماثلة فى ذلك إلا الله، فقال[2] مضمرا إشارة إلى أن المثلية من الغيب الخفي مؤكدا لكف النفس لما لها من عظيم الاسترسال فى الانتصار: ﴿إنه لا يحب الظلمين ۝﴾ أى لا يكرم[3] الواضع للشيء فى غير محله داب من يمشي فى مأخذ الاشتقاق ٥ إذا كان عريقا فى ذلك سواء كان ابتداء او مجاورة فى الانتقام بأخذ الثار.

و لما كان هذا سادا لباب الانتصار لما يشعر به من انه ظلم على كل، قال[4] مؤكدا [نفيا -[5]] لهذا الإشعار: ﴿و لمن انتصر﴾ اى سعى فى نصر نفسه بجهده ﴿بعد ظلمه﴾ اى بعد ظلم الغير له و ليس ١٠ قاصد البعد عن حقه و لو استغرق انتصاره جميع [6]زمان البعد[6]. و لما بين تعالى ما لذلك الناظر فى مصالح العباد المنسلخ[7] من حظ نفسه إحسانا إلى عباد الله من الرتبة العليا، بين ما لهذا الذاب عن نفسه القاصد لشفاء صدره و ذهاب / غيظه، فقال رابطا[8] للجزاء بفاء السبب بيانا لقصور نظره /٦٥٨ على دفع الظلم عن نفسه. و يجوز كون "من" موصولة و الفاء ١٥

(١) فى م و مد: موضعه (٢) من م و مد، و فى الاصل و ظ: تعالى (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يكره (٤) من م و مد، و فى الاصل و ظ: حال (٥) زيد من ظ و م و مد (٦-٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الزمان البعيد (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المصلح (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ارتباطا.

[لما -[1]] للوصول من شبه الشرط .

و لما عبر أولا بالإفراد[2] فكان ربما قصر الإذن[3] على الواحد لئلا تعظم الفتنة، جمع إشارة إلى ان الفتنة[4] إنما هى فى إقرار الظلم لا فى نصر[5] المظلوم واحدا كان او جماعة [فقال -[1]] : ﴿ فاولٓئك ﴾ اى المنتصرون

٥ لأجل دفع[6] ظلم الظالم عنهم فقط ﴿ ما عليهم ﴾ و أكد باثبات الجار فقال : ﴿ من سبيلٍ ﴾ أى عقاب و لا عتاب ، و روى النسائى و ابن ماجه[7] عن عائشه رضى الله عنها قالت : ما علمت حتى دخلت علىّ زينب رضى الله عنها بغير إذن و هى غضبى ثم أقبلت علىّ فأعرضت عنها حتى قال النبي صلى الله عليه و سلم : دونك فانتصرى ، فأقبلت عليها حتى رأيتها

١٠ قد يبس ريقها فى فيها[8] ما ترد علىّ شيئا ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه .

و لما نفى السبيل عنه بعد تشوف السامع إلى موضع ما أشعر به الكلام السابق من الظلم ، بين[9] ذلك فقال : ﴿ انما السبيل ﴾ أى [10]الطريق السالك[10] الذى لا منع[11] منه أصلا بالحرج و العنت ﴿ على ﴾ و جمع

١٥ إعلاما بكثرة المفسدين تجرئة[12] على الانتصار منهم و إن كانوا كثيرا

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاقرار (٣) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : الادهان (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) فى م : نصرة (٦) من ظ و م و مد . و فى الأصل : قطع (٧) راجع سننه ص ١٤٣ (٨) فى ظ و م و مد : فمها (٩) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : من (١٠ - ١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المسلك (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مانع (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : عربه .

فال

فان الله خاذلهم[1] فقال: ﴿الذين يظلمون الناس﴾ اى يوقعون بهم[2] ظلمهم تعمدا[3] عدوانا ﴿و يبغون﴾ أى يتجاوزون الحدود ﴿فى الارض﴾ بما يفسدها بعد إصلاحها بتهيئتها للصلاح طبعا [4]و فعلا[4] و علما و عملا.
و لما كان الفعل قد يكون بغيا و إن كان مصحوبا بحق كالانتصار المقترن بالتعدى [فيه -[5]] قال: ﴿بغير الحق﴾ [أى الكامل -[5]] و لما أثبت[6] ٥ عليهم بهذا الكلام السبيل، كان السامع[7] جديرا بأن يسأل عنه فقال: ﴿اولٓئك﴾ أى البغضاء[8] البعداء من الله ﴿لهم عذاب اليم ۝﴾ اى مؤلم بما آلموا من ظلموه [من عباد الله -[9]] بحيث يعم إيلامه أبدانهم و أرواحهم بما لها من المشاعر الظاهرة و الباطنة.

و لما افهم سياق هذا الكلام [10]و ترتيبه هكذا[10] أن التقدير: فلمن صبر ١٠ عن[11] الانتصار أحسن حالا ممن انتصر، لان الخطأ فى [العفو -[12]] أولى من الخطأ فى الانتقام، عطف عليه مؤكدا لما أفهمه السياق أيضا من مدح المنتصر: ﴿و لمن صبر﴾ عن الانتصار من غير انتقام و لا شكوى

(١) من م و مد، و فى الاصل و ظ: جادلهم (٢) من م و مد، و فى الأصل وظ: لهم (٣) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ وم و مد (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ثبت (٧) فى م: السايل (٨) سقط من ظ و م و مد (٩) زيد من م (١٠-١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل. برمه هذا.
(١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (١٢) زيد من ظ و م و مد.

﴿وغفر﴾ فصرح[١] باسقاط العقاب و العتاب فمحا عين الذنب و أثره[٢] : ﴿ان ذلك﴾ أى ذلك الفعل الواقع منه البالغ فى العلو جدا لا يوصف ﴿لمن عزم الامور﴾ أى الأمور التى هى لما لها من الأهلية[٣] لأن يعزم عليها[٣] قد صارت فى انفسها[٤] كأنها[٥] ذوات العزم أو متأهلة[٦] لأن تعزم
٥ على ما تريد ، و العزم : الإقدام على الأمر بعد الروية و الفكرة[٧] ، قال أبو علي بن الفراء : ايات العفو محمولة على الجانى النادم ، و آيات مدح الانتصار على المصر ، و ذلك إنما يحمد مع القدرة [على تمام النصرة -[٧]] كما قال يوسف عليه الصلاة و السلام / لإخوته : لا تثريب عليكم اليوم ٦٠٩ / يغفر الله لكم - الآية ، و قال : فعل النبى صلى الله عليه و سلم فى مواطن
١٠ كثيرة منها الموقف الأعظم الذى وقفه يوم الفتح عند باب الكعبة و قال لقريش و هم [تحته -[٨]] كالغنم المطيرة : ما تظنون أنى فاعل بكم يا معشر قريش ؟ قالوا : خيرا[٩] ، أخ كريم و ابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، [و روى أحمد[١٠] و أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا شتم أبا بكر رضى الله عنه -[١١]] فلما رد عليه قام[١٢] صلى الله عليه

---

(١) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : و صرح (٢) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الاصل : لايعزم (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نفسها (٥) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يتاهله (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الفكر . (٨) زيد من ظ وم و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : خير (١٠) راجع مسنده ٢ / ٤٣٦ (١١) زيد من م و مد (١٢) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : قال .

و سلم ثم قال : يا أبا بكر ! ثلاث كلهن حق [ما -[1]] من عبد ظلم مظلمة فعفى عنها لله إلا أعز[2] الله بها نصره ، و ما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده[3] الله بها [كثرة و ما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها [1]] قلة .

و لما بان فى هذا الكلام المقتصر على الصبر و الجامع إليه الغفر ٥ و المقتضى بالنصر اندراجهم كلهم فى دائرة الحق ، أتبعه من خرج عن تلك الدائرة ، فقال مخبرا أن ما شاءه كان و ما[4] لم يشأه لم يكن عطفا على نحو : فمن يهدى الله للوقوف عند هذه الحدود فما له من مضل ، مبينا بلفظ الضلال ان ما شرعه [من الطريق -[5]] فى غاية الوضوح[6] لا يزيغ عنه أحد إلا بطرد عظيم : ﴿ و من يضلل الله ﴾ أى الذى له ١٠ صفات الكمال إضلالا واضحا بما[7] افاده الفك[8] بعدم البيان أو بعدم التوفيق لمطلق الصبر أعم من أن يكون بالاقتصار على أخذ الحق و بتأخير الحق إلى وقت و بالعفو و بالغفر .

و لما كان الضال عن ذلك لا يكون إلا[9] مجبولا على[9] الشر ، سبب عنه قوله : ﴿ فما له ﴾ أى فى ذلك الوقت ﴿ من ولى ﴾ أى يتولى[10] ١٥

(١) زيد من م و مد و المسند (٢) من م و مد و المسند ، و فى الأصل و ظ : اعزه . (٣) من ظ و م و مد و المسند ، و فى الأصل : راد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بما (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الموضوع (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لما (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اليك (٩ - ٩) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : مجهولا عن . (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يتوال .

أمره في الهداية بالبيان لما أخفاه الله عنه أو التوفيق لما بينه له ﴿من بعده﴾ أي [من -[1]] بعد معاملة[2] الله له معاملة البعيد من وكله إلى نفسه و غيره من الخلق في شيء من زمان البعد و لو قل .

و لما كان مبنى أمر الضال على الندم و لو بعد حين، قال عاطفا
٥ على نحو : فترى[3] الظالمين قبل رؤية العذاب في غاية الجبروت و البطر و التكذيب بالقدرة عليهم، فهم لذلك[4] لايرجون حسابا و لا يخافون عقابا : ﴿و ترى﴾ و قال : ﴿الظّلمين﴾ موضع "و تراهم" لبيان أن الضال لايضع شيئا في موضعه . و لما كان عذابهم حتما، عبر عنه بالماضي فقال : ﴿ لما رأوا العذاب ﴾ أي المعلوم[5] مصير الظالم إليه رؤية
١٠ محيطة بظاهره و باطنه يتمنون الرجعة إلى الدنيا لتدارك ما فات من الطاعات الموجبة للنجاة ﴿يقولون﴾ أي مكررين مما اعتراهم من الدهش و غلب على قلوبهم من الوجل : ﴿ هل الى مرد ﴾ أي رد[6] إلى دار العمل و زمانه عظيم[7] مخلص من هذا العذاب ﴿ من سبيل ﴾ .

و لما أثبت رؤيتهم العذاب، أثبت دنوهم من محله و بين حالهم
١٥ في ذلك الدنو فقال : ﴿و ترٰهم﴾ أي يا أكمل الخلق و يا أيها[8] المتشوف

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ : مقابلة (٣) من م و مد و في الأصل و ظ : و ترى (٤) من م و مد، و في الاصل و ظ : كذلك (٥) زيد في الأصل و ظ : صير . و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها . (٦) من ظ و مد، و في الأصل و م : ردا (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل : عظم (٨) زيد في الاصل و ظ : الخلق، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها .

إلى العلم بحالهم بعينك حال كونهم ﴿ يعرضون ﴾ أى يجدد عرضهم و يكرر، و هو إلجاؤهم إلى أن يقاربوها[1] بعرضهم الذى يلزم[2] [محاذاتهم لها أيضا بطولهم ليعلموا أنها مصيرهم فلا مانع لها منهم -[3]] ﴿عليها﴾ أى النار التى هى دار العذاب مكررا عرضهم [فى طول الموقف مع ما هم فيه من تلك الأهوال بمقاساة ما عليهم من الأحمال الثقال -[3]] حال ٥ كونهم ﴿ خشعين ﴾ أى فى غاية الضعة و الإلقاء[4] باليد خشوعا هو ثابت لهم .

و لما كان الخشوع قد يكون محمودا قال : ﴿ من الذل ﴾ لأنهم[5] عرفوا إذ ذاك ذنوبهم و انكشفت لهم عظمة من عصوه .

و لما كان الذل الوانا، صوره بأقبح صورة / فقال معبرا بلفظ ١٠ ، ٦٦٠ النظر الذى هو مماسة[6] البصر الظاهر[7] المبصر : ﴿ ينظرون ﴾ أى يبتدئ نظرهم المتكرر ﴿من طرف ﴾ أى تحريك للاجفان[8] ﴿ خفى﴾ يعرف[9] فيه الذل لأنه لا يكاد [من -[3]] عدم التحديق يظن أنه يطرف[10] لأنهم يسارقون النظر مسارقة كما ترى الإنسان ينظر إلى المكاره، و الصبور ينظر

---

(١) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يلزمهم (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : الانعاد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فانهم (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مما (٧) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : نظاهر (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاجفان (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يصرف .
(١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مطرف .

إلى السيف الذى جرد[1] له فهو بحيث لا يحقق منظورا إليه ، بل ربما تخيله[2] بأعظم مما هو عليه . و لما[3] صور حالهم و كان من أفظع[4] الأشياء و أقطعها للقلوب شماتة العدو ، قال مبشرا لجميع [أصناف -[5]] أهل الإيمان و رادعا لأهل الكفران : ﴿ و قال ﴾ أى فى ذلك [الموقف الأعظم -[5]]
٥ على سبيل التعبير لهم و التبكيت و التوبيخ[6] و التقريع ﴿ الذين امنوآ ﴾ أى أوقعوا هذه الحقيقة سواء كان إيقاعهم لها فى أدنى الرتب أو أعلاها عند رؤيتهم إياهم[7] على هذا الحال ، مؤكدين لتحقيق مقالهم عند من قضى بضلالهم [و الإعلام -[8]] بما لهم من السرور بصلاح حالهم ، و الحمد لمن من عليهم بحسن منقلبهم و مآلهم ، و يجوز أن يكون قولهم هذا فى
١٠ الدنيا لما غلب على قلوبهم من الهيبة عند ما تحققوا هذه المواعظ : ﴿ ان الخسرين ﴾ أى الذين كملت خسارتهم هم خاصة ﴿ الذين خسروآ انفسهم ﴾ [9] بما استغرقها من العذاب ﴿ و اهليهم ﴾ بمفارقتهم لهم إما فى اطباق العذاب إن كانوا مثلهم[10] فى الخسران أو فى دار الثواب إن كانوا من أهل الإيمان .

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جروا (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يجعله (٣) زيد فى الأصل : كان قد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعظم (٥) زيد من م و مد . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التخويف (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اياها (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) زيد قبله فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مسلمين .

و لما أخبر بخسارتهم بين ظرفها تهويلا[1] لها، و يجوز أن يكون ظرفا لهذا القول، و هو أردع لمن له مسكة لأن من جوز أن يخسر وأن عدوه[2] يطلع على خسارته [و -[3]] يظهر الشماتة به، كان جديرا بأن يترك السبب الحامل على الخسارة فقال: ﴿يوم القيمة﴾[4] اى الذى هو يوم فوت التدارك لأنه للجزاء لا للعمل لفوات شرطه بفوات الإيمان ٥ بالغيب لانكشاف الغطاء. و لما كان هذا نهاية الخسارة. أنتج قوله مناديا ذاكرا سبب هذه[5] الخسارة المعينة مؤكدا لأجل إنكار الظالمين لها و إن كان من تتمة قول المؤمنين هناك، فالتأكيد مع ما يفيد الإخبار به فى هذه الدار من ردع[6] المنكر للاعلام بما لهم من اللذة فيما رأوا من سوء حالهم و تقطع أوصالهم و رجائهم من أن ينقطع [عنهم ذلك ١٠ كما ينقطع -[7]] عن عصاة المؤمنين: ﴿ألا ان الظلمين﴾ أى الراسخين فى هذا الوصف فهم بحيث لاينفكون عن فعل الماشى فى الظلام بوضع الأشياء فى غير مواضعها ﴿فى عذاب مقيم﴾ لايزايلهم أصلا، فلذلك[8] لايفرغون منه فى وقت من الأوقات، فلذلك كان خسرانهم لكل شىء.

و لما كانت العادة جارية بأن من وقع فى ورطة [وجد -[9]] ١٥ فى الأغلب وليا ينصره أو سبيلا ينجيه، قال عاطفا على "و ترىهم" أو

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يلا (٢) من م ومد، و فى الأصل و ظ: عذره (٣) زيد من م و مد (٤) العبارة من هنا ساقطة من مد (٥) من م و فى الأصل و ظ: عدة (٦) من م، و فى الاصل و ظ: رجوع. (٧) زيد من ظ و م (٨) من م، و فى الأصل و ظ: فكذلك. (٩) زيد من م.

" الا ان ": ﴿ و ما كان ﴾ أى صح و وجد ﴿ لهم ﴾ و أعرق فى النفى فقال[1] : ﴿ من اولياء ﴾ فما لهم من ولى لأن النصرة إذا انتفت من الجمع انتفت من الواحد من باب الأولى .

و لما كان من يفعل فعل القريب لا يفيد[2] إلا إن كان قادرا ٥ على النصرة قال : ﴿ ينصرونهم ﴾ أى يوجدون نصرهم فى وقت من الأوقات لا فى الدنيا بأن يقدروا / على إنقاذهم من وصف الظلم و لا فى /٦٦١ الآخرة بانقاذهم مما جرى عليهم من العذاب . و لما كان الله تعالى يصح منه أن يفعل ما يشاء بواسطة أو غيرها قال : ﴿ من دون الله ﴾ أى ما صح ذلك و ما استقام بوجه بغـــيره ، و أما هو فيصح[3] ذلك ١٠ منه و يستقيم له لإحاطته بأوصاف الكمال ، و لو أراد لفعل[4] . و لما بين ما لهم[5] بين ما [لمن - [6]] اتصف بوصفهم كائنا من كان ، فقال بناء على نحو : لأنه هو الذى أضلهم : ﴿ و من يضلل الله ﴾ [أى يوجد ضلاله إيجادا بليغا بما أفاده الفك[7] عـــلى سبيل الاستمرار بعدم البيان [له - [6]] أو بعدم التوفيق بعد البيان : ﴿ فما له ﴾ بسبب إضلال من ١٥ له جميع صفات الجلال و الإكرام ، و أعرق فى النفى بقوله : ﴿ من سبيل ﴾ أى تنجية[8] من الضلال و لا مما تسبب عنه من العذاب . [و لما - [6]] كان

---

(١) زيد فى الأصل و ظ : لهم ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الاصل : لايعيد (٣) من م ، و فى الاصل و ظ : يصح (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : افعل (٥) من م ، و فى الاصل و ظ : حالهم (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الفكو (٨) من ظ و م . و فى الأصل : نتيجة .

هذا

هذا. أنتج قطعا قوله: ﴿ استجيبوا ﴾ أى اطلبوا الإجابة و اوجدوها، و لفت القول إلى الوصف الإحسانى[1] تذكيرا [2]بما يحث[2] على الوفاق، و يخجل من الخلاف و الشقاق، فقال: ﴿ لربكم ﴾ الذى لم تروا إحسانا إلا و هو منه فيما دعاكم إليه برسوله صلى الله عليه و سلم من الوفاء بعهده فى أمره و نهيه، و لا تكونوا ممن ترك ذلك [3]فتكونوا ممن[3] علم ٥ أنه أضله فانسد[4] عليه السبيل.

و لما كان الخوف من الفوت موجبا للمبادرة، قال مشيرا بالجار [إلى أنه -[5]] يعتد بأدنى خير يكون فى أدنى زمن يتصل بالموت: ﴿ من قبل ان يأتى يوم ﴾ أى يكون فيه ما لا يمكن معه فلاح، ثم وصفه بقوله لافتا إلى الاسم الأعظم الجامع لأوصاف الإحسان ١٠ و الإنعام على المطيعين و القهر و الانتقام من العاصين: ﴿ لا مرد ﴾ أى [6]لاردو لا موضع رد و لا زمان رد ﴿ له ﴾ كائن ﴿ من الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة و إذا لم يكن له مرد [منه لم يكن له مرد -[7]] من غيره، و متى عـــدم ذلك أنتج قوله: ﴿ ما لكم ﴾ و أعرق فى النفى بقوله: ﴿ من ملجإ يومئذ ﴾ أى مكان تلجأون إليه فى ذلك [اليوم -[7]] و حصن ١٥ تتحصنون فيه من شىء تكرهونه، و زاد فى التأكيد باعادة النافى و ما فى حيزه[8] إبلاغا فى التحذير [فقال[7] -]: ﴿ ما لكم من نكير ﴾ أى

(١) فى م: للاحسان (٢-٢) من م، و فى الأصل و ظ: مما يجر (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: فكونوا من (٤) من م، و فى الأصل و ظ: فافسد. (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، و فى الأصل و ظ: راد (٧) زيد من م. (٨) من م، و فى الأصل و ظ: خبره.

من إنكار يمكنكم به من النجاة لأن الحفظة يشهدون عليكم فان صدقتموهم و إلا شهدت عليكم أعضاؤكم و جلودكم، و لا لكم من أحد ينكر شيئا مما تتجاوزون به ليخلصكم منه[1].

و لما أنهى ما قدمه فى قوله "شرع لكم من الدين" نهايته، ٥ و دل عليه و على كل ما قادته[2] الحكمة فى حيزه[3] حتى لم يبق[4] لأحد شبهة فى شيء من الأشياء، كان ذلك سببا لتهديدهم على الإعراض عنه و تسلية رسولهم[5] صلى الله عليه و سلم فقال معرضا عن خطابهم إيذانا بشديد الغضب: ﴿فان اعرضوا﴾ أى عن إجابة هذا الدعاء الذى وجبت[6] إجابته [و الشرع الذى وضحت وصحت طريقته -[7]] بما تأيد به من الحجج، ١٠ [و لفت القول إلى مظهر العظمة دفعا لما قد يوهم الإرسال من الحاجة فقال -[7]]: ﴿فمآ ارسلنك﴾ مع ما لنا من العظمة ﴿عليهم حفيظا﴾ أى تقهرهم على [8]امتثال ما[8] أرسلناك به. و لما كان التقدير: فأعرض عن غير إبلاغهم لأنا إنما أرسلناك مبلغا، وضع موضعه: ﴿ان﴾ أى ما ﴿عليك الا البلغ﴾ لما أرسلناك به، و اما الهداية و الإضلال فالينا.

(١) من م، و فى الأصل و ظ: به (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اقاوته. (٣) من م، و فى الأصل وظ: غيره (٤) من م، و فى الأصل وظ: لم يسبق. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: رسوله (٦) من ظ و م، و فى الأصل: وجب (٧) زيد من م (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: الامتثال لما.

و لما ضمن لهذه[1] الآية ما أرسله له، أتبعه[2] ما جبل عليه الإنسان بيانا لأنه صلى الله عليه و سلم لا حكم له على لطباع و ان الذى [عليه -[3]] إنما هو الإسماع لا السماع. فقال عاطفا على ما قبل آية الشرع من قوله "يبسط الرزق لمن يشاء" حاليا [له -[3]] فى أسلوب العظمة تنبيها على أنه الذى حكم عليهم بالإعراض عما[4] هو جدير بأن لا يعرض عنه عاقل، ٥ [5]و إيماء إلى أن[5] الإنسان لغلبه[6] جهله و قلة عقله يجترئ[7] بأدنى تأنيس[8] على من تسجد[9] الجبال لعظمته و تندك الشوامخ من هيبته: [10]﴿و انا اذآ اذقنا﴾ بعظمتنا التى لا يمكن مخالفتها[10]. و لما كان [من -[3]] يفرح بالنعمة عند انفراده بها مذموما، عبر [11]"بالجنس الصالح[11]" للواحد فما فوقه تنبيها على أن طبع الإنسان عدم الاهتمام بشدائد الإخوان إلا من أقامه الله فى مقام ١٠ الإحسان فقال: ﴿الانسان﴾ أى بما جبلناه[12] عليه من النقص بالعجلة و عدم التمالك[13] ﴿منا رحمة﴾ أى نوعا من أنواع الإكرام من صحة

(١) من م، و فى الأصل و ظ: هذه (٢) زيد فى الأصل و ظ: موضعه، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بما (٥-٥) من م، و فى الاصل و ظ: انما (٦) من ظ و م، و فى الاصل: يغلبه (٧) من م، و فى الاصل و ظ: يجرى (٨) من م، و فى الأصل و ظ: تأسيس (٩) من م، و فى الاصل و ظ: سجد (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من م (١١-١١) من ظ و م، و فى الأصل: بالجنس للصالح (١٢) من م، و فى الأصل و ظ: حملناه (١٣) زيد فى م: و انا بما لنا من العظمة إذا اذقنا الانسان.

أو غنى و نحو ذلك ، و افرد الضمير إشارة إلى أنه مطبوع على أنه ليس
عليه[1] إلا من نفسه و لو كان أهل [الأرض -[2]] كلهم على غير ذلك ،
و كذا عبر بالإنسان فقال : ﴿ فرح بها ج ﴾ أى و لو أن[3] أهل الأرض
[كلهم -[1]] فى نقمة و بؤس و عمى فأخرجه الفرح عن تأمل ما ينفعه
٥ ليشكر[4] ، فكان ذلك لذلك كافرا للنعمة لأنه أبدل الشكر بالفرح و الكفر ،
فتوصل بالعافية إلى المخالفة ، فأوقع نفسه [5]فى أعظم[5] البلاء .

و لما دل بأداة التحقق على أن النعمة هى الأصل لعموم رحمته ،
و أنها سبقت غضبه ، دل على أن السيئة قليلة بالنسبة إليها بأداة الشك
و المضارع فقال : ﴿ و ان ﴾ و لما كانت المشاركة فى الشدائد تهون
١٠ المصائب ، فكان من يزيد غمه بخصوص مصيبته عند العموم مذموما ،
نبه على نقص[6] الإنسان بذلك بالجمع فقال : ﴿ تصبهم سيئة ﴾ أى نقمة
و بلاء و شدة . و لما كانت الرحمة فضلا منه ، أعلمهم أن السيئة مسببة
عنهم فقال : ﴿ بما قدمت ايديهم ﴾ و عبر باليد عن الجملة لأن أكثر
العمل بها . و لما كان الجواب على نهج الأول : حزنوا [7]فكفروا ،
١٥ و عدل[7] عنه إلى ما يدل على أن جنس الإنسان موضع الكفران ،

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : له (٢) زيد من م (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : للشكر (٥-٥) من م ، و فى الأصل و ظ : بأعظم (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : نقيض (٧-٧) من م ، و فى الأصل و ظ : و كفروا و اعدل .

و لما

و لما كانوا يدعون الشكر[1] و ينكرون الكفر، أكد قوله و سبب عن تلك الإصابة[2] و الإذاقة معا إشارة إلى أنه لا أصل له غيرهما، فقال مظهرا [3]موضع الضمير لينص على[3] الحكم على الجنس من حيث هو: ﴿ فان الإنسان ﴾ أى الآنس بنفسه المعرض عن غيره بما هو طبع له[4] بسبب مسه بضر ﴿ كفور ﴾ أى بليغ الستر للنعم نساه له، ينسى بأول ٥ صدمة من النقمة جميع ما تقدم [له -[5]] من النعم، و لا يعرف[6] إلا الحالة الراهنة، فان كان فى نعمة أشر و بطر، و إن كان فى نقمة أيس و قنط، و هذا حال الجنس من حيث هو، و من وفقه الله جنبه ذلك كما قال صلى الله عليه و سلم[7]: المؤمن إن[8] إصابته سراء شكر فكان خيرا [له -[5]] و إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا [له -[5]]. [9]و ليس[9] ذلك إلا للمؤمن، ١٠ و الآية من الاحتباك: ذكر الفرح أولا دال[10] على حذف الحزن ثانيا، و ذكر الكفران ثانيا دال[11] على حذفه أولا.

و لما قدم / سبحانه فى هذه السورة أن له التصرف التام فى[12] عالم / ٦٦٣

(١) من م، و فى الأصل و ظ: بالشكر (٢) من م، و فى الأصل و ظ: الاجابة. (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الضمير يفيض عن (٤) زيد فى الأصل و ظ: اى، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٥) زيد من م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لايصرف (٧) راجع مسند الإمام أحمد ٤/٣٣٢ (٨) من م، و فى الأصل و ظ: اذا (٩-٩) من م، و فى الأصل و ظ: فليس (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: دليلا (١١) من ظ و م، و فى الأصل: دالا (١٢) من ظ و م، و فى الأصل: على.

الخلق بالأجسام المرئية[١] و فى عالم الأمر بالأرواح الحسية و المعنوية القائمة بالأبدان و المدبرة للأديان، و غير ذلك من بديع الشأن، فقال فى افتتاح السورة " كذلك يوحى اليك و الى [الذين -[٢]] من قبلك " و أتبعه أشكاله إلى أن قال " ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك " الآية " فاطر السموٰت و الارض جعل لكم من انفسكم ازواجا و من [٣]الا نعام ازواجا[٣] " - الآية " له مقاليد السموٰت و الارض " "[الله -[٤]] لطيف بعباده يرزق من يشاء " ، " من كان يريد حرث الأخرة " - الآية ، " و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض " ، " و من اٰيته الجوار فى البحر كالاعلام " - الآية ١٠ إلى أن ذكر أحوال الآخرة[٥] فى قوله " و ترى الظلمين لما راوا العذاب يقولون[٥] " - الآيات، و ختم بتصرفه[٦] المطلق فى الإنسان من [٧]إنعام و انتقام[٧]، و ما له من الطبع المعوج مع ما وهبه[٨] له من العقل المقيم[٩] فى أحسن تقويم، فدل ذلك على أن له التصرف التام ملكا و ملكوتا خلقا و أمرا، أتبعه الدليل على أن تصرفه ذلك على سبيل الملك و القهر إيجادا ١٥ و إعداما إماتة[١٠] و إكراما، فقال صارفا القول عن أسلوب العظمة التى

(١) من م، و فى الأصل و ظ : المربية (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) زيد من م (٥) سقط من م (٦) من م، و فى الأصل و ظ : بتصريفه (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل : انتقام و انعام (٨) من م، و فى الأصل و ظ : وهب (٩) من ظ و م، و فى الأصل : المقوم (١٠) و من هنا تستأنف نسخة مد.

من حقها دوام الخضوع [1] و إهلاك الجبابرة إلى [1] أعظم منها بذكر الاسم الأعظم الجامع لمظهر [2] العظمة و مقام اللطف و الإحسان و الرحمة نتيجة لكل ما مضى : - لله ﴿ أى الملك الأعظم وحـــده [3] لا شريك له [3] ﴿ ملك السموت ﴾ كلها على [4] علوها [5] و ارتفاعها و تطابقها و كبرها [5] و عظمها و تباعد أقطارها ﴿ و الارض ﴾ جميعها [6] على تباينها و تكاثفها [7] ٥ و اختلاف أقطارها و سكانها و اتساعها .

و لما أخبر بانفراده بالملك، دل عليه بقوله تعالى : ﴿ يخلق ﴾ اى على سبيل التجدد و الاستمرار ﴿ ما يشاء ﴾ اى و إن كان على غير اختيار العباد ، ثم دل [على - [8]] ذلك بما يشاهد من حال الناس فانه لما استوى [البشر - [8]] فى الإنسانية و النكاح الذى هو سبب الولادة اختلفت [9] ١٠ أصناف أولادهم ، كان ذلك أدل دليل على أنه لا اختيار لأحد معه و أن الأسباب لا تؤثر [10] اصلا إلا به . و لما كانت ولادة الإناث أدل [11] على عدم اختيار الولد و كانوا يعدونه [12] من البلاء الذى ختم به ما قبلها قدمهن فى الذكر فقال : ﴿ يهب ﴾ خلقا و مولدا ﴿ لمن يشآء ﴾ أولادا

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اهلال الجابر على (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المظهر (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) سقط من م (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كرها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جميعه (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تكاتفها (٨) زيد من م و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اختلاف (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا توس (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دل . (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يعدونها .

﴿إناثا﴾ أي فقط ليس معهن ذكر كما في لوط عليه الصلاة والسلام، و عبر سبحانه فيهن بلفظ الهبة لأن الأوهام العادية قد [1]تكتنف العقل[1] فتحجبه عن تأمل[2] محاسن التدبيرات الإلهيـة، و ترمى به في مهاوي الأسباب الدنيوية، فيقع المسلم مع إسلامه في مضاهاة الكفار في
٥ كراهة البنات و في وادي الوأد[3] بتضييعهن أو[3] التقصير في حقوقهن[4] و تنبيها على أن الأنثى نعمة، و أن نعمتها لا تنقص عن نعمة الذكر و ربما زادت، و إيقاظا من سنة الغفلة على / أن التقدم و إن كان لما قدمته لا يقدم تأنيسا و توصية بهن و اهتماما بأمرهن، نقل ابن ميلق[5] عن ابن عطية عن الثعلبي أن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال: [6]من يمن المرأة
١٠ تبكيرها[6] بالأنثى قبل[7] الذكر لأن الله تعالى بدأ بالإناث، و لذلك[8] رغب [النبي -[9]] صلى الله عليه و سلم في الإحسان إليهن في أحاديث كثيرة و رتب على ذلك أجرا كبيرا و لأجل تضمين الهبة معنى الخلق عداها باللام مع أن فعلها متعد بنفسه إلى مفعولين لئلا يتوهم أن الولد كان لغير[10] الوالد و وهبه الله له.

(١ - ١) من م و مد، و في الأصل و ظ: تكشف (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: تمام (٣ - ٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: بتضيقهن و. (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: حقهن (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: ابن ميعاق (٦ - ٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: عن عن المراقى ينكرها (٧) من م و مد، و في الأصل و ظ: نقيل (٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: كذلك (٩) زيد من م (١٠) من م و مد، و في الأصل و ظ: بغير

و لما كان الذكر حاضرا فى الذهن لشرفه و ميل النفس إليه لاسيما و قد ذكر به ذكر[١] الإناث، عرف لذلك و جبرا لما فوته[٢] من التقديم فى الذكر تنبيها على أنه ما أخر إلا لما ذكر من المعنى فقال: ﴿ و يهب لمن يشآء الذكور لا ﴾ أى فقط ليس بينهن أنثى كما صنع لإبراهيم عليه السلام و هو عم لوط عليه السلام. و لما فرغ من القسمين ٥ الأولين عطف -[٣]] عليهما قسيما[٥] لهما و دل على أنه [٦]قسم بأو[٦] فقال: ﴿ او يزوجهم ﴾ أى الأولاد بجعلهم[٧] أزواجا اى صنفين حال كونهم ﴿ ذكرانا و اناثا ج ﴾ مجتمعين فى بطن و منفردين كما منح[٨] محمدا صلى الله عليه و سلم، و رتبها [هنا -[٤]] على الأصل تنبيها على أنه ما فعل غير ذلك فيما مضى إلا لنكت[٩] جليلة فيجب تطلبها[١٠]، و عبر فى الذكر بما ١٠ هو أبلغ فى الكثرة ترغيبا فى سؤاله، و الخضوع لديه رجاء نواله.

و لما فرغ من أقسام الموهوبين الثلاثة، عطف على الإنعام بالهبة سلب ذلك، فقال موضع أن يقال مثلا[١١]: و لا يهب شيئا من ذلك لمن

---

(١) من م و مد، و فى الاصل و ظ: نكر (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فوقه (٣) من ظ و م و مد، و فى الاصل: اخبر (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الاصل: فبين (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الاصل: قسم تام (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فيجعلهم (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: صنع (٩) من ظ و م و مد، و فى الاصل: لتكون (١٠) من م و مد، و فى الاصل و ظ: طالبها (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مثالا.

يشاء[1] : ﴿ و يجعل من يشآء عقيما ﴾ أى لا يولد له كيحيى بن زكريا عليهما الصلاة و السلام - كذا قالوه، و الظاهر أنه لا يصح مثالا[2] فانه لم يتزوج، قال ابن ميلق : و أصل العقم اليبس المانع من قابلية التأثر لما من شأنه أن يؤثر، و الداء العقام هو الذى لا يقبل البرأ - انتهى . فهذا الذى ذكر أصرح [فى المراد - [3]] لأجل ذكر العقم، و أدل على القدرة لأنه شامل لمن له قوة الجماع و الإنزال لئلا يظن أن [عدم الولد لعدم - [4]] تعاطى أسبابه، و ذكروا فى هذا القسم عيسى عليه الصلاة و السلام . و لا يصح لأنه[5] ورد أنه يتزوج بعد نزوله و يولد له، و هذه القسمة[6] الرباعية فى الأصول كالقسمة الرباعية فى الفروع، بعضهم لا من ذكر و لا أنثى كآدم عليه الصلاة و السلام، و بعضهم من ذكر فقط كحواء عليها السلام . و بعضهم من [أنثى فقط كعيسى عليه السلام و بعضهم من - [4]] ذكر و أنثى و هم أغلب الناس، فتمت[7] الدلالة على أنه ما شاء كان و لا راد له و ما لم يشأ لم يكن، و لا مكون له و لا مانع لما أعطى و لا معطى لما منع .

و لما دل هذا الدليل الشهودى على ما بنيت الآية عليه من إثبات الملك له وحده مع ما زادت به من جنس السياق و عذوبة الألفاظ

---

(١) زيد فى الأصل و ظ : فقال تعالى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .
(٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : مالا (٣) زيد من ظ و م و مد .
(٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : انه (٦) زيد فى الأصل : فى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : أقيمت .

و إحكام الشك و إعجاز الترتيب و النظم ، كانت النتيجة قطعا مؤكدة لتضمن إشراكهم به الطعن فى توحده بالملك مقدما فيها الوصف الذى هو أعظم شروط الملك : ﴿ انه عليم ﴾ أى بالغ العلم بمصالح العباد و غيرها ﴿ قدير ه ﴾ شامل القدرة على تكوين ما يشاء .

و لما تم القسم الأول مما بنى على العلم و القدرة ، [و القدرة - [1]] ٥ فيه أظهر وفاقا لما ختمت به الآية ، و كان قد يكون خلقه إياه إبداعا من غير توسط سبب ، و قد يكون بتوسيط[2] سبب ، أتبعه القسم الآخر الأعلى[3] الذى العلم فيه أظهر و هو الوحى الذى ختمت آيته أول السورة بالحكمة التى هى سر العلم ، و قسمه أيضا إلى ما هو بواسطة و إلى ما هو بغير واسطة ، و لكن سر التقدير فى القسم الأول الكلام و هو الذى ١٠ شرف به ، و كان لا يمكن أحدا أن يتكلم إلا بتكليم الله له أى إيجاده[4] الكلام فى قلبه قال : ﴿ و ما ﴾ أى و هو سبحانه تام العلم شامل القدرة غرز فى البشر غريزة العلم و أقدره[5] على النطق به بقدرته وحيا منه إليه كما أوحى إلى النحل و نحوها و الحال أنه ما ﴿ كان لبشر ﴾ من الأقسام المذكورة ، و حل المصدر الذى هو اسم "كان" ليقع التصريح ١٥ بالفاعل و المفعول على أتم وجوهه فقال : ﴿ ان يكلمه ﴾ [و - [1]]

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تبسيط (٣) زيد فى الأصل و ظ : العلم ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اتخاذه (٥) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : أقدر .

أظهر موضع الإضمار إعظاما للوحي و تشريفا لمقدارة بجلالة إيثاره فقال : ﴿ الله[1] ﴾ أى يوجد الملك الأعظم الجامع لصفات الكمال فى قلبه [كلاما -[2]] ﴿ الا[3] وحيا ﴾ أى كلاما خفيا يوجده فيه بغير واسطة بوجه خفى لا يطلع عليه أحد إلا بخارق العادة[4] إما بالهام أو برؤيا منام ٥ أو بغير ذلك سواء خلق الله فى المكلم [به -[5]] قوة السماع له و هو أشرف هذه الأقسام مطلقا سواء كان ذلك مع الرؤية ليكون قسيما لما بعده أولا [أو -[2]] يخلق فيه ذلك[6] و من هذا[6] القسم الأخير « و اوحينا الى ام موسى » " و اوحى ربك الى النحل " "و اوحى فى كل سماء امرها" فان إيداعها القوى التى[7] يحصل بها المنافع [مثل -[5]] إيداع الإنسان ١٠ قوة الكلام ثم[8] قوة التعبير عنه - و الله أعلم . و هذا معنى قول القاضى عياض فى الشفاء فى آخر الفصل الثانى من الباب الرابع فى الإعجاز : و قد قيل فى قوله تعالى " و ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا " الآية[9] أى ما يلقيه فى قلبه دون واسطة ، و معنى قول الإمام شهاب الدين السهروردى[10] فى الباب السادس و العشرين من عوارفه : و العلوم اللدنية

(١) وقع فى الأصل و ظ بعد « ان يكلمه » و الترتيب من م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) وقع فى الأصل و ظ قبل « اى يوجد » و الترتيب من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العبادة (٥) زيد من ظ و م و مد (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مع هذه (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مع (٩) سقط من م (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الهرودى .

في[1] قلوب المنقطعين إلى الله ضرب من المكالمة .

و لما كان الحجاب الحسي يخفى ما وراءه عن[2] العيان، استعير لمطلق[3] الخفاء فقال: ﴿او من﴾ أى كلاما كائنا بلا واسطة، لكنه مع السماع لعين كلام الله كأن صاحبه [من - [4]] ﴿وراء حجاب﴾ أى من وجه لايرى فيه المتكلم مع السماع للكلام على وجه الجهر، قال القشيري: ٥ و المحجوب العبد لا الرب، و الحجاب أن يخلق فى محل الرؤية ضد الرؤية، و تعالى الله أن يكون من وراء حجاب لأن ذلك صفة الأجسام - انتهى .

و الآية يمكن تنزيلها على الاحتباك[5] بأن يكون ذكر الحجاب ثانيا دليلا على نفيه أولا، و ذكر الوحى الدال على الخفاء أولا دليلا على الجهر ثانيا، و الحجاب ثانيا دليلا على الرؤية أولا، و سره أن ترك التصريح ١٠ بالرؤية و الدلالة عليها بالحجاب أولى بسياق العظمة .

و لما كان الذى بلا واسطة مع كونه أخفى الأقسام ليس فيه صوت و لا ترتب فى كلمات، [6]عبر فيه[6] بالمصدر [و عبر - [4]] فيما يلقيه الملك بما يدل / على التجدد فقال: ﴿او يرسل﴾ و هو عطف على المصدر بعد / ٦٦٦ تقدير حله[1] ﴿رسولا﴾ أى من الملائكة . و لما كان الوحى مسببا[2] ١٥

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: من (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بمطلق (٤) زيد من م و مد. (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاحسان (٦-٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عرفية (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: حكمه (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ما .

عن الإرسال و مرتبا عليه قال: ﴿ فيوحى ﴾ أى على سبيل التجديد و الترتيب[١]، و قرأ نافع[٢] برفع "يرسل و يوحى" بتقدير: أو هو يرسل . و لما كان ربما ظن أن للواسطة فعلا يخرج عن فعله، رد ذلك بقوله: ﴿ باذنه ﴾ أى باقداره و تمكينه، فذلك المبلغ إنما هو آلة .
٥ و لما كان رسوله لا يخرج عما حده[٣] له بوجه قال: ﴿ ما يشآء[٤] ﴾ أى لا يتعدى مراده و إقداره أصلا فهو المكلم فى الحقيقة و قد بان أنها ثلاثة أقسام: أولها فيه قسمان، خص الأول بقسميه بالتصريح باسم الوحى لأنه كما مر أخفاها و هو أيضا يقع دفعة، و الوحى يدور معناه على الخفاء و السرعة .

١٠ و لما كانت الأقسام الثلاثة دالة على العظمة الباهرة، وكانت للروح البدنى لأن روح الوحى يكسب الروح البدنى[٤] حياة العلم كما أفاد الروح البدن حياة الحركة بالإرادة و الحس، كانت النتيجة [مؤكدة لتضمن طعنهم فى الرسول و القرآن و التوحيد طعنهم[٥] فى مضمون الجملة -[٦]]: ﴿ انه ﴾ أى الذى له هذا التصرف العظيم [٦]فى هذا الوحى الكريم ﴿ على ﴾
٦٦٧ / ١٥ أى بالغ العلو [حدا -[٧]] مما لا يليق به من الأوصاف و بما يكون للخالق / عن جنابه[٨] من السفول بما عليهم من الحجب فلا يلبس[٩] شىء مما يعبر

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الترتب (٢) راجع نثر المرجان ٦/٣٩٠ . (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ايه فى (٥) ونسخة مد مطموسة من هنا (٦) زيد من م و مد (٧) زيد من م (٨) من م، و فى الأصل و ظ: جناحه (٩) من ظ و م، و فى الأصل: يلتبس .

[به -[1]] تقريبا للعقول فيحمل على ما يوهم نقصا ، فان المجازات فى لسان العرب شهيرة ﴿ حكيم ﴾[5] يتقن ما يفعله إتقانا لا تحيط العقول بادراكه فيسكن روح العلم الذى هو من ألطف أسراره فى روح البدن المدبر [له -[1]] فيكون سرا فى سر كما كان برا بعد بر، و يجعل ذلك تارة بواسطة [و تارة بغير واسطة -[1]] على حسب ما يقتضيه الحال، ٥ و يعبر عن كل [2]معنى بما[2] يقتضيه حاله[3] فى ذلك السياق، و مهما أوهم [4]شيء من ذلك[4] نقصا فرده المستبصر إلى المحكم بضرب من التأويل على[5] ما يقتضيه الشائع من استعمالات العرب رجع رجوعا بينا متقنا بحيث يصير فى غاية الجلاء .

و لما كان الوحى روحا مدبرا للروح كما أن الروح مدبر[6] للبدن، ١٠ صرح به فقال: ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ما أخبرناك بالكيفيات التى نوحيها إلى عبادنا ﴿ اوحينا اليك ﴾ صارفا القول إلى مظهر العظمة تعظيما لما أوحى إليه و أفاض من نعمه عليه على جميع تلك الأقسام، فالنفث فى الروع مذكورا غير منكور ، و السماع [من دون الحجاب أصلا منقول فى الأخبار عن ليلة المعراج و معقول فى السماع -[1]] من وراء الحجاب ١٥ أيضا ذكر فيها فى قوله «أمضيت فريضتى[7] و خففت عن عبادى» و الوحى بواسطة الملك كثير جدا، و أعظم الوحى و شرفه بقوله منكرا له تعظيما

(١) زيد من م (٢ - ٢) من م، و فى الأصل و ظ : ما (٣) من م، و فى الأصل و ظ : حال (٤ - ٤) من م ، و فى الاصل و ظ : شيئا (٥) زيد فى الأصل : حكم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من م ، و فى الاصل و ظ : مدبرا (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : تعريضى .

لما عنده من الروح الأمرى بافادة أن هذا الكتاب الذى أبكم الفصحاء و أعجز البلغاء و حير[١] الألباب من الحكماء شعبة منه [٢]و ذرة بارزة[٢] عنه، و يمكن أن يكون تنكير تعظيم و إجلال و تكريم ﴿ روحا ﴾ أى من خالطه صار قلبه حيا و من عرى عنه كان قلبه[٣] ميتا. و زاد عظمه بقوله:
٥ ﴿ من امرنا ط ﴾ أى[٣] بجعله من قسم الأمر و إظهاره فى مظهر العظمة فيا له من علو يتضاءل دونه كل شامخ و يتحاقر إكبارا له كل مادح، و المراد بهذا رد ما تقدم من نسبتهم له صلى الله عليه و سلم إلى الافتراء لأنه تعالى لم يختم على قلبه بل فتحه بيد القدرة و أحياه بروح الوحى فأنطقه / بالحكم التى خضعت لها الحكماء، و أقرت بالعجز عن إدانتها ألباب ٦٦٧ /
١٠ العلماء، و دل[٤] على ذلك بقوله، نافيا مبينا حاله صلى الله عليه و سلم قبل هذا الوحى: ﴿ما كنت﴾ أى فيما قبل الأربعين التى مضت لك و أنت بين ظهرانى قومك مساويا لهم فى كونك لاتعلم شيئا و لا تتفوه بشىء من ذلك و هو معنى ﴿ تدرى ﴾ و عبر بأداة الاستفهام إشارة إلى أن ما بعدها مما يجب الاهتمام به و السؤال عنه. و علق بجملة الاستفهام
١٥ الدراية[٥] عن العمل و سدت مسد مفعولى[٦] الدراية ﴿ما الكتب﴾ أى

(١) زيد فى الأصل: اولى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) من م، و فى الأصل و ظ: زمرة مبارزة (٣) سقط من م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: ذلك (٥) من م، و فى الأصل و ظ: الذى آية (٦) من ظ و م، و فى الأصل: معمولى.

ما

ما كان فى جبلتك أن[1] تعلم ذلك بأدنى أنواع العلم بمجادلة و لا غيرها ﴿ و لا الايمان ﴾ [أى - [2]] بتفصيل الشرائع على ما حددناه لك بما أوحيناه إليك[3]، و هو صلى الله عليه و سلم و إن كان قبل النبوة[4] مقرا [5]بوحدانية الله[5] تعالى و عظمته لكنه لم يكن يعلم الرسل على ما هم عليه، و لا شك أن الشهادة له نفسه صلى الله عليه و سلم بالرسالة ركن الإيمان ٥ و لم يكن له علم بذلك، وكذا الملائكة و اليوم الآخر فيصح نفى المنفى لفواته بفوات جزئه .

و لما كان المعنى : و لكن نحن أدريناك بذلك كله، عبر عنه إعلاما بأن الخلق كانوا فى ظلام لكونهم كانوا يفعلون بوضع الأشياء فى غير مواضعها فعل من يمشى فى الظلام بقوله : ﴿ و لكن جعلنه ﴾ ١٠ أى الروح الذى هو الكتاب المنزل منا إليك المعلم بالإيمان وكل عرفان بما لنا من العظمة ﴿ نورا نهدى ﴾ على عظمتنا ﴿ به من نشآء ﴾ خاصة لايقدر أحد على هدايته بغير مشيئتنا ﴿ من عبادنا ﴾ بخلق الهداية فى قلبه، قال ابن برجان : فمن رزقه الفرقان الذى يفرق [به - [2]] بين المتشابهات[6] و النور الذى يمشى به فى الظلمات، فذلك الذى أبصر شعاع ١٥ النور و شاهد الضياء المبثوث فى العالم المفطور، و على قدر إقباله عليه

(١) زيد فى الأصل و ظ : ما، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) زيد من م (٣) من م، و فى الأصل و ظ : لك (٤) زيد فى م : قد كان (٥-٥) من م، و فى الأصل و ظ : بالوحدانية لله (٦) من ظ و م، و فى الأصل : المشتبهات .

و التفرغ[1] عن كل شاغل عنه يكون قبوله[2] له و هدايته به، و قال الأصبهانى فى سورة النور[3]: هو الكيفيـة الفائضة من الشمس و القمر و النار مثلا على الأرض و الجدار و غيرهما، يقال: استنارت الأرض[4]، و قال [5]حجة الإسلام[5] الغزالى [5]رضى الله عنه[5]: و من المعلوم أن هذه
٥ الكيفية إنما اختصت بالفضيلة و الشرف لأن المرئيات تصير بسببها ظاهرة، ثم من المعلوم أنه كما يتوقف إدراك هذه المرئيات على كونها مستنيرة فكذلك[6] يتوقف على وجود العين الباصرة و هى المدركة و بها الإدراك، و أما النور الخارج فليس بمدرك و لا به الإدراك بل عنده الإدراك، فكان وصف الإظهار بالنور الباصر أحق بالنور المبصر فلا جرم أطلقوا
١٠ اسم[7] النور على نور العين المبصرة فقالوا فى الخفاش: إن نور عينيه ضعيف، و فى الأعمى أنه فقد نور البصر، إذا ثبت هذا فنقول: للانسان بصر و بصيرة، فالبصر هو العين الظاهرة[8] المدركة للاضواء و الألوان، و البصيرة هى[9] القوة العاقلة، و كل واحد من الإدراكين يقتضى نورا، و نور العقل أقوى و أشد من نور العين، / لأن القوة الباصرة لاتدرك ٦٦٨ /
١٥ نفسها و لا إدراكها و لا آلاتها، و القوة [العاقلة تدرك نفسها و إدراكها

(١) من ظ و م، و فى الأصل: التضرع (٢) من م، و فى الأصل و ظ: قوله (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من م، و فى الاصل و ظ: الشمس (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من م، و فى الاصل و ظ: والدلك (٧) سقط من م (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الباصرة (٩) فى م: هو.

وآلتها فنور العقل أكمل من نور البصر، و القوة العاقلة -[1]] تدرك الكليات و القوة الباصرة لا تدركها، و إدراك الكليات أشرف لأنه لا يتغير[2] بخلاف الجزئيات، و إدراك العقل منتج و إدراك الجزئي غير منتج، و القوة الباصرة لا تدرك إلا السطح الظاهر من الجسم و اللون القائم بذلك السطح بشرط الضوء، فاذا أدركت[3] الإنسان لم تدرك منه إلا السطح الظاهر ٥ من جسمه و اللون القائم به، و القوة العاقلة تدرك ظاهر الأشياء و باطنها فان[4] الباطن و الظاهر[4] بالنسبة إليها على السواء، فكانت القوة العاقلة نورا بالنسبة إلى الظاهر و الباطن، و القوة الباصرة ظلمة بالنسبة إلى الباطن، و مدرك القوة العاقلة [هو الله -[1]] و صفاته و أفعاله، و مدرك القوة هو الألوان و الأشكال فيكون نسبة شرف القوة العاقلة إلى شرف القوة ١٠ الباصرة كنسبة شرف ذات الله إلى شرف الألوان و الأشكال، و القوة الباصرة كالخادم و القوة العاقلة كالأمير، و الأمير أشرف من الخادم، و القوة [الباصرة قد تغلط -[1]] و القوة العاقلة لا تغلط[5]، فثبت أن الإدراك العقلي أكمل و أقوى و أشرف من الإدراك البصري، و كل واحد من الإدراكين يقتضي الظهور الذي هو أشرف خواص النور، فكان الإدراك ١٥ العقلي أولى بكونه[6] نورا، و الإدراك العقلي قسمان: أحدهما واجب الحصول

---

(١) زيد من م ومد، و استأنفت نسخة مد من «هذه المرئيات» ص: ٣٦٤ س ٦.
(٢) من م ومد، و في الأصل و ظ: لا يعتبر (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: ادرك (٤-٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: الظاهر و الباطن.
(٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: لا تغلظ (٦) زيد في الأصل: نور، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.

عند سلامة القوى و الآلات و هى التعقلات الفطرية[1]، و الثانى ما يكون مكتسبا، و هى التعقلات النظرية[2]، و لا يكون من لوازم جوهر الإنسان لأنه[3] حال الطفولية لم يكن عالما البتة، فهذه الأنوار إنما حصلت بعد أن لم تكن، فلا بد لها من سبب، و الفطرة الإنسانية قد يعتريها الزيغ
٥ فلا بد من هاد و مرشد، و لا مرشد فوق كلام الله و أنبيائه، فتكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس كما يسمى نور الشمس نورا فنور القرآن يشبه نور الشمس، و نور العقل يشبه نور العين، و بهذا يظهر معنى قوله تعالى " فآمنوا بالله و رسوله و النور الذى انزلنا" "قد جاءكم برهان من ربكم" "و انزلنا اليكم نورا مبينا"
١٠ و إذا ثبت أن بيان الرسول صلى الله عليه و سلم أقوى من نور الشمس وجب أن تكون نفسه القدسية أعظم فى النورانية من الشمس كما أن الشمس فى عالم الأجسام تفيد النور لغيرها و لا تستفيد من غيرها، فكذا نفس النبى صلى الله عليه و سلم تفيد الأنوار العقلية [لسائر النفوس البشرية و لا تستفيد النور العقلى -[4]] من شىء من
١٥ النفوس البشرية، فلذلك[5] وصف الله الشمس بأنها سراج، و وصف محمدا صلى الله عليه و سلم بأنه سراج، [ثم -[4]] قال : و لمراتب الأنوار فى

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : النظرية (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : البصرية (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لان (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الاصل : فكذلك.

عالم

عالم الأرواح مثال، و هو أن ضوء الشمس إذا وصل إلى القمر ثم دخل
فى كوة بيت و وقع على[1] مرآة منصوبة [على حائط -[2]] ثم انعكس
منه إلى طشت مملوء[3] ماء موضوع على[4] الأرض ثم انعكس منه إلى سقف
البيت. فالنور الأعظم فى الشمس التى هى المعدن[5]، و ثانيها فى القمر،
و ثالثها فى المرآة، و رابعها فى الماء، و خامسها فى السقف، و كل ما ٥
كان أقرب إلى المعدن كان أقوى، فكذا الأنوار السماوية لما كانت
مترتبة لاجرم كان النور / المفيد أشد إشراقا، ثم تلك الأنوار لا تزال / ٦٦٩
مترتبة حتى تنتهى إلى النور الأعظم و الروح الذى هو أعظم الأرواح
منزلة عند الله الذى هو المراد بقوله تعالى "يوم يقوم الروح و الملئكة
صفا" ثم نقول[6]: إن هذه الأنوار الحسية سفلية كانت كأنوار النيران ١٠
أو علوية [كأنوار الشمس و كذا الأنوار العقلية سفلية كانت كأرواح
الأنبياء و الأولياء و علوية -[7]] كأرواح الملائكة فانها ممكنة لذواتها[8]
[و الممكن لذاته -[2]] لايستحق الوجود لذاته بل وجوده من غيره،
و العدم هو الظلمة و الوجود هو النور، فكل ما سوى الله مظلم لذاته
مستنير بانارة الله تعالى، [و كذا جميع معارفها وجودها حاصل من ١٥
وجود الله تعالى -[2]] فان الحق سبحانه هو الذى أظهرها

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: علوه (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: إلى. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: معدن (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: تقول (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لذاتها.

بالوجود بعد أن كانت فى ظلمات العــدم[1]، و أفاض عليها أنوار المعارف[2] بعد أن كانت فى ظلمـات[3] الجهالة، فلا ظهور لشيء من الأشيـاء إلا باظهاره، و خاصـــة النور إعطاء الإظهار و التجلى و الانكشاف، و عند هذا يظهر أن النور المطلق هو الله سبحانه و أن ٥ إطــلاق النور على غيره مجاز، و كل ما سوى الله من حيث هو هو[4] ظلمة محضة لأنه من حيث أنه ممكن عدم محض بل الأنوار إذا نظر إليها من حيث هى هى [فهى -[5]] ظلمات لأنها[6] من حيث هى هى ممكنات، و الممكن من حيث هو هو معدوم، و المعدوم مظلم، فالنور إذا نظر من حيث هو[7] ممـكن مظلم، فأما إذا التفت إليها من حيث ١٠ أن الحق سبحـانه أفاض عليها نور الوجود بهــذا الاعتبار صارت أنوارا، فثبت أنه سبحانه هو النور و أن كل ما سواه ليس بنور، و أضاف النور إلى الخافقين فى قولــه "نور السموٰت و الارض" لأنهما مشحونتان بالأنوار العقلية و الأنوار الحسية، أما الحسية فما نشاهده فى السماوات من الكواكب و غيرها، و فى الأرض من الأشعة ١٥ المنبسطة على سطوح الأجسام حتى ظهرت بها الألوان المختلفة، و لو لاها

---

(١) زيد فى الأصل وأضاف إليها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المعانى (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كلمات (٤) زيد فى الأصل و ظ: الله، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لانه (٧) من م ومد، و فى الأصل و ظ: هى هى ظلمات.

لما كان [1]للألوان ظهور بل وجود[1]، و أما الأنوار العقلية فالعالم الأعلى مشحون بها و هى جواهر الملائكة ، و العالم الأدنى مشحون بها و هى القوى النباتية و الحيوانية و الإنسانية، و بالنور الإنسانى السفلى ظهر نظام العالم الأسفل كما أنه بالنور الملكى ظهر[2] نظام العالم العلوى[3]، و إذا عرفت هذا عرفت [أن العالم بأسره مشحون بالأنوار البصرية الظاهرة و العقلية ٥ الباطنة، ثم عرفت -[4]] أن السفلية فائضة[5] بعضها من بعض فيضان[6] النور من السراج، و السراج هو الروح النبوى، ثم إن الأنوار القدسية مقتبسة من الأنوار العلوية اقتباس السراج من النور، و إن العلويات مقتبسة بعضها من بعض و إن بينها ترتيبا فى الغايات، ثم ترتقى جملتها إلى نور الأنوار و معدنها و منبعها الأول، و ذلك هو الله وحده لا شريك له، ١٠ فاذا الكل نوره، ثم قال: قال الإمام الغزالى: قد تبين أن القوى المدركة أنوار[7]. و مراتب القوى المدركة الإنسانية خمسة، أحدها[8] القوة الحساسة و هى التى تتلقى ما تورده الحواس الخمس، و كأنها أصل الروح الحيوانى إذ بها يصير الحيوان حيوانا، و هى موجودة للصبى و الرضيع، و ثانيها القوة الخيالية[9] و هى / التى تسبب ما أوردته الحواس و تحفظه مخزونا ١٥ / ٦٧٠

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للانوار ظهور بل ظهور (٢) زيد فى الأصل و ظ: منه، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: السفلى (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فايضته (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: نيصار (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بأنوار (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: احداهما (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحالية.

عندها لتعرضه عن القوة[1] العقلية عند الحاجة إليه، و ثالثها القوة العقلية المدركة للحقائق الكلية، و رابعها القوة الفكرية و هى التى تأخذ المعارف العقلية فتؤلفها[2] تأليفا تستنتج منه علما بالمجهول، و خامسها القوة القدسية التى يختص بها الأنبياء و بعض الأولياء، و تنجلى فيها لوائح الغيب
٥ و أسرار الملكوت. و إليه أشار قوله "وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا" الآية، و إذا عرفت هذه القوى [3]فهى بجملتها[3] أنوار إذ بها تظهر أصناف الموجودات، و هذه المراتب الخمس يمكن تشبيهها بالأمور الخمسة التى ذكرها الله فى المشكاة و الزجاجة و المصباح و الشجرة و الزيت، أما الروح الحساس فاذا نظرت إلى خاصته وجدت أنواره
١٠ خارجة من ثقب كالعينين و الأذنين و المنخرين، [4]فأوفق مثال[4] له من عالم الأجسام المشكاة، و أما الثانى و هو الروح الخيالى[5] فله خواص ثلاثة: الأول أنه من طينة العالم السفلى الكثيف لأن الشىء المتخيل ذو شكل و حيز، و من شأن العلائق الجسمانية أن تحجب عن الأنوار العقلية المحضة، و الثانى أن هذا الخيال الكثيف إذا صفا و رق صار
١٥ موازنا للمعارف العقلية و مؤديا[6] لأنوارها، و لذلك[7] يستدل المعبر بالصور

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: القوى (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فتالفهـا (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بجملتها فهى (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الاصل: فافق مثاله (٥) من م و مد، و فى الاصل و ظ: الخالى (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مويدا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كذلك.

الخيالية

[1]الخيالية على[1] المعانى العقلية[2] كما يستدل بالشمس على الملك، و بالقمر على الوزير، و بختم فروج الناس و أفواههم على الأذان قبل الصبح، و الثالث أن الخيال فى البداية محتاج إليه لتضبط به المعارف العقلية و لا تضطرب.
و أنت لا تجد شيئا فى الأجسام يشبه الخيال فى هذه الصفات إلا الزجاجة فانها فى الأصل من جوهر كثيف و لكن[3] صفا و رق حتى صار لا يحجب ٥ نور المصباح بل يؤديه[4] على وجهه ثم يحفظه من الانطفاء بالزجاج، و أما الثالث و هو القوة العقلية القوية على إدراك الماهيات الكلية و المعارف الإلهية فلا يخفى عليك وجه تمثيله بالمصباح، و أما الرابع و هو القوة الفكرية فمن خاصيتها أنها تأخذ ماهية واحدة ثم تقسمها إلى قسمين كقولنا: الموجود إما واجب و إما ممكن، ثم تجعل كل قسم قسمين، ١٠ و هكذا إلى أن تنتهى إلى ما لا يقبل القسمة، ثم تنتهى بالآخرة إلى نتائج هى ثمرتها، فبالحرى أن يكون مثاله من هذا العالم الشجرة، و إذا كانت ثمارها مادة لتزايد أنوار المعارف و بيانها فبالحرى أن لا تمثل بشجرة السفرجل و التفاح [بل -[5]] بشجرة الزيتون خاصة لأن لب ثمرتها هو الزيت الذى هو مادة المصابيح. و له من بين سائر الأدهان خاصة زيادة ١٥ الإشراق و قلة الدخان، و إذا كانت الماشية التى يكثر درها و نسلها

(١ - ١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الخالية عن (٢) زيد فى الأصل و ظ: موبدا لأنوارها، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جعل (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يوريه (٥) زيد من م و مد.

و الشجرة التي تكثر ثمرتها تسمى مباركة فالتي لا نهاية لمنفعتها و ثمرتها
أولى أن تسمى [شجرة -[1]] مباركة، و إذا كانت شعب الأفكار العقلية
المحضة[2] مجردة عن لواحق الأجسام، فبالحرى أن لا تكون شرقية
و لا غربية. و أما / الخامس و هو القوة القدسية النبوية فهي[3] في نهاية ٦٧١ /
٥ الشرف و الصفاء، فان القوة الفكرية تنقسم إلى ما تحتاج إلى تعليم و إلى
ما لا تحتاج إليه، و لا بد من وجود هذا القسم دفعا [4]للتسلسل فبالحرى[4]
[5]أن يعبر عن[5] هذا القسم لكماله و صفاته بأنه يكاد زيته يضيء و لو
لم تمسسه نار، فهذا المثال موافق لهذه الأقسام، و هذه الأنوار مرتبة
بعضها على بعض، فالحس هو الأول و هو كالمقدمة للخيال، و الخيال
١٠ كالمقدمة للعقل - انتهى كلام الغزالي رحمه الله تعالى عن نقل الأصفهاني
في تفسيره عنه - [6]و الله أعلم[6].

و لما كان المعنى بناء على ما تقدم من صفة الروح الإلهي: فهديناك
به، عطف عليه قوله تعالى: ﴿و انك لتهدى﴾ أى تبين و ترشد،
و أكده لإنكارهم ذلك[7] ﴿الى صراط﴾ أى طريق واضح[8] جدا، و إن

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد في الأصل و ظ: المجردة المحضة، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: و هي. (٤ - ٤) من م و مد، و في الأصل: التسلل فبالحرى، و في ظ: التسلل فبالحرى (٥ - ٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: يعتبر (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧) زيد في الأصل: بقوله، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: واحد.

عانيت فى البيان مشقة بنفسك و بالوسائط بما أفادته التعدية بـ"إلى"، فيفهم من ذلك أنه يهدى للصراط بدون ذلك من العناية لمن يسر الله أمره و يهدى الصراط لمن هو أعظم توفيقا من ذلك ﴿مستقيم ﴾ أى شديد التقوم لأنه كأنه يريد أن يقوم نفسه فهو بعد وجود تقومه[1] حافظ لها من أدنى خلل، و هو كل [2]ما دعا[2] إليه من خصال هذا الدين ٥ الحنيف[3] الذى هو ملة إبراهيم عليه الصلاة و السلام، ثم أبدل منه تعظيما لشأنه قوله بدل[4] كل من كل معرفة من نكرة لافتا القول من مظهر العظمة إلى أعظم منه، إشارة إلى جلالة هذا الصراط [بما -[5]] فيه من مجامع الرحمة و النقمة ترغيبا و ترهيبا: ﴿ صراط الله ﴾ أى الملك الأعظم الجامع لصفات الكمال، ثم وصفه بأنه مالك لما افتتح هذا الكلام ١٠ بأن[6] له ملكه فقال: ﴿الذى له﴾ ملك ﴿ ما فى السموٰت﴾ أى و هو جميع السماوات التى هى فى عرشه و الأرض لأنها فى السموات و ما فى ذلك من المعانى و الأعيان ﴿ و ما فى الارض ﴾.

و لما أخبر سبحانه أنه[7] المخترع لجميع الأشياء و المالك لعالمى الغيب

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تقدمه (٢ - ٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: خفاء (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحنيفة (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بل (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بانه (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ان.

و الشهادة و الخلق و الأمر و أنه المتفرد بالعظمة كلها، وكان مركوزا في العقول مغروزا في الفطر أن من ابتدأ شيئا و ليس له كفوء قادر على إعادته و أن يكون مرجع[1] أمره كله إليه، فلذلك كانت نتيجة جميع ما مضى على سبيل المناداة على المنكرين لذلك وعدا و وعيدا لأهل الطاعة ٥ و المعصية بناء على ما تقديره: كيف يكون له ما ذكر على سبيل الدوام و نحن نرى لغيره أشياء كثيرة تضاف إليه و يوقف تصريفها و التصرف فيها عليه: ﴿ الآ الى الله ﴾ أي المحيط بجميع صفات الكمال الذي تعالى عن مثل[2] أو مدان و هو الكبير المتعال، لا إلى أحد غيره ﴿ تصير ﴾ أي على الدوام و إن كانت في الظاهر في ملك غيره بحيث يظن ١٠ الجاهل أن ملكها مستقر له. قال أبو حيان[3]: أخبر بالمضارع و المراد به الديمومة كقوله[4]: زيد يعطى و يمنع أي من شأنه ذلك و لا يراد به حقيقة المستقبل. ﴿ الامور ع ﴾ أي كلها من الخلق و الأمر معنى و حسا [خفيا - [5]] في الدنيا بما نصب من الحكام[6] و جعل بين / الناس من ٦٧٢ / الأسباب، وجليا فيما وراءها حيث قطع ذلك جميعه [7]فلا حكامَ ولا أسباب[7]،

---

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ : جميع (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ : مثيل (٣) راجع البحر المحيط ٧ / ٥٢٨ (٤) في م و مد : كقولك . (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ : الاحكام . (٧-٧) من م و مد، و في الأصل و ظ : فلاحكام و الاسباب .

كما كانت الأمور كلها مبتدئة منه وحده، و من كان كذلك فهو وحده العزيز الحكيم العلي العظيم، فقد رجع آخر السورة على أولها، و انعطف [1]مفصلها على موصلها[1]، و اتصل من حيث كونه فى الوحي الهادي [2]في أول[2] الزخرف على أتم عادة لهذا الكتاب المنير من اتصال الخواتم فيه بالبوادي و الروائح بالغوادي - و الله [3]أعلم بالصواب[3]. ٥

(١-١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: موصولها على مفصلها (٢-٢) فى م و مد: بأول (٣-٣) فى م و مد: ولي التوفيق.

سورة الزخرف[1]

مقصودها البشارة باعلاء هذه الأمة بالعقل و الحكمة حتى يكونوا [2]أعلى الأمم في[2] العلم و ما ينشأ عنه شأنا لان [3]هدايتهم بأمر لدنى[3] هو من أغرب الغريب الذى هو للخواص، فهو فى الرتبة الثانية من الغرابة و أن ذلك
٥ أمر لا بد لهم منه و إن اشتدت نفرتهم منه و إعراضهم عنه و أنه لذكر لك و لقومك حتى [تكونوا -[4]] أهلا الجنة و فيها ما تشتهى الأنفس و تلذ الأعين و أنتم فيها خالدون، و لم يقل: و هم، و على ذلك دلت تسميتها بالزخرف لما فى آيتها من أنه [لو -[4]] أراد أن يعم الكفر جميع الناس لعمهم بسبوغ النعم، و لكنه لم يعمهم بذلك، بل فاوت بينهم فأفقر
١٠ بعضهم و أكثر بؤسهم و ضرهم و فرق أمرهم، ليسهل ردهم[5] عن الكفر الذى أدتهم إليه طباعهم و حظوظهم[6] و نقائصهم بما يشهدون من قباحة الظلم و العدوان إلى ما يرونه من محاسن الدين و الإيمان. و لذة الخضوع للملك الديان، فتخضع لهم الملوك [و -[4]] الاعيان، [7]و يصير لهم الفرقان[7] على جميع أهل العصيان ﴿ بسم الله ﴾ الذى له مقاليد الأمور كلها فهو

---

(١) الثالثة و الاربعون من سور القرآن الكريم مكية، و عدد آيها تسع وثمانون عند الجمهور، وثمان وثمانون عند الشامى - كما فى الدر المنثور ٦/٣٩٢.
(٢-٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: على (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هذا الاسم بأمر الذى (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: امرهم (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: خوضهم.
(٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نصرتهم العرفان.

يعلى[1] من شاء[2] و إن طال سفوله ﴿الرحمن﴾ الذى نال بره جميع خلقه على حسب منازلهم عنده ﴿الرحيم ○﴾ الذى يقبل بمن[3] شاء[4] إلى[5] ما يقربه لديه زلفى و إن وصل فى البعد إلى الحد الأقصى ﴿حمٓ ﴾ حكمة محمد التى أوحاها الله إليه .

و لما[6] قدم آخر تلك أنه جعل ما أوحى إليه صلى الله عليه و سلم ٥ نورا يهدى به من يشاء ، و كان قد تقرر[7] فى السور الماضية ما له من الجلالة بأنه تنزيله ، و ختم بأنه لا أمر [8]يخرج عنه[8] سبحانه إشارة [إلى أنه -[9]] يردهم عن غيهم و كانوا يمكرون أن يرجعوا ، فاقتضى الحال غاية التأكيد ، و كان إقسام الله تعالى بالأشياء إعلاما بجلالة ما فيها من الحكم[10] و تنبيها على النظر فيما أودعـــها من الأسرار التى أهلها للاقسام بها ، ١٠ افتتح هذه بتعظيم[11] هذا الوحى بالإقسام به حثا على تدبر[12] ما فيه من[13] الوجوه التى أوجبت أن يكون قسما [14]ثم تعظيم أثره[14] فقال : ﴿و الكتٰب﴾

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يعطى (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يشاء (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يشاء (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الى ما (٧) فى م : تقدم (٨-٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : محو (٩) زيد من م و مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكمالات المودعة للحكم (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : بالتعظيم . (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تدبير (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما (١٤-١٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لم يعظم نصره .

أى و إعجاز هــذا الجامع لكل خير و غير ذلك من أنواع عظمته ﴿ المبين ه ﴾ أى البين فى نفسه ، المبين لجميع ما فيه من العظمة و الشرائع و السنن[1] / ، و اللطائف و المعارف و المنن ، بيانا عظيما شافيا ه ٦٧٣ /

و لما كانوا[2] ينكرون أن يرجعوا به عما هم فيه ، و أن يكون من
٥ عند الله ، أكد ما يكذبهم من قوله فيما مضى آخر الشورى[3] أنه نور و هدى و روح معبرا[4] بالجعل لذلك[5] دون الإنزال [6]لأنه قد دل[6] عليه جميع السور الماضيــة تارة بلفظه[7] و أخرى بلفظ الوحى ، فقال مقسما بالكتاب على عظمة الكتاب ، قال[8] السمين : و من البلاغة عندهم كون القسم و المقسم عليه من واد واحد ، و هذا إن أريد بالكتاب القرآن
١٠ [فان –[9]] أريد به أعم منه كان بعض القسم به ، و صرف القول إلى مظهر العظمة تشريفا للكتاب[10] : ﴿ انا جعلنٰه ﴾ أى صيرناه و وضعناه و سميناه مطابقة لحاله بالتعبير عن معانيه بما لنا من العظمة ﴿ قرءٰنا ﴾ أى مع كونه بمجموع الحروف و المعانى[11] جامعا ، و مع كونه جامعا فارقا بين

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الستر (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان هؤلاء (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : السورة (٤) من و مد ، فى الأصل و ظ و م : معبر (٥) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : كذلك (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فدل (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بلفظ (٨) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد . (٩) زيد من م و مد (١٠) زيد فى الأصل و ظ : فقال تعالى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١١) زيد فى الأصل : مطابقة لحاله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

الملتبسات ﴿عربيا﴾ أى جاريا على قوانين لسانهم فى الحقائق و المجازات
و المجاز فيه أغلب لأنه أبلغ و لاسيما الكنايات[1] و التمثيلات، و صرف
القول عن تخصيص نبيه صلى الله عليه و سلم بالخطاب إلى خطابهم تشريفا
له صلى الله عليه و سلم و لهم [فيما -[2]] يريده بهم و تنبيها على سفول
أمرهم فى وقت نزولها فقال: ﴿لعلكم تعقلون ج﴾ أى لتكونوا أيها العرب ٥
على رجاء [عند-[2]] من يصح منه رجاء[3] من أن تعقلوا أنه من عندنا
لم تبغوا له أحدا علينا و تفهموا معانيه و جميع ما فى طاقة البشر مما يراد
به من حكمه و أحكامه، و بديع وصفه و معجز وصفه و نظامه، فترجعوا
عن كل ما أنتم فيه من المغالبة، و لابد أن يقع هذا الفعل، فإن القادر
إذا عبر[4] بأداة الترجى حقق ما [يقع - [2]] ترجيه، ليكون بين كلامه ١٠
و كلام العاجز فرق. و سيلغ هذا الجامع أقصاكم كما عرض على أدناكم
و كل منكم [يعلم -[2]] أنه عاجز عن مباراة[5] آية منه فى حسن معناها،
و جزالة ألفاظها و جلالة سبكها، و نظم كل كلمة منها بالمحل الذى لايمكن
زحزحتها عنه بتقديم و لا تأخير، و لا أن يبدل شيء منها بما يؤدى
معناه أو يقوم مقامه، كما أن ذلك فى غاية الظهور فى موازنة " فى ١٥
القصاص حياة " مع «القتل أنفى للقتل»، و ذلك بعض آية فكيف بآية

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الآيات (٢) زيد من ظ و م و مد
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جا (٤) من ظ و م و مد، و فى
الأصل: حر (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مبارزة.

فما فوقها فتخضع له جبارة ألبابكم و تسجد له جباه[1] عقولكم، و تذل لعزته شوامخ أفكاركم، فتبادرون إلى تقبله و تسارعون إلى حفظه و تحمله علما منكم [بأنه فخر لكم لايقاربه فخر، و عز لا يدانيه عز، ثم يتأمل الإنسان منكم -[2]] من خالفه [فيه -[2]] من بعيد أو قريب ولد أو والد[3]
٥ إلى أن تدين له الخلائق، و تتصاغر لعظمته الجبال[4] الشواهق، و الآية ناظرة إلى آية فصلت "و لو جعلنا قرانا اعجميا لقالوا[5] " - الآية.

/٦٧٤ و لما كانوا ينكرون تعظيمه عنادا و إن كانوا / يقرون بذلك فى بعض الأوقات، قال مؤكدا لذلك و تنبيها على أنه أهل لأن يقسم به، و زاد فى تعظيمه لأنه لا كلام يشبهه، بل و لايدانيه بوجه[6]: ﴿وانه﴾
١٠ أى القرآن، و قدم الظرفين على الخبر[7] المقترن باللام اهتماما بهما ليفيد بادئ بدء أن علوه و حكمته ثابتة [فى -[8]] الأم و أن الأم فى غاية [9]الغرابة عنده[9] ﴿ فىٓ ام الكتٰب ﴾ [أى -[8]] كانتا فى[10] أصل كل كتاب سماوى، و هو اللوح المحفوظ، و زاد فى شرفه بالتعبير بلدى التى هى [الخاص -[8]] الخاص و أغرب[11] المستغرب و نون العظمة فقال

---

(١) من م ومد، و فى الأصل وظ: حياة (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: والدا (٤) زيد فى الأصل: الشوامخ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) سقط من م (٦) زيد فى الأصل: من الوجوه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الجزاء (٨) زيد من م و مد (٩ - ٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عده (١٠) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اغرض.

مرتبا للظرف على الجار ليفيد أن ام الكتاب من أغرب الغريب الذى عنده ﴿ لدينا ﴾ على ما هو عليه هناك[1] ﴿ لعلى ﴾ •

و لما كان العلى قد يتفق علوه و لا تصحبه فى علوه حكمة ، فلا يثبت له علوه ، فيتهور بنيانه و ينقص سفوله و دنوه ، قال : ﴿ حكيم ﴾ أى بليغ فى كل من هاتين الصفتين راسخ فيهما رسوخا لا يدانيه [فيه -[2]] ٥ كتاب فلا[3] يعارض فى علىّ لفظه ، و لا يبارى فى [4]حكيم معناه[4] ، و يعلو و[5] لا يعلى عليه بنسخ و لا غيره ، بل هناك مكتوب بأحرف و عبارات فائقة رائقة تعلو عن فهم أعقل العقلاء ، و لا يمكن بوجه أن يبلغها أنبل النبلاء ، إلا بتفهيم العلى الكبير ، الذى هو على كل شىء قدير •

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما أخبر سبحانه بامتحان خلف[6] ١٠ بنى إسراءيل فى شكهم فى كتابهم بقوله : "و ان الذين اورثوا الكتب من بعدهم لفى شك منه مريب " و وصى نبيه صلى الله عليه و سلم بالتبرئ من سيئ[7] حالهم و التنزه عن سوء محالهم فقال " و لا تتبع اهواءهم و قل امنت بما انزل الله من كتب " الآية ، و تكرر الثناء على الكتاب العربى كقوله " وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا " و قوله " الله الذى انزل ١٥ الكتب بالحق و الميزان " [و قوله -[2]] "وكذلك اوحينا اليك روحا

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هنا (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و لا (٤ - ٤) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٥) فى م : أو (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حلوه (٧) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : سوء .

من أمرنا ما كنت تدري ما الكتب و لا الايمان و لكن جعلنه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا" - إلى آخر السورة، أعقب ذلك بالقسم به و عضد الثناء عليه فقال "حم و الكتب المبين انا جعلنه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون و انه فى ام الكتب لدينا لعلى حكيم" و لما أوضح عظيم
٥ حال الكتاب و جليل نعمته به، أردف ذلك بذكر سعة عفوه و جميل إحسانه إلى عباده و رحمتهم[1] بكتابه مع إسرافهم و قبيح مرتكبهم فقال: "افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين" و لما قدم فى الشورى قوله "لله ملك السموت و الارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا و يهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا و اناثا و يجعل
١٠ من يشاء عقيما[2]" فأعلم أن ذلك إنما يكون بقدرته و إرادته، و الجارى على هذا أن يسلم الواقع من ذلك و يرضى بما قسم و اختار، عنف تعالى فى هذه السورة من اعتدى و زاغ[3] فقال / "و اذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا و هو كظيم" فكمل الواقع هنا بما تعلق به، و كذلك قوله تعالى "و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض"
١٥ و قوله فى الزخرف "[و -[4]] لو لا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة" [5]إلى آخره[5] - انتهى.

/ ٦٧٥

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: رحمهم (٢) زيد فى الأصل: الى آخره، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: زاعج (٤) زيد من م و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.

و لما

و لما أفهم تكرير هذا التأكيد أنهم يطعنون فى علاه، و يقدحون فى بديع جلاه، فعل من يكرهه و يأباه، إرادة للاقامة على ما لا يحبه الله و لا يرضاه، [قال -[1]] منكرا عليهم: ﴿ افنضرب ﴾ أى نهملكم[2] فنضرب أى ننحى و نسير [مجاوزين -[1]] ﴿ عنكم ﴾ خاصة من بين بنى إبراهيم عليه الصلاة و السلام ﴿ الذكر ﴾ أى الوعظ المستلزم للشرف ﴿ صفحا ﴾ ٥ أى بحيث يكون حالنا معكم حال المعرض المجانب بصفحة عنقه، فلا نرسل إليكم رسولا، و لا ننزل معه كتابا فهو مفعول له أى نضرب لأجل إعراضنا[3] عنكم، أو يكون ظرفا بمعنى جانبا [أى نضربه عنكم جانبا -[4]]، قال الجامع بين العباب و المحكم: [أضربت -[4]] عن الشيء: كففت[5] و أعرضت، و ضرب عنه الذكر و أضرب عنه: صرفه، و قال الإمام ١٠ عبد الحق فى الواعي: [6]و الأصل[6] فى ضرب عنه الذكر أن الراكب إذا ركب دابته فأراد أن يصرفه عن جهته ضربه بعصاه ليعدله عن جهته إلى الجهة التى يريدها، فوضع الضرب فى موضع الصرف و العدل، قال الهروى: قال الأزهرى: يقال: ضربت عنه و أضربت بمعنى واحد، و نقل النواوى عنه [أنه -[4]] قال: إن المجرد قليل، فالحاصل أن الضرب ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انتهمكم.
(٣) من م و مد. و فى الأصل و ظ: اعراض (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اكففت (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م.

إيقاع شيء على آخر بقوة، [فمجرده -[1]] متعد[2] إلى واحد، فان عدى[3] إلى آخر بـ «عن» ضمن معنى الصرف. و إذا زيدت[4] همزة النقل فقيل: أضربت عنه، أفادت الهمزة قصر الفعل، و أفهمت إزالة الضرب، فمعنى الآية: أفنضرب صارفين عنكم الذكر صفحا، أى معرضين إعراضا
٥ شديدا حتى كأنا ضربنا الذكر لينصرف عنكم معرضا كاعراض من ولى [إلى -[1]] صفحة عنقه، ثم علل إرادتهم هذا الإعراض بما يقتضى الإقبال بعذاب [5]أو متاب[5] فقال: ﴿ ان ﴾ أى أ نفعل ذلك لأن ﴿ كنتم قوما مسرفين ﴾ أى لأجل أن كان الإسراف جبلة لكم و خلقا راسخا، وكنتم قادرين على القيام به فى تكذيب الرسول صلى الله عليه
١٠ و سلم و القدح فيما يأتى به و الاستهزاء بأمره بترككم خشية من شدتكم أو[6] رجاء من غير تذكير لتوبتكم[7] و قد جعل حينئذ المقتضى مانعا، فانه المسرف أجدر بالتذكير و أحوج إلى الوعظ، هذا إن[8] كان مقربا، و أما البعيد فانه لا يلتفت إليه من أول الأمر، بل لو أراد القرب طرد. و على قراءة نافع و حمزة و الكسائى[9] بكسر «ان» على كونها شرطية
١٥ يكون الكلام مسبوقا على غاية ما يكون من الإنصاف، فيكون المعنى:

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م: معتد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل و م: عدا (٤) من م و مد، و فى الاصل و ظ: أريد. (٥ - ٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ام تاب (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اى (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لسوكم (٨) فى م: إذا (٩) راجع نثر المرجان ٦ / ٣٩٤.

أنتركم مهملين فننحى عنكم الذكر و الحال أنكم قوم يمكن أن تكونوا متصفين بالإسراف، يعنى أن المسرف أهل لأن يوعظ و يكلم بما يرده عن الإسراف[1]، و أنتم و إن ادعيتم أنكم مصلحون / لاتقدرون أن تدفعوا عنكم إمكان الإسراف فكيف يدفع عنكم إنزال الذكر الواعظ و أنتم بحيث يمكن أن تكونوا مسرفين [فتحتاجوا إليه -[2]] - هذا ما لايفعله حكيم فى عباده، بل هو سبحانه للطفه و زيادة بره لا يترك دعاء عباده إلى رحمته[3] و إن كانوا مسرفين قد [4]أمعنوا فى الشراد[4]، و الجحد و العناد، فيدعوهم بأبلغ الحجة، و هو هذا القرآن الذى هو أشرف الكتاب على لسان هذا النبى الذى هو أعظم[5] الرسل ليهتدى من قدرت هدايته و تقوم[6] الحجة على غيره.

/ ٦٧٦

٥

١٠

و لما كان المعنى أن لا نتركم هملا، كان كأنه قيل: هيهاتِ منكم فلنرفعنكم[7] كما رفعنا بنى إسحاق من[8] إسرايل و عيسو عليهم الصلاة و السلام، فلقد [9]أرسلنا إليكم[9] مع أنكم أعلى الناس رسولا هو أشرفكم نسبا و أزكاكم

(١) زيد فى الأصل: فكيف يدفع عنكم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ و م و مد، و زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: رحمة (٤ - ٤) من م و مد، و فى الأصل: أسنوا فى الاسراف، و فى ظ: أسنوا فى الشراد (٥) زيد فى الأصل و ظ: الأنبياء، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يترك (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فلترفعكم (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عن بنى. (٩-٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ارسلناك اليهم.

نفسا و أعلاكم همة و أرجحكم عقلا و أوفاكم أمانة و أكرمكم خلقا و أوجهكم عشيرة، فعطف قوله تأنيسا للنبي صلى الله عليه و سلم و تأسية و تعزية و تسلية: ﴿و كم ارسلنا﴾ [أي -[1]] على ما لنا من [2]القدرة على ذلك و العظمة الباهرة المقتضية لذلك[2].

٥ و لما كان الإرسال يقع على أنحاء من الأشكال، ميزه بأن قال: ﴿من نبي فى الاولين ۝﴾ ثم حكى حالهم الماضية إشارة إلى استمرار[3] حال الخلق على هذا فقال: ﴿و ما﴾ أي و الحال أنه ما ﴿ياتيهم﴾ و أعرق فى النفي بقوله: ﴿من نبي﴾ أي فى أمة بعد أمة و زمان بعد زمان ﴿الا كانوا﴾ أي خلقا و طبعا [4]و جبلة[4] ﴿به يستهزءون ۝﴾ كما

١٠ استهزئ قومك، و تقديم الظرف للاشارة إلى [أن -[1]] استهزاءهم به لشدة مبالغتهم فيه كأنه مقصور عليه.

و لما كان الاستهزاء برسول الملك استهزاء به، و كانت المماليك إنما تقام بالسياسة بالرغبة و الرهبة و إيقاع الهيبة حتى يتم الجلال و تثبت[5] العظمة، فكان لذلك[6] لا يجوز فى عقل عاقل أن يقر[7] ملك على الاستهزاء

١٥ به، سبب عن الاستهزاء بالرسل الهلاك فقال: ﴿فاهلكنا﴾ و كان الأصل الإضمار، و لكنه أظهر الضمير بيانا لما كان[8] فى الأولين[9] من

---

(١) زيد من م و مد (٢-٢) فى ظ و م و مد: العظمة (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: استمراد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد. (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تبعث (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كذلك (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بمى (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كانوا (٩) زيد فى الأصل: عليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

الضخامة صاوفا أسلوب الخطاب إلى الغيبة إقبالا على نبيه صلى الله عليه و سلم تسلية له و إبلاغا فى وعيدهم فقال: ﴿ اشد منهم ﴾ أى من قريش الذين يستهزؤن بك ﴿ بطشا ﴾ من جهة العـد و العدد و القوة و الجلد فما ظنهم بأنفسهم و هم أضعف منهم إن تمادوا فى الاستهزاء برسول الملك الأعلى . ٥

و لما ذكر إهلاك أولئك ذكر أن حالهم عند الإهلاك كان أضعف حال ليعتبر هؤلاء فقال: ﴿ ومضى مثل الاولين ﴾ [أى -[١]] وقـع إهلاكهم الذى كان مثلا يتمثل به من بعدهم ، و ذكر أيضا [فى -[١]] القرآن الخبر عنه بما حقه أن يشير مشير المثل بل ذكر أن من عبده الأولون و اعتمدوا عليه مثل بيت العنكبوت فكيف بالأولين [٢]أنفسهم ١٠ فكيف[٢] بهؤلاء، فان الحال أدى إلى أنهم أضعف / من الاضعف من / ٦٧٧ بيت العنكبوت فلينتظروا أن يحل بهم مثل ما حل بأولئك ، بأيدى جند الله [من -[٣]] البشر أو الملائكة[٤] .

و [لما -[١]] كان التقدير : فلئن[٥] سألتهم عمن سمعوا بخبره ممن ذكرناهم من الأولين ليعترفن[٦] بما سمعوا من خبرهم لأنا لم نجعل لهم على المباهتة[٧] ١٥ فيه جرأة لما طبعناهم عليـه فى[٨] أغلب أحوالهم من الصدق ، عطف

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : انفسكم. (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الملائكه (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فليس (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليعرفوا (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الماهية (٨) زيد فى م : معظم .

عليه قولهم مبينا لجهلهم بوقوعهم فى التناقض مؤكدا له[١] لما فى اعترافهم به من العجب المنافى لحالهم: ﴿ و لئن سالتهم ﴾ أيضا عما هو أكبر من ذلك و أدل على القدرة ، و جميع صفات الكمال فقلت لهم: ﴿ من خلق السمٰوٰت ﴾ على علوها و سعتها ﴿ و الارض ﴾ على كثرة ٥ عجائبها و عظمتها ﴿ ليقولن ﴾ أى من غير توقف.

و لما كان السؤال عن[٢] المبتدأ ، كان الجواب المطابق ذِكرَ الخبر ، فكان الجواب هنا: الله - كما فى غيره من الآيات، لكنه عدل عنه إلى المطابقة المعنوية لافتا القول عن مظهر العظمة إلى ما يفيد من الأوصاف[٣] القدرة على كل شىء ، و أنه تعالى يغلب[٤] كل شىء ، و لايغلبه شىء ١٠ [٥]مكررا للفعل تأكيدا[٥] لاعترافهم [٦]زيادة فى توبيخهم و تنبيها على عظيم غلطهم، فقال معبرا بما هو لازم لاعترافهم[٦] له سبحانه بالتفرد بالإيجاد[٧] لأنه أنسب الأشياء لمقصود السورة و للابانة[٨] التى هى مطلعها. ﴿ خلقهن ﴾ الذى هو موصوف بأنه ﴿ العزيز العليم ﴾ أى الذى يلزم [المعترف -[٩]] باسناد هذا الخلق إليه أن يعترف بأنه يغلب[١٠] كل شىء و لايغلبه شىء

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لهم (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : أوصاف (٤) زيد فى الأصل و ظ : على ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مكر العفل بالا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الإبانه (٩) زيد من م و مد (١٠) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

و أن علمه محيط بكل شيء، فيقدر على [إيجاده على - [1]] وجه من البداعة [ثم - [1]] على أكمل منه ثم أبهج منه و هلم جرا إلى ما لا نهاية له[2] - هذا هو الأليق بكمال ذاته و جليل صفاته، و نعوذ بالله من عمى المعتزلة و الفلاسفة أصحاب الأذهان الجامدة و العقول الكاسدة و العرب لجهلهم يعبدون مع اعترافهم بهذا غيره، و ذلك الغير لا قدرة له على شيء ٥ أصلا، و لا علم له بشيء أصلا، فقد كسر[3] هذا السؤال بجوابه حجتهم، و بان به غلطهم و فضيحتهم، حتى بان لأولى الألباب أنهم معاندون .

و لما كان جوابهم بغير هاتين الصفتين و دل بذكرهما على أنهما لازمان [لاعترافهم - [1]] تنبيها لهم على موضع الحجة، أتبعهما[4] من كلامه دلالة على ذلك قوله التفاتا إلى الخطاب لأنه أمكن فى التقريع ١٠ و التوبيخ و التشنيع و تذكيرا لهم بالإحسان الموجب للاذعان و تفصيلا للقدرة : ﴿ الذى جعل لكم ﴾ فانـــه لو كان ذلك قولهم لقالوا لنا ﴿الارض مهدا﴾ أى فراشا، قارة ثابتة ،وطية[5]، و لو شاء لجعلها مزلزلة لايثبت فيها شيء[6] كما ترون من بعض الجبال، أو جعلها مائدة لاتثبت لكونها على تيار الماء، و لما جعل الأرض قرارا لأشباحكم جعل الأشباح ١٥ قرارا لأرواحكم و طوقها حمل قرارها و قوة التصرف به فى حضورها

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : كبر (٤) من م و مد، وفى الأصل وظ : أتبعها (٥) من ظ و م ومد، و فى الأصل : والهية . (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : شيئا .

و أسفارها لبدائكم [ذلك -[1]] على تصرفه سبحانه فى الكون و تصريفه
له حيث أراد ، و أنه الظاهر الذى لا أظهر منه و الباطن الذى لا أبطن
منه[2]، قال القشيرى : فاذا انتهى مدة كون النفوس على الأرض حكم الله
بخرابها ، كذلك[3] /إذا فارقت الأرواح الأشباح بالكلية قضى الله بخرابها[4]، ٦٧٨ /
٥ [5]و أعاد الفعل تنبيها على تمكنه تعالى من إقامة الأسباب لتيسير الأمور
الصعاب إعلاما بأنه لايعجزه شيء[5]: ﴿و جعل لكم فيها سبلا ﴾ أى طرقا
تسلكونها[6] [7]بين الجبال و الأودية[7]، و لو شاء لجعلها بحيث لايسلك فى
مكان منها [كما -[1]] جعل بعض الجبال كذلك[3]، ثم ذكر العلة الغائية
فى ذلك فقال : ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ أى ليكون خلقنا لها[8] كذلك[9]
١٠ جاعلا حالكم حال من يرجى له الهداية إلى مقاصد الدنيا فى الأسفار
و غيرها ظاهرا [10]فتتوصلون بها إلى الأقطار الشاسعة و الأقاليم الواسعة
للأمور الرافقة النافعة[10]، [فانها إذا تكرر سلوكها صار لها من الآثار الناشئة
من كثرة التكرار ما يهدى كل مار -[11]] و إلى المقاصد الأخرى و حكمتها[12]

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ
و م و مد فحذفناها (٣) فى م : ذلك (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ :
بجزائها (٥-٥) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ قبل « و لو شاء لجعلها »
و الترتيب من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لتسلكونها .
(٧-٧) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ بعد « قضى الله بخرابها » و الترتيب
من م و مد (٨) فى م : لذلك (٩) سقط من م (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين
من م (١١) زيد من م (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : حكمها .

باطنا إذا تأمل الفطن حكمة مسخرها و واضعها[1] و ميسرها[2] .

و لما كان إنزال الماء من العلو فى غاية العجب لاسيما إذا[3] كان فى وقت دون وقت ، و كان إنبات النبات به أعجب ، و كان دالا على البعث و لابد ، و كان مقصود السورة أنه لابد من ردهم[4] عن عنادهم بأعظم الكفران إلى الإيمان ، و الخضوع له بغاية الإذعان ، قال دالا على كمال ٥ القدرة على ذلك و غيره بالتنبيه[5] على كمال الوصف بالعطف و بإعادة الموصول الدال على الفاعل المذكر بعظمته للتنبيه على أن الإعادة التى هذا دليلها هى سر الوجود ، فهى أشرف مما أريد من الآية الماضية بمهد الأرض و سلك السبل : ﴿ و الذى نزل ﴾ أى بحسب التدريج ، و لو لا قدرته الباهرة لكان دفعة واحدة أو قريبا منها ﴿من السمآء ﴾ أى المحل العالى ١٠ ﴿ مآء ﴾ [6]عذبا لزروعكم[6] و ثماركم و شربكم بأنفسكم و أنعامكم ﴿ بقدر ج﴾ وهو بحيث ينفع الناس و لا يضر بأن يكون[7] على مقدار حاجاتهم ، و دل على عظمة الإنبات بلفت القول إلى مظهر العظمة تنبيها على أنه الدليل الظاهر على ما وصل [به - [8]] من نشر الأموات فقال مسببا عن ذلك : ﴿ فانشرنا ﴾ أى أحيينا ، و المادة تدور على الحركة و الامتداد ١٥

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وضعها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : مسيرها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وردهم (٥) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : من التنبيه (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عنه ازرعكم (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كان (٨) زيد من م و مد .

و الانبساط ﴿ به ﴾ أى الماء ﴿ بلدة ﴾ أى مكانا[1] يجتمع الناس فيه للاقامة معتنون باحيائه متعاونون على دوام إبقائه[2] ﴿ ميتا ج ﴾ أى كان قد يبس نباته و عجز أهله عن إيصال الماء إليه ليحيي به ، و لعله أنث البلد و ذكر الميت إشارة إلى أن بلوغها فى الضعف و الموت بلغ الغاية بضعف ٥ أرضه فى نفسها و ضعف أهله عن إحيائه و قحط الزمان و اضمحلال ما كان به من النبات .

و لما كان لافرق بين جمع[3] الماء للنبات من أعماق الأرض بعد [أن -[4]] كان ترابا من جملة ترابها و إخراجه كما كان رابيا يهتز بالحياة على هيئته و ألوانه و ما كان[5] من تفاريعه أعصانه بأمر الله و بين جميع الله ١٠ تعالى لما تفتت من أجساد الآدميين و إخراجه كما كان بروحه و جميع جواهره و أعراضه إلا أن الله قادر بكل اعتبار و فى كل وقت بلا شرط أصلا ، و الماء لا قدرة له إلا بتقدير الله تعالى ، كان نخرا عظيما لأن[6] تنتهز الفرصة لتقدير ما هم له منكرون و به يكفرون من أمر البعث ، فقال تعالى إيقاظا لهم من رقدتهم بعثا[7] من موت / سكرتهم : ﴿ كذلك ﴾ /٦٧٩ ١٥ أى مثل هذا الإخراج العظيم لما تشاهدونه من النبات ﴿ تخرجون ه ﴾ من الموت الحسى و المعنوى بأيسر أمر من أمره تعالى و أسهل شأن

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مكان (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بقائه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جميع (٤) زيد من مد . (٥) زيد فى الأصل : منه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م . لا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعثناهم .

فتخرجون فى زمرة الأموات من الأرض ثانيا "فاذا انتم بشر تنتشرون" و تخرجون من ظلمة الجهل إلى نور الإيمان فإذا أنتم حكماء عالمون.

و لما انتهزت هذه الفرصة، وسوغ ذكرها ما أثره سوء اعتقادهم من عظيم الغصة[1]، شرع فى إكمال ما يقتضيه الحال من الأوصاف، فقال عائدا إلى أسلوب العزة و العلم للايماء إلى الحث على تأمل الدليل على ٥ بعث الأموات بانتشار الموات [معيدا للعاطف تنبيها - [2]] على كمال ذلك الوصف الموجب لتحقيق مقصود السورة من [3] القدرة على [3] [4] ردهم بعد صدهم[4] : ﴿ و الذى خلق الازواج[5] ﴾ أى الأصناف المتشاكلة التى لايكمل شىء منها غاية الكمال إلا بالآخر على ما دبره سبحانه فى نظم هذا الوجود ﴿ كلها ﴾ من النبات و الحيوان، و غير ذلك من سائر الأكوان، ١٠ لم يشاركه فى شىء منها أحد.

و لما ذكر الأزواج، و كان المتبادر إلى الذهن إطلاقها على ما هو من نوع واحد، دل على أن المراد ما هو أعم، فقال ذاكرا ما تشاكل[6] فى الحمل و تباين فى الجسم: ﴿ و جعل لكم ﴾ لا لغيركم فاشكروه ﴿ من الفلك ﴾ أى السفن العظام فى البحر ﴿ و الانعام ﴾ فى البر ١٥ ﴿ ما تركبون ۙ ﴾ و حذف العائد لفهم المعنى تغليبا للتعدى بنفسه فى الأنعام على المتعدى بواسطة فى الفلك.

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: القصة (٢) زيد من م و مد. (٣-٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل و ظ (٤-٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: و جهم بعد ضرهم (٥) زيد فى الاصل: كلها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يشاء.

و لما ذكر النعمة الناشئة عن مطلق الإيجاد، ذكر بنعمة الراحة فيه[1] فقال معللا : ﴿ لتستوا ﴾ أى تكونوا مع الاعتدال و الاستقرار و التمكن و الراحة ﴿ على ظهوره ﴾ أى ظهور كل من ذلك المجعول، فالضمير عائد على ما جمع الظهر نظرا للمعنى تكثيرا للنعمة، و أفرد ٥ الضمير ردا على اللفظ دلالة على كمال القدرة بعظيم[2] التصريف برا و بحرا أو تنبيها بالتذكير على قوة المركوب لأن الذكر أقوى من الأنثى .

و لما أتم النعمة بخلق كل ما تدعو إليه الحاجة[3]، و جعله على وجه دال على ما له من الصفات، ذكر ما ينبغى أن يكون من غايتها على ما هو المتعارف بينهم من شكر المنعم، فقال [دالا على عظيم ١٠ قدر النعمة وعلو غايتها و علو أمر الذكر بحرف التراخى - [4]] : ﴿ ثم تذكروا ﴾ أى بقلوبكم، و صرف القول إلى وصف التربية حثا على تذكر إحسانه للانتهاء عن كفرانه و الإقبال على شكرانه فقال: ﴿ نعمة ربكم ﴾ الذى أحسن إليكم بنعمة تسخيرها لكم و ما تعرفونه من غيرها .

١٥ و لما كان الاعتدال عليه أمرا خارقا للعادة بدليل ما لا يركب من الحيوانات فى البر و الجوامد فى البحر و إن كان قد أسقط العجب [فيه-[4]] كثرة إلفه، ذكر به فقال : ﴿ اذا استويتم عليه ﴾ و لما كان تذكر النعمة

---

(١) سقط من م (٢) من ظ و م و مد . و فى الأصل : و تعظيم (٣-٣) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : الحاجة إليه (٤) زيد من م و مد .

يبعث

يبعث الجنان و اللسان [و الأركان - [1]] على الشكر لمن أسداها[2] قال: ﴿ و تقولوا ﴾ [أى - [1]] بألسنتكم جمعا بين القلب و اللسان . و لما كان الاستواء على ذلك مقتضيا لتذكر النقص بالاحتياج إليها فى بلوغ ما ركبت لأجله و فى الثبات عليها و خوف العطب منها و تذكر أن من لايزال يحسن / إلى أهل العجز الذين هم [فى - [3]] قبضته ابتداء و انتهاء ٥ / ٦٨٠ من غير شيء يرجوه منهم لا[4] يكون إلا بعيدا من صفات الدناءة و أن استواءه على عرشه ليس كهذا[5] الاستواء المقارن[6] لهذه النقائص[7] و أنه ليس كمثله شيء، كان المقام للتنزيه [فقال - [3]]: ﴿ سبحن الذى سخر ﴾ أى بعلمه الكامل و قدرته التامة ﴿ لنا هذا ﴾ أى الذى ركبناه سفينة كان[8] أو دابة ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنا ما ﴿ كنا ﴾ و لما كان ١٠ [كل - [9]] من المركوبين فى الواقع أقوى من الركاب، جعل عدم إطاقتهم له [و - [1]] قدرتهم عليه كأنه خاص به، فقال مقدما للجار دلالة على ذلك: ﴿ له مقرنين ﴾ أى ما كان[10] فى جبلتنا إطاقة أن يكون قرنا له وحده لخروج قوته من بين ما نعالجه و نعانيه عن طاقتنا

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اهداها.
(٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لان (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: هكذا (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الموازن (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التعارض (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كانت (٩) زيد من مد (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كنا.

بكل اعتبار و لا مكافئين فى القوة غالبين ضابطين، مطيقين من أقرن[1] الأمر: أطاقه[2] و قوى عليه فصار[3] بحيث يقرنه بما شاء.

و لما كان كل راكب شيئا من "هذين الصنفين[4] مستحضرا كل حين أنه ينقلب بطن شقة أسفاره إلى محل قراره[5]، ذكرهم سبحانه ٥ بذلك أن ظهر هذه الأرض لهم مثل ظهور السفن و الدواب يسبحون بها فى لجج[6] أمواج الزمان و تصاريف الحدثان، هم على ظهرها مسافرون، و لكنهم لطول الإلف عنه غافلون، و قليلا ما يذكرون، و أنهم على خطر فيما صاروا إليه من ظهور هذه الأشياء يوشك أن يكون سبب موتهم و مثير[7] هلكهم و فوتهم، فقال عاطفا على ما تقديره: فمن ربنا ١٠ كان ابتداؤنا لا نعلم شيئا و لا نقدر على شيء، و الآن نحن متى شئنا ساكنون، و مهما أردنا منتشرون ﴿و انآ الى ربنا﴾ المحسن إلينا بالبداءة و الإقرار على هذه التنقلات على هذه المراكيب لا إلى غيره ﴿لمنقلبون ه﴾ أي اصائرون[8] و متوجهون و سائرون بالموت و ما بعده إلى الدار الآخرة انقلابا لا أياب معه إلى هذه الدار، فالآية منبهة بالسير الدنيوى على ١٥ السير الأخروى، و أكد لأجل إنكارهم للبعث حتى لا يزالوا مراقبين

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اقران (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحاقة (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صار (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل هذه الأصناف (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قراك (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحجج (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مشير (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: صائرون.

للنعم عليهم، و يجوز أن يكون المعنى أنه لما أمرهم بالمراقبة على نعمة الركوب، عبر بالانقلاب تذكيرا بنعمته عليهم فى حال الدعة و السكون قبل الانقلاب وبعده، أى و إنا[1] بعد رجوعنا إلى نعمة ربنا لمنقلبون أى إنا فى نعمة فى كل حال، روى أحمد و أبو داود و الترمذى[2] - و قال: حسن صحيح - و النسائى عن على رضى الله عنه أنه وضع رجله فى ٥ الركاب و قال: بسم الله، فلما استوى على الدابة قال: الحمدلله الذى سخر لنا هذا - الآية، ثم حمد الله ثلاثا و كبر ثلاثا ثم [قال -[3]]: سبحانك[4] لا إله إلا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى، ثم ضحك، و أخبر أن النبى صلى الله عليه و سلم فعل مثله، و قال: يعجب الرب من عبده إذا قال: رب اغفر لى و يقول: علم عبدى أنه لايغفر الذنوب غيرى. روى أحمد[5] ١٠ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أردفه على دابة، فلما استوى عليها كبر / ثلاثا و حمد الله ثلاثا و سبح ثلاثا / ٦٨١ و هلل الله واحدة[6] ثم استلقى عليه فضحك ثم أقبل [علىّ -[7]] فقال: ما من امرئ مسلم[8] ركب دابته فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله عليه يضحك [إليه -[7]] كما ضحكت إليك: و روى أحمد[9] و مسلم و أبو داود ١٥

---

(١) و من هنا انقطعت نسخة م انقطاعا طويلا سننبه على استئنافها (٢) راجع ٢/١٨٢ باب ما جاء ما يقول إذا ركب دابة (٣) زيد من مد (٤) من مد و الترمذى، و فى الأصل و ظ: سبحان الله (٥) راجع ١ / ٣٣٠ (٦) من مد و المسند، و فى الأصل و ظ: وحده (٧) زيد من مد و المسند (٨) ليس فى المسند (٩) فى مسنده ٢ / ١٤٤.

و النسائى و الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه
و سلم كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال : سبحن الذى سخر لنا هذا
- الآية ، ثم يقول : اللهم إنى أسألك فى سفرى هذا البر و التقوى و من
العمل ما ترضى اللهم هون علينا السفر و اطو لنا البعيد ، اللهم أنت الصاحب
٥ فى السفر و الخليفة فى الأهل ، اللهم اصحبنا فى سفرنا و اخلفنا[١] فى أهلنا ،
و كان إذا رجع إلى أهله قال : آئبون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا
حامدون . و روى أحمد[٢] عن أبى لاس[٣] الخزاعى رضى الله عنه قال :
حملنا رسول الله صلى الله عليه و سلم على إبل من إبل الصدقة إلى الحج ،
فقلنا : يا رسول الله ! ما نرى أن تحملنا هذه ، فقال : ما من بعير إلا فى
١٠ ذروته شيطان فاذكروا اسم الله عليها إذا ركبتموها كما أمركم[٤] ثم امتهنوها[٥]
لأنفسكم فانما يحمل الله عز و جل .

و لما علم بهذا الاعتراف منه و ما تبعه من التقريب أن العالم كله
متزاوج بتسخير بعضه لبعض ، فثبت أن خالقه مباين له لا يصح أصلا
أن يكون محتاجا بوجه لأنه لا مثل له أصلا ، كان موضع التعجيب من
١٥ نسبتهم الولد إليه سبحانه : فقال لافتا القول عن خطابهم للاعراض المؤذن
بالغضب : ﴿ و جعلوا ﴾ أى و لئن سألتهم ليقولن [كذا - [٦]] اللازم
منه قطعا لأنه لا مثل ﴿ له ﴾ و الحال أنهم نسبوا له و صيروا[٧] بقولهم قبل

---

(١) من ظ و مد و المسند ، و فى الأصل : اختلفنا (٢) راجع مسنده ٤ / ٢٢١ .
(٣) من ظ و مد و المسند ، و فى الأصل : ان لانه (٤) فى المسند : امرتكم .
(٥) من مد و المسند ، و فى الأصل و ظ : أشتهوها (٦) زيد من ظ و مد .
(٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : صبوا .

سؤالك إياهم نسبة هم حاكمون بها حكما لا يتمارون فيه كأنهم متمكنون من ذلك تمكن الجاعل فيما يجعله ﴿ من عباده ﴾ الذين[1] أبدعهم كما أبدع غيرهم ﴿ جزءا ﴾ أي ولدا هو لحصرهم إياه في الأنثى أحد قسمي الأولاد، وكل ولد فهو جزؤ من والده. و من كان له جزؤ كان محتاجا فلم يكن إلاها؛ و ذلك لقولهم: الملائكة بنات الله، فثبت بذلك ٥ طيش عقولهم و سخافة آرائهم.

و لما كان هذا في غاية الغلظة من الكفر، قال مؤكدا لإنكارهم أن يكون عندهم كفر: ﴿ ان الانسان ﴾ أي هذا النوع الذي هم بعضه ﴿ لكفور مبين ﴾ أي مبين الكفر في نفسه مناد عليها بالكفر بيانا لذلك لكل أحد هذا[2] ما تقتضيه طبعه بما هو عليه من النقص ١٠ بالشهوات و الحظوظ ليبين[3] فضل من حفظه الله بالعقل على من سواه من جميع المخلوقات بمجاهدته لعدو [و -[4]] هو بين جنبيه[5] مع ظهور قدرة الله الباهرة بذلك.

و لما كان كأنه قيل إنكارا عليهم و تهكما بهم حيث لم يرضوا بأن[6] جعلوا لمن إليه الجعل من عباده جزءا حتى جعلوه شر الجزئين الإناث، ١٥ و هم[7] أشد الناس نفرة منهن: أوهب له ذلك الجزء الذي جعلتموه إناثا غيره قسرا بحيث لم يقدر/ أن ينفك عنه كما قدم في السورة التي / ٦٨٢

(١) من ظ و مد، و في الأصل: الذى (٢) من ظ و مد، و في الاصل: ها. (٣) من مد، و في الأصل و ظ: لبين (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد، و في الأصل: جلسه (٦) من ظ و مد، و في الأصل: بمن (٧) في مد: هو.

قبلها عن نفسه المقدس أنه يهب لمن يشاء إناثا و لا يقدر على التقصير عنهن بوجه ، عادله بقوله عائدا إلى الخطاب لأنه أقعد فى التبكيت على اختيار الغى عن الصواب : ﴿ام اتخذ﴾ [أى عالج هو نفسه فأخذ بعد المعالجة و هو خالق الخلق كلهم - [1]] ﴿[2]مما يخلق[2]﴾ أى يجدد

٥ إبداعه فى كل وقت كما اعترفتم[3] ﴿بنت[4]﴾ فلم يقدر بعد التكليف و التعب على غير البنات التى هى أبغض الجزئين إليكم ، و نكر لتخصيصهم اتخاذه ببعض هذا الصنف الذى شاركه فيه غيره ، و عطف على قوله "اتخذ" ليكون منفيا على أبلغ وجه لكونه فى حيز الإنكار: ﴿و اصفكم﴾ و هو السيد و أنتم عبيده ﴿بالبنين ٥﴾ أى الجزء الأكمل لديكم المستحق

١٠ لأن يكون دائما مستحضرا فى الخاطر فلذلك[5] عرفه و لأنهم ادعوا أن هذا النوع كله خاص بهم لم يشاركهم فى شىء منه ، فكان هذا الكفر الثانى أعرق[6] فى المحال من الأول للزيادة على مطلق الحاجة بالسفه فى أنه رضى بالدون[7] الخسيس فلم يشاركهم فى شىء من الأعلى ، بل جعل لهم ذلك خالصا صافيا عن أدنى ما يشوبه من كدر . و لما كانت[8] نسبة

١٥ الولد إليه سبحانه مما لا ينبغى أن يخطر بالبال على حال من الأحوال .

---

(١) زيد من مد (٢ - ٢) و قع ما بين الرقمين فى الأصل بعد « كما اعترفتم » و الترتيب من مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : اعترفهم (٤) وقع فى الأصل و ظ : بعد « فيه غيره » و الترتيب من مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : و لذلك (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : اعرف (٧) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : كان.

و كانت نسبته على سبيل الحقيقة أبعد منها[1] على طريق المثال بأن يقال: الملائكة[2] عنده فى العزة بمنزلة البنات عند الأب، قال مرشدا إلى أن ما قالوه لو كان على قصد التمثيل فى غاية القباحة فضلا عن أن يكون على التحقيق، عائدا[3] إلى الإعراض المؤذن بالمقت والإبعاد: ﴿ و اذا ﴾ أى جعلوا ذلك و الحال أنه إذا ﴿ بشر ﴾ من أى مبشر كان ﴿ احدهم ﴾ ٥ أطلق[4] عليه ذلك[4] تنبيها على أنه مما يسر[5] كالذكر سواء فى أن كلا منهما ولد[6] و تارة يسر و تارة يضر و هو نعمة من الخالق لأنه خير من العقم ﴿ بما ضرب ﴾ و عدل عن الوصف بالربوبية لأنه قد يدعى المشاركة فى مطلق التربية إلى الوصف الدال على عموم الرحمة، فتأمله بمجرده كاف فى الزجر عن سوء قولهم فقال: ﴿ للرحمن ﴾ أى الذى لا نعمة على شئ[7] ١٠ من الخلق إلا و هى منه ﴿ مثلا ﴾ أى جعل له شبها و هو الأنثى، و عبر به دون أن يقول: بما جعل، موضع «بما ضرب» تعليما للأدب فى حقه سبحانه فى هذه السورة التى مقصودها العلم الموجب للأدب و زيادة فى تقبيح كفرهم لاسيما إن أرادوا الحقيقة بالإشارة إلى أن الولد لا يكون [إلا -[8]] مثل الوالد، لا يتصور أصلا أن يكون خارجا عن ١٥ شبهه فى خاص أوصافه.

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: منهما (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: للملايكة (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: أبدا (٤-٤) فى ظ: ذلك عليه (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: بشر (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: والد. (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: أحد (٨) زيد من مد.

و لما كان تغير الوجه لا سيما بالسواد لا يدرك حق الإدراك إلا بالنهار، عبر بما هو حقيقة في الدوام نهارا و إن كان المراد هنا مطلق الدوام: ﴿ظل﴾ أي دام ﴿وجهه مسودا﴾ أي شديد السواد لما يجد من الكراهة الموصلة إلى الخنق بهذه البشارة التي أبانت التجربة ٥ عن أنها قد تكون سارة[1] ﴿و هو كظيم ٥﴾ أي حابس نفسه على ما ملئ من الكرب فكيف يأنف عاقل من شيء و يرضاه لعبده[2] فضلا عن مكافيه فضلا عن سيده / - هذا ما لا يرضى عاقل أن يمر بفكره فضلا عن أن يتفوه [به -[3]] .

/ ٦٨٣

و لما كان الملك [4]لا يأخذ في[4] جنده إلا من يصلح للجندية بالمجالدة ١٠ و المجادلة أو بأحداهما، نبه على إنكار آخر بأن الإناث لا يصلحن لشيء من هذين الوصفين، فقال معيدا لإنكار الثالث تنبيها على أنه بالغ جدا في إثارة الغضب: ﴿أو من﴾ أي اتخذ من لا يرضونه لأنفسهم [... لنفسه مع أنفتهم منه -[3]] و اتخذ من ﴿ينشؤا﴾ أي على ما جرت به عوائدكم [على قراءة الجماعة، و من تنشؤنه و تحلونه بجهدكم على قراءة ١٥ ضم الياء و تشديد الشين -[3]] ﴿في الحلية﴾ أي في الزينة فيكون كلا على أبيه[5] لا يصلح لحرب [6]و لا معالجة طعن و لا ضرب[6] ﴿و هو﴾

(١) من مد، و في الأصل و ظ: سادة (٢) من ظ و مد، و في الأصل: لبعده (٣) زيد من مد (٤ - ٤) من مد، و في الأصل و ظ: لا يا - كذا. (٥) زيدت الواو في الأصل و ظ و لم تكن في مد فحذفناها (٦-٦) وقع ما بين الرقمين في الأصل و ظ بعد « لا يرضونه لأنفسهم » و الترتيب من مد.

أي

[أى و الحال أنه ، و قدم لإفادة الاهتمام قوله - [1]] : ﴿ فى الخصام ﴾ إذا احتيج[2] إليه ﴿ غير مبين ۝ ﴾ أى لا يحصل[3] منه إبانة مطلقة كاملة لما يريده لنقصان العقل و ضعف الرأى بتدافع الحظوظ و الشهوات و تمكن[4] السعة ، فلا دفاع عنده بيد و لا لسان .

و لما كان ربما ظن أن المحذور إنما هو جعلهم عليهم السلام إناثا ٥ بقيد النسبة إليه سبحانه ، نبه على [أن - [1]] ذلك قبيح فى نفسه مطلقا لدلالته على احتقارهم و انتقاصهم فهو كفر ثالث إلى الكفرين قبله : نسبة الولد إليه سبحانه ثم جعل أخص النوعين ، فقال : ﴿ و جعلوا ﴾ أى مجترئين على ما لا ينبغى لعاقل فعله ﴿ الملٰئكة الذين هم ﴾ متصفون بأشرف الأوصاف أنهم ﴿ عبٰد الرحمٰن ﴾ العام النعمة الذى خلقهم فهم بعض ١٠ من يتعبد[5] له و هم عباده[6] و حقيقة لأنهم ما عصوه طرفة عين ، فهم أهل لأن يكونوا على أكمل الأحوال ، و قراءة « عند »[7] بالنون شديدة المناداة عليهم بالسفه ، و ذلك أن أهل حضرة الملك الذين يصرفهم فى المهمات[8] لا يكونون إلا على أكمل الأحوال و عنديته[9] أنهم لم[10] يعصوه قط و هم فى محل مقدس عن المعاصى مشرف بالطاعات و أهل الاصطفاء ، ١٥

---

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : انتج (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يصلح (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : يمكن (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : يقصد (٦) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى مد فحذفناها (٧) راجع نثر المرجان ٦ / ٤٠٦ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المهما (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : عبديتهم (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : لا .

و ذكر المفعول الثاني للجعل الذي بمعنى التعبير الاعتقادي و القول فقال: ﴿اناثا[1]﴾ و ذلك أدنى الأوصاف خلقا وو خلقا ذاتا و صفة، ثم دل على كذبهم في هذا المطلق ليدل على كذبهم في المقيد من باب الأولى فقال تهكما بهم و توبيخا لهم و إنكارا عليهم إظهارا[1] لفساد عقولهم بأن دعاويهم[2]
٥ مجردة عن الأدلة: ﴿اشهدوا﴾ أي حضروا حضورا هم فيه على تمام الخبرة ظاهرا و باطنا - هذا هو معنى قراءة الجماعة، و أدخل نافع[3] همزة التوبيخ على أخرى مضمومة لبناء الفعل للمفعول تنبيها على عجزهم عن شهود ذلك إلا بمن يشهدهم إياه، و هو الخالق لا غيره، و مدها في إحدى الروايتين زيادة في المناداة عليهم بالفضيحة، و سهل الثانية بينها[4] و بين الواو إشارة
١٠ إلى انحطاط أمرهم و سفول آرائهم و أفعالهم، و جميع تقلباتهم و أحوالهم كما[5] سيكشف عنه الزمان و نوازل الحدثان ﴿ خلقهم[1] ﴾ أي مطلق الخلق في أصله أو[6] عند الولادة أو بعدها على حال من الأحوال [7]حضورا أوجب لهم تحقق ما قالوا بأن لم يغيبوا / عن شيء من الأحوال[7] الدالة على ذلك أعم من أن تكون تلك الشهادة حسية بنظر العين أو معنوية
١٥ بعلم ضروري أو استدلالي بعقل أو سمع.

/٦٨٤

و لما كان الجواب قطعا: لا، قال مهددا لهم مؤكدا لتهديدهم

---

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: اظهار (٢) من مد، وفي الأصل وظ: دعاهم.
(٣) راجع نثر المرجان ٦/ ٤٠٦ (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: بينهما.
(٥) من مد، و في الأصل و ظ: بما (٦) من مد، و في الأصل و ظ «و»
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من مد.

بالسين

بالسين لظنهم أن[1] لا بعث [2] و لا حساب و لا حشر و لا [2] نشر فقال[2] :
﴿ستكتب﴾ بكتابة من وكلناهم[3] بهم[4] من[5] الحفظة الذين لا يعصوننا فنحن
نقدرهم على جميع ما نأمرهم به - هذا على قراءة الجماعة بالتاء و البناء
للمفعول[6] ، و عظم الكتابة تفخيما للوعيد و إكبارا [لما - [7]] اشتمل عليه
من التهديد فى قراءة النون المفيدة للعظمة و البناء للفاعل و نصب الشهادة ٥
﴿ شهادتهم ﴾ أى قولهم فيهم أنهم أناث الذى لاينبغى أن يكون إلا
بعد تمام المشاهدة ، فهو قول ركيك سخيف ضعيف - بما أشار إليه
التأنيث فى قراءة الجماعة ﴿ و يسئلون ه ﴾ عنها عند الرجوع إلينا . و يجوز
أن يكون فى السين استعطاف إلى التوبة قبل كتابة و لا علم لهم به ،
فانه قد روى أبو أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : ١٠
كاتب الحسنات على يمين الرجل و كاتب السيئات على يسار الرجل ،
و كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات ، فاذا عمل حسنة كتبها صاحب
اليمين عشرا ، و إذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال : دعه
سبع ساعات ، لعله يسبح الله أو يستغفر - رواه الشعبى و البغوى من طريقه
و الطبرانى و البيهقى من طريق جعفر عن القاسم عن أبى أمامة و البيهقى ١٥
من رواية[8] بشر بن نمير[9] عن القاسم نحوه و أبو نعيم فى الحلية و ابن مردويه

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : وكلهم (٤) فى مد : به (٥) من ظ و مد ،
و فى الأصل : و هم (٦) راجع نثر المرجان ٦/٤٠٧ (٧) زيد من مد (٨) من ظ
و مد ، و فى الأصل : رواته (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : نهير .

من طريق إسماعيل بن عياش عن عاصم بن رجاء عن عروة بن رويم عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه، و روى[1] الحاكم[2] و قال: صحيح الإسناد عن أم عصمة العوصية[3] رضي الله تعالى عنها قال: ما من مسلم يعمل ذنبا إلا وقف الملك ثلاث ساعات، فان استغفر من ذنبه لم يوقعه عليه و لم يعذب[4] يوم القيامة.

و لما ذكر أنهم يسئلون بطريق الأولى عن العبادة، نبه[5] على أنهم عبدوهم مع ادعاء[6] الأنوثة فيهم، فقال معجبا منهم في ذلك و في جعل قولهم حجة دالة على صحة مذهبهم و هو من أوهى[7] الشبه: ﴿و قالوا﴾ أي بعد عبادتهم لهم و نهيهم عن عبادة غير الله: ﴿لو شآء الرحمن﴾ [أي -[8]] الذي له عموم الرحمة [﴿ما عبدنٰهم﴾ لأن عموم الرحمة -[1]] يمنع الإقرار على ما لا ينبغي و لكنه لم يشأ عدم عبادتنا لهم فعبدناهم طوع مشيته، فعبادتنا لهم حق، و لو لا أنها حق يرضاه[9] لنا لعجل لنا العقوبة.

و لما كان كأنه قيل: بما ذا يجابون عن هذا، قال منبها على جوابهم بقوله دالا على أن أصول الدين لا يتكلم فيها إلا بقاطع: ﴿ما لهم بذلك﴾

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: رواه (٢) راجع المستدرك ٤ / ٢٦٢.
(٣) من مد و المستدرك، و في الأصل و ظ: العصوية (٤) من المستدرك، و في الأصول: لم يعذبه (٥) من ظ و مد، و في الأصل: منه (٦) من ظ و مد، و في الأصل: ادعائهم (٧) من مد، و في الأصل و ظ: واهي.
(٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و في الأصل: يرضاها.

أي

أى بهذا المعنى البعيد عن الصواب الذى قصدوا جعله دليلا على حقية[1]
عبادتهم لهم و هو / أنه سبحانه لايشاء إلا ما هو حق و يرضاه و يأمر / ٦٨٥
به، و من أن الملائكة إناث، و أكد الاستغراق بقوله: ﴿ من علم ﴾
أى لأنه لو لزم هذا لكان وضعه بعموم الرحمة حينئذ [2]اضطراريا لا اختياريا[2]
فيؤدى إلى نقص لا إلى كمال، و لكان أيضا ذلك يؤدى إلى إيجاب أن ٥
يكون الناس كلهم مرضيا عنهم لكونهم على حق، و ذلك مؤد بلا ريب
إلى كون النقيضين معا حقا، و هو بديهى الاستحالة.

و لما كان العلم قد ينتفى[3] و المعلوم ثابت فى نفسه قال نافيا لذلك:
﴿ ان هم ﴾ أى ما هم ﴿ الا يخرصون ﴾ أى[4] يكذبون فى هذه النتيجة
التى[5] زعموا أنها دلتهم على رضا الله سبحانه لكفرهم فانها مبنية على أنه ١٠
سبحانه لايشاء إلا ما هو حق، و الذى جرأهم على ذلك أنهم يجددون
على الدوام القول بغير تثبت[6] و لا تحر، فكان أكثر قولهم كذبا، فصاروا
لذلك يجترؤن[7] على تعمد القول للظن الذى لايأمن صاحبه من الوقوع فى
صريح، و سيأتى تمام إبطال هذه الشبهة بقوله تعالى "قل ان كان للرحمن
ولد فانا اول العبدين" و أن ذلك هو المراد لاما طال الخبط فيه لإهمال ١٥
فى[8] السوابق و اللواحق الموجبة لسوق المقال، مطابقا[9] لمقتضى الحال،

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: حقيقة (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اضطرار بالاختيار (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: ينبغى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الذى (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الذين (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تثبيت (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يجرون (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مع (٩) من ظ و مد، و فى لأصل: مطابقا.

و قد جهلوا فى [1]هذا الكلام[1] عدة جهالات : ادعاء الولدية[2] للغنى المطلق ، و كون الولد أدنى الصنفين ، و عبادتهم لهم مع أنفسهم منهم بغير دليل ، و احتياجهم على صحة فعلهم بتقدير علم على ذلك و هو قد نهاهم عنه بلسان كل رسول ، و ظنهم أنه لا يشاء إلا ما هو الحق المؤدى إلى الجمع بين ٥ النقيضين إذ لاريب فيه و لا خفاء [به - [3]] .

و لما كان الإيمان بالملائكة الذين هم جند الملك من دعائم أصول الدين ، و كان الإيمان بالشيء إن لم يكن على ما هو عليه الشيء و لو بأدنى الوجوه كان مخلا ، و أخبر سبحانه أنهم وصفوهم بغير ما هم عليه ففرطوا بوصفهم بالبنات حتى أنزلوهم إلى الحضيض و أفرطوا بالعبادة[4] ١٠ حتى أعلوهم عن قدرهم فانسلخوا فى كلا الأمرين من صريح العقل بما أشار إليه ما مضى ، أتبع ذلك أنهم عريثون[5] أيضا من صحيح النقل ، فقال معادلا لقوله " اشهدوا خلقهم " إنكارا عليهم بعد إنكار ، [6]موجبا ذلك[6] أعظم العار ، لافتا القول عن الوصف بالرحمة تنبيها بمظهر العظمة على أن حكمه تعالى [7]متى برز لم يسمع سامعه إلا[7] الوقوف عنده ١٥ و الامتثال على كل[8] حال و إلا حل به أعظم النكال : ﴿ام اتينهم﴾ على

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذه الألفاظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الولد (٣) زيد من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الاصل : بالعباد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : غريقون (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : موجب لهم (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بدى لم يسمع ما معه (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : أكل .

بما لنا من العظمة ﴿ كتبا ﴾ أى جامعا لما يريدون اعتقاده من أقوالهم هذه ﴿ من قبله ﴾ أى القرآن أخبرناهم فيه أنا جعلناهم إناثا و أنا لا نشاء إلا ما هو حق نرضاه و نأمر به ﴿ فهم ﴾ أى فتسبب[1] عن هذا الإيتاء أنهم ﴿ به ﴾ أى وحده ﴿ مستمسكون ﴾ أى موجدون الاستمساك[2] به و طالبون للثبات عليه فى عبادة غير الله، و فى [أن -[3]] ذلك حق ٥ لكونه لم يعاجلهم بالعقوبة، و [فى -[3]] وصفهم الملائكة بالأنوثة، و فى غير ذلك من كل ما يرتكبونه / باطلا، و الإنكار يقتضى نفى ما دخل /٦٨٦ عليه [من -[3]] إيتاء الكتاب كما انتفى إشهاده [لهم -[3]] خلقهم، و هذه المعادلة التى لايشك فيها من له بصر بالكلام تدل على صحة كون الإشارة فى " ما لهم بذلك من علم " شاملة لدعواهم الأنوثة فى الملائكة : ١٠

و لما كان الجواب قطعا عن هذين الاستفهامين : ليس لهم ذلك على مطلق ما قالوا و لا مقيده من صريح عقل و لا صحيح نقل إلى من يصح النقل عنه من أهل العلم بالأخبار الإلهية، نسق عليه قوله إرشادا إليه : ﴿ بل قالوا ﴾ أى فى جوابهم عن [4]قول ذلك و اعتقاده[4] مؤكدين إظهارا جهلا أو تجاهلا لأن ذلك لم يعب عليهم إلا لظن[5] أنه لا سلف ١٥ لهم أصلا فيه، [6]فاذا ثبت[6] أنه عن تقدمهم[7] انفصل النزاع :

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : فسبب (٢) فى مد : للامساك (٣) زيد من مد.
(٤ - ٤) من مد، و فى الأصل و ظ : قولهم و اعتقادهم (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : الظن (٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل : فانه افلت (٧) من مد، و فى الأصل و ظ : تعذبهم.

﴿ انا وجدنآ ءابآءنا ﴾ أى و هم أرجح منا عقولا و أصح أفهاما ﴿ علىٓ امة ﴾ أى طريقة عظيمة يحق لها أن تقصد و تؤم مثل رحلة بمعنى شيء هو أهل لأن يرحل إليه ، و كذا قدوة و نحوه ، و قراءة الكسر معناها حالة حسنة يحق لها ان تؤم ﴿ و انا علىٓ ءاثارهم ﴾ أى ٥ خاصة لا على غيرها و نحن فى غاية الاجتهاد و القص للآثار و إن لم نجد عينا تتحققها ٠

و لما علم ذلك من حالهم ، و لم يكن صريحا فى الدلالة على الهداية ، بينوا الجار و المجرور ، و أخبروا بعد الإخبار و استنتجوا منه قولهم استئنافا لجواب من سأل : ﴿ مهتدون ٥ ﴾ أى نحن ، فاذا ثبت بهذا ١٠ الكلام المؤكد أنا ما أتينا بشيء من عند أنفسنا و لا غلطنا فى الاتباع و اقتفاء الآثار ، فلا اعتراض علينا بوجه ، هذا قوله فى الدين بل فى أصوله التى من ضل فى شيء منها هلك ، و لو ظهر لأحد منهم خلل فى سعى [أبيه - ١] الدنيوى الذى به يحصل الدينار و الدرهم ما اقتدى به أصلا و خالفه أى مخالفة . ما هذا[2] إلا لمحض الهوى و قصور النظر ، ١٥ و جعل محطه الأمر الدنيوى الحاضر ، لا نفوذ لهم فى المعانى بوجه ٠

و لما كان ترك المدعو للدليل و اتباعه للهوى غائظا موجعا و منكئا[3] مولما ، قال[4] يسليه صلى الله عليه و سلم عاطفا على قوله : ﴿ و كذلك ﴾

---

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : لهذى ، و فى ظ : لهذى (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : مبليا (٤) زيد فى الأصل : مسليا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

أى

أى و مثل هذا الفعل المتناهى فى البشاعة فعلت الأمم الماضية مع إخوانك الأنبياء عليهم الصلاة و السلام؛ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿ مآ ارسلنا ﴾ مع ما لنا من العظمة.

و لما كانت مقالة قريش قد تقدمت و المراد التسلية بغيرهم، و كان صلى الله عليه و سلم خاتم النبيين فلا أمة لغيره فى زمانه و لا بعده يسليه ٥ بها، سلاه بمن مضى، و قدم ذكر القبلية اهتماما بالتسلية و تخليصا لها من أن يتوهم أنه يكون معه فى زمانه أو بعده نذير، و إفهاما لأن المجدد لشريعته إنما يكون مغيثا[1] لأمته و بشيرا لا نذيرا لثباتهم على الدين بتصديقهم جميع النبيين فقال تعالى: ﴿ من قبلك ﴾ أى فى الأزمنة السالفة حتى[2] القريبة منك جدا، فان التسلية بالأقرب أعظم، و أثبت ١٠ الجار لأن الإرسال بالفعل لم يعم جميع الأزمنة، و أسقط هذه القبلية فى «سبإ» لأن المراد فيها التعميم لأنه لم يتقدم لقريش ذكر حتى يخص من قبلهم. و لما كان أهل / القرى أقرب إلى العقل و أولى بالحكمة و الحكم، / ٦٨٧ قال: ﴿ فى قرية ﴾ و أعرق فى النفى بقوله: ﴿ من نذير ﴾ و بين به أن موضع الكراهة و الخلاف الإنذار على مخالفة الأهواء ﴿ الا قال مترفوهآ ﴾ ١٥ أى أهل الترفه بالضم و هى النعمة و الطعام الطيب و الشىء الطريف يكون خاصة بالمترف[3]، و ذلك موجب للقلة و هو موجب للراحة و البطالة

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: مغشيا (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: على (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: بالمترفة.

الصارف عن جهد الاجتهاد إلى سفالة التقليد، و هو موجب لركوب الهواء و لو بان الدليل، و هو موجب للبغى و الإصرار عليه و اللجاجة فيـــه و التجبر و الطغيان. و معظم الناس فى[1] الأغلب أتباع لهؤلاء: ﴿ انا وجدنا اباءنا ﴾ أى و هم أعرف منا بالأمور ﴿ على[2] امة ﴾ أى

٥ أمر جامع يستحق أن يقصد و يؤم و طريقة و دين، و أكدوا[3] قطعا لرجاء المخالف من لفتهم عن ذلك ﴿ و انا على[2] اثارهم ﴾ لا غيرها، ثم بيـــنوا الجار و المجرور و أخبروا خبرا ثانيا و استأنفوا لإتمام مرادهم قولهم إيضاحا لأن سبب القص القدوة[3]: ﴿ مقتدون ه ﴾ أى مستنون[4] أى راكبون سنن طريقهم لازمون له[5] لأنهم مقتدون [6]لأن تقدم[6] عليهم،

١٠ و حالنا أطيب ما يكون فى الاستقامة و أقرب و أسرع .

و لما كان كأنه قيل: فقال كل نذير: فما أصنع ؟ أجاب بقوله: ﴿ قل ﴾ أى يا أيها النذير - هذا[7] على قراءة الجماعة، و على قراءة ابن عامر و حفص و عاصم[8] يكون التقدير أن السامع قال: فما قال النذير فى جوابهم ؟ فأجيب بقوله: قال إنكارا عليهم: ﴿ اولو ﴾ أى أتقتدون[9]

١٥ بآبائكم على كل حال و تعدونهم مهتدين و لو ﴿ جئتكم ﴾ و الضمير

---

(١) زيد فى الأصل و ظ: الأبلغ و، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها. (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: أكد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: القدرة (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: مستسنون (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لها (٦-٦) فى مد: لتقدم (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: بهذا. (٨) راجع نثر المرجان ٦ / ٤١١ (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: تقتدون - بدون همزة الاستفهام .

فيه للنذير، و فى قراءة أبى جعفر: أو لو جئتكم للنذر كلهم ﴿ باهدٰى ﴾ أى أمر أعظم فى الهداية و أوضح فى الدلالة ﴿مما وجدتم﴾ أى أيها المقتدون بالآباء[1] ﴿ عليه ءاباءكم ﴾ كما تضمن قولكم أنكم تقتفون فى اتباعهم بالآثار فى أعظم الأشياء، و هو الدين الذى الخسارة [فيه -[2]] خسارة للنفس و أنتم تخالفونهم فى أمر الدنيا إذا وجدتم طريقا أهدى ٥ من التصرف فيها من طريقهم و لو بأمر يسير، و يفتخر أحدكم بأنه أدرك من ذلك ما لم يدرك أبوه فحصل من المال أكثر مما حصل، فيا له من نظر ما أقصره، و متجر ما أخسره .

و لما كان من المعلوم أن النذر[3] قالوا لهم ما أمروا به؟ فتشوف السامع إلى جوابهم لهم، أجيب بقوله: ﴿ قالوآ ﴾ مؤكدين ردا لما قطع ١٠ به كل عاقل سمع هذا الكلام من أنهم يبادرون النظر فى الدليل و الرجوع إلى[4] سواء السبيل: ﴿ انا بمآ ارسلتم به ﴾ أى أيها المدعون للارسال من أى مرسل كان، و لو ثبت ما زعمتموه من الرسالة و لو جئتمونا بما هو أهدى ﴿ كٰفرون ﴾ أى ساترون لما ظهر من ذلك جهدنا حتى لا يظهر لأحد و لا يتبعهم فيه مخلوق . ١٥

و لما علم بهذا أن أمرهم وصل إلى العناد المسقط / للاحتجاج، /٦٨٨

(١) زيد فى الأصل: مما وجدتم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: النذراء (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: على .

سبب عنه قوله موعظة لهذه الأمة و بيانا لما خصها بـــه من الرحمة: ﴿فانتقمنا﴾ أى بما لنا من العظمة التى استحقوا بها ﴿منهم﴾ فأهلكناهم بعذاب الاستئصال، و عظم أثر النقمة بالأمر بالنظر فيها فى قوله: ﴿ فانظر ﴾ أى بسبب التعرف لذلك و بالاستفهام إشارة إلى أن ذلك
٥ أمر هو جدير لعظمه بخفاء سببه فقال: ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ المكذبين ع ﴾ أى إرسالنا فانهم هلكوا أجمعون، و نجا المؤمنون أجمعون، فليحذر من رد رسالتك من مثل ذلك.

و لما ذكر لهم الأدلة و حذرهم بالأخذ [1]و تحرر أنهم[1] مع التقليد لا ينفكون عنه، ذكرهم بأعظم آبائهم و محط فخرهم و أحقهم بالاتباع
١٠ للفوز بأتباع الأب[2] فى ترك التقليد أو فى تقليده إن كان لا بد لهم من التقليد لكونه أعظم الآباء و لكونه مع الدليل، فقال عاطفا على ما تقديره للاشارة إلى تأمله و إمعان[3] النظر فيه: اذكر لهم ذلك: ﴿ و اذ ﴾ أى و اذكر لهم حين ﴿ قال ﴾ أعظم أبائهم و محط فخرهم و المجمع على محبته و حقية[4] دينه منهم و من أهل الكتاب و غيرهم ﴿ ابرٰهيم لابيه ﴾
١٥ من غير [5]أن يقلده[5] كما أنتم قلدتم آباءكم، و لما كانت مخالفة الواحد للجمع شديدة، ذكر لهم حاله فيها بيانا[6] لأنهم أحق منهم بالانفكاك عن

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: محوررايهم (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: الأدب (٣) فى مد: انعام (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: حنيفة.
(٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تقليده (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: بيان.

التقليد ﴿ و قومه ﴾ الذين كانوا هم القوم فى الحقيقة لاحتوائهم على ملك جميع الأرض كما قلت: إنا لكم سواء و لما كانوا لايتخيلون أصلا أن أحدا يكون مخالفا لهم، أكد بالحرف و إظهار نون الوقاية فقال: ﴿ انى ﴾ و زاد بالنعت[١] بالمصدر الذى يستوى فيه الواحد و غيره و المذكر و غيره لكونه مصدرا و إن وقع موقع الصفة باللفظ الدال على أنه مجسد ٥ من البراءة ، جعله على صورة المزيد لزيادة التأكيد فقال: ﴿ برآء ﴾ و من ضمه[٢] جعله وصفا محضا مثل طوال فى طويل ﴿ مما تعبدون ﴾ فى الحال و الاستقبال مهما كان غير من اشتبه ، فانهم كانوا مشركين فلا بد من الاستثناء و من كونه متصلا ، قال[٣] الإمام أبو [على - [٤]] الحسن بن يحيى بن نصر الجرجانى فى كتاب بيان نظم القران ما حاصله: سر قول ١٠ السلف أن الكلمة هنا أى الآية[٥] فى قوله كلمة باقية " لا إله إلا الله " أن النفى و التبرئة[٦] واحد فانى براء بمنزلة لا ، و قوله " مما تعبدون " بمنزلة إله[٧] إذ كل معبود يسمى إلها فآل[٨] ذلك إلى: لا إله ﴿ الا الذى فطرنى ﴾ قال: فقد ضممت بهذا التأويل إلى فهمك الأول الذى استفدته [٩]من الخبر[٩] فهم المعرفة الحقيقية الذى أفاد له طباعك ١٥

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالنعمة (٢) راجع نثر الرجان ٤١٤/٦ (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : قاله (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لايته (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : التزكية (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الا (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : قال (٩ - ٩) فى مد : بالخبر .

بالعبرة، و نبه بالوصف بالفطر على دليل اعتقاده أى الذى شق العدم فأخرجنى منه ثم شق هذه المشاعر و المدرك، و من كان بهذه القدرة الباهرة كان منفردا بالعظمة.

و لما كان الله سبحانه - و له[1] المن - قد أنعم بعد الإيجاد بما ٥ أشار إليه من العقل و الحواس المهيء، للهداية[2] من غير طلب، فكان جديرا بأن يمنح قاصده بأعظم هداية / قال مسببا عن قطعه العلائق ٦٨٩ / من سواه، مؤكدا لأجل من ينكر وصوله إلى حد[3] عمى عنه أسلافه ﴿فانه سيهدين ﴾ أى هداية هى الهداية إلى ما لاح لى من الحقائق من كل ما يصلحنى لتوجهى إليه و توكلى عليه، لا مرية عندى فى هذا الاعتقاد، ١٠ و قد أفاد بهذه المقترنة[4] بالسين هدايته فى الاستقبال بعد أن أفاد بقوله المحكى فى الشعراء " فهو يهدين " الهداية فى الحال و كأنه خص هذا بالسين لأجل ما عقبها به من عقبه، لجعل هدايتهم هدايته ﴿ و جعلها ﴾ أى جعل إبراهيم عليه الصلاة و السلام هذه الكلمة التى هى التوحيد بدليله ﴿ كلمة باقية فى عقبه ﴾ أى ذريته دعا[5] و هو مجاب الدعوة فى قوله: ١٥ "و اجنبنى و بنى ان نعبد الاصنام" و فى قوله "و من ذريتى ربنا و ابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم ايٰتك و يعلمهم الكتٰب و الحكمة و يزكيهم انك انت العزيز الحكيم": ﴿لعلهم يرجعون ﴾ أى ليكون حالهم حال

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: له (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: الهداية
(٣) فى مد: خير (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: المعبرة (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: بما دعوى.

من ينظر إليهم إن حصل منهم مخالفة و اعوجاج حال من يرجى رجوعه ، فانهم إذا ذكروا أن أباهم الأعظم الذى بنى لهم البيت و أورثهم الفخر قال ذلك تابعوه ، و يجوز أن يتعلق بما يتعلق به « اذ » أى اذكر لهم قول أبيهم ليكون حالهم عند من يجهل العواقب حال [من يرجى -[1]] رجوعه عن تقليد الجهلة من الآباء إلى اتباع هذا الأب الذى اتباعه ٥ لا يعد تقليدا لما على قوله من الأدلة التى تفوت الحصر فتضمن لمتبعها حتما تمام النصر ، و فى سوقه سوق المترجى إشارة إلى أنهم يكونون صنفين : صنفا يرجع و آخر لا يرجع .

و لما كان من المعلوم أن السامع يقول لمن أحاط علمه بهم و يعلم سرهم و علنهم[2] : يا رب ! بل رجعوا ، أجيب بقوله : ﴿بل﴾ أى لم يرجعوا ١٠ بل استمروا لأجل إظهارى لقدرتى على القلوب باقحام[3] أربابها برضاهم و اختيارهم فى أقبح الخطوب و أفحش الذنوب على ترك الطريق المنيع و الصراط الأقوم و زاغوا عنه زيغا عظيما . و استمروا فى ضلالهم و تيههم و لم أعاجلهم بالعقوبة لأنى ﴿متعت﴾ بافراده ضميره سبحانه لأن التمتيع يتضمن إطالة العمر التى لا يقدر عليها ظاهرا و لا باطنا سواه . ١٥ و أما الانتقام فقد يجعله بأيدى عباده من الملائكة و غيرهم [فهو -[4]] من وادى "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون و املى لهم ان كيدى متين" :

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تمكنهم (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالجام (٤) زيد من ظ و مد .

﴿ هؤلآء ﴾ أي الذين بحضرتك من المشركين و أعداء الدين ﴿ و ابآءهم ﴾ فمددت من الأعمار مع سلامة الأبدان و متانة الأركان، و إسباغ النعم و الإعفاء من البلايا و النقم، فأبطرتهم نعمى و أزهدتهم أيادي جودي و كرمي، و تمادى بهم ركوب ذلك الباطل ﴿ حتى جآءهم الحق ﴾
٥ بهذا الدين المتين ﴿ و رسول مبين ﴾ أي أمره ظاهر في نفسه، لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهية تنبئك بالخبر و هو مع ظهوره في نفسه مظهر لكل معنى يحتاج إليه، و "متعت" بالخطاب من لسان الرسول المنزل عليه / هذا الكتاب لأنه يدعو انتهازا للفرصة لعله يجاب /٦٩٠ بما يزيل الغصة[1] يقول: يا رب! قد أقتهم لمن يجهل العواقب في مقام
١٠ من يرجى رجوعه فما نضيت بذلك بل متعت إلى آخره.

و لما كان التقدير: فلم يردهم التمتيع بادرار النعم عليهم و إسراعنا [بها-[2]] إليهم [مع وضوح الأمر لهم، بل كان الإنعام عليهم سببا لبطرهم، و كان البطر سببا لتماديهم على الاستهانة بنعمتنا على عصيان أمرنا-[3]] و هم يدعون أنهم أتبع الناس للحق و أكفهم عن الباطل،
١٥ عطف عليه قوله: ﴿ و لما جآءهم الحق ﴾ أي الكامل في حقيته[3] [4]بمطابقة الواقع إياه من غير إلباس و لا اشتباه[4]، الظاهر في كماله لكل من له أدنى لب بما عليه القرآن من الإعجاز في نظمه، و ما عليه ما يدعو إليه

(١) من ظ و مد، و في الأصل: الفصه (٢) زيد من مد (٣) من مد، و في الأصل و ظ: حقيقته (٤-٤) و قع ما بين الرقمين في الأصل و ظ قبل « و هم يدعون » و الترتيب من مد.

ن

من الحكمة من جميع حكمه . و التصادق مع ما يعلمونه من دين إبراهيم عليه الصلاة و السلام قبل أن يبدلوه و من أمر موسى و عيسى عليهما الصلاة و السلام من التوحيد ، زادوا على تلك الغفلة التى أدى إليها البطر بالنعمة ما هو شر من ذلك و هو التكذيب بأن ﴿قالوا﴾ مكابرة و عنادا و حسدا و بغيا من غير وقفة و لا تأمل : ﴿ هذا ﴾ مشيرين إلى ٥ الحق الذى يطابقه الواقع ، فلا شيء أثبت منه و هو القرآن و غيره مما أتى [به -[1]] من دلائل العرفان ﴿ سحر ﴾ أى خيال لا حقيقه له . و لما كان الحال مقتضيا من غير شك و لا وقفة لمعرفتهم لما جاء به و إذعانهم له قالوا مؤكدين لمدافعة ما ثبت فى النفوس من ذلك : ﴿ و انا به كفرون ﴾ أى عريقون فى ستره بخصوصه حتى لا يعرفه أحد ، ١٠ و لا يكون له تابع .

و لما اخبر عن طعنهم فى القرآن أتبعه الإخبار عن طعنهم فيمن جاء به تعطية[2] لأمره عملا بأخبارهم فى ختام ما قبلها[3] عن أنفسهم بالكفر زيادة و إمعانا فيما كانت النعم أدتهم إليه من البطر فقال : ﴿ و قالوا ﴾ لما قهرهم ما ذكروا به مما يعرفعونه من [أمر -[1]] إبراهيم ١٥ عليه الصلاة و السلام من النبوة و الرسالة ، و كذا من بعده من أولاده فلم يتهيأ لهم الإصرار على العناد[4] بانكار أن يكون النبى من البشر قول من له أمر عظيم فى التصرف فى الكون و التحكم على الملك الذى

---

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تعظيمه (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : قبلهم (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : الضاد .

لايسئل عما يفعل، فأنكروا التخصيص بما [أتوا -[1]] به من التخصيص في قولهم: ﴿ لولا ﴾ أي هلا و لولا .

و لما كان إنزال القرآن نجوما على حسب التدريج، عبروا بما يوافق ذلك فقالوا : ﴿ نزل ﴾ أي من المنزل الذي ذكره محمد صلى الله

٥ عليه و سلم . و عينوا مرادهم و نفوا اللبس فقالوا بقسر[2] و غلظة كلمة على من يطلبهم لاصلاح حالهم[2] ﴿ هذا القرآن ﴾ أي الذي[3] جاء به محمد صلى الله عليه و سلم و ادعى أنه جامع لكل خير ، ففيه إشارة إلى التحقير ﴿ على رجل من القريتين ﴾ أي مكة و الطائف ، و لم يقل : إحدى - اغتناء عنها بوحدة رجل ﴿ عظيم ه ﴾ أي بما [4]به عندهم[4] من[5] العظمة و الجاه

١٠ و المال و السن و نحو ذلك و هم عالمون أن شأن الملك إنما هو إرسال من يرتضونه لا من يقترحه الرعية ، و[6] يعلمون أن للملك[7] المرسل له صلى الله عليه و سلم[8] الغني المطلق لكنهم جهلوا - مع أنه هو الذي / أفاض المال و الجاه - أنه ندب إلى الزهد فيهما و التخلي عنهما ، و أنه لا يقرب إليه إلا إخلاص الإقبال[9] عليه الناشيء عن طهارة الروح و ذكاء الأخلاق

١٥ و كمال الشمائل و التحلي بسائر الفضائل و التخلي عن جميع الرذائل ، فقد

/ ٦٩١

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) سقط من ظ .
(٤ - ٤) من ظ و مد ، و في الأصل : عنده (٥) من مد ، و في الأصل و ظ :
« و » (٦) زيد في الأصل : هم ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .
(٧) من ظ و مد ، و في الأصل : الملك (٨) زيد في الأصل : هو ، و لم تكن
الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٩) من مد ، و في الأصل و ظ : اقبل .

جعلوا لإفراطهم فى الجهل الحالة البهيمية شرطا للوصول[1] إلى الحالة[2] الملكية المضادة لها بكل اعتبار .

و لما تضمن قولهم إثبات عظمة لأنفسهم بالاعتراض على الملك . قال منكرا عليهم موبخا لهم بما معناه أنــه[3] ليس الأمر مردودا إليهم و لا موقوفا عليهم[4] بل هو[4] إلى الله وحده - " و الله اعــلم حيث يجعل ٥ رسالته " ﴿ اهم ﴾ أى أهؤلاء الجهلة[5] العجزة ﴿ يقسمون ﴾ أى على التجدد و الاستمرار : و لفت القول عن إفراد[6] الضمير إلى صفة الرحمة المضافة إلى النبى صلى الله عليه و سلم تشريفا له و إظهارا لعلى قدره : ﴿ رحمت ربك ﴾ أى إكرام المحسن إليك و إنعامه و تشريفه بأنواع اللطف و البر و إعظامه بما رباك له من تخصيصك بالإرسال إليهم بتأهيلهم للانقاذ ١٠ من الضلال ، و جعلك و انت أفضل العالمين الرسول إليهم فعضلوا بفضيلتك مع أنك أشرفهم نسبا و أفضلهم حسبا و أعظمهم عقلا و أصفاهم لبا و أرحمهم قلبا ليتصرفوا فى تلك الرحمة التى هى روح الوجود و سر الأمر بحسب شهواتهم و هم لا يقدرون على التصرف فى المتاع الزائل بمثل ذلك . ١٥

و لما نفى أن يكون لهم شىء[7] من القسم[8] قال جوابا لمن كأنه

---

(١) فى مد : فى الوصول (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحال (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بانه (٤-٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : برموا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحملة (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اقرار .
(٧) سقط من مد (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : انفسهم .

قال : فمن القاسم ؟ دالا على بعدهم عن أن يكون إليهم شيء من قسم ما أعد لأديانهم بما يشاهدونه من بعدهم عن قسم ما أعد لأبدانهم ، لافتا القول عن صفة الإحسان إلى مظهر العظمة إشارة إلى أنها تأبى المشاركة فى شيء و تقتضى التفرد : ﴿ نحن قسمنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ٥ ﴿ بينهم ﴾ أى فى الأمر الذى يعمهم و يوجب تخصيص كل منهم[1] بما لديهم ﴿ معيشتهم ﴾ التى يعدونه رحمة و يقصرون عليها النعمة ﴿ فى الحيوٰة الدنيا ﴾ التى هى أدنى الأشياء عندنا ، و أشار إلى أنها حياة ناقصة لا يرضاها عاقل ، و أما الآخرة فعبر عنها بالحيوان لأنا لو تركنا قسمها إليهم لتعاونوا[2] على ذلك فلم يبق منهم أحد فكيف يدخل ١٠ فى الوهم أن يجعل إليهم شيئا من الكلام فى أمر النبوة التى هى روح الوجود ، و بها سعادة الدارين : ﴿ و رفعنا ﴾ بما لنا من نفوذ الأمر ﴿ بعضهم ﴾ و إن كان ضعيف البدن قليل العقل ﴿ فوق بعض ﴾ و إن كان قويا غزير العقل ﴿ درجٰت ﴾ فى الجاه و المال و نفوذ الأمر و عظم القدر لينتظر حال الوجود ، فانه لابد فى انتظامه من تشارك ١٥ الموجودين و تعاونهم ، تفاوتنا بينهم فى الجثث و القوى و الهمم ليقتسموا[3] الصنائع ، و المعارف و البضائع ، و يكون كل ميسر لما خلق له ، و[4] جانحا إلى ما هى له[4] لتعاطيه ، فلم يقدر أحد من دنيء أو غنى أن يعدو قدره

(١) سقط فى ظ و مد (٢) فى ظ و مد : لتعانوا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يتقسموا (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : حايجا لما و هى .

و ترتقى فوق منزلته .

و لما ذكر ذلك، علله بما ثمرته[1] عمارة الأرض / فقال : ﴿ ليتخذ ﴾ / ٦٩٢
أى بغاية جهده ﴿ بعضهم بعضا ﴾ [2] و لما كان المراد هنا الاستخدام
دون الهزء لأنه لايليق التعليل به، أجمع القراء على ضم هذا الحرف
هنا فقال: ﴿ سخريا[2] ﴾ أى أن يستعمله فيما ينوبه أو يتعسر أو يتعذر ٥
[3] عليه مباشرته ويأخذ للآخر منه من المال ما هو مفتقر إليه، فهذا
بماله، و هذا بأعماله، و قد يكون الفقير أكمل من الغنى ليكمل بذلك
نظام العالم لأنه لو تساوت المقادير لتعطلت المعايش، فلم [يقدر -[3]] أحد
أن ينفك عما جعلناه إليه من هذا [الأمر الدنىء -[3]] فكيف يطمعون
فى الاعتراض فى امر النبوة، أيتصور[4] عاقل أن يتولى قسم الناقص ١٠
و نكل العالى إلى غيرنا، قال ابن الجوزى: فاذا كانت الأرزاق بقدر
الله لايحول المحتال و هى[5] دون النبوة فكيف تكون النبوة - انتهى .
و هذا هو المراد بقوله تعالى صارفا القول عن مظهر العظمة و السلطان
إلى الوصف بالإحسان إظهارا لشرف النبي صلى الله عليه و سلم
﴿ و رحمت ربك ﴾ أى المربى لك و المدبر لأمرك بارسالك و إنارة ١٥
الوجود برسالتك التى هى لعظمتها جديرة بأن تضاف إليه و لايسمى
غيرها رحمة ﴿ خير مما يجمعون ﴾ من الحطام الفانى فانه و إن تأتى فيه
خير باستعماله فى وجوه البر بشرطه، فهذا بالنسبة إلى النبوة، و ما قارنا

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : عزته (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل و ظ : للآخر (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : اى يتصور فى ذهن.
(٥) من مد، و فى الأصل و ظ : هو .

مما دعا إلى الإعراض عن الدنيا متلاش.

و لما دلت صريح آيـــة التمتيع و تلويح ما بعدها أن البسط فى الرزق الموجب للعلو مع أنه خسيس المنزلة ناقص المقدار مقتض للخروج عن السواء، و كان التقدير: فنحن نخص بهذا الخير للأفراد فى الأدوار[1] الآحاد من الأبرار لنستنقذ بهم من شئنا من الضلال و نعطى الحطام للعتاة[2] الطغام الأرذال[2] ابتلاء للعباد ليبين لهم أهل البغى من أهل الرشاد، و لو لا ما اقتضته حكمتنا بترتيب هذا الوجود على الأسباب من المفاوتة بين الناس لقيام الوجود لساوينا بينهم، و عطف: عليه قوله مذكرا بلطفه[3] بالمؤمنين و بره لهم برفعه ما يقتضى لهم شديد المجاهدة و عظيم المصابرة و المكابدة لحال تزل فيه الأقدام عن سنن الهدى من الميل و الإصغاء إلى مظان الغنا و الملك و تمام المكنة و العظمة: ﴿و لو لآ ان يكون الناس﴾ أى أهل التمتع بالأموال بما فيهم من الاضطراب و الأنس بأنفسهم ﴿امة واحدة﴾ أى فى الضلال بالكفر لاعتقادهم أن اعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه لحبهم الدنيا و جعلها محط أنظارها و هممهم إلا من عصم الله ﴿لجعلنا﴾ أى فى كل زمان و كل مكان بما لنا من العظمة التى لم يقدر أحـــد على معارضتها لحقارة الدنيا عندنا و بعضنا لها

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: الاوارير (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: العظام للاراذل، و فى ظ: العظام الأرذال (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لطفه.

﴿لمن يكفر﴾ و قوله: ﴿ بالرحمن﴾ أى العام الرحمة دليل على حقارة الدنيا من جهة إعطائها للبعد[1] الممقوت، و على أن صفة الرحمة مقتضية لتناهى بسط النعم عـــلى الكافر لو لا العلة التى ذكرها سبحانه من الرفق بالمؤمنين.

و لما كان / تزيين الظرف دائما بحسب زينة المظروف، دل على [2]ما ٥ / ٦٩٣ لهم[2] من ملابسهم و مراكبهم و غير ذلك من أمورهم بزينة المنازل، فقال مبدلا [من -[3]] "لمن" بدل الاشتمال لأن سوقه على طريق الإبدال أروع: ﴿ لبيوتهم﴾ أى التى ينزلونها ﴿ سقفا ﴾ أى هذا الجنس فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو[4] بالموحدة[5] بدليل قراءة الباقين بضمتين جمعا ﴿من فضة﴾ كأنه [خصها -[3]] لإفادتها النور ﴿و معارج﴾ أى من فضة، و هى المصاعد ١٠ من الدرج لأن المشى عليها مثل مشى الأعرج ﴿ عليها يظهرون ﴾ أى يعلون[6] و يرتقون على ظهورها إلى المعالى ﴿ و لبيوتهم ابوابا ﴾ أى من فضة أيضا.

و لما كان إفراد السرير يوهم أنه واحد يدار[7] به على الكل، جمع ليفهم أن لكل[8] واحد ما يخصه من الأسرة بخلاف السقف فانه لا يوهم ١٥ ذلك فلعله قرئ بافراده و جمعه، فقال: ﴿و سررا﴾ بالجمع خاصة، و دل

(١) فى ظ: العبد (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: حالهم (٣) زيد من مد. (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) راجع نثر المرجان ٥/ ٤٢٠ (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: يعولون (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: يراد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الكل.

على هدوء بالهم و صفاء أوقاتهم و أحوالهم بقوله : ﴿ عليها يتكئون ۙ ﴾ و دل على ما لا يتناهى من غير ذلك بقوله : ﴿ و زخرفا ۚ ﴾ أى ذهبا و زينة عامة [كاملة [1]] .

و لما كان لفظ الزخرف دالا على كون ذلك [أمرا - [2]] ظاهريا
٥ متلاشيا عند التحقيق ، دل عليه بقوله مؤكـــدا لما تقرر فى النفوس من أن السادة فى مثل ذلك ، و ما كان مقررا عندهم من أن السعيد فى الأولى سعيد فى الآخرة عـــلى تقدير كونها : ﴿ و ان ﴾ أى و ما ﴿ كل ذلك ﴾ أى الأمر البعيد عن الخير لكونه فى الأغلب مبعدا مما يرضينا ، و لأن صاحبه لايزال فقيرا و أن استوسقت له الدنيا ملكا
١٠ و ملكا ، لأنه لابد أن يبقى فى نفسه شيء لا تبلغه قدرته فهو لا يزال مغبونا ﴿ لما ﴾ أى إلا - هذا على قراءة عاصم و حمزة بالتشديد [3] : و هى فى قراءة الباقين بالتخفيف فارقة بين النافية و المخففة ، و ما مؤكدة و الخبر هو [4] ﴿ متاع الحيوٰة الدنيا ۚ ﴾ أى التى اسمها [5] دال على دناءتها و أن لها ضرة هى [6] الآخرة ، و هو منقطع بالموت ، فلذلك اقتضت رحمته أن
١٥ لا يضيق على المؤمنين فى الأغلب لأن السعة تنقصهم فى الآخرة و يطول الحساب ﴿ و الأخرة ﴾ التى لا دار تعدلها بل لا دار فى الحقيقة إلا هى .

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٢١ .
(٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اسما سها (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : صورتين .

و لما كانت الإضافة إلى الجليل دالة على جلالة المضاف إليه فقال: ﴿ عند ربك ﴾ و أشار بالوصف بالرب إلى أن الجلالة بالحسن و الراحة، و بالإضافة إليه صلى الله عليه و سلم فى أعلى الغايات ﴿ للمتقين ﴾ أى الذين هم دائما[1] واقفون عن أدنى تصرف إلا بدليل لايشاركهم فيها غيرهم، و هذا لما ذكر عمر رضى الله عنه كسرى و قيصر و ما كانا فيه من النعم ٥ قال النبي صلى الله عليه و سلم: ألا نرضى أن يكون لهم الدنيا و لنا الآخرى. و لا يبعد أن يكون ما صار إليه الفسقة من الجبارة من زخرفة[2] الأبنية و تركيب / السقوف و غيرها من مساوئ[3] الفتنة بأن يكون الناس أمة / ٦٩٤ واحدة بالكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول: الله، و فى زمن الدجال من يبقى إذ ذاك على الحق فى غاية القلة بحيث أنهم ١٠ لا عداد[4] لهم فى جانب الكفرة. لأن كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة، و إن خرج مخرج الشرط فكيف بملك الملوك.

و لما كان التقدير: و لكنا لم نجعل ذلك علما منا بأن الناس كادوا[5] يكونون أمة واحدة و إن كنا نقيض من جبلناه على الخير على الإيمان لكن ينقصه ما أوتى فى الدنيا من خطر فى الآخرة لأن من وسع عليه ١٥ فى دنياه اشتغل فى الأغلب عن ذكر الله فنفرت منه الملائكة و لزمته الشياطين، فساقه ذلك إلى كل سوء، و من يتق الله فيديم ذكره يؤيده

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: دايا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: زخرف (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: مبادى (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: عدد (٥) فى ظ و مد: كانوا.

بملك فهو له معين، عطف عليه قوله معبرا عن غفلة البصيرة بالعشا[1] الذى هو ضعف البصر تصورا لمن ينسى ذكر الله بأقبح صورة تنفيرا عن ذلك : ﴿و من يعش﴾ أى يفعل فعل المعاشى، و هو من شاء بصره بالليل و النهار أو عمى على قراءة شاذة و ردت عن يعقوب بفتح الشين[2] و ركب[3] الأمور[4] متجاوزا ﴿عن ذكر الرحمٰن﴾ الذى عمت رحمته . فلا رحمة على أحد إلا وهى منه كما فعل هؤلاء حين متعناهم[5] و آباءهم حيث ابطرهم ذلك، و هو شىء يسير جدا ، فأعرضوا عن الآيات و الدلائل فلم ينظروا فيها إلا نظرا ضعيفا كنظر من عشى بصره ﴿نقيض﴾ [أى -[6]] نقرر و نسلط و نقدر عقابا ﴿له﴾ على إعراضه عن ذكر الله ﴿شيطانا﴾ أى شخصا ناريا بعيدا من الرحمة يكون غالبا محيطا به مضيقا عليه مثل قيض البيضة و هو القشر الداخل ﴿فهو له قرين ه﴾ مشدود به كما يشد الأسير ، ملازم فلا يمكنه التخلص منه ما دام متعاميا عن ذكر الله ، فهو يزين له العمى و يخيل إليه أنه على عين الهدى ، كما أن من يستبصر بذكر الرحمن يسخر له ملك[7] فهو له ولى يبشره بكل خير ، فذكر الله حصن حصين من الشيطان ، متى خرج [العبد -[4]] منه أسره العدو كما ورد فى الحديث ، قال فى القاموس :

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالعشاة (٢) راجع نثر المرجان ٦/٤٢٢ (٣) من مد ، و فى الاصل و ظ : ركوب (٤) زيد فى الأصل وظ :غير بيان ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (٦) زيد من مد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : ملكا .

[العشي -[1]] مقصور: سوء البصر بالليل و النهار أو العمى، عشي كرضي و دعا، و العشوة بالضم و الكسر: ركوب الأمر على غير بيان، قال ابن جرير[2]: و أصل العشو النظر بغير ثبت لعلة فى العين، و قال الرازى فى اللوامع: و أصل اللغة أن العين و الشين و الحرف المعتل يدل على ظلام[3] و قلة وضوح فى الشيء. ٥

و لما كانت "من" عامة، و كان القرين للجنس، و أفرده لأنه نص على كل فرد، فكان التقدير: فانهم ليحملونهم على أنواع الدنايا و يفتحون لهم أبواب الرذائل و البلايا، و يحسنون لهم ارتكاب القبائح و الرزايا، عطف عليه قوله مؤكدا لما [فى -[1]] أنفس الأغلب - كما أشار إليه آخر الآية - أن الموسع عليه هو المهتدى، جامعا دلالة على كثرة الضال: ١٠ ﴿و انهم﴾ أى القرناء ﴿ليصدونهم﴾ أى العاشين ﴿عن السبيل﴾ أى الطريق الذى من حاد عنه هلك، / لأنه لاطريق فى الحقيقة سواه. /٦٩٥

و لما كانت الحيدة عن السبيل إلى غير سبيل، بل إلى معاطب لايهتدى فيها دليل، عجبا، أتبعه عجبا آخر [فقال -[1]]: ﴿و يحسبون﴾ أى العاشون مع سيرهم فى المهالك لتزيين القرناء باحضار الحظوظ و الشهوات ١٥ و إبعاد المواعظ: ﴿انهم مهتدون ه﴾ أى عريقون فى هذا الوصف لما يستدرجون به من التوسعة عليهم و التضييق على الذاكرين.

و لما كان من ضل عن الطريق، و من ظن أنه على صواب لايكاد

---

(١) زيد من مد (٢) راجع جامع البيان ٢٥/٣٩ (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: كلام.

يتمادى بل ينجلي له الحال عن قرب[١] ضم إلى العجبين الماضيين عجبا ثالثا بيانا له على ما تقديره : [٢]و نملي لهذا[٢] العاشي استدراجا له و ابتلاء لغيره و نمد[٣] ذلك طول حياته ﴿حتىٓ﴾ و حقق الخبر بقوله : ﴿ اذا ﴾ و لما علم من الجمع فيما قيل أن المراد الجنس ، و كان التوحيد أدل دليل على ٥ تناول كل فرد ، فكان التعبير به أهول[٤] ، و كان السياق دالا على من الضمير له قال : ﴿ جآءنا ﴾ أي العاشي ، و من قرأ[٥] بالتثنية أراد العاشي و القرين ﴿ قال ﴾ أي العاشي تندما و تحسرا لا انتفاع له به لفوات محله و هو دار العمل : ﴿ يٰليت بيني و بينك ﴾ أيها القرين ﴿بعد المشرقين﴾ أي ما بين المشرق و المغرب على التغليب - قاله ابن جرير[٦] و غيره ، ١٠ أو[٧] مشرق الشتاء و الصيف أي[٨] بعد أحدهما عن الآخر ؛ ثم سبب عن هذا التمني قوله جامعا له أنواع المذام[٩] : ﴿ فبئس القرين ۝ ﴾ أي إني[١٠] علمت أنك الذي أضلني و أوصلني إلى هذا[١١] العيش الضنك و المحل الدحض و أحسست في هذا[١٢] الوقت بذلك الذي كنت تؤذيني به [أنه أذى -[١٣]]

---

(١) من مد ، و في الأصل و ظ : قريب (٢ - ٢) من مد ، و في الأصل و ظ : على هذا (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : مدا (٤) ليس في ظ و مد . (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : مول (٦) راجع جامع البيان ٢٥/٤٠ (٧) من مد ، و في الأصل و ظ : اي (٨) من مد ، و في الأصل و ظ : او (٩) من مد ، و في الأصل و ظ : الذم (١٠) من مد ، و في الأصل و ظ : ان . (١١) زيد في الأصل : العشرو ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها . (١٢) من ظ و مد ، و في الأصل : ذلك (١٣) زيد من مد .

بالغ، فكنت كالذى يحك جسمه لما به من قروح متأكله حتى يخرج منه الدم فهو [فى أوله - [1]] يجد له لذة [2] بما هو مؤلم له فى نفسه غاية الإيلام [2] . و لما كان [3] الإيلام قد يؤذى الجسد، وكان [3] التقدير حتما بما هدى [4] إليه السياق فيقال لهم: فلن [5] ينفعكم ذلك اليوم يوم جئتمونا إذ تمنيتم هذا التمنى حين عاينتم تلك الأهوال اشتراككم اليوم [فى يوم ٥ الدنيا فى الظلم و تمالؤكم عليه و منافرة بعضكم لبعض، عطف عليه قوله - [6]]: ﴿ ولن ينفعكم اليوم [7] ﴾ أى [8] فى الدنيا [9] شيئا من نفع أصلا ﴿ اذ ﴾ حين ﴿ ظلمتم ﴾ حال كونكم مشتركين [10] فى الظلم متعاونين [11] عليه متناصرين فه، وكل واحد منكم يقول لصاحبه سرورا به و تقربا إليه و توددا : يا ليت أنا لانفترق [12] أبدا فنعم [13] القرين أنت، فيقال لهم توبيخا: ﴿ انكم فى العذاب ﴾ ١٠ أى [14] العظيم [14]، وقدمه اهتماما بالزجر به و التخويف منه [15] ﴿ مشتركون ﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) فى مد : بما هو نفسه مؤلم غاية الألم (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل : يهدى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : لن (٦) زيد من مد، و وقع قبله فى الأصل و ظ : تجازون، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) ليس فى الأصل و ظ . (٨) من مد، و فى الأصل و ظ : ما كنتم عليه (٩) زيد فى الأصل و ظ : ولا ينالكم، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ : مشركون (١١) من ظ و مد، و فى الأصل : متعارفين (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل : لانقترن (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل : فبئس . (١٤) زيد فى الأصل : العذاب، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (١٥) زيد فى الأصل : قوله، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

أي[1] اشتراككم فيه دائما ظلمكم[2] أنفسكم ظلما باطنا بأمور أخفاها الطبع[3] على القلوب [4] و هو الموجب[4] للارتباك في أشراك[5] المعاصي الموصلة إلى العذاب الظاهر يوم التمني و يوم القيامة عذابا ظاهرا محسوسا، و ذلك كمن يجرح جراحة بالغة و هو مغمى عليه فهو / معذب بها قطعا، / ٦٩٦

٥ و لكنه لا يحس إلا إذا أفاق [فهو -[6]] كما تقول لأناس يريدون أن يتمالؤا على قتل نفس محرمة: لن ينفعكم اليوم إذ تتعاونون على قتله[7] اشتراككم غدا في الهلاك بالسجن الضيق و الضرب المتلف و ضرب الأعناق، مرادك بذلك زجرهم عن[8] ظلمهم بتذكيرهم بأنهم يصلون إلى هذا الحال و يزول ما هم فيه من المناصرة[9] فلا ينفعهم شيء منها - و الله

١٠ الموفق، فالآية من[10] الاحتباك، و به زال عنها ما كان من إعراب المعربين لها موجبا للارتباك "فيا ليت" - إلى آخره، دال على تقدير ضده ثانيا "و لن ينفعكم" - إلى آخره، دال على تقدير مثله أولا.

و لما كان صلى الله عليه و سلم شديد الإرادة لإقبالهم يكاد يقتل نفسه أسفا على إدبارهم، و كان هذا الزجر الذي لا يسمعه من له أدنى

---

(١) وقع في الأصل بعد « في العذاب » و الترتيب من ظ و مد (٢) من مد، و في الأصل و ظ: ظلمتم (٣) من ظ و مد، و في الأصل: ما طبع (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد، و في ظ: الموجب (٥) من مد، و في الأصل و ظ: اشراط (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد في الأصل: و هو، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٨) من مد، و في الأصل و ظ: على (٩) من مد، و في الأصل و ظ: الناصر (١٠) من مد، و في الأصل و ظ: في.

عقل إلا خلع قلبه فرجع[1] عن غيه و راجع رشده قد تلى عليهم فلم ينتفعوا به، فكان كأنه قيل: إن هؤلاء لصم[2] عمى محيط بهم الضلال إحاطة[3] لا يكادون ينفكون عنه[3] من كل جانب، فلا وصول لأحد إلى إسماعهم و لا تبصيرهم و لا هدايتهم. قال بانيا عليه مسببا عنه تخفيفا على النبي صلى الله عليه و سلم فيما يقاسى من الكرب في المبالغة في إبلاغهم ٥ حرصا على إقبالهم و الغم من إعراضهم بهمزة الإنكار الدالة[4] على نفى ما سيقت له[5]: ﴿ افانت ﴾ أى وحـــدك من غير إرادة الله تعالى ﴿تسمع الصم﴾ و قد أصممناهم بما صببنا فى مسامع أفهامهم من رصاص الشقاء ﴿او تهدى العمى ﴾ الذين أعميناهم بما غشينا به أبصار بصائرهم من أغشية البلادة و الخسارة، فصار ما اختاروه لأنفسهم من العشى ١٠ عمى مقرونا بصممهم ﴿و من كان﴾ أى[6] جبلة و طبعا[6] ﴿فى ضلٰل مبين ۝ ﴾ أى بين [فى -[7]] نفسه أنه ضال و أنه محيط بالضلال مظهر لكل أحد ذلك، فهو بحيث لا يخفى على أحد، فالمعنى: ليس [شىء من -[7]] ذلك إليك، بل هو إلى الله القادر على كل شىء، [و أما -[7]] أنت فليس عليك إلا البلاغ[8] . ١٥

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: و رجع (٢) زيد فى الأصل: بكم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الدال (٥) سقط من ظ (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فى جبلته (٧) زيد من ظ و مد (٨) زيد فى الأصل: فقط، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها

و لما كان هذا كالمؤيس منهم ، و كان اليأس من صلاح الخصم موجبا لتمني الراحة منه بموت أحدهما ، سبب عن التقديرين قوله مبينا أن الإملاء [1] لهم ليس [1] لعجز عنهم و لا لإخلاف في الوعد ، مؤكدا بالنون و "ما" ثم "انا" و الاسمية لمن يظن خلاف ذلك [2] و لأنه صلى الله عليه و سلم ٥ مشرف عنده سبحانه و تعالى معظم [2] لديه فذهابه به مما يستبعد ، و من حقه أن ينكر ، و كذا إراءته ما توعدهم به [لأن - [3]] المظنون [4] إكرامهم لأجله : ﴿فاما نذهبن بك﴾ أي من بين [أظهرهم - [3]] بموت أو غيره ﴿فانا منهم﴾ [أي - [3]] الذين [5] تقدم التعريض بأنهم عمي [6] عمي ضلال لأنهم لن تنفعهم مشاعرهم ﴿ منتقمون لا ﴾ أي بعد فراقك لأن وجودك ١٠ بين أظهرهم هو [7] سبب تأخير العذاب عنهم [8] ﴿ او نرينك ﴾ و أنت بينهم ﴿ الذي وعدنهم ﴾ أي من العذاب . و عبر فيه بالوعد ليدل على الخير بلفظه و [9] على الشر بأسلوبه / فيعم ﴿ فانا ﴾ بما تعلم من عظمتنا التي أنت أعلم الخلق بها ﴿ عليهم مقتدرون ه ﴾ [10] على كلا التقديرين ، و أكد بـ « ان » لأن أفعالهم أفعال من ينكر قدرته ، و كذا بالإتيان

/ ٦٩٧

(١-١) تكرر ما بين الرقمين في الأصل فقط (٢) من مد ، و في الأصل و ظ : معظما (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و في الأصل و ظ : المعلنون (٥) من مد ، و في الاصل و ظ : الذي (٦) من مد ، و في الأصل و ظ : صمي . (٧) من ظ و مد ، و في الأصل « و » (٨) زيد في الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٩) من مد ، و في الأصل و ظ « او » (١٠) زيد في الاصل و ظ « اى » ، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها .

بنون العظمة و صيغة الافتعال . و أحد هذين التقديرين سبق العلم الأزلى بأنه لا يكون ، فالآية من أدلة القدرة على المحال لغيره و هى كثيرة جدا ، و قد أكرم الله نبينا محمدا صلى الله عليه و سلم عن أن يريه[1] شيئا يكرهه [2]فى أمته حتى قبض[2] .

و لما أوقف سبحانه السامع بهاتين[3] الشرطيتين بين الخوف و الرجاء ٥ لبيان الاستبداد بعلم الغيب تغليبا للخوف ، و أفهم السياق و إن كان شرطا أن الانتقام منهم أمر لابد منه ، و أنه لاقدرة لأحد على ضرهم و لانفعهم إلا الله ، سبب عنه قوله : ﴿فاستمسك﴾ أى اطلب و أوجد بجد[4] عظيم على كل حال الإمساك ﴿ بالذى اوحى اليك ج ﴾ من حين نبوتك[5] و إلى الآن فى الانتقام منهم و فى غيره . ١٠

و لما كان المقام لكثرة المخالف محتاجا إلى تأكيد[6] يطيب خواطر الأتباع و يحملهم على حسن الاتباع ، علل ذلك بقوله : ﴿انك على صراط﴾ أى طريق واسع واضح جدا : ﴿ مستقيم ه ﴾ موصل إلى المقصود لايصح أصلا أن يلحقه شىء من عوج ، فاذا فعلت ذلك لم يضرك شىء من نقمتهم[7] . ١٥

و لما أثبت حسنه فى نفسه المقتضى للزومه[8] ، عطف [عليه -[9]] نفعه

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : يريد به (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد . (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : بهابين (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بحط (٥) من مد ، و فى الأصل : لوتيه ، و فى ظ : نبوته (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تاكيده (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : تصميمهم . (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : الروحه (٩) زيد من مد .

لهم . و أكد لإنكارهم فقال : ﴿ و انه ﴾ أى الذى أوحى[١] إليك فى الدين و الدنيا ﴿ لذكر ﴾ أى شرف عظيم جدا و موعظة و بيان ، عبر عن الشرف بالذكر للتنبيه على أن سببه الإقبال على الذكر و على ما بينه و شرعه و الاستمساك به و الاعتناء بشأنه : ﴿ لك و لقومك ج ﴾ [٢]قريش خصوصا و العرب عموما و سائر من اتبعك و لو كان من غيرهم من جهة نزوله على واحد منهم و بلسانهم ، فكان سائر الناس تبعا [لهم-[٣]] و من جهة إرائه[٤] الطريقة الحسنى و العلوم الزاكية الواسعة و تأثيره الظهور على جميع الطوائف و الإمامة لقريش بالخصوص كما قال صلى الله عليه و سلم « لايزال هذا الأمر فى قريش ما بقى فى الناس اثنان ما أقاموا الدين » فمن أقام هذا الدين كان شريفا مذكورا فى ملكوت السماوات و الأرض ، قال ابن الجوزى : و قد روى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم كان إذا سئل : لمن هـذا الأمر ، [٥]من بعدك ، لم يخبر بشىء حتى نزلت هذه الآية ، فكان بعد ذلك إذا سئل قال : لقريش - و هذا يدل على أن النبى صلى الله عليه و سلم فهم من هذا أنه يلى على المسلمين بحكم[٦] النبوة و شرف القرآن ، و أن قومه يخلفونه من بعده فى الولاية بشرف القرآن الذى أنزل على رجل

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوحينا (٢) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد من مد (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : اراتـه (٥) زيد فى الأصل و ظ : قال لقريش ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : حكم .

منهم - انتهى.

و لما كان التقدير: فسوف تشرفون على سائر الملوك و تعلون[١]، عطف عليه قوله: ﴿ و سوف تسئلون ﴾ أي تصيرون في سائر أنواع العلم محط رحال / السائلين دينا و دنيا بحيث يسألكم جميع أهل الأرض ٦٩٨ / من أهل الكتاب و من غيرهم عما يهمهم[٢] من أمر دينهم و دنياهم لما ٥ يعتقدون من أنه لا يوازيكم أحد في العلم بعد أن كنتم عندهم أحقر الأمم ضعفا و جهلا كما وقع لبني إسراءيل حيث رفعهم الله، و كان ذلك أبعد الأشياء عند فرعون و آله، و لذلك كانوا يتضاحكون استهزاء بتلك [الآيات -[٣]] و ينسبون الآتي بها إلى ما لا يليق بمنصبه العالي من المحالات، و تسئلون عن حقه و أداء شكره. و كيف كنتم في العمل به و الاستجابة ١٠ له، و هذا بوعد صادق لا خلف فيه أصلا.

و لما أبطل سبحانه إلهية غيره التي أدى إليها الجهل، و استمر إلى أن ختم بالعلم الموجب لمعرفة الحق، فكان التقدير [٤]إبطالا لشبهتهم[٤] الوهمية القائلة "لو شاء الرحمن ما عبدنهم": فاستحضر جميع ما أوحي إليك و تأمله غاية التأمل، هل ترى فيه خفاء في الإلهية لشيء دون الله، عطف ١٥ عليه قوله نفيا لدليل سمعي كما أشير إليـــه بقوله "ام اتينهم كتبا" ﴿ و سئل من ارسلنا ﴾ أي على ما لنا من العظمة. و لما كان الممكن تعرفه من آثار الرسل إنما هو لموسى و عيسى و من بينهما من أنبياء بني

(١) من ظ و مد، و في الأصل: تعلون (٢) من مد، و في الأصل و ظ: يعمهم (٣) زيد من مد (٤-٤) من مد، و في الأصل و ظ: ابطال شبهتهم.

إسرائيل عليهم الصلاة و السلام الحافظ لسنتهم من التوراة و الإنجيل و الزبور و سفر الأنبياء، قال مثبتا للجار المفهم لبعض الزمان: ﴿من قبلك﴾.

و لما كان أتباعهم قد [1]غيروا و بدلوا[1] فلم تكن بهم ثقة، عبر بالرسل

٥ فقال: ﴿من رسلنآ﴾ أي بقراءة أتباعهم لكتبهم[2] التي حرفوا بعضها، و جعلت كتابك مهيمنا عليها[3] فانهم إذا قرأوها بين يديك و عرضوها عليك علمت معانيها و فضحت تحريفهم و بينت اتفاق الكتب كلها برد ما ألبس عليهم من متشابهها[4] إلى محكمها. فالمراد من هذا نحو المراد من آية يونس "فسئل الذين يقرؤن الكتب من قبلك" و من آية

١٠ الأنبياء "هذا ذكر من معى و ذكر من قبلى" مع زيادة الإشارة إلى تحريفهم. فالمسئول فى الحقيقة القرآن المعجز على لسان الرسول الذى شهدت له جميع الرسل الذين أخذ عليهم العهد بالإيمان به و المتابعة له. و بهذا التقرير[5] ظهر ضعف قول من قال: إن المراد سؤال الرسل حقيقة لما جمعوا له صلى الله عليه و سلم فى بيت المقدس ليلة الإسراء. فانه ليس

١٥ المراد من هـذا إلا تبكيت الكفار من العرب و ممن عزهم من اهل الكتاب بقولهم[6]: دينكم خير من دينه. و انتم أهدى سبيلا منه. فانهم

(١-١) فى ظ و مد: بدلوا و غيروا (٢) من مد، و فى الاصل و ظ: كتبهم.
(٣) من ظ و مد، و فى الاصل: عليهم (٤) من ظ و مد، و فى الاصل: متشابهاتها (٥) من مد، و فى الاصل و ظ: التقدير (٦) من مد. و فى الأصل و ظ: بقولكم.

إذا أحضروا كتبهم علمت دلالتها القطعية على اختصاصه سبحانه بالعبادة كما بينته فى كتابى [هذا - [1]] برد المتشابه[2] منها إلى المحكم، و جعلها ابن جرير[3] مثل قوله تعالى "فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله و الرسول ان كنتم تؤمنون بالله و اليوم الأخر" و قال: و معلوم أن معنى ذلك: فردوه إلى كتاب الله و[4] سنة رسوله[5] صلى الله عليه و سلم، قال: فاستغنى ٥ بذكر الرسل عن ذكر الكتب. و هو عين / ما قلته، و لو كان المراد حقيقه السؤال و سؤال جميع الرسل لقال "قبلك" باسقاط "من" ليستغرق الكل - و الله أعلم. / ٦٩٩

و لما ذكر المسؤل مفخما له بما اقتضته العبارة من الإرسال و الإضافة إليه، ذكر المسؤل عنه بقوله تعالى: ﴿ اجعلنا ﴾ أى أبحنا و[6] أمرنا ١٠ و[6] رضينا على ما لنا من العظمة [7]و القدرة التامة[7]. بما ينافى ذلك، و قرر حقارة ما سواه بقوله: ﴿ من دون ﴾ و زاد بقوله: ﴿ الرحمٰن ﴾ أى الذى رحمته عمت[8] جميع الموجودات ﴿ ءالهة ﴾ و لما كان قد جعل لكل قوم وجهة يتوجهون فى عبادتهم إليها، و شيئا محسوسا بغلبة الأوهام على الأفهام يشهدونه[9] و كان ربما تعنت به متعنت، قال محترزا: ١٥ ﴿ يعبدون ع ﴾ [أى -[10]] من عابد ما بوجه ما[11].

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: المابة (٣) راجع جامع البيان ٢٥ / ٤٢ (٤) زيد فى الأصل: اعرضوه على، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و جامع البيان فحذفناها (٥) من ظ و مدو الجامع، و فى الأصل: رسول الله (٦) من ظ و مد، و فى الأصل « او » (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) سقط من مد (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: ايشهدونه (١٠) زيد من مد (١١) من ظ و مد، و فى الاصل: من الوجوه.

و لما كان المترفون مولعين[1] بأن يزدروا من جاءهم بالرد عن اغراضهم الفاسدة بنوع من الازدراء كما قال كفار قريش "لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" و لا يزالون يردون هذا و أمثاله من الضلال حتى يقهرهم ذو الجلال بما أتتهم[2] به رسله[3] إما باهلاكهم ٥ أو غيره و إن كانوا فى غاية القوة. أورد سبحانه قصة موسى عليه الصلاة و السلام شاهدة على ذلك بما قال فرعون لموسى عليه الصلاة و السلام من نحو ذلك و من إهلاكه على قوته و إنجاء[4] بنى إسراءيل على ضعفهم، و تسلية للنبى صلى الله عليه و سلم و ترجية.

و لما كان التقدير : فلقد أرسلنا جميع رسلنا و هم أشرف الخلق ١٠ بالتوحيد الذى جئت به، و ما كنا فى إرسالنا إياهم مراعين لما يريده الأمم من جاه أو مال أو غير ذلك. فلا وجه للاتكال عليك فيما أرسلناك به من التوحيد و غيره. و لا لمعاداتك فيه. عطف عليه أول من أرشد[5] إلى سؤال[6] أتباعهم فقال مؤكدا لأجل ما يعاندون به من إنكار الرسالة، و أتى بحرف التوقع لما اقتضاه من الأمر بسؤال الرسل ١٥ عليهم الصلاة و السلام : ﴿ و لقد ارسلنا ﴾ أى بما ظهر من عظمتنا.

و لما كان الإرسال منه سبحانه ليس على حسب العظمة فى الدنيا

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : مولعون (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : لم تتهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : رسلهم (٤) من ظ و مد، و فى الاصل : انجينا (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : ارسل (٦) من مد، و فى الأصل و ظ : رسول.

بما يراه أهلها كما قال هؤلاء "لولا نزل هذا القرآن" - الآية. قال مناقضا لهم: ﴿موسى﴾ أى الذى كان فرعون يرى أنه أحق الناس بتعظيمه لأنه رباه و كفله ﴿بآيتنآ﴾ أى التى[1] قهر بها عظماء الخلق و جبابرتهم، فدل ذلك على صحة دعواه و على جميع الآيات لتساويها فى[2] القدرة و خرق العادة. و لما كان السياق لسؤال النبى صلى الله عليه ٥ و سلم الرسل عن أمر التوحيد، كانت الآيات كافية. فلم يذكر السلطان لأنه للقهر و الغلبة: ﴿الى فرعون﴾ أى [3]لأنه طغى و بغى[3] و ادعى أنه هو[4] الرب الأعلى [5]و وافقه الضالون[5]: ﴿و ملائه﴾ الذين جعلهم / آلهة دونه و عبدهم[5] قومهم فلم يقرهم على ذلك لأنا ما رضيناه ﴿فقال﴾ / ٧٠٠ بسبب إرسالنا ﴿انى رسول﴾ و أكد لأجل إنكارهم ما أنكره قومك ١٠ من[6] الرسالة. و لما كان الإحسان سببا للاذعان قال: ﴿رب العلمين ه﴾ أى مالكهم [7]و مربيهم و مدبرهم[7].

و لما كانوا قد فعلوا من الرد لرسالته صلى الله عليه و سلم و الاستهزاء بها ما فعلته قريش. قال مسليا للنبى صلى الله عليه و سلم و مهددا لهم تنبيها عما تقديره: فقالوا له ائت بآية، فأتى بها[2] على ما تقدم غير ١٥ مرة بما هو كالشمس بيانا و حسنا: ﴿فلما جآءهم بآيتنا﴾ بالإتيان بآيتى

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: من (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: عهدهم (٦) من مد، و فى الاصل و ظ: فى (٧-٧) فى مد: مدبرهم و مربيهم.

اليد[1] و العصى اللتين شهدوا فيهما عظمتنا[2] و دلتاهم على[3] قدرتنا على جميع الآيات ﴿ اذا هم ﴾ أى بأجمعهم [4]استهزاء برسولنا، و طال ما يضحك عليهم هو و من آمن برسالته و بما جاء به عنا يوم الحسرة و الندامة[4] ﴿ منها[5] يضحكون ﴾ أى فاجأوا المجىء بها من غير توقف [و لا كسل -[6]]
٥ بالضحك سخرية و استهزاء.

و لما كان ربما ظن ظان أن فى الآيات ما يقبل شيئا من ذلك، بين حالها[7] سبحانه بقوله: ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنا ما ﴿ نريهم ﴾ على ما لنا من الجلال و العلو و الكمال، [و -[8]] أعرق فى النفى باثبات الجار و أداة الحصر لأجل من قد يتوهم أنهم معذورون فى
١٠ ضحكهم فقال: ﴿ من اٰية الا هى اكبر ﴾ أى فى الرتبة ﴿من اختها ز ﴾ أى [التى -[6]] تقدمت عليها بالنسبة إلى علم الناظرين لها لأن الآدمى لما له من النسيان إذا أتاه الثانى من المتساويين رأى جميع [9]من أتاه[9] ناسيا و لا بعض[10] [9]من أنى[9] الأول فيقطع[11] بأنه أكبر منه، أو أن هذا كناية عن أنها كلها فى نهاية العظمة كما قال شاعرهم: «من تلق منهم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اليدى (٢) زيد فى الأصل: و قدرتنا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: عظمتنا و، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد. (٥) ليس فى الأصل نقط (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: حاله (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) من مد، و فى الأصل و ظ: مزاياه (١٠) فى مد: لابد بعض (١١) من مد، و فى الأصل و ظ: فيقم.

تقل

تقل لاقيت سيدهم، أو[1] أن بينها[2] فى الكبر عموما و خصوصا من وجه، و أحسن من ذلك ما اشار إليه ابن جرير[3] من أن كل آية أوضح فى الحجة عليهم و أوكد مما قبلها، لأنها دلت على ما دلت عليه و زادت[4] ما أفادته المعاضدة [5]من الضخامة فصارت[5] هى مع ما قبلها أكبر مما قبلها عند ورودها و إقامة الحجة بها. ٥

و لما كان التقدير: فاستمروا على كفرهم و لم يرجعوا لشيء من الآيات لأنا أصممناهم و أعميناهم و أحطنا بهم الضلال [6]لعلمنا بحالهم[6]، عطف عليه قوله: ﴿و اخذنهم﴾ أى أخذ قهر و غلبة ﴿بالعذاب﴾ أى كله لأنا وانرنا عليهم ضرباته على وجه معلم بأنا قادرون على ما نريد منه فأرسلنا عليهم [الطوفان و -[7]] الجراد و القمل و الضفادع ١٠ والدم[6] "آيت مفصلت[6]" و القطع: البرد الكبار الذى لم يعهد مثله ملتهبا بالنار، و موت الأبكار، فكانت آيات على صدق موسى عليه الصلاة و السلام بما لها من الإعجاز، و عذابا لهم فى الدنيا موصولا بعذاب الآخرة، فيا لها من قدرة باهرة و حكمة ظاهرة ﴿لعلهم يرجعون ﴾ أى ليكون حالهم عند ناظرهم الجاهل بالعواقب حال من يرجى رجوعه. ١٥

و لما كان فرعون فى كثير من الضربات التى كان يضربه بها

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: «و» (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: يليها (٣) راجع جامع البيان ٢٥/الآية المتعلقة (٤) زيد فى الأصل و ظ: على، ولم تكن الزيادة فى مد ولا فى الجامع فحذفناها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) زيد من مد.

سبحانه - كما مضى فى الأعراف عن التوراة - / يقول لموسى عليه الصلاة ٧٠١ /
و السلام : قد أخطأت و الرب بار و أنا و شعبى فجار، فصلينا بين يدى
الرب فانه ذو إمهال و أناة. فيصرف عنى كذا، فاذا صرف الله ذلك
عنهم عاد على ما كان عليه من الفجور، كان فعله ذلك فعل من لا يعتقد
٥ أنه موسى عليه الصلاة و السلام نبى حقيقة، بل يعتقد أنه ساحر، و أن
أفعاله إنما هى خيال. فكذلك عبر عن هذا المعنى بقوله عطفا على [١] ما
تقديره [١] : فلم يرجعوا : ﴿ و قالوا ﴾ أى فرعون بالمباشرة و أتباعه
بالموافقة له : ﴿ يٰأيها السحر ﴾ فنادوه بأداة البعد مع الإفهام بقالوا
دون " نادوا " أنه حاضر إشارة إلى بعده من قلوبهم، و التعبير بهذا
١٠ توبيخ لقريش بالإشارة إلى أنهم و غيرهم ممن مضى يرمون الرسول بالسحر
و يقرون برسالته عند الحاجة إلى دعائه فى كشف ما عذبهم ربهم به،
و ذلك قادح فيما يدعون من الثبات و الشجاعة و العقل و الإنصاف
و الشهامة، و ذلك كما وقع لقريش لما قال النبى صلى الله عليه و سلم
« اللهم عنى عليهم بسنين كسنى يوسف » فقحطوا، فلما اشتد عليهم
١٥ البلاء أتى أبو سفيان بن حرب إلى النبى صلى الله عليه و سلم بالمدينة الشريفة
فقال : يا محمد ! إنك قد جئت بصلة الأرحام و إن قومك قد هلكوا
فادع الله لهم، فدعا لهم فأغيثوا، فلا شك أن ترجمة [٢] حالهم هذا الذى
ذكره الله من التناقض الذى لا يرضاه لنفسه عاقل، و هو وصفه بالسحر

(١-١) من مد، و فى الأصل و ظ : تقدير (٢) زيد فى الأصل و ظ : لهم، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها.

و طلب الدعاء منه يمنع اعتقاد أنه ساحر، و اعتقاد أنه ساحر يمنع طلب الدعاء منه عند العاقل ﴿ ادع لنا ربك ﴾؛ أى المحسن إليك بما يفعل معك من هذه الأفعال[1] التى نهيتنا بها إكراما لك ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ عهد عندك ج ﴾ من أنه يفعل من وضعها و رفعها على ما تريد[2] على ما أخبرتنا أنه إن آمنا[3] أكرمنا، و إن تمادينا أهاننا، ثم عللوا ذلك ٥ بقولهم مؤكدا تقريبا لحالهم البعيدة من الاعتداء بما يخبر به شاهد الوجود: ﴿ اننا لمهتدون ۝ ﴾ أى اهتداء ثابتا يصير لنا وصفا لازما عند كشف ذلك عنا.

و لما كان العاقل لا يخبر عن نفسه إلا بما هو صحيح، فكيف إذا كان عظيما بين قومه فكيف إذا أكد ذلك بأنواع من التأكيد، فكان ١٠ السامع لهذا الكلام يقطع بصدقه، بين تعالى ما يصحح أن حالهم حال من يعتقد أنه ساحر بأنهم أسرعوا الخيانة بالكذب فيه من غير استحياء و لا خوف، فقال معبرا بالفاء دلالة على ذلك: ﴿ فلما كشفنا ﴾ على ما لنا من العظمة التى ترهب الجبال ﴿ عنهم العذاب ﴾ [أى -[4]] الذى أنزلناه بهم ﴿ اذا هم ينكثون ۝ ﴾ أى فاجأوا الكشف بتجديد ١٥ النكث بالخلاف بعد إخلاف ﴿ و نادى فرعون ﴾ أى زيادة على نكثه ﴿ فى قومه ﴾ أى الذين لهم غاية القيام معه، و أمر كلا منهم أن يشيع قوله إشاعة تعم البعيد كما تشمل[5] القريب فتكون كأنها مناداة إعلاما

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لاسال (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: يزيد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: انا (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: شمل.

/٧٠٢ بأنه مستمر على الكفر لئلا يظن بعضهم أنه رجع . و لما كان / كأنه قيل : [١]لم نادى[١] ؟ أجاب بقوله : ﴿ قال ﴾ أى خوفا من إيمان القبط لما رأى من [أن -[٢]] ما شاهدوا من باهر الآيات[٣] مثله يزلزل و يأخذ بالقلوب : ﴿ يٰقوم ﴾ [٤]مستعطفا لهم باعلامهم بأنهم لحمة[٥] واحدة ،
٥ و مستنهضا بوصفهم بأنهم ذوو[٦] قوة على مايحاولونه ، مقررا لهم على عذره فى نكثه[٧] بقوله : ﴿ اليس لى ﴾ أى وحدى[٨] ﴿ ملك مصر ﴾ أى كله ، فلا اعتراض على بنى إسراءيل و لا غيرهم ، لينتج له[٩] ذلك على زعمه أن غلبته على بنى إسراءيل و مقاهرته على إخراجهم[١٠] من تحت يده بغى على من له الملك فتكون فسادا فلا بأس عليه إذا خدع من
١٠ فعل به ذلك بما عاهده عليه عند مس الضر ، و لم يقرأ بالصرف ليكون نصا على مراده من العلمية ، و لأن المصر يطلق على المدينة الواحدة ، و التنوين يأتى للتحقير و هو ضد مراده .

و لما كان قد حصل له مما رأى من الآيات و ورد عليه من تلك الضربات بأنواع المثلات ما أدهشه[١١] بحيث صار فى عداد من

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثم مادا (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل و ظ : مما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لحة (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : ذو (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بلده (٨) من ظ و مد ، و فى الاصل : وحده (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : لهم (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : اختراجهم (١١) من ظ و مد . و فى الأصل : اهشه .

يشك

يشك أتباعه فى ملكه، دل عليه بما بناه من الحال: ﴿ وهذه ﴾ أى و الحال أن هذه ﴿ الانهر ﴾ و كأنه كان قد أكثر من تشقيق الخلجان إلى بساتينه [و قصوره، و نحو ذلك من أموره فقال -[1]] : ﴿تجرى من تحتى ج﴾ [2]أى من أى موضع أردته بما لايقدر عليه غيرى، و زاد فى التقرير[2] بقوله: ﴿افلا تبصرون ؈﴾[3] أى الذى ذكرته لكم فتعلموا ببصائر قلوبكم أنه لاينبغى ٥ لأحد أن ينازعنى، و هذا لعمرى قول من ضعفت قواه و انحلت عراه.

و لما أرشد السياق إلى أن التقدير: أفهذا الذى جاء يسلبنا عبيدنا بنى إسراءيل خير [4]عندكم منى[4]؟ نسق عليه قوله: ﴿ ام انا خير ﴾ مع ما وصفت لكم من ضخامتى و ما لى من القدرة على إجراء المياه التى بها حياة كل شىء، و نقل ابن الجوزى و غيره من المفسرين عن سيبويه ١٠ و أستاذه الخليل أنها[5] معادلة لتقريرهم بالإبصار، فكأنه قال[6]: أفلا تبصرون ما ذكرتكم به فترون لعدم إبصاركم أنه خير منى ام أنا خير منه لأنكم لاتبصرون، و كان هو أحق بهذه النصيحة منهم فانه أراهم الطريق الواضحة إلى الضلال الموصلة إليه من غير مشقة و لاتعب بقوله: أفلا تبصرون[7] [أم أنتم بصراء، فيكون ذلك احتباكا تقديره: أفلا تبصرون -[1]] ما ١٥

(١) زيد من مد (٢ - ٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط قبل «تجرى من تحتى» (٣) زيد فى الأصل: «وغفل هو عن غير القدرة و غره ابليس وغشا على قلبه و بصره و ختم على سمعه و بصره و جعل على قلبه غشاوة، فمن يهديه إلى آخ و أما قوله «أفلا تبصرون»، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤-٤) فى مد: منى عندكم (٥) من ظ ومد، و فى الأصل: ابها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: قاله (٧) العبارة من هنا فى مد و من «و كان هو أحق» فى ظ ساقطة إلى «ولا تعب بقوله».

نبهتكم عليه، فذكر الإبصار[1] أولا دليلا على حذف مثلها ثانيا و الخيرية ثانيا دليلا على خذف مثلها أولا، و حقر من عظمة الآتى له بتلك الآيات صلى الله عليه و سلم لئلا يسرع الناس إلى اتباعه لأن آياته - لكونها من عند الله - كالشمس بهجة و علوا و شهرة فقال: ﴿من هذا﴾ فكنى باشارة القريب عن تحقيره، ثم وصفه بما يبين[2] مراده فقال: ﴿ الذى هو مهين ﴾ أى ضعيف حقير قليل ذليل، لأنه يتعاطى أموره بنفسه، و ليس له ملك و لاقوة يجرى [بها -[3]] نهرا و لاينفذ بها أمرا ﴿و لايكاد يبين ﴾ أى لايقرب من أن يعرب[4] عن معنى من المعانى لما فى لسانه من الحبسة[5] فلا هو قادر فى نفسه و لا له قوة بلسانه على تصريف المعانى و تنويع البيان يستجلب[6] القلوب و يدهش الألباب فيكثر أتباعه و يضخم أمره، و قد كذب فى جميع قوله، فقد كان موسى عليه الصلاة و السلام أبلغ أهل زمانه قولا و فعلا بتقدير الله الذى أرسله [له -[3]] و أمره إياه و لكن الخبيث أسند[7] هذا إلى ما بقى فى لسانه من الحبسة[5] تخييلا لأتباعه لأن موسى عليه الصلاة و السلام ما دعا بازالة جميع حبسته[8] بل بعقدة منها.

و لما كان عند فرعون و عند من كان مثله مطموس البصيرة فاقد

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الابصل (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: بين (٣) زيد من مد (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: يقرب (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الحلسة (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: ليستخلب.
(٧) سقط من مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: حلسته.

[١]الفهم وقوفا مع الوهم[١] أن القرب من الملوك و الغلبة على الأمور لا تكون إلا بكثرة الأعراض الدنيوية ، و التحلي بحلي[٢] الملوك ، سبب عن ادعائه لرسالته عن ملك الملوك اللازمة للقرب منه قوله : ﴿ فلولآ ﴾ و لما كانت الكرامات و الحبي[٣] و الخلع تلقى على المكرم بها إلقاء ، عبر به فقال : ﴿ القى ﴾ أي من أيّ ملق كان ﴿عليه﴾ من عند مرسله الذى يدعى أنه الملك[٤] بالحقيقة ﴿اسورة﴾ جمع أسورة - قاله الزجاج ، و صرف لصيرورته على وزن المفرد نحو علانية و كراهية ، و السوار : ما يوضع في المعصم من الحلية ﴿ من ذهب ﴾ ليكون ذلك أمارة على صدق صحة دعواه كما نفعل نحن عند إنعامنا على أحد من عبيدنا بالإرسال إلى ناحية من النواحي لمهم من المهمات ﴿ او جآء معه ﴾ أي صحبته [٥]عند ما[٥] أتى إلينا بهذا النبأ الجسيم و الملم العظيم ﴿ الملئكة ﴾ أي هذا النوع ، و أشار إلى كثرتهم بما بين[٦] من الحال بقوله : ﴿ مقترنين ﴾ أي يقارن بعضهم بعضا بحيث يملأون الفضاء[٧] و يكونون[٨] في غاية القرب منه بحيث يكون مقارنا لهم ليجاب[٩] إلى هذا الأمر الذى جاء يطلبه كما نفعل نحن

(١ - ١) من ظ و مد ، و في الأصل : العريم و قد قامع الفهم (٢) من مد ، و في الأصل و ظ : على (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : الحلى (٤) من مد ، و في الأصل و ظ : ملك (٥ - ٥) من مد ، و في الأصل و ظ : عندنا (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : تبين (٧) زيد في الأصل : غفل بل عمي انهم معه معنى و حسا باطنيا لا ظاهريا و لو تنبه رأى ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٨) من مد ، و في الأصل و ظ : يكون (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : ليجتاب .

إذا أرسلنا رسولا إلى أمر يحتاج إلى دفاع و خصام و نزاع ، فكان حاصل أمره كما ترى أنه تعزز[1] باجراء المياه ، فأهلكه الله بها إيماء إلى أن من تعزز[2] بشيء دون الله أهلكه الله به ، و استصغر موسى عليه الصلاة و [3]السلام و [3]عابه بالفقر[3] و الغي فسلطه عليه إشارة إلى أنه ما استصغر أحد

٥ شيئا إلا غلبه - أفاده القشيري .

و لما كان كلامه هذا واضحا له عند من تأمل لا رافعا[4]، و كان قد مشى[5] على أتباعه لأنهم مع المظنة دون المنة ، فهم أذل شيء لمن ثبتت له رئاسته دنيوية و إن صار ترابا ، و أعصى شيء على من لم تفقه[6] له الناس و إن فعل الأفاعيل العظام ، تشوف السامع / إلى ما يتأثر عنه ٧٠٤/

١٠ فقال : ﴿ فاستخف ﴾ أي بسبب هذه الخدع[7] التي سحرهم بها في هذا الكلام الذي هو في الحقيقة محقر له موهن لأمره قاصم الملكه عند من له لب ﴿ قومه ﴾ الذين لهم قوة عظيمة ، فحملهم بغروره على ما كانوا مهيئين له في خفة الحلم ﴿ فاطاعوه ط ﴾ بأن أقروا بملكه و أذعنوا لضخامته و اعترفوا بربوبيته و ردوا أمر موسى عليه الصلاة و السلام .

١٥ و لما كان كلامه كما مضى أعظم موهن لأمره و هو منقوض

(١) من مد ، و في الأصل و ظ : يغر (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : تغرر (٣-٣) من مد ، و في الأصل و ظ : لما بـه بالفقر الحسي ، « والحسي » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و في الأصل و ظ : رابعا (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : ثنى (٦) من مد ، و في الأصل و ظ : لم يعد (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : الخداع .

على

على تقدير متانته بأن موسى صلى الله على نبينا و عليه و سلم أتى بما يغنى عما قاله من الأساورة و ظهور الملائكة بأنه مهما هددهم فعله و مهما طلبوه منه أجابهم إليه، فلم يكن للقبط داع إلى طاعة فرعون بعد ما رأوا من الآيات إلا المشاكلة فى خباثة الأرواح، علل ذلك سبحانه بقوله مؤكدا لما يناسب أحوالهم فيرتضى أفعالهم و هم الأكثر[١]: ﴿انهم كانوا﴾ ٥ أى بما فى جبلاتهم من الشر[٢] و النفاق لأنهم كانوا ﴿ قوما ﴾ أى عندهم[٣] قوة شكائم توجب لهم الشماخة إلا عند من يقهرهم بما يألفون من أسباب الدنيا[٤] ﴿ فسقين ۝ ﴾ أى عريقين فى الخروج عن طاعة الله إلى معصية، قد صار لهم ذلك خلقا ثانيا، و كأن مدة محاولة الكليم عليه الصلاة و السلام لهم كانت قريبة، فلذلك عبر بالفاء فى قوله: ١٠ ﴿ فلمآ اسفونا ﴾ أى فعلوا معنا ما يغضب إغضابا شديدا باغضاب أوليائنا كما فى الحديث القدسى[٥] «مرضت فلم تعدنى» لنكثهم[٦] مرة بعد مرة و كرة فى إثر كرة ﴿ انتقمنا منهم ﴾ أى أوقعنا بهم على وجه المكافأة لما[٧] فعلوا [٨]برسولنا عليه السلام[٨] عقوبة عظيمة منكرة مكروهة

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اكثر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: خباثة الشرك (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: غير (٤) زيد فى الأصل: و المشهور عنهم مما نسبوا إليه من الكفر، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل و ظ: عن الله سبحانه و تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: ليامهم (٧) من و مد، و فى الأصل و ظ: بما (٨ - ٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مع رسول الله صلى الله عليه و سلم.

كأنها بعلاج ﴿فاغرقنهم﴾ [1]في اليم[1] ﴿اجمعين ﴾ إهلاك نفس واحدة لم يفلت[2] منهم أحد على كثرتهم و قوتهم و شدتهم، و هذا لا يكون [في - [3]] العادة إلا بعد علاج كثير أو اعتناء كبير.

و لما كان إهلاكهم بسبب إغضابهم لله[4] و بالكبر [5]على رسله[5]،
٥ كانوا سببا لأن يتعظ بحالهم من يأتى بعدهم فلذلك قال تعالى: ﴿فجعلنهم﴾ أى بأخذنا لهم على هذه الصورة من الإغراق و غيره مما تقدمه ﴿سلفا﴾ متقدما لكل من يهلك بعدهم إهلاك غضب [7]فى الهلاك[7] فى الدنيا و العذاب فى الآخرة و قدوة لمن يريد العلو فى الأرض فتكون عاقبته [7]فى الهلاك[7] فى الدارين أو إحداهما[8] عاقبتهم كما قال سبحانه عز من
١٠ قائل و تبارك و تعالى "وجعلنهم ائمة يدعون الى النار": ﴿ومثلا﴾ أى حديثا عجيبا سائرا [9]مسير المثل[9] ﴿للأخرين ﴾ الذين خلفوا بعدهم من زمنهم إلى آخر الدهر فيكون حالهم عظة لناس و إضلالا لآخرين، فمن قضى[10] أن يكون على[11] مثل حالهم عمل[12] مثل أعمالهم، و من أراد /٧٠٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: لم يغلب (٣) زيد من مد (٤) زيد فى الأصل: ولرسوله عليه الصلاة والسلام، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى قد اظهره عليه عليه الصلاة و السلام (٦-٦) من ظ و مد، و فى الاصل: بالهلاك (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من مد (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: احدهما (٩-٩) من مد، و فى الأصل و ظ: مشيرا بالمثل (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: رضى (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: حاله (١٢) من ظ و مد، و فى الاصل: فليعمل.

النجاة مما نالهم تجنب أفعالهم، فمن أريد به الخير وفق لمثل خير يرده عن غيه، و من أريد به الشر اقتدى بهم فى الشر، و جعل له منهم مثلا[1] يجترئ به على شره، و يقوى على خبثه و مكره، فيجعل الشرير ما أوتوه من الدنيا من النعمة و [2]الحبرة و الرفاهية[2] و النصرة مثلا له فى التوصل إليه مما كانوا عليه من الظلم، و يجعل الخير[3] إهلاكهم[4] مثلا له[5] فيبعد عن[6] أفعالهم ٥ لينجو من مثل نكالهم، يقول أحدهم: أخذ الفلانيون أخذ آل فرعون، أى لم يفلت منهم إنسان و نحو ذلك من أمثالهم فى جميع أحوالهم، و نقول نحن: إنا نهلك من ظلم[7] و تمادى فى ظلمه بعد تحذيرنا له و غشم و إن عظم آله و أتباعه، و ظن عزه و امتناعه، كدأب آل فرعون، و يقول من أريد به الشر: ليس على ظهرها أحد يبقى إن خاف العواقب ١٠ فأحجم عن شهواته و انهمك فى رياض أهويته و إرادته و شهى طيباته و كذا ذاته كما وقع لفرعون فانه لم يرجع لشىء[8] عن رئاسته، و بلوغ النهاية من صلفه و نفاسته إلى، أن ذهب به كما ذهب بغيره سواء سار بسيره أو بغير سيره، و لقد ضل به قوم و أضلوا، و حلوا لمن داناهم

---

(١) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الرفاهية و الحبرة (٣) زيد فى الأصل: مثلا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: اهلا (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: فى التوصل إليه بما كانوا عليه من الظلم (٦) زيد فى الأصل: احوالهم و، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الظلم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بشىء.

عرى الدين فزلوا، و ما كفاهم ذلك حتى ادعوا أنه من أعز المقربين لأن الذى كان آخر كلامه الإيمان، لجب ما كان قبله و لم يتدنس بعده، فمات طاهرا مطهرا ليس فيه شيء من الدنس مع أن ذلك ما كان إلا عند اليأس حيث لانفع فيه، و غروا الضعفاء بأن[1] قالوا: [إنه - [2]]
٥ لاصريح فى القرآن بعذابه بعد الموت تعمية عن الدليل القطعى المنتظم من قوله. تعالى "و ان فرعون لعال فى الارض و انه لمن المسرفين" " و ان المسرفين هم اصحب النار" المنتج من غير شك أن فرعون من أصحاب النار، و قوله تعالى " فاخذنه و جنوده فنبذنهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظلمين" " و جعلنهم ائمة يدعون إلى النار و يوم
١٠ القيمة لاينصرون" و اتبعنهم فى هذه الدنيا لعنة و يوم القيمة هم من المقبوحين" و قوله تعالى "كذبت قبلهم قوم نوح و عاد و فرعون ذو الاوتاد" إلى أن قال " ان كل الا كذب الرسل لحق عقاب"، إلى غير ذلك من محكم الآيات و صريح الدلالات البينات، و كذا غير فرعون و قومه من الصالحين و الطالحين جعلهم سبحانه سلفا و مثلا للآخرين،
١٥ فمن أراد به خيرا يسر له مثل خير احتذى به، و من أراد به شرا أضله بمثل سوء اقتدى به، فقد جعل الله عيسى عليه الصلاة و السلام / مثلا /٧٠٦ لتمام قدرته على اختراع الأشياء بأسباب و بغير أسباب، و كان أعبد أهل زمانه و أعلمهم و أزهدهم و أقربهم إلى الخير و أبعدهم عن الشر[3]، فاقتدى

(١) من ظ و مد، و فى الاصل: بانهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى مد: شر.

به

به من أراد الله به الخير فى مثل ذلك فاهتدى به، و ضل به آخرون و ضربوا به لأنفسهم أمثال الآلهة، و صاروا يفرحون بما لا يرضاه عاقل و لا يراه، و ضربه قومك مثلا لآلهتهم لما أخبرنا أنهم معهم حصب جهنم و سروا[1] بذلك و طربوا[2] و ظنوا أنهم فازوا و غلبوا:
﴿و لما ضرب ابن مريم﴾ أى [3]ضربه ضارب منهم[3] ﴿مثلا﴾ لآلهتهم ٥
﴿اذا قومك﴾ أى الذين أعطيناهم قدرة على القيام بما يحاولونه ﴿منه﴾ أى ذلك المثل ﴿يصدون ه﴾ أى يضجون[4] و يعلون أصواتهم سرورا بأنهم ظفروا على زعمهم بتناقض، فيعرضون[5] به عن إجابة دعائك، يقال: [صد -[6]] عنه صدودا: أعرض، و صد يصد [و يصد -[6]]: ضج[7] - قاله فى القاموس، فلذلك قال ابن الجوزى: معناهما جميعا - أى قراءة ضم ١٠ الصاد و قراءة كسرها - يضجون، و يجوز أن يكون معنى المضمومة: يعرضون، قال ابن برجان: و الكسر أعلى القراءتين - انتهى. و ذلك أن قريشا قالوا كما مضى فى الأنبياء "انا و ما نعبد فى جهنم" مقتض أن يكون [عيسى -[8]] كذلك، و أن نستوى نحن وآلهتنا به، فانه مما عبد و نحن راضون بمساواته لنا[9] - إلى آخر ما قالوا ١٥

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: سربوا (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: ضربوا (٣-٣) من مد، و فى الأصل و ظ: ضربة صارت (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يصيحون (٥) فى مد: فيغرضوا (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: صيح (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بنا.

و ما رد عليهم سبحانه به من الآية[1] من العام الذى أريد به الخصوص كما هو مقتضى [2]كلامهم و [2]لسانهم فى أن الأصل فى «ما» لما [لا -[3]] يعقل، [و-[3]] ذلك هو المراد من قوله تعالى حاكيا عنهم: ﴿و قالو آءا لهتنا﴾ التى نعبدها من الأصنام و الملائكة ﴿خير[4] ام هو[4]﴾ اى عيسى فنحن ٥ راضون [5]بأن نكون معه[5].

و لما اشتد التشوف إلى جوابهم، و كان قد تقدم الجواب عنه فى الأنبياء، قدم عليه هنا أن مرادهم بذلك إنما هو المماحكة و المماحلة و المراوغة و المقاتلة فقال تعالى: ﴿ما ضربوه﴾ أى ما ضرب الكفار: [6]ابن الزبعرى[6] حقيقة و غيره من قومك مجازا، المثل لآلهتهم بعيسى عليه ١٠ الصلاة و السلام ﴿لك الا جدلا [4]﴾ أى لإرادة أن يقتلوك عن دعوتك مغالطة و هم عالمون بأن ما ألزموك به غير لازم و لم يعتقدوا لزومه قط لأن الكلام ما كان إلا فى أصنامهم، و لأن الخصوص فى كلامهم شائع، و لأنه قد عقب بما يبين الخصوص و يزيل اللبس على تقدير تسليمه، فلم يقتدوا قط بما ألزموا به أنه لازم ﴿بل[7] هم قوم﴾ أى ١٥ أصحاب قوة على القيام بما يحاولونه ﴿خصمون ه﴾ أى شديدوا الخصام قادرون على اللدد[8]، روى الإمام أحمد[9] و الترمذى[10] و ابن ماجه[11] عن

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ادية - كذا (٢-٢) سقط مابين الرقمين من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) تكرر فى الأصل فقط بعد «ا آلهتنا». (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: ان يكون معنا (٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل: من الزبصرى (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: اللدود (٩) راجع المسند ٥ / ٢٥٢ (١٠) راجع تفسير هذه الآية فى جامعه (١١) راجع مقدمة السنن.

أبي أمامة رضي الله عنهم، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم قرأ الآية.

و لما تضمن هذا أنه غير مهان، صرح به على وجه الحصر قصر قلب لمن[1] / يدعي أنه مقصور على الإلهية فقال: ﴿ان﴾ أي ما ﴿هو﴾ / ٧٠٧ أي عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿الا عبد﴾ و ليس هو بإله[2] ٥ ﴿انعمنا﴾ أي بما لنا من العظمة [3]و الإحسان[3] ﴿عليه﴾ أي بالنبوة و الإقدار على الخوارق ﴿و جعلنه﴾ بما[4] خرقنا به العادة في ميلاده و غير ذلك من آياته ﴿مثلا﴾ أي أمرا عجيبا مع وضوحه و جلائه فيه[5] خفاء و موضع شبهة بأن جعلناه من أنثى فقط بلا واسطة ذكر ليضل بذلك من يقف مع المحسوسات، و دللنا على الحق فيه بما منحنا[6] به من ١٠ الخوارق و زكاء[6] الأخلاق وطيب الشيم و الإعراق إسعادا لمن أعليناه بنور قلبه و صفاء لبه إلى إحسان النظر في المعاني ﴿لبني اسرآءيل﴾ الذين هم أعلم الناس به، بعضهم بالمشاهدة و بعضهم بالنقل القريب، فلما جاءهم على تلك الحالة الجلية[8] في كونها حقا بما كان على يديه و يدي أمه من الكرامات، آمن به من بصره الله منهم بالحق من أمره بما كان فيه ١٥

(١) زيد في الأصل: يرجوانه مقصور لمن، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٢) زيد في الأصل وظ: ما هو الا عبد، ولم تكن الزيادة في مد فحذفناها.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: اى.
(٥) من ظ و مد، وفي الأصل: نفسه (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: امتحننا.
(٧) من ظ و مد، وفي الاصل: ذكاه (٨) من مد، وفي الأصل وظ: الجليلة.

من الكرامات ، و كان كلما رأى رجلا منهم على منهاجه فى أعماله
و كرامته اهتدى إلى الحق من أمره ، و قال : هذا مثله مثل عيسى عليه
الصلاة و السلام [1]فانتفع بالنبى[1] و من تبعه باحسان ، فنال من الله الرضوان ،
و قال أيضا هذا الموفق مستبصرا فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام :
٥ مثله فى ذلك مثل أبيه آدم عليه الصلاة و السلام فى إخراجه من أنثى
بلا ذكر ، بل آدم عليه الصلاة و السلام أعجب ، و مثل ابن خالته يحيى
وجده إسحاق عليهما الصلاة و السلام فى إخراج كل منهما بسبب هو فى
غاية الضعف ، هذه أمثاله الحسنة و قال من أراد [الله - [2]] به الضلال
منهم غير ذلك من المحال ، فلما جعلوا له أمثال السوء ضرب الله عليهم
١٠ الذلة و المسكنة ، و قال ابن برجان : خصهم - أى بنى إسرائيل - بالذكر
لأنهم المفتونون بالدجال المسارعون إليه ، ثم قال : و إنما المثل فى ذلك
متى جاء الدجال بتلك الآيات يدعو إلى نفسه فيعارض ما يأتى به عيسى
عليه الصلاة و السلام من إحياء الموتى و تأييده بروح القدس ، أى فيضل
عن الأمر الواضح من أراد الله فتنته - انتهى ، و الأحسن أن يكون
١٥ معنى كونه مثلا أنه جعل أمره واضحا[3] جدا بحيث أنه يمثل به فيكون
موضحا لغيره ، و لا يحتاج هو إلى مثل يوضحه عند من له أدنى بصيرة .

و لما كان التقدير : فلو شئنا لجعلنا الناس كلهم من أنثى بلا ذكر ،
و لو شئنا لساويناكم بهم فى ذلك الذى ضربناه عليهم من الذل عند ما

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فما ينتفع بالمنتهى (٢) زيد من مد (٣) من
مد ، و فى الأصل و ظ : واحدا .

جعلوا له مثل السوء فزدنا ما أنتم [فيه - [1]] من الذل و الحقارة عند سائر الأمم بأن سلطناهم عليكم حتى استباحوكم، و لو شئنا لمحوناكم أجمعين عن وجه الأرض فتركناها[2] يبابا؟ لا أنيس بها، عطف عليه قوله: ﴿ و لو ﴾ معبرا بصيغة المضارع إشارة إلى دوام قدرته على تجديد الإبداع فقال: ﴿ نشآء لجعلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ما / هو أغرب مما صنعناه ٥ / ٧٠٨ فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿ منكم ﴾ أى جعلا مبتدئا منكم، إما بالتوليد كما جعلنا عيسى عليه الصلاة و السلام من أنثى من غير ذكر و جعلنا آدم عليه الصلاة و السلام من تراب من غير أنثى و لا ذكر و إما بالبدلية ﴿ملٓئكة فى الارض يخلفون ۝﴾ أى يكونون خلفا لكم شيئا بعد شىء بعد إعدامكم لجعلناهم مثلا لكم كما جعلنا عيسى عليه الصلاة ١٠ و السلام مثلا لبنى إسراءيل، و يجوز أن يكون المعنى: لجعلنا[3] بعضكم ملائكة بأن نحول خلقتهم[4] فنجعلهم خلفا لمن تحولوا[5] عنهم و نخالف[6] بعضهم بعضا، فانهم من جملة عبادنا أجسام تقبل التوليد كما تقبل الإبداع، و على كلا التقديرين فذلك إشارة إلى أن الملائكة ذوات ممكنة من جملة عبيده سبحانه، يصرفهم فى مراده إن شاء فى السماء، و إن شاء فى الأرض، ١٥ لا شىء منكم إلا و هو بعيد جدا عن رتبة الإلهية إرشادا لهم إلى الاعتقاد[7]

---

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: فنزلناها (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بجعلنا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: خلفتهم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تحلوا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: نخلفه (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اعتقاد.

الحق فى أمره سبحانه بشمول قدرته و كمال علمه اللازم منه أنه لا إله إلا هو .

و لما ذكر سبحانه الإعدام و الخلافة بسببه فرضا، ذكر أن إنزاله إلى الأرض آخر الزمان أمارة على إعدام الناس تحقيقا، فقال مؤكدا لأجل إنكارهم : ﴿ و انه ﴾ أى عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿ لعلم للساعة ﴾ أى نزوله سبب للعلم بقرب الساعة التى هى إعدام الخلائق كلهم بالموت، و كذا ما نقل عنه من أنه كان يحيي و كذا إبراؤه الأسقام سبب عظيم للقطع بالساعة[1] التى هى القيامة، فهو سبب للعلم بالأمرين: عموم الإعدام و عموم القيام .

و لما كان قريش يستنصحون اليهود يسألونهم - لكونهم أهل الكتاب - عن أمر النبي صلى الله عليه و سلم، و كان النصارى مثلهم فى ذلك، و كان كون عيسى عليه الصلاة و السلام من أعلام الساعة أمرا مقطوعا به عند الفريقين، أما النصارى فيقولون : إنه [2]الذى أتى[2] إليهم و رفع إلى السماء كما هو عندنا، و أما اليهود فيقولون : إنه إلى الآن لم يأت، و يأتى بعد، فثبت بهذا أمر عيسى عليه الصلاة و السلام فيما أخبر الله تعالى عنه من إنعامه عليه، و من أنه من أعلام الساعة بشهادة الفرق الثلاثة اليهود و النصارى و المسلمين ثباتا عظيما جدا، فصارت كأنها مشاهدة، فلذلك سبب عما سبق قوله على لسان نبيه عليه الصلاة و السلام، لافتا القول إلى مواجهتهم مؤكدا فى مقابلة

(١) فى مد : للساعة (٢-٢) من مد، و فى الأصل و ظ : التى .

إنكارهم لها بما ثبت من شهادة الفرق الثلاثة: ﴿ فلا تمترن ﴾ أى تشكوا[1] أدنى شك و تضطربوا[2] أدنى اضطراب و تجحدوا[3] أدنى جحد و تجادلوا[4] أدنى جدل ﴿ بها[5] ﴾ أى[6] بسببها، يقال: مرى الشيء و امتراه: استخرجه، و مراه مائة سوط: ضربه، و مراه حقه، أى جحده، و المرية[7] بالضم و الكسر: الجدل و الشك ﴿ و اتبعون ﴾ أى أوجدوا تبعكم ٥ بغاية جهدكم ﴿ هذا ﴾ أى كل ما أمرتكم به من هذا و غيره ﴿ صراط ﴾ أى طريق واسع واضح ﴿ مستقيم ٥ ﴾ أى لا عوج فيه[8].

و لما حثهم على السلوك لصراط الولى / الحميد بدلالة الشفوق / ٧٠٩ النصوح الرؤف الرحيم، حذرهم من العدو[9] البعيد المحترق الطريد[10]، فقال دالا على عظيم فتنته بما له من التزيين للمشتهى و الأخذ من المأمن[11] ١٠ و التلبيس للمشكل و التغطية للخوف بالتأكيد، لما هم تابعون من ضده[12] على وجه التقليد: ﴿ و لا يصدنكم ﴾ أى عن هذا الطريق الواضح الواسع المستقيم الموصل إلى المقصود بأيسر سعى ﴿ الشيطٰن ج ﴾ و لما كان كأنه قيل

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: تشكون (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تضطربون (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تجحدون (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تجادلون (٥) تكرر فى الأصل بعد «فلا تمترن» (٦) زيد فى الأصل: الساعة أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لا تمريه (٨) فى ظ و مد: له (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: البعد و (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: الطريق (١١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عنده.

ما له يصدنا عن سبيل ربنا؟ ذكر العلة تحذيرا فى قوله : ﴿ انه لكم ﴾ أى عامة ، و أكد الخبر لأن أفعال التابعين لكم أفعال من ينكر عداوته : ﴿ عدو مبين ه ﴾ أى واضح العداوة فى نفسه مناد بها ، و ذلك بالبلاغه فى عداوة أبيكم حتى أنزلكم بانزاله عن محل الراحة إلى موضع النصب ، ٥ عداوة ناشئة عن الحسد ، فهى لا تنفك أبدا .

و لما قدم سبحانه أنه أنعم على عيسى عليه الصلاة و السلام و جعله مثلا لبنى إسراءيل ، و لوح إلى اختلافهم و أن بعضهم نزل مثله على غير ما هو به ، و حذر من اقتدى بهم فى نحو ذلك الضلال ، و أمر باتباع الهادى ، و نهى عن اتباع المضل ، صرح بما كان من حالهم حين أبرزه ١٠ الله لهم على تلك[1] الحالة الغريبة ، فقال عاطفا على ما تقدم تقديره بعد قوله تعالى "وجعلنه[2] مثلا" : ﴿ و لما جاء عيسى ﴾ أى إلى نبى إسراءيل [3]بعد موسى عليهما الصلاة و السلام[3] : ﴿ بالبينت ﴾ أى[4] من الآيات المسموعة و المرئية ، ﴿ قال ﴾ منبها لهم : ﴿ قد جئتكم ﴾ مايدلكم قطعا على أنه آية من عند الله و كلمة منه أيضا[4] ﴿ بالحكمة ﴾ أى الأمر المحكم ١٥ الذى لا يستطاع نقضه و لا يدفع إلا بالمعانده لأخلصكم بذلك مما وقعتم فيه من الضلال .

(١) زيد فى الأصل : الصورة و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : جعلنا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) سقط من ظ و مد .

و لما

و لما كان المراد بالحكمة ما نسخ[1] من التوراة و غيره من كل ما أتاهم به، فكان التقدير: لتتبعوه و تتركوا ما كنتم عليه أمرا خاصا هو من أحكم الحكمة فقال: ﴿ و لابين لكم ﴾ أى بيانا واضحا جدا[2] ﴿بعض الذى تختلفون﴾ أى الآن ﴿فيه ج﴾ و لاتزالون تجددون الخلاف بسببه، و هذا البعض الظاهر بما يرشد إليه ختام الآية أنه المتشابه الذى ٥ كفروا بسببه بينه بيانا برده إلى المحكم، و يحتمل أن يكون بعض المتشابه، و هو ما يكون بيانه كافيا فى رد بقية المتشابه إلى المحكم بالقياس عليه، فان الشأن فى كل كتاب أن يجمع المحكم و المتشابه، فالمحكم ما [لا -[3]] لبس فيه، و المتشابه ما يكون ملبسا، و فيه [ما - [4]] يرده إلى المحكم لكن على طريق الرمز و الإشارة التى لايذوقها إلا أهل البصائر ليتبين ١٠ بذلك الصادق من الكاذب فالصادق الذى رسخ علما [5]و إيمانا يرد[5] المتشابه منه إلى المحكم، أو يعجز فيقول: الله أعلم، ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، و لايتزلزل[6]، و الكاذب يتبع المتشابه فيجريه على ظاهره فيشبه كأهل[7] الاتحاد الجوامد المفتونين بالمشاهد و يأول بحسب هواه بما لايتمشى على قواعد [العلم -[4]] و لايوافق المحكم فيفتتن[8] . ١٠

و لما صح بهذا أن الذى أرسله الملك الأعلى الذى له الأمر ٧١٠

(١) من ظ و مد، و فى الاصل: بسخ (٢) من ظ و مد، و فى الاصل: واجدا (٣) زيد و لابد منه (٤) زيد من مد (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الاصل: ايماء لايرد (٦) من ظ و مد، و فى الاصل: لا تتزلزل (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: كاهل (٨) من ظ و مد، و فى الاصل: فيفتن .

كله ، فهو فعال لما يشاء ، و كان الحامل على الانتماع بالرسل عليهم الصلاة و السلام التقوى ، سبب [عنه -[١]] قوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى خافوه لما له من الجلال بحيث لا تقدموا على شيء إلا ببيان منه لأن له كل شيء منكم و من غيركم ، و من المعلوم لكل ذى عقل أنه لايتصرف ٥ فى ملك الغير بوجه من الوجوه إلا باذنه ﴿ و اطيعون ﴾ فيما أنقلكم إليه و أبينه لكم مما أبقيكم عليه ، فانى لا آخذ شيئا إلا عنه ، و لا أتلقى إلا منه ، فطاعتى لأمره بما يرضيه هى ثمرة التقوى ، و كلما زاد المتقى فى أعمال الطاعة زادت تقواه .

و لما أمرهم بطاعته ، علل ذلك بما [٢]أزال تهمته[٢] ما يطاع فيه ، ١٠ فقال مؤكدا لما فى أعمالهم من المجاملة[٣] المؤذنة بالتكذيب : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى اختص بالجلال و الجمال ، فكان أهلا لأن يتقى ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ ربى و ربكم ﴾ نحن فى العبودية باحسانه إلينا و سيادته لنا على حد سواء ، فلو لا أنه أرسلنى لما خصنى عنكم بهذه الآيات البينات ﴿ فاعبدوه ﴾[٤] بما آمركم به لأنه صدقنى فى أمركم باتباع ما ظهر على يدى ١٥ فصار هو الآمر لا أنا .

و لما كان دعاؤه إلى الله بما لا حظ له عليه الصلاة و السلام فيه[٥] دل[٦] قطعيا على صدقه و لا سيما و قد اقترن بالمعجزات مع كونه فى

(١) زيد من مد (٢-٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : زال تهمة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : المجادلة (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فاعبده .
(٥) تقدم فى الأصل على « عليه الصلاة و السلام » و الترتيب من ظ و مد .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان ذلك .

نفسه فى غاية الخفية لايستطاع بعضه بوجه ، أشار إلى ذلك كله بقوله على وجه الاستنتاج مما مضى مرغبا فيه دالا على اقتضائه الطاعة ﴿هذا﴾ أى الأمر العظيم الذى دعوتكم إليه ﴿صراط﴾ أى طريق واسع جدا واضح ﴿مستقيم﴾ لا [1]عوج له[1].

ذكر ما يدل على أنه أتى بالحكمة من الإنجيل : ٥

قال متى أحد مترجميه الأربعة و قد خلطت تراجمهم و أغلب السياق لمتى[2]: فلما خرج يسوع و جاء إلى نواحى صور صيدا[3] إذا بامرأة كنعانية - و قال مرقس[4]: يونانية - خرجت من تلك التخوم تصيح[5] و تقول: ارحمنى يا رب يا ابن داود! ابنتى بها شيطان ردىء، فلم يجبها بكلمة ، فجاء تلاميذه[6] و سألوه قائلين : [اصرف - [7]] هذه ١٠ المرأة لأنها تصيح خلفنا ، أجاب و قال لهم : لم[8] أرسل إلا إلى[9] الخراف من بيت إسرائيل ، فأتت و سجدت له قائلة : يا رب أغثنى فأجاب : ليس هو جيدا أن [10]يؤخذ خبز البنين[10] فيعطى للكلاب ، فقالت : نعم ! يا رب ،

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعوجاج له و لا فيه و لا (٢) راجع آية ٢١ و ما بعدها من الأصحاح الخامس عشر (٣) من ظ و مد و الإنجيل ، و فى الأصل : صمدو (٤) راجع آية ٢٤ و ما بعدها من الأصحاح السابع . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : تضجج (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تلامذه (٧) زيد من الإنجيل ، و زيد فى مد شىء لا يتضح (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثم (٩) من ظ و مد ، و فى الاصل : لى (١٠-١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : يأخذ خبز السير .

و الكلاب تأكل من الفتات الذى يسقط من موائد أربابها ، حينئذ أجاب يسوع و قال لها : يا امرأة عظيمة أمانتك يكون لك كما[1] أردت ، فبرئت ابنتها منه تلك الساعة ، و قال مرقس[2] : فقال لها من أجل هذه الكلمة اذهبى ، قد خرج الشيطان من ابنتك ، فذهبت إلى ابنتها
٥ [فوجدت الصبية - [3]] على السرير و الشيطان [قد خرج - [3]] منها ، فجؤا إليه بأخرس أصم فطلبوا إليه أن يضع يده عليه ، فأخرجوه وحده من الشعب ، و ترك أصابعه فى أذنيه ، و تفل ثم مس لسانه و نظر إلى السماء/ و شهد و قال : الفاثا[4] الذى هو انفتح ، و للوقت انفتح سمعه /٧١١ و سمع ، و انحل رباط لسانه و تكلم مستويا ، و وصاهم أن لا يقولوا لأحد
١٠ شيئا فأتاهم فكانوا ينكرون كثيرا و يبهتون جدا ، قائلين[5] : ما أحسن كل شيء ! يصنع الخرس يتكلمون و الصم يسمعون ، و قال مرقس[6] : ثم جاء إلى بيت صيدا فقدموا إليه أعمى ، و طلبوا منه أن يلمسه ، فأخذ بيد الأعمى ثم أخرجه خارجا من القرية ، و تفل فى عينيه و وضع يده عليه و سأله : ما ينظر؟ قال : أنظر الناس مثل الشجر يمشون ، فوضع يده
١٥ أيضا على عينيه ، فأبصر حينا و نظر إلى كل شيء ظاهرا ، قال : ثم جاء إلى ناحية قيسارية فيلقس[7] فسأل تلاميذه : ما ذا يقول الناس فى ابن

---

(١) من الإنجيل ، و فى الأصل : لما (٢) راجع الأصحاح المذكور (٣) زيد من مد (٤) جاءت الكلمة فى الأصول غير منقوطة ، و فى الإنجيل : افثا (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : قايلون (٦) راجع آية ٢٢ من الاصحاح الثامن .
(٧) فى الإنجيل : فيلبس .

الإنسان؟ فقال[1] قوم: يوحنا المعمدان[2]، و آخرون: إليا، و آخرون: إرميا، و واحد من الأنبياء. فقال لهم: فأنتم ما ذا تقولون؟ أجاب سمعان بطرس - و قال: أنت هو المسيح، أجاب يسوع و قال له: [3]طوبى لك[3] يا سمعان ابن يونا لأنه ليس جسد يسعى و أبواب الجحيم لاتقوى عليه و لك أعطي ملكوت السماوات، و ما ربطته الأرض يكون مربوطا في ٥ السماوات، و ما حللته على الأرض يكون محلولا في السماوات، و بدأ يسوع من ذلك الوقت يخبر تلاميذه أنه ينبغي أن يمضي إلى يروشليم و يقبل آلاما كثيرة[4] من المشايخ و رؤساء الكهنة و الكتبة، و قال: من أراد أن يتبعني فليكفر بنفسي، و من أراد أن يخاص نفسه فليهلكها، و من[5] أهلك نفسه من أجلي وجدها، ما ينفع الإنسان لو ربح العالم كله و خسر ١٠ نفسه؟ و ما ذا يعطي الإنسان فداء لنفسه، و قال لوقا[6]: و كان جمع[7] كثير ينطلق فالتفت لهم و قال لهم: من يأتي إليّ [و لا يبغض -[8]] أباه و أمه و امرأته و بنيه و إخوته و أخواته نعم حتى نفسه، فلا يقدر أن يكون لي تلميذا، من منكم يريد أن يبني برجا و لايجلس أولا[9] و يحسب

(١) من ظ، و في الأصل و مد: فقالوا (٢) من مد و الإنجيل، و في الأصل: الهمداني (٣-٣) من ظ و مد و الإنجيل، و في الأصل: طوباك (٤) من مد، و في الأصل و ظ: كثير (٥) زيد في الأصل و ظ: اهلكها اى، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٦) راجع آية ٢٥ من الأصحاح الرابع عشر (٧) من مد، و في الأصل و ظ: جميع (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و في الأصل: و لا.

نفقته؟ و هل له ما يكمله لكيما يستهزئ به كل من ينظره إذا وضع
الأساس و لم يقدر على إكماله، و أى [ملك - ١] يخرج إلى محاربة
ملك آخر فلا يجلس أولا و يفكر هل يستطيع أن يلتق بعشرة آلاف
الموافى إليه فى عشرين ألفا إلا فما دام ٢بعيدا منه٢ يرسل رسلا رسل
٥ سلامة، و هكذا كل منكم إن لم يرفض كل شىء له لا يقدر أن يكون
لى تلميذا، و ذكر لوقا٣ أيضا أنه عليه الصلاة و السلام كان فى وليمة
فقال مثلا لأنهم كانوا يتخيرون المتكآت فقال لهم: متى دعاك٤ أحد
إلى عرس فلا تجلس فى أول الجماعة. فلعله قد دعا هناك أكرم منك
عليه فيأتى الذى دعاه فيقول له: يا حبيب! ارتفع إلى فوق، حينئذ يكون
١٠ [لك -١] مجدا / قدام المتكئين معك لأن كل من يرتفع يتضع، و كل /٧١٢
من يتضع يرتفع، و قال للذى دعاه: و إذا صنعت وليمة فلا تدع
أحباءك و لا إخوتك و لا أقاربك و لا أغنياء جيرانك لعلهم أن
يدعوك أيضا فيكون لك مكافأة، لكن إذا صنعت طعاما فادع المساكين
و العور [و الضعفاء - ٥] و العميان، و طوباك لأنه ليس لك ما
١٥ يكافئونك، و مجازاتك تكون فى قيامة الصديقين، فسمع واحد من المتكئين
ذلك، فقال له: طوبى لمن يأكل خبزا فى٦ ملكوت الله، و قال متى:
و جاء تلاميذ٧ يسوع إليه و قالوا له: من هو العظيم فى ملكوت

---

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد، و فى الأصل و ظ: بعيد (٣) راجع آية ٩
من الأصحاح الرابع عشر (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: دكان (٥) زيد
من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٧) من ظ و مد،
و فى الأصل: تلميذه.

[السماوات - [1]] ، فدعا طفلا و أقامه بينهم و قال : الحق أقول : إن لم ترجعوا و تكونوا مثل الصبيان لا تدخلوا ملكوت السماوات ، و من اتضع مثل هذا الصبى فهو العظيم فى ملكوت السماوات ، و من قبل صبيا مثل هذا باسمى فقد قبلنى ، [2] قال مرقس : و من قبلنى فليس يقبلنى فقط [بل - [3]] و الذى أرسلنى ، و قال لوقا : و من قبلنى فقد قبل الذى ٥ أرسلنى ، و الذى هو الصغير فيكم هو الأكبر ، قال متى : و من شك [4] أحد هؤلاء الصغار المؤمنين فخير أن يعلق حجر الرحى فى رقبته ، و يغرق فى البحر ، الويل للعالم من الشكوك لكن الويل للانسان الذى يأتى منه الشكوك ، [5] إن شككتك [5] يدك أو رجلك فاقطعها و ألقها عنك ، فخير لك أن تدخل الحياة و أنت أعرج أو أعشم من أن يكون لك يدان ١٠ أو رجلان و تلقى فى نار الأبد ، و قال مرقس : و تذهب إلى جهنم حتى لا تطفأ نارها و لايموت دودها - انتهى [6] . و إن شككتك [7] عينك فاقلعها و ألقها عنك فخير لك أن تدخل الحياة بعين واحدة من أن يكون لك عينان و تلقى فى جهنم ، و قال مرقس : وكل شىء بالنار يملح وكل ذبيحة تملح بالملح جيد هو الملح ، فان [8] فسد الملح فبما ذا يملح فليكن فيكم ١٥ الملح ، و يكون سلام بعضكم بعضا ، و قال لوقا : ثم قال : من أجل

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) العبارة من هنا إلى « فقد قبل » ساقطة من مد .
(٣) زيد من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : سأل (٥-٥) من مد ، و فى الأصل : شككتك وفى ظ : ان سكلمك (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : تنتهى .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : شككتك (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فاذا .

أقوام يقولون : إنهم صديقون و يحقرون البقية، هذا المثل رجلان صعدا إلى الهيكل ليصليا[1]، أحدهما فريسى[2] و الآخر عشار ، فأما الفريسى فانه كان يصلي بهذا فى نفسه : اللهم إنى أشكرك لأنى است مثل سائر الناس العاصين الظلمة الفجار ، و لامثل هذا العشار ، فكان قائما من بعيد و لايرى ٥ أن يرفع عينيه إلى السماء ، و كان يضرب على صدره و يقول : اللهم اغفر لى فانى خاطىء ، أقول لكم : إن هذا نزل إلى بيته أمر من ذلك لأن كل من يرفع نفسه يتضع ، و كل من يضع[3] نفسه يرتفع ، ثم قدم إليه صبيان ليضع يده عليهم ، فلما نظرهم التلاميذ نهروهم فقال : دعوا الصبيان يأتوا إلىّ و لا تمنعوهم لأن ملكوت الله لمثل هؤلاء ، الحق أقول لكم ، ١٠ إن من لا يقبل ملكوت الله مثل صبي لايدخلها ، و قال متى : انظروا لاتحقروا أحد هؤلاء الصغار ، لم يأت ابن الإنسان إلا ليطلب و يخلص من كان ضالا[4] ، ما ذا تظنون إذا [كان الإنسان - [5]] مائة خروف فضل منها واحد ليس يترك التسعة و التسعين فى الجبل ، و يمضى يطلب الضال ؟ و قال لوقا : حتى يجده ، الحق [أقول - [5]] لكم ، إنه يفرح به ١٥ أكثر من التسعة و التسعين التى لم تضل ، هكذا[6] ليس مشيئة ربى الذى فى السماوات أن يهلك أحد من هؤلاء الصغار ، و قال لوقا[7] : و دنا منه

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليصليان (٢) من ظ و مد : و فى الأصل : قربى (٣) من ظ و مد ، و فى الاصل : يتضم (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : حالا (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : هذا (٧) راجع آية ١ فما بعدها من الأصحاح الخامس عشر .

العشارون و الخطأة ليسمعوا منه فتذمر[١] الفريسيون و الكتبة قائلين : هذا يقبل الخطأة و يأكل معهم ، فقال لهم : أى رجل منكم له مائة خروف فيتلف واحد [منها -[٢]] ليس يترك التسعة و التسعين فى البرية و يمضى إلى الضال حتى يجده ، فاذا وجده حمله على منكبيه فرحا ، و يأتى به إلى بيته و يدعو أصدقاءه و جيرانه[٣] و يقول لهم : افرحوا[٤] معى لوجودى ٥ خروفى الضال ، أقول لكم : إنه يكون فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب أكثر من التسعة و التسعين الصديق الذين[٥] لا يحتاجون إلى توبة ، و أى[٦] امرأة لها عشرة دراهم يتلف واحد منها أليس[٧] توقد سراجا و تكنس بيتها و تطلبه مجتهدة حتى تجده ، فاذا وجدته دعت أحبابها و جاراتها قائلة[٨]: افرحوا [٩]لى لوجودى درهمى[٩] الضال ، هكذا أقول لكم : يكون ١٠ فرح قدام ملائكة الله بخاطىء واحد يتوب ، و قال : إنسان[١٠] له ابنان فقال الأصغر يا أبتاه ! أعطنى نصيبى من مالك فقسم بينهما ماله ، و بعد أيام قليلة جمع الأصغر كل شيء له و سافر إلى كورة بعيدة ، و بذر[١١]

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : فتزمر (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : جيرتاه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : افرعوا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : الى . (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : ابلحن (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : قايلا (٩ - ٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى وجودى دار - و بعده بياض قدر كلمتين (١٠) من مد و الإنجيل . و فى الأصل : اثنان (١١) من الإنجيل ، و فى لأصول : يرد .

ماله هناك بعيش بذخ[1] ، فلما نفد كل شيء له حدث جوع شديد فى
تلك الكورة فافتقر و انقطع إلى رجل منها فأرسله إلى حقله يرعى خنازير ،
و كان يشتهى أن يملأ بطنه من الخرنوب الذى كانت الخنازير تأكله ،
فلا يعطى ذلك ، ففكر فى نفسه و قال : كم من [2]أجراء أبى[2] يفضل عنهم
٥ الخبز[3] و أنا ههنا أهلك جوعا ، أقوم أمضى إلى أبى و أقول : يا ابتاه !
أخطأت فى السماء و بين يديك ، و لست[4] بمستحق أن أدعى لك ابنا
لكن اجعلنى كأحد أجرائك[5] فجاء إليـه فنظره أبوه فتحنن و أسرع
و اعتنقه و قبله فقال : يا ابتاه[6] ! أخطأت فى السماء و قدامك ، و لست
بمستحق أن ادعى لك ابنا ، فقال أبوه لعبيده : قـدموا الحلة الأولى
١٠ و ألبسوه و أعطوه خاتما فى يده ، و حذاء[7] فى رجليه ، و ائتوا بالعجل
المعلوف و اذبحوه [و نأكل و نفرح لأن ابنى هذا كان ميتا فعاش ،
و ضالا فوجد . فبدأوا يفرحون ، و كان ابنه الأكبر فى -[8]] الحقل[9] ،
فلما جاء و قرب من البيت سمع المزاهر و اتفاق الأصوات و الرقص ،
فدعا واحدا من الغلمة و سأله فقال له : إن أخاك قدم ، و ذبح أبوك

---

(١) من مد ، وفى الأصل وظ : مدح (٢ - ٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : احرالى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : التبر (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : ليس (٥) من مد ، و فى الأصل وظ : اجزايك (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اباتاه (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : جزه (٨) زيد من ظ و مد و الإنجيل (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : المثل .

العجل المعلوف، فغضب و لم يرد أن يدخل، فخرج أبوه و طلب إليه[1]
فقال: كم[2] لى من سنة أخدمك و لم أخالف لك وصية قط و لم تعطى
جديا واحدا أتنعم به مع أصدقائى، فلما جاء ابنك هذا الذى أكل مالك
مع الزناة ذبحت له العجل المعلوف، فقال له: يا بنى! أنت معى فى كل
حين و فى كل شيء هو لى، و ينبغى لك أن تسر و تفرح لأن أخاك ٥
هذا كان / ميتا فعاش، و ضالا فوجد، و قال[3]: رجل كان غنيا يلبس / ٧١٤
الأرجوان و كان يتنعم كل يوم و يلذ، و مسكين[4] كان اسمه العازر مطروحا
عند بابه مضروبا بقروح، و كان يشتهى أن يشبع من الفتات الذى
يسقط من مائدة ذلك الغنى، و كانت الكلاب تأتى و تلطع[5] قروحه، فلما
مات ذلك المسكين أخذته الملائكة إلى حضن إبراهيم، [و مات ذلك ١٠
الغنى و قبر فرفع عينيه فى الهاوية و هو فى العذاب، فنظر إبراهيم -[6]]
من بعيد و العازر فى حضنه، فنادى: يا ابتاه إبراهيم! أرحمنى و أرسل
العازر[7] ليبل طرف إصبعه بما يبرد لسانى لأنى معذب فى اللهب، فقال له
إبراهيم: يا ابنى اذكر أنك قد قتلت جيرانك فى حياتك و العازر فى بلائه
و الآن فهو يستريح هاهنا و أنت تعذب، و مع ذلك[7] فبيننا و بينكم أهوية ١٥
عظيمة نائية لا يقدر أحد على العبور من ههنا إليكم، و لا من هنا إلينا،

---

(١) من مد و الإنجيل، و فى الأصل: انه، و فى ظ: ابنه (٢) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) راجع آية ١٩ فما بعدها من الأصحاح السادس عشر من إنجيل لوقا (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: مسكينا. (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: تلطلع - كذا (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ما لعازر (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: هذا.

قال له : أسألك يا أبتاه أن ترسله إلى بيت أبي، فان خمسة أخوة لكى يناشدهم لئلا يأتوا إلى موضع هذا العذاب، قال له إبراهيم : عندهم موسى و الأنبياء فليسمعوا[1] منهم، فقال له : يا أبتاه إبراهيم ! إن لم يمض إليهم واحد من الأموات ما يتوبون ؟ فقال له : إن كانوا لا يسمعون ٥ من موسى و الأنبياء فليس إن قام[2] واحد من الأموات يصدقونه، و قال لتلاميذه : سوف تأتى الشكوك و الويل، الذى تأتى الشكوك من قبله خير له [لو - [3]] علق حجر رحى الحماز فى عنقه و يطرح فى البحر من أن يشكك[4] أحدا من هؤلاء الضعفاء - [5]و الله أعلم[5] .

و لما كان [6]الطريق الواضح[6] القديم موجبا للاجتماع عليه، ١٠ و الوفاق عند سلوكه، بين أنهم سببوا عنه بهذا الوعظ غير ما يليق بها بقوله : ﴿فاختلف﴾ و بين أنهم أكثروا[7] الاختلاف بقوله : ﴿الاحزاب﴾ أى أنهم لم يكونوا فرقتين فقط، بل فرقا كثيرة . و لما كانت العادة أن يكون الخلاف بين أمتين و قبيلتين و نحو ذلك، و كان [8]اختلاف الفرقة الواحدة[8] عجبا. بين أنهم من أهل القسم فقال : ﴿ من بينهم ج﴾ ١٥ أى اختلافا ناشئا ابتدأ من بين بنى إسرائيل الذين[9] جعلناهم مثلا لهم،

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : نيسمعوا (٢) من مد و الإنجيل، و فى الأصل و ظ : قاد (٣) زيد من مد و الإنجيل (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : بسلك. (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦-٦) من مد، و فى الأصل و ظ : الطابق بالواضح - كذا (٧) من ظ و مد، وفى الأصل : اكثروا (٨-٨) من ظ و مد، و فى الأصل : الاختلاف لفرقة واحدة (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : الذى .

و قال

و قال لهم: قد جئتكم بالحكمة ، فسبب عن اختلافهم قوله: ﴿ فويل ﴾
و كان أن يقال : لهم، و لكنه ذكر الوصف الموجب للويل تعميما
و تعليقا للحكم به . و لما كان فى سياق الحكمة، و هى وضع الشيء فى
أتقن مواضعه، جعل الوصف الظلم الدى أدى[1] إليه الاختلاف فقال :
﴿ للذين ظلموا ﴾ أى وضعوا الشيء[2] فى غـير موضعه مضادة لما أتاهم ٥
صلى الله عليه و سلم به من الحكمة ﴿ من عذاب يوم اليم ه ﴾ أى مؤلم،
و إذا كان اليوم مؤلما فما الظن بعذابه .

و لما عم الظالمين[3] بالوعيد بذلك اليوم فدخل فيه قريش و غيرهم ،
أتبعه ما هو كالتعليل مبرزا له فى سياق الاستفهام لأنه أهول فقال :
﴿ هل ﴾ و جرد[4] الفعل إشارة إلى شدة القرب حتى كأنه بمرأى ١٠
فقال : ﴿ ينظرون ﴾ أى ينتظرون ﴿ الا الساعة ﴾ أى ساعة الموت
العام و البعث و القيام ، / فان ذلك لتحقق أمره كأنه موجود منظور إليه . / ٧١٥

و لما قدم الساعة تهويلا تنبيها على أنها لشدة ظهور دلائلها كأنها
مرئية بالعين هزا لهم إلى تقليب أبصارهم لتطلب رؤيتها، أبدل[5] منها
[زيادة -[6]] فى التهويل[7] قوله تعالى: ﴿ ان تاتيهم ﴾ و حقق احتمال ١٥

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : ادق (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الشيء.
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : أعلم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : جود .
(٥) من ظ و مد و فى الأصل : انزل (٦) زيد من مد (٧) زيد فى الأصل :
التأويل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيـد فى الأصل : فى ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

رؤيتها بقوله[1] : ﴿ بغتة ﴾ و لما كان البعث قد يطلق على ما يجهل[2] من بعض الوجوه، أزال هذا الاحتمال بقوله : ﴿ و هم لايشعرون ﴾ أى لايحصل لهم بعين الوقت الذى يجيء نوع من أنواع العلم، و لا بما كالشعرة منه .

٥ و لما كانت الساعة تطلق على الحبس بالموت و على النشر بالحياة، بين ما يكون فى الثانى الذى هم له منكرون من أحوال المبعوثين على طريق الاستئناف فى جواب من يقول : هل يقومون على ما هم عليه الآن ؟ فقال[3] : ﴿ الاخلآء ﴾ أى فى الدار ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ تكون الساعة و هى ساعة البعث [4]التى هى[4] بعض مدلول الساعة ﴿ بعضهم لبعض عدو ﴾

١٠ و لما[5] ينكشف لهم من أن تأخيرهم فى الحياة الدنيا هو السبب فى عذابهم، فيقول التابع للتبوع : أنت غررتنى فضررتنى، و يقول المتبوع : بل أنت كبرتنى فصغرتنى، و رفعتنى فوضعتنى، و نحو هذا من الكلام المؤلم أشد الإيلام ﴿ الا المتقين ﴾ الذين تقدم أمرهم بالتقوى و حثهم عليها .

و لما أفهم هذا أنهم لاعداوة بينهم، بل يكونون فى التواد على

١٥ أضعاف ما كانوا عليه فى الدنيا لما ظهر لهم من توادهم فيها و تناصرهم هو أفضى بهم إلى الفوز الدائم برضوان الله، وصل به حالا بين فيها ما يتلقاهم به من تواد فيه سبحانه تشريفا لهم و تسكينا لما يقتضيه ذلك

---

(١) زيد فى الأصل : الا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : يحمل (٣) سقط من ظ و مد (٤-٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : او الذى هو (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : لا .

المقام من الأهوال: ﴿ يٰعباد ﴾ أى مقولا لهم هذا، نخص[1] بالإضافة إليه كما خصوه بالعبادة ﴿لاخوف﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿عليكم اليوم﴾ أى فى الآخرة بما يحويه [2]ذلك اليوم العظيم[2] من الأهوال و الأمور الشداد و الزلازل ﴿ و لآ انتم تحزنون ج ﴾ أى لايتجدد لكم حزن على شىء فات فى وقت من الأوقات الآتية لأنكم لايفوتكم شىء تسرون به . ٥

و لما ناداهم بما يطمع فيه سائر أهل الموقف لأن كل حزب يقولون: نحن عباده، خص المرادين بما [3]يوئس غيرهم[3] و لئلا يكون الوصف بالتقوى [موقفا -[4]] لمن سمعه اليوم من الكفار عن الدخول فى الدين ظنا منهم أن الرسوخ فى التقوى شرط فيه حين الدخول و كانوا لا يستطيعون ذلك، فوصف سبحانه المتقين بما يهون الوصول إلى درجتهم على غيرهم ١٠ فقال: ﴿ الذين اٰمنوا ﴾ أى أوجدوا هذه الحقيقة ﴿ باٰيٰتنا ﴾ الظاهرة عظمتها فى نفسها أولا و بنسبتها إلينا ثانيا ﴿و كانوا﴾ أى دائما [بما -[4]] هو لهم كالجبلة و الخلق ﴿مسلمين ج ﴾ أى منقادين للأوامر و النواهى أتم انقياد، فبذلك يصلون / إلى حقيقة التقوى التامة . /٧١٦

و لما ذكر ما لهم بشارة لهم و ترغيبا لغيرهم فى اللحاق بهم[6] على ١٥ وجه فيه إجمال، شرح ذلك بقوله: ﴿ادخلوا الجنة﴾ و لما كانت الدار

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: نخص (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لوين عليهم (٤) زيد من مد.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الدنيا (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لهم.

لا تكمل إلا بالرفيق السار، قال تعالى: ﴿ انتم و ازواجكم ﴾ اى نساؤكم اللاتى كن مشاكلات لكم فى الصفات، و[1] أما قرناؤهم[1] من الرجال فدخلوا فى قوله " كانوا مسلمين " ﴿ تحبرون ه ﴾ أى تكرمون و تزينون فتسرون سرورا يظهر أثره عليكم مستمرا يتجدد أبدا .

٥ و لما كان هذا أمرا [سائقا إلى حالهم -[2]] سابقا لمن كان و اقفا عنهم إلى وصالهم، أقبل على من لعله يوقفه الاشتغال [3]بلهو أو[3] مال محركا لما جهل[4] منه[5]، و منبها على ما غفل عنه، فقال عائدا إلى الغيبة ترغيبا فى التقوى: ﴿ يطاف عليهم ﴾ أى المتقين الذين جعلناهم بهذا النداء ملوكا ﴿ بصحاف ﴾ جمع صحفة[6] و هى القصعة ﴿ من ذهب ﴾ فيها

١٠ من ألوان الأطعمة و الفواكه و الحلوى ما لا يدخل تحت الوهم .

و لما كانت آنية الشرب فى الدنيا أقل من آنية الأكل، جرى على ذلك المعهود، فعبر بجمع القلة فى قوله: ﴿ و اكواب ج ﴾ جمع كوب و هو كوز مستدير مدور الرأس لا عروة له، قد تفوق عن[7] شيء منه اليد أو الشفة[8] أو يلزم منها بشاعة فى شيء من دائر الكوز، و إيذانا

١٥ بأنه لا حاجة أصلا إلى تعليق شيء لتزيد[9] أوصافه عن أذى[10]

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: لما قرناهم (٢) زيد من مد (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بلوو (٤) فى ظ و مد: جهد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: منهم (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: القفة (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: على (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: السعه (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: لتزايد (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: اذنى .

أو نحو ذلك .

و لما رغب فيها بهذه المغيبات، أجمل بما[1] لا يتمالك معه عاقل عن المبادرة إلى الدخول فيما يخصها فقال: ﴿و فيها﴾ أى الجنة . و لما كانت اللذة محصورة فى المشتهى قال تعالى: ﴿ ما تشتهيه الانفس ﴾ من الأشياء المعقولة و المسموعة و الملبوسة و غيرها جزاء لهم على ما منعوا أنفسهم ٥ من الشهوات فى الدنيا . و لما كان ما يخص المبصرات من ذلك أعظم، خصها فقال: ﴿ و تلذ الاعين ج ﴾ من الأشياء المبصرة التى أعلاها النظر إلى وجهه الكريم تعالى، جزاء ما تحملوه من مشاق الاشتياق .

و لما كان ذلك لا يكمل طيبه إلا بالدوام ، قال عائدا إلى الخطاب لأنه أشرف و ألذ مبشر لجميع المقبلين على الكتاب ، و الملتفت إليهم ١٠ بالترغيب فى هذا الثواب ، بشارة لهذا النبى الكريم عليه أفضل الصلاة و السلام بما قدمه فى [أول - [2]] السورة و أثنائها من بلوغ قومه نهاية العقل و العلم الموصلين إلى أحسن[3] العمل الموجب للسعادة: ﴿ و انتم فيها خلدون ج ﴾ لبقائها و بقاء كل ما فيها ، فلا كلفة عليكم أصلا من خوف من زوال و لا حزن من فوات . ١٥

و لما كان التقدير: الجنة التى لمثلها يعمل العاملون، عطف عليه قوله مشيرا إلى فخامتها بأداة البعد: ﴿ و تلك الجنة ﴾ أى العالية المقام ﴿ التى ﴾ و لما كان الإرث أمكن للملك ، و كان مطمح النفوس إلى المكنة

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بها (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : حسن .

فى الشيء مطلقا لا يبعد، بنى[1] للمفعول قوله تعالى: ﴿ اورثتموها ﴾ و لما كان ما حصله[2] الإنسان [3]بسعيه ألذ فى نفسه[3] لسروره بالتمتع به و بالعمل /الذى كان من سببه، قال تعالى: ﴿ بما ﴾ و بين أن العمل كان لهم كالجبلة /٧١٧ التى جبلوا عليها، فالمنة لربهم فى الحقيقة بما زكى لهم أنفسهم بقوله:

٥ ﴿ كنتم تعملون ﴾ أى مواظبين على ذلك لا تفترون. و لما كان الأكل[4] أعم الحاجات و أعم الطلبات، قال تعالى مبينا أن جميع أكلهم تفكه ليس فيه شيء تقوتا لأنه لا فناء[5] فيها لقوة و لا غيرها لتحفظ بالأكل و لا ضعف ﴿ لكم فيها فاكهة ﴾ أى ما يؤكل تفكها و إن كان لحما و خبزا. و لما كان ما يتفكه[6] فى الدنيا قليلا قال تعالى: ﴿ كثيرة ﴾ و دل

١٠ مع الكثرة على دوام النعمة بقصد التفكه بكل شيء فيها بقوله: ﴿ منها ﴾ أى لا من غيرها مما يلحظ فيه التقوت ﴿ تاكلون ﴾ فلا تنفد أبدا و لا تتأثر بأكل الآكلين لأنها على صفة الماء النابع، لا يؤخذ منه شيء إلا خلف مكانه مثله [7]أو أكثر منه[7] فى الحال.

[و لما ذكر ما للقسم الثانى من الأخلاء -[8]] و هم المتقون ترغيبا

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بذاء (٢) من مد، وفى الأصل وظ: حاصله (٣-٣) من مد، و فى الأصل و ظ: لسعيه فى الدنه لنفسه - كذا (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: الاقل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فبانها (٦) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) زيد من مد.

لهم[١] فى التقوى[٢]، أتبعه ما لأضدادهم أهل القسم الأول تحذيرا من مثل أعمالهم، فقال استئنافا مؤكدا فى مقابلة إنكارهم: ﴿ان المجرمين﴾ أى الراسخين فى قطع ما أمر الله به أن يوصل ﴿فى عذاب جهنم﴾ أى النار التى من شأنها لقاء داخلها بالتجهم و الكراهة و العبوسة كما كان يعمل عند قطعه لأولياء الله تعالى ﴿خٰلدون ﴿٧٤﴾﴾ لأن إجرامهم ٥ كان طبعا لهم لاينفكون عنه أصلا ما بقوا.

و لما[٣] بين إحاطته بهم إحاطة الظرف بمظروفه[٤]، و كان من المعلوم أن النار لاتفتر عمن لابسته إلا بمفتر يمنعها بماء يصبه[٥] عليها أو تقليل من وقودها أو غير ذلك خرقا للعادة، بين أنه لايعتريها نقصان أصلا كما يعهد فى عذاب الدنيا [٦]لأنهم هم[٦] وقودها فقال تعالى: ﴿لا يفتر عنهم﴾ ١٠ [أى -[٧]] لايقصد إضعافه [بنوع -[٨]] من الضعف، فنفى التفتير نفى للفتور من غير عكس، قال البيضاوى: و هو من فترت عنه الحمى - إذا سكنت، و التركيب للضعف.

و لما كان انتظار الفرج مما يخفف[٩] عن المتضايق[٩]، نفاه بقوله:

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل: و لما كان هذا ما و عده سبحانه و تعالى للمتقين المطيعين، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: كان الأمر كذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بالمظروف (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ينصبه (٦-٦) من مد، و فى الأصل و ظ: الدنهم - كذا (٧) زيد من مد (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.

﴿ و هم فيه مبلسون ج ﴾ أى[1] ساكتون سكوت يأس من النجاة و الفرج .

و لما [2]كان ربما ظن من لابصيرة له أن هذا العذاب[2] أكبر و أكثر مما يستحقونه، أجاب سبحانه بقوله ليزيد عذابهم برجوعهم باللائمة على
٥ نفوسهم و وقوعهم فى منادمات الندامات : ﴿ و ما ظلمنٰهم ﴾ نوعا من الظلم [3]لأنه تعالى مستحيل فى حقه الظلم[3] ﴿ و لكن كانوا ﴾ جبلة و طبعا و عملا و صنعا دائما ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الظّٰلمين ﴾ لأنهم بارزوا المنعم عليهم بالعظائم و نووا أنهم لاينفكون عن ذلك ما بقوا، و الأعمال بالنيات، و لو كانوا / يقدرون على أن [لا ـ[3]] يموتوا [4]لما ماتوا[4] .
١٠ و لما كان من مفهوم الإبلاس[5] السكوت، أعلم بأن سكوتهم ليس دائما لأن الإنسان إذا وطن نفسه على حالة واحدة ربما خف عنه بعد الألم، فقال مبينا [أنهم ـ[6]] من البعد بمحل كبير لايطمعون معه فى خطاب الملك، و أنهم مع علمهم باليأس يعلقون آمالهم بالخلاص كما يقع للتمنين للحالات[7] فى الدنيا ليكون ذلك زيادة فى الهم : ﴿ ونادوا ﴾
١٥ ثم بين أن المنادى خازن النار فقال مؤكدا لبيان البعد بأداته : ﴿ يٰملك ﴾ و قراءة " يا مال[8] " للاشارة إلى أن العذاب أوهنهم

/ ٧١٨

---

(١) زيد فى الأصل : حال كونهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) سقط من ظ و مد (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل : لماتوا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : الالباس .
(٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : للحاولات (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : ياما .

عن

عن إتمام الكلام، و لذا[1] قالوا: ﴿ليقض علينا﴾ أى سله سؤالا حتما أن[2] يقضى القضاء الذى لاقضاء مثله، و هو الموت على[3] كل واحد [منا -[4]]، و جروا على عادتهم فى الغباوة و الجلافة فقالوا: ﴿ربك[4]﴾ أى المحسن إليك فلم يروا لله عليهم إحسانا و هم فى تلك الحالة، فلا شك أن إحسانه ما انقطع عن موجود أصلا، و أقل ذلك أنه[5] لايعذب أحدا منهم ٥ فوق استحقاقه، و لذلك[1] جعل[6] النار دركات كما كانت الجنة درجات، و يجوز أن تكون عبارتهم بذلك تغيظا له بما رأوا من ملابسة النار من تأثير فيه، و نداؤهم لاينافى إبلاسهم لأنه السكوت عن يأس، و ذلك لازم لهم لأنهم كلما سكتوا كان سكوتهم عن يأس، فسكوتهم[7] المقيد باليأس دائم، فلذلك[8] سألوا الموت، و الحاصل أنهم لايتكلمون بما يدل ١٠ على رجاء الفرج[9] [بل هم ساكتون أبدا عن ذلك .... اليأس لا على رجاء الفرج - [4]] باللحاق رتبة المتقين.

و لما ذكر نداءهم، استأنف ذكر جوابهم بقوله: ﴿قال﴾ أى مالك عليه الصلاة و السلام مؤكدا قطعا لأطماعهم لأن كلامهم هذا بحيث يفهم الرجاء و يفهم بأن رحمة الله تعالى التى هى موضع الرجاء خاصة ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: كذلك (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: اى (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: الذى (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: بابه (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: جعلنا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل نشكوتهم (٨) من ظ و مد، - فى الأصل: فكذلك. (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: القدح.

بغيرهم ﴿ انكم مكثون ﴾ .

و لما ذكر سبحانه الساعة عند ذكر عيسى عليه الصلاة و السلام فقال "و انه لعلم للساعة" و أكد أمرها و شرح بعض أحوالها إلى أن ختم [1]بما دل[1] على انحلال عزائمهم و لين شكائمهم، وكانوا غير مقرين[2]
٥ بذلك، قال مؤكدا جوابا لمن يبصر بعض البصر فيقول: أحق هذا؟ و يتوقع الجواب: ﴿لقد جئنكم﴾ أي في هذه السورة خصوصا و جميع القرآن عموما[3]، سمى مجيء الرسل [4]مجيئا لهم[4] لما لمجيئهم من العظمة التي أشارت إليها النون ﴿ بالحق ﴾ الكامل في الحقية[5]، و لما كان ظهور حقيته[6] بحيث لايخفى على أحد و لكن شدة البغض و شدة الحب تريان
١٠ الأشياء على غير ما هي عليه، قال إشارة إلى ذلك: ﴿و لكن اكثركم﴾ أي أيها المخاطبون ﴿ للحق كرهون ﴾ [7]لما فيه من المنع عن الشهوات فلذلك أنتم تقولون: إنه ليس بحق[8] لأجل كراهتكم فقط، لا لأجل أن في حقيته نوعا من الخفاء .

و لما كان هذا مخرا لا جواب فيه اظهور الدلائل و تعالى العظمة
١٥ إلا الرجوع، وكان من لا يرجع إنما يريد محاربة الإله الأعظم، قال

(١-١) من مد، و في الأصل و ظ: بمال (٢) من مد، و في الأصل و ظ: غير معربين (٣) زيد في الأصل: ما، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها. (٤-٤) من مد، و في الأصل و ظ: مجابلة (٥) من مد، و في الأصل و ظ: الحقيقة (٦) من مد، و في الأصل و ظ: حقيقة (٧) زيد في الأصل: اى، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٨) من مد، و في الأصل وظ: بقوله.

عادلا عن الخطاب إزالا لهم بالغيبة منزلة البعيد الذى لا يلتفت إليه معادلا لما تقديره: أرجعوا لما ظهر لهم من الحق الظاهر / ﴿ام ابرموآ﴾ أى أحكموا ﴿امرا﴾ فى رد أمرنا و معاداة أوليائنا مع علمهم بأنا مطلعون عليهم. / ٧١٩

و لما كان سبحانه مطلعا بطية أمرهم و غائب[1] سرهم، سبب عما سأل عنه من إبرامهم ما دل على أنه عالم به و قد أبرم له قبل كونه ما [2]يزيله و يعدمه و يحيله[2]، على سبيل التأكيد لإنكارهم أن يغلبوا فقال: ﴿فانا مبرمون ج﴾ أى دائما للأمور لعلمنا[3] بها قبل كونها و قدرتنا و اختيارنا، تلك صفتنا التى لا تحول بوجه: العلم و القدرة و الإرادة، لم يتجدد لنا شيء لم يكن. ٥ ١٠

و لما كان إصرارهم بين العزم على مجاهرة[4] القدير بالمعاداة و بين معاملته و هو عليم[5] بالمساترة و المماكرة[6] فى المعاداة و المباكرة و المسالمة[7] و المناكرة قال تعالى: ﴿ام يحسبون انا﴾ على ما لنا من العظمة المقتضية بجميع صفات الكمال[8] ﴿لانسمع﴾ و لما كان المراد إثبات[9] أن علمه تعالى محيط بالخفى و الجلى، نسبة كل منهما [إليه-[10]] على السواء، ذكرهما ١٥

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: غاية (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل: بريلو و بعد منه و يحليوه، و فى ظ: يزيله و بعد منه و يحليوه (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: بما (٤) فى ظ و مد: مجاهدة (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: عليهم (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لما كره (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الملامة (٨) زيد فى الأصل و ظ: انا، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: مغيات (١٠) زيد من مد.

و قدم ما من شأنه أن يخفى و هو المكر المشار إليه بالإبرام ، لأن السياق
له فقال تعالى : ﴿ سرهم ﴾ أى كلامهم الخفى و لو[1] كان فى الضمائر
[فيما يعصينا ، و لما كان ربما وقع فى الأوهام أن المراد بالسمع إنما هو
العلم لأن السر ما يخفى و هو يعم ما فى الضمائر - [2]] و هى[3] مما يعلم ، حقق
٥ أن المراد به حقيقته بقوله : ﴿ و نجوىهم[4] ﴾ أى كلامهم المرتفع حتى
كأنه على نجوة أى مكان[5] عال ، فعلم أن المراد حقيقة السمع ، و أنه
تعالى يسمع كل ما يمكن أن يسمع و لو لم يكن فى قدرتنا نحن سماعه ،
فنكون فيه كالأصم بالنسبة إلى ما نسمعه نحن من الجهر و لا يسمعه[6]
هو لفقد[6] قوة السمع فيه ، لا لأنه مما من حقه ألا يسمع .

١٠ و لما كان إنكار[7] عدم السماع [معناه السماع [8]] ، صرح به فقال :
﴿ بلى ﴾ أى نسمع[9] الصنفين كليهما على حد سواء ﴿ و رسلنا ﴾ و هم
الحفظة من الملائكة على ما لهم من العظمة بنسبتهم إلينا . و لما كان
حضور الملائكة معنا و كتابتهم لجميع أعمالنا على وجه لا نحس به نوع
إحساس أمرا هو فى غاية الغرابة ، [10] قال معبرا بلدى التى يعبر بها عند
١٥ اشتداد الغرابة[10] : ﴿ لديهم يكتبون ﴾ أى يجددون الكتابة [11] كلما تجدد[11]

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : لما (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بمكان (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : لانسمعه (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : لفقده (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : انكارهم (٨) زيد من ظ و مد (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : تسمع (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١-١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : كما يجدد .

ما يقتضيها لأن الكتابة أوقع فى التهديد، لأن من علم أن أعماله محصاة مكتوبة تجنب[1] ما يخاف عاقبته.

و لما تقدم أول السورة تبكيتهم و التعجيب منهم فى ادعائهم لله ولدا من الملائكة و هددهم بقوله "ستكتب شهادتهم و يسئلون" و ذكر شبههم[2] فى قولهم[3] "لو شاء الرحمن ما عبدنهم" و جهلهم فيها بقوله "ما ٥ لهم بذلك من علم" و نفى أن يكون لهم [على -[4]] ذلك دليل سمعى[5] بقوله[6] منكرا موبخا "ام اتينهم كتبا" و مر فى توهية أمرهم فى ذلك و غيره بما [7]لاحم بعضه[7] بعضا على ما تقدم إلى أن تم نفى الدليل السمعى على طريق النشر المشوش بقوله تعالى "و اسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا"، و نظم به ما أتى به [رسوله أهل الكتاب مما ١٠ يصدق ما أتى به كتابنا من التوحيد و ما هدد به -[4]] من أعرض عنه إلى أن أخبر أنه الحق الذى لا زوال أصلا لشيء منه، و أن رسله سبحانه تكتب جميع / أعمالهم من شهادتهم فى الملائكة و غيرها، أعاد الكلام / ٧٢٠ فى إبطال شبهتهم فى أن عبادتهم لهم لو كانت ممنوعة لم يشأها الذى له عموم الرحمة لأن عموم رحمته يمنع على زعمهم مشيئة[8] ما هو محرم، فقال ١٥ بعد أن نفى قوله "و اسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا" أن يكون لهم

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: بحيث (٢) فى مد: شبهتهم (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: قوله (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: سمع (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: فقوله (٧ - ٧) من مد، و فى الأصل و ظ: لاحضر بعضهم (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: مشيته.

دليل سمعي[1] على أحـــد من رسله عليـــهم الصلاة و السلام:
﴿قل ان كان للرحمٰن﴾ أي العام الرحمة ﴿ولد قملے﴾ على ما زعمتم،
و المراد به الجنس لادعائهم في الملائكة، و غيرهم في غيرهم، و قراءة حمزة
و الكسائي[2] بضم ثم سكون على أنه جمع على إرادة الكثرة . و لما كان
٥ المعنى: [3]فأنا ما[3] عبدت ذلك الولد و لا أعبده، و لو شاء الرحمن ما
تركت عبادته . و لكنه شاء تركي لها[4] و شاء فعلكم لها، فاحداهما قطعا
مشيئة للباطل، و إلا لاجتمع النقيضان بأن يكون الشيء حقا باطلا في
حال واحد من وجه واحد، و هو بديهي الاستحالة، فبطلت شبهتكم[5] بدليل
قطعي - هكذا كان الأصل، و لكنه عدل عنه إلى ما يفيد معناه و زيادة
١٠ أنه يعبد الله مخلصا و لايعبد غيره، و أنه لا يستحق اسم العبادة إلا ما كان
له خالصا. فقال: ﴿فانا﴾ أي في الرتبة ﴿اول العٰبدين ه﴾ للرحمن،
العبادةَ التي هي العبادة و لايستحق غيرها أن يسمى عبادة و هي الخالصة،
أي فأنا لا أعبد غيره لا ولدا و لا غيره، و لم يشأ الرحمن لي أن أعبد
الولد، أو يكون المعنى: أنا أول العابدين للرحمن على وجه الإخلاص،
١٥ لم أشرك به شيئا أصلا في وقت من الأوقات مما سميتموه ولدا أو شريكا
أو غيره، و لو شاء ما عبدته على وجه الإخلاص، و لاشك عندكم وعند
غيركم أن من أخلص لأحد كان أولى من غيره برحمة، فلو أن الإخلاص

(١) من ظ و مد، و في الأصل: سمع (٢) راجع نثر المرجان ٤٠٨/٦ (٣-٣) من
ظ و مد، و في الأصل: فما (٤) من مد، و في الأصل و ظ: له (٥) من مد،
و في الأصل و ظ: شبهتهم .

له ممنوع ما شاء لى[1]، و لولا أن عبادة غيره ممنوعة لشاءها لى، و لو أن له ولدا لشاء لى عبادته، فان عموم رحمته لكافة خلقه [2]لكونهم خلقه[2] و خصوصها[3] بى لكونى عبده خالصا له يمنع على زعمكم من أن يشقينى و أنا أخلص له. فبطلت شبهتكم بمثلها بل أقوى منها، و هذا مما علق بشىء[4] هو بنقيضه أولى، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن "ان" ٥ نافية[5] بمعنى: [ما ينبغى -[6]] أى ما كان له ولد، فانى أول من عبده رتبة و ما علمت له ولدا، و لو كان له[7] ولد لعلمته فعبدته تقربا إليه بعبادة ولده.

و لما بطلت الشبهة على تقدير ببرهان، و على آخر بشبهة أقوى منها، و ظهر الأمر و اتضح الحق فى أنه سبحانه يشاء لشخص فعل شىء ١٠ و لآخر عدم فعل ذلك الشىء و فعل ضده أو نقيضه، و من المعلوم قطعا أنه لا يكون فعل النقيضين[8] و لا الضدين فى آن واحد حقا[9] من وجه واحد، فعرف بذلك أن العبرة فى الحلال و الحرام بأمره و نهيه لا بإرادته، و أنه لولا ذلك / لما علم أنه فاعل بالاختيار يخص من يشاء[10] / ٧٢١ من عباده بما يشاء[10] بعد أن عمهم بما شاء، كان موضع التنزيه عما نسبوه ١٥

(١) زيد فى الأصل و ظ: به، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) فى مد: خصوصا (٤) سقط من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و ظ: فيه (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لى (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: النقيض. (٩) من ظ و مد، الأصل: اخفا (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: شاء.

إليه من الباطل، فقال منزها على وجه مظهر أنه لايصح أن ينسب إليه ولد أصلا: ﴿ سبحٰن رب ﴾ أى مبدع و مالك ﴿ السمٰوٰت ﴾ و لما كان المقام للتنزيه وجهة العلوية أجدر، لأنه أبعد[1] عن النقص[2] و النقيض[2]، لم يقتض الحال إعادة لفظ الرب بخلاف ما يأتى آخر الجاثية، فانه ٥ لإثبات الكمال و نظره[3] إلى جميع الأشياء على حد سواء فقال: ﴿ و الارض ﴾ أى اللتين كل ما فيهما و من فيهما مقهور مربوب محتاج لا يصح أن يكون له منه سبحانه نسبة بغير العبودية بالإيجاد[4] و التربية[5].

و لما كانت خاصة الملك[6] أن يكون له ما لا[6] يصل إليه غيره بوجه أصلا، قال محققا للملكه لجميع ما سواه و من سواه [و ـ[7]] ملكه له، ١٠ و لم يعد العاطف لأن العرش من السماوات: ﴿ رب العرش ﴾ أى المختص به لكونه خاصة الملك الذى وسع كرسيه السماوات و الأرض ﴿ عما يصفون ه ﴾ من أنه[8] له ولد أو شريك.

و لما حصحص[9] الحق لمعت[10] فى الموجود كله أعلام الصدق بعد بطلان شبهتهم و بيان أغلوطتهم، عرف أنهم فاعلون بوضع الأشياء ١٥ فى غير مواضعها[11] فعل الخائض اللاعب، فقال مسببا عن ذلك: ﴿ فذرهم ﴾

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: عن البعد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد. (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: نظيره (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: بالاتحاد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: التنزيه (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: انه حالا (٧) زيد من مد (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: ان. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: حصص (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: بلعت ـ كذا (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: موضعها.

أى

أى اتركهم [على أسوأ أحوالهم -[١]] ﴿يخوضوا﴾ أى يفعلوا فعل الخائض فى الماء فى وضع رجله التى هى عماده[٢] فيما لا يعرفه، و قد لا يرضاه لكونه لا علم له به ﴿و يلعبوا﴾ [أى يفعلوا فعل اللاعب فى انهماكه فى فعل ما ينقصه و لا يزيده ﴿حتى يلٰقوا﴾ أى يفعلوا بتصريم أعمارهم فى فعل ما لا ينفعهم فعل المجتهدين فى أن يلقوا ﴿يومهم الذى يوعدون ﴾ ٥ بوعد لا خلف فيه فيظهر فيه وعيدهم[٣] و يحق[٤] تهديدهم.

و لما نزهه سبحانه عن الولد و دل على ذلك بأنه مالك كل شيء و ملكه، و كان ذلك غير ملازم للالوهية، دل على أنه مع ذلك هو الإله لا غيره فى الكونين بدليل بديهى يشترك فى علمه الناس كلهم، و قدم السماء[٥] ليكون أصلا فى ذلك يتبع[٦] لأن الأرض تبع لها فى ١٠ غالب الأمور، فقال دالا على ان نسبة الوجود كله إليه على حد سواء لأنه منزه عن الاحتياج[٧] إلى مكان أو زمان عاطفا على ما تقديره: تنزه عما نسبوه إليه الذى هو معنى "سبحٰن"[٨]: ﴿و هو الذى﴾ [٩]هو ﴿فى السمآء اله﴾ أى معبود لا يشرك[١٠] به شيء ﴿و فى الارض اله[١١]﴾ توجه الرغبات إليه فى جميع الأحوال، و يخلص له فى جميع أوقات[١٢] ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: عماره (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: وعدهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تحقق (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الماء (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تبع (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: الاحتجاج (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: سبحانه. (٩) زيد فى الأصل: سبحانه وتعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: لا يشترك (١١) ليس فى الأصول (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الأوقاف.

الاضطرار ، فقد وقع الإجماع من جميع من فى السماء و الأرض على إلهيته[١] فثبت استحقاقه لهذه الرتبة و ثبت اختصاصه باستحقاقها فى الشدائد فباق الأوقات[٢] كذلك من غير فرق[٣] لأنه لامشارك له فى مثل[٤] هذا الاستحقاق ، فعبادة غيره باطلة . قال فى القاموس : أله - أى بالفتح - [٥]إلاهة ٥ و ألوهة[٥] و ألوهية : عبد[٦] عبادة ، و منه : لفظ الجلالة - و أصله : إلـه بمعنى معبود[٧] و كل ما اتخذ معبودا[٨] فهو إله [٩]عند متخذه[٩] ، و أله كفرح : تحير ، فقد علم من هذا جواز تعلق الجار بالـه[١٠] .

و لما كان الإلـه لايصلح للألوهية إلا إذا كان يضع الأشياء فى محالها بحيث لايتطرق إليها فساد ، و لايضرها إفساد مفسد ، و كان لا يكون ١٠ كذلك إلابالغ العلم [قال -[١١]] : ﴿ و هو الحكيم ﴾ أى البليغ[١٢] الحكمة ، و هى العلم الذى لأجله وجب الحكم من قوام من أمر المحكوم عليه فى عاجلته و آجلته ، [١٣]و لما كانت[١٣] الحكمة العلم بما لأجله وجب الحكم قال تعالى: ﴿ العليم ۝ ﴾ أى البالغ فى علمه إلى حد لايدخل [فى - [١١]] عقل العقلاء

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الهيئة (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الافاق (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فرت (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : به شيء ولا شك فى (٥-٥) من مد و القاموس ، و فى الأصل : الإهيه (٦) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و القاموس لحذفناها . (٧) فى القاموس : مالوه (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : معبود . (٩-٩) من مد و القاموس ، و فى الأصل : عنده اى عند من اتخذ (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : اله (١١) زيد من مد (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالغ (١٣-١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : كان .

أكثر من وصفه به على طريق المبالغة و لو وسعوا أفكارهم و أطالوا أنظارهم[1] لأنه ليس كمثله شيء[2] في ذاته[2] و لا صفة من صفاته ليقاس به، [و -[3]] كل من ادعى فيه أنه شريك له لايقدر من أشرك به أن يدعى له [4]ما وصف[4] به من الإجماع على ألوهيته[5] و من كمال علمه و حكمه، فثبت[6] قطعا ببطلان الشركة بوجه يفهمه كل أحد، فلا خلاص حينئذ ٥ إن[7] خالف كائنا من كان، و إذا قد صح أنه الإله وحده و أنه منزه عن شريك و ولد و كل شائبة نقص كان [بحيث -[3]] لا يخاف وعيده، فلا يخوض و لايلعب عبيده، و من خاض [منهم -[3]] أو لعب فلا يلومن إلا نفسه، فان عمله محفوظ بعلمه فهو مجاز عليه بحكمته.

و لما نزه ذاته الأقدس و أثبت لنفسه استحقاق الإلهية بالإجماع ١٠ من خلقه [8]بما ركزه[8] في فطرهم و هداهم[9] إليه بعقولهم، أتبع ذلك أدلة أخرى باثبات كل كمال بما تسعه العقول و بما لا تسعه مصرحا بالملك فقال: ﴿و تبرك﴾ أي ثبت [11]ثباتا[10] لايشبهه ثبات لأنه لا زوال مع التيمن و البركة و كل كمال، فلا تشبيه[12] له حتى يدعى أنه ولد له

---

(١) من مد، وفي الأصل وظ: انتظارهم (٢-٢) من ظ و مد، و في الأصل: و اداته (٣) زيد من مد (٤-٤) من مد، و في الأصل و ظ: وصفا (٥) من مد، و في الأصل و ظ: الهيبة (٦) من مد، و في الأصل و ظ فيثبت.
(٧) في مد: بأن (٨-٨) من ظ و مد، و في الأصل: كما ذكره (٩) من ظ و مد، و في الأصل: هواهم (١٠) من مد، و في الأصل و ظ: اثبت.
(١١) زيد في الأصل و ظ: اى، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها.
(١٢) من مد، و في الأصل و ظ: شبهة.

أو شريك ، ثم وصفه بما يبين تباركه و اختصاصه بالإلهية فقال : ﴿ الذى له ملك السموٰت ﴾ أى كلها [1] ﴿ و الارض ﴾ كذلك ﴿ و ما بينهما ج ﴾ و بين كل اثنين منها [2] ، و الدليل على هذا الإجماعُ القائم على توحيده عند الاضطرار .

٥ و لما ثبت اختصاصه بالملك [و كان الملك لا يكون إلا عالما بملكه و كان ربما ادعى مدع و تكذب معاند فى الملك - [3]] أو العلم ، قطع الأطماع بقوله : ﴿ و عنده ﴾ أى وحده ﴿ علم الساعة ج ﴾ سائقا له مساق ما هو معلوم الكون ، لا مجال للخلاف فيه [إشاره - [3]] إلى ما عليها من الأدلة [4] القطعية المركوزة فى الفطر [5] الأولى فكيف بما يؤدى إليه

١٠ الفكر من الذكر المنبه عليه السمع ، و لأن من ثبت اختصاصه بالملك وجب قبول أخباره لذاته ، و خوفا من سطواته ، و رجاء فى بركاته ﴿ و اليه ﴾ أى وحده لا إلى غيره بعد قيام الساعة ﴿ ترجعون ۝ ﴾ بأيسر أمر تحقيقا لملكه و قطعا للنزاع فى وحدانيته ، و قراءة الجماعة [6] و هم من عدا ابن كثير و حمزة و الكسائى و ورش عن يعقوب بالخطاب أشد

١٥ تهديدا من قراءة الباقين بالغيب ، و أدل على تناهى الغضب على من لا يقبل إليه بالمتاب بعد رفع كل ما يمكن أن يتسبب عنه ارتياب .

---

(١) زيد فى الأصل : جميعا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : منهما (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : الالة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفطرة (٦) راجع نثر المرجان ٦ / ٤٦١ .

و لما أرشد السياق قطعا إلى التقدير : فلا شريك له فى شىء من ذلك و لا ولده و لايقدر أحد منهم على التخلف عن الرجوع إليه كما أنه لايقدر أحد[1] على مدافعـــة قضائه و قدره ، عطف عليه قوله : ﴿ و لا يملك ﴾ أى بوجه من الوجوه فى وقت ما[2] ﴿ الذين يدعون ﴾ أى يجعلونهم فى موضع الدعاء بعبادتهم لهم ، و بين سفول رتبتهم بقوله ٥ تعالى : ﴿ من دونه ﴾ من أدنى رتبة من رتبته[3] من الأصنام و الملائكة و البشر و غيرهم ﴿ الشفاعة ﴾ أى فلا يكون منهم شفيع كما زعموا أنهم شفعاؤهم ﴿ الا من شهد ﴾ أى منهم ﴿ بالحق ﴾ أى التوحيد الذى يطابقه[4] الواقع إذا انكشف [أتم انكشاف -[5]] و كذا ما يتبعه فانه يكون أهلا لأن يشفع كالملائكة و المسيح عليهم الصلاة و السلام ، ١٠ و المعنى أن أصنامهم التى ادعوا أنها تشفع[5] [لهم لاتشفع -[5]] غير أنه تعالى ساقه على أبلغ ما يكون لأنه كالدعوى .

و لما كان ذلك مركوزا حتى[6] فى فطر الكفار فلا يفزعون فى وقت الشدائد إلا إلى الله ، و لكنهم لايلبثون أن يعملوا من الإشراك بما[7] يخالف ذلك ، فكأنه لا علم لهم قال : ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أن ١٥

(١) سقط من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : من الاوقات (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : رتبة (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لايطابقه . (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : جرم (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : مما .

من شهد ﴿ يعلمون﴾ أى على بصيرة مما شهدوا به، فلذلك[1] لايعملون[2] بخلاف ما شهدوا [إلا - [3]] جهلا منهم بتحقيق معنى التوحيد، فلذلك يظنون أنهم لم يخرجوا عنه و إن أشركوا. أو يكون المعنى: و هم من أهل العلم، و الأصنام ليسوا كذلك، وكأنه أفرد أولا إشارة إلى أن التوحيد
٥ فرض عين على كل أحد بخصوصه و إن خالفه كل غير، و جمع ثانيا إيذانا بالأمر بالمعروف ليجتمع الكل على العلم و التوحيد هو الأساس الذى لا تصح عبادة إلا به، و تحقيقه هو العلم الذى لاعلم يعدله، [قال الرازى فى اللوامع: و جميع الفرق إنما ضلوا حيث لم يعرفوا - [3]] معنى الواحد على الوجه الذى ينبغى إذ الواحد قد يكون مبدأ العدد، و قد
١٠ يكون مخالطا للعدد، و قد يكون ملازما للعدد، و الله تعالى منزه عن هذه الوحدات - انتهى . ففى الآية تبكيت لهم فى أنهم يوحدون فى أوقات، فاذا أنجاهم الذى وحدوه[4] [5]جعلوا شكرهم[5] له فى الرخاء إشراكهم به، و منع لهم من ادعاء هذه الرتبة. و هى الشهادة بالحق لأنهم[6] انسلخوا باشراكهم عن العلم، و أن[7] الملائكة لاتشفع لهم لأن ذلك
١٥ يؤدى إلى أن تكون قد [8]عملت بخلاف[8] ما تعلم، و ذلك ينتج الانسلاخ

(١) من مد، و فى الأصل: فلذلك، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى « شهدوا به » ساقطة من ظ (٢) من مد، و فى الأصل: يعلمون (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: وحدوه (٥ - ٥) من مد، و فى الأصل و ظ: شركهم (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لا (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الى (٨-٨) من مد، و فى الأصل و ظ: علمت.

من العلم المؤهل للشفاعة، و قال ابن الجوزي: [و - [1]] في الآية دليل على أن شرط جميع الشهادات أن يكون الشاهد عالما بما يشهد به.

و لما كان التقدير [لتقرير - [2]] وجود إلهيته في الأرض بالاجتماع[3]: فلئن سألتهم من ينجيهم في وقت كروبهم ليقولن: الله، [4]ليس لمن ندعوه[4] من دونه [هناك فعل - [1]]، فقال عطفا عليه: ﴿ و لئن سالتهم ﴾ أي ٥ الكفار[5] ﴿ من خلقهم ﴾ أي العابدين و المعبودين معا، [6]أجابوا بما يدل على عمى القلب الحقيقي المجبول عليه و المطبوع بطابع الحكمة الإلهية عليه، و لم يصدقوا في جواب مثله بقولهم / «إذا سالتهم»[6]: ﴿ ليقولن الله ﴾ / ٧٢٤ الذي له جميع صفات الكمال هو الذي خلق[7] الكل ليس لمن يدعوه منه شيء، و لذلك سبب عنه قوله: ﴿ فأنى ﴾ أي كيف و من أي جهة ١٠ بعد أن أثبتوا له الخلق و الأمر ﴿ يؤفكون ﴾ أي يقلبون عن وجوه الأمور إلى أقفائها من قالب ما كائنا من كان، فيدعون أن له شريكا تارة بالولدية، و تارة بغيرها، مع ما ركز في فطرهم[8] مما ثبت به أنه[9] لاشريك له لأن له الخلق و الأمر كله[10].

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) من مد، و في الأصل و ظ: بالاجماع (٤-٤) من مد، و في الأصل و ظ: لن يدعو (٥) زيد في الأصل: بالمشركين من اي وجه كان، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها. (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) زيد في الاصل: الكمال و هو الذي خلق، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٨) من مد، و في الأصل و ظ: فطر (٩) من مد، و في الأصل و ظ: لأنه (١٠) سقط من ظ ومد.

و لما أبطل سبحانه شبهتهم [و - [1]] وهى غاية التوهية أمرهم[2]
فى شركهم و ادعائهم الولد و غير ذلك مما تضمنته أقوالهم الفاسدة
المنسوبة إليهم فى هذه السورة ، و أقام حجج الحق ، و نصب براهين
الصدق ، و أثبت ما ينفعهم ، و حذرهم ما يضرهم ، حتى ختم ذلك بقوله
٥ [مقسما - [3]] مع جلالة[4] قدره و عظم أمره " لقد جئنكم بالحق " ثم
[حصر - [3]] أمرهم فى رد ذلك إن ردوه إلى قسمين فى حالين : حال
مجاهرة و حال مما كرة ، و أخبر أنه لانجاة لهم على حالة منهما ، و[5] أخبر
أن[6] رسله تعالى يكتبون جميع أمورهم ، ذلك [مع غناه عن ذلك لعلمه - [3]]
بما يكتبونه من ذلك و غيره مما لا يطلعون عليه ، فكان ذلك نحرا عظيما
١٠ ملاحما أشد الملاحمة لما قدمه[7] من شبهتهم فى ادعاء الولد فأكد إبطالها
و حقق زوالها ، و ختم بالتعجيب[8] من حالهم فى تركهم وجوه الأمور
و اتباعهم أقفاءها ، و كان من جملة ذلك عملهم عمل من يظن أن الله
سبحانه لايسمع قولهم الموجب لأخذهم و قول رسوله [الموجب - [3]]
لنصره ، عطف على ما مضى من إنكارهم عليهم عدم سماعه لقولهم ، و لما
١٥ كان اشتدادهم فى تكذيبهم و مباعدتهم و عنادهم لا يزداد بمرور الزمان

---

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل وظ : امر (٣) زيد من ظ ومد .
(٤) فى مد : جلال (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : او (٦) من مد ، و فى
الأصل و ظ : بان (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : قدمته (٨) من مد ، و فى
الأصل و ظ : بالتعجب .

إلا

إلا قوة أوقع فى نفس الرسول[1] صلى الله عليه و سلم أسفا و رقة و شفقة عليهم و عطفا، و صار يشكو أمرهم إلى ربه شكوى المضطر سرا و علنا إرادة التيسير[2] فى أمرهم و التهوين لشأنهم، فاختير للتعبير[3] عن هذا المعنى مصدر[4] " قال " المشترك لفظه مع لفظ الماضى المبنى للمجهول إشارة إلى أن شكواه بذلك كأنها صارت أمرا ضروريا له لا اختيار له فى قوله ٥ فكأنه[5] صار قولا من غير قائل أو من غير قصد، لأنه صار حالا من الأحوال، و وصل به الضمير من غير تقدم ذكر، إشارة إلى [أن -[6]] ضميره قد امتلأ[5] بتلك الشفقة عليهم و الرحمة لهم، فقال تعالى عطفا على سرهم المقدر بعد " بلى " فى قوله تعالى " انا لانسمع سرهم و نجوٰهم [بلى - [7]] " أو يكون معطوفا على [محل - [6]] الساعة [أى - [7]] ١٠ " و يعلم قيله " قاله الزجاج، و عدل فى هذا الوجه - و هو قراءة الجماعة - عن[8] الجر عطفا على لفظها [تعظيما -[6]] لما أوصله إلى هذا القيل[9] من أذاهم، و الذى [دل - [6]] على تقدير هذا الفعل قراءة عاصم[10] له [و حمزة -[11]] بالجر فانه[12] ظاهر فى تعلقه بذلك لعطفه على لفظ

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: رسول الله (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: التيسر (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: للتخيير (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لفظا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فكان (٦) زيد من مد (٧) زيد من ظ و مد (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: بين (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: السبيل (١٠) راجع نثر المرجان ٦/٤٦٣ (١١) زيد من مد و نثر المرجان. (١٢) من ظ و مد. و فى لأصل: و انه.

" الساعة "، و قرئ[١] شاذا بالرفع، و وجهه أن الواو للحال، أى كيف يصرفون عن اتباع رسولنا الآمر لهم بتوحيدنا فى العبادة كما أنا [٢]توحدنا / بالخلق[٢] و الحال أن قيله كذا فى شكايتهم، أفيظنون أنا لا ننصره و قد ٧٢٥ / أرسلناه: ﴿ و قيله ﴾ الذى صار فى ملازمته و عدم انفكاكه حالا من ٥ الأحوال، الدال على وجه قيله و انكسار نفسه بما دلت عليه [كسرة - [٣]] المصدر و ياؤه المجانسة لها، و التعبير بقوله: ﴿ يٰرب ﴾ دال على ذلك بما [٤]تفيده « يا » الدالة[٤] على بعد، أو تقديره: و الرب الدال على الإحسان و العطف و الشفقة و التدبير و السيادة و الاختصاص و الولاية، و ذلك على غير العادة فى دعاء المقربين، فانها جارية فى القرآن باسقاط ١٠ أداة النداء.

[و لما كان الإرسال إليهم - و المرسل قادر - مقتضيا لإيمانهم، أكد ما ظهر له من حالهم بقوله زيادة - [٥]] فى التحسر و إشارة إلى أن تأخير أمرهم يدل على أن إيمانهم مطموع فيه: ﴿ ان هٰؤلاء ﴾ لم يضفهم إلى نفسه[٦] بأن يقول: قومى، و نحو ذلك من العبارات و لا[٧] سماهم باسم ١٥ قبيلتهم لما ساءه[٨] من حالهم، و أتى بهاء المنبهة قبل اسم على غير عادة الأصل إشارة إلى أنه استشعر من نفسه بعدا[٩] استصغارا لها و احتقارا[١٠]

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: قرا (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل و ظ: توعدنا بالحق (٣) زيد من مد (٤ - ٤) من مد، و فى الأصل و ظ: سده بالدلالة (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد. (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: لما (٨) من ظ و مد و فى الأصل: ساله. (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: بعد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: احتقار.

﴿ قوم ﴾ أى أقوياء على الباطل ﴿ لا يؤمنون ﴾ أى لا يتجدد منهم هذا الفعل .

و لما كان هذا قولا دالا على غاية ما يكون من بلوغ الجهد ، تسبب عنه ما يسره بإيمانهم و بلوغهم الرتب العالية التى هى نتيجة ما كان مترجى[1] لهم أول السورة ، و ذلك كله ببركته صلى الله عليه و سلم ٥ فى سياق ظاهره التهديد و باطنه - بالنسبة إلى علمه[2] - البشارة[3] بالتشديد فقال: ﴿ فاصفح عنهم ﴾ أى اعف عن أعرض منهم صفحا فلا تلتفت إليهم بغير التبليغ ﴿ و قل ﴾ أى لهم: ﴿ سلم ﴾ أى شأنى الآن[4] متاركتكم بسلامتكم منى و سلامتى منكم ﴿ فسوف يعلمون ﴾ بوعد لا خلاف / فيه ، فهذا ظاهره[5] تهديد كبير ، و قراءة المدنيين و ابن عامر بالخطاب[6] أشد ١٠ تهديدا ، و باطنه [7]من التعبير[7] بالصفح عنهم و[8]السلام بشارة[8] بأنهم يصيرون علماء فيفوقون الأمم فى العلم بعد أن يفوقوهم[9] فى العقل - بما أفهمه أول السورة - فيعلون الأمم فى المشى على مناهيج العقل ، فلله دره من

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مرتجى (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : علة (٣) زيد فى الأصل : التامة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : لأن (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ظاهر .
(٦) راجع نثر المرجان ٦/٤٦٤ (٧-٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالتعبير .
(٨-٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : البشارة (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : يروقوهم .

احر عاتق الأول ، و مقطع رد إلى المطالع[1] [2]تنزل ، يا ناظم اللآلى[2] أين تذهب عن هـــذا البناء العالى ، و تغفل[3] عن [4]هذا الجوهر[4] الرخص الغالى ، و تضل عن هذا الضياء اللامع المتلألئ ، ثم أعلاه فأنزله ، و أغلاه بدر المعانى[5] و فضله[6] .

* * * * *

(١) من ظ ، و فى الاصل و مد : المطلق (٢-٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تنزل بالاصم اللاتى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : مقل - كذا (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذه الجواهر (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المعالى (٦) زيد فى الأصل : على ما سواه من الكتب المنزلة و الله الهادى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء السابع عشر من تفسير "نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى يوم الجمعة الخامس و العشرين من جمادى الثانية سنة ١٤٠١هـ = الأول من مايو سنة ١٩٨١ م ، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد ، قاضى المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده ، و ضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى السيد الفاضل محمد عمران الأعظمى الأنصارى العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضى محمد عطاء الله النقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله .

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء الثامن عشر باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة "الدخان".

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ، و هو المسؤل لحسن الخاتمة ، و نصلى و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية